



مجلة  
الاحقية  
بجامعة ادرار

مجلة أكاديمية محكمة تصدر دورياً عن جامعة أدرار

العدد الثامن عشر

جولية 2011  
شعبان 1432

# مجلة الحقيقة

مجلة أكاديمية محكمة تصدر دورياً عن جامعة أطار

## العدد الثامن عشر

جويلية 2011

شعبان 1432



العنوان البريدي: الجامعة الإفريقية أحمد دراية ، أدرار  
الطرق الوطني رقم 06 أدرار. (01000)

الهاتف: 049.96.59.63 فاكس: 049.96.75.71 (213)

البريد الإلكتروني: [univ-adrar@maktoob.com](mailto:univ-adrar@maktoob.com)

رقم الإيداع القانوني: رقم الإيداع القانوني 2003 / 363  
ISSN 1112 - 4210



11 نهج طالبي أحمد - غرداية

الهاتف / فاكس: 029 88 36 53

المنطقة الصناعية: 029 87 34 34

# مجلة الحقيقة

مجلة أكاديمية محكمة تصدر دورياً عن

جامعة أبارار

العدد الثامن عشر

أوت 2011

## كلمة مدير الجامعة

يطيب لي أن أشكر الطاقم الإداري والعلمي الذي سهر ويسهر على إعداد ونشر هذه المجلة، كما أشكر كل المهتمين بالنشر في هذه المجلة من باحثين وأساتذة. تبعا لنشر أعداد مجلة " الحقيقة " يأتي هذا العدد الثامن عشر ليضيف إلى الأعداد السابقة مجموعة من المقالات في ميادين القانون والاقتصاد والأدب واللغة والتاريخ والاجتماع، كما يأتي هذا العدد في إطار التغيير الجديد للهيئات المسيرة للمجلة، حيث تم استبدال بعض الأعضاء في هيئة التحرير وفي الهيئة العلمية وذلك بهدف إعطاء نفس جديد للمجلة .

## مجلة الحقيقة

مجلة أكاديمية محكمة تصدر دورياً عن جامعة أدرار

العدد الثامن عشر - جويلية 2011

## هيئات المجلة

مدير المجلة: أ.د عباسي عمار ( مدير الجامعة).

نائب مدير المجلة: د. بوكميش لعلی (نائب مدير الجامعة للبحث العلمي).

رئيس التحرير: د. بومدين محمد

### هيئة التحرير:

- 1- د. بومدين محمد
- 2- د. لعلی بوكميش
- 3- د. مامي فؤاد
- 4- د. خلادي محمد الأمين
- 5- د. قانون الجيلاني
- 6- الاستاذة مازار يمينة

### أعضاء الهيئة العلمية للمجلة

أولاً: من جامعة أدرار:

- 1- أ.د ذراع الطاهر (تاريخ)
- 2- أ.د بوصفصاف عبد الكريم (تاريخ)
- 3- د. شتره خير الدين (تاريخ)
- 4- أ.د. شوشان محمد الطاهر (علم التربية وعلم النفس)
- 5- ا.د اسطمبولي محمد (علم الحديث)
- 6- ا.د المصري مبروك (فقه)
- 7- أ.د دباغ محمد (فقه وأصول)
- 8- د. بلعتروس محمد ( شريعة وقانون )
- 9- د.بن زيطة حميدة ( شريعة )
- 10- د.قصاصي عبد القادر (أدب)
- 11- د.مشري الطاهر (أدب).
- 12- د.أحمد جعفري (أدب).
- 13- أ.د بورصالي فوزي ( إنجليزية).
- 14- د.بوهانية بشير (إنجليزية).
- 15- د.وناس يحي ( قانون).
- 16- د.حمليل صالح ( قانون).
- 17- د.بن عبد الفتاح دحمان (تجارة)

18- د.يوسفات علي ( تجارة )

19- أقاسم عمر ( تجارة )

### ثانياً من جامعات الوطن

1- أ.د عوفي مصطفى (علم الاجتماع - جامعة باتنة )

2- أ.د قدي عبد المجيد ( علوم تجارية -جامعة

(الجزائر)

3- أ.د دبلّة عبد العالي (علم اجتماع -جامعة بسكرة )

4- أ.د. بلعيد صالح ( ادب -جامعة تيزي وزو )

5- د.بن حمو محمد ( ادب -جامعة بشار )

6- د.زايري بلقاسم (علوم تجارية -جامعة وهران)

7- د.رشيد بوسعادة (علم الاجتماع -جامعة بوزريعة)

8- د.دراوش رابح (علم الاجتماع -جامعة البليدة)

9- د.رابح عبد الله سرير (الإدارة العامة -جامعة

(الجزائر)

10- د.عدمان مريزق ( اقتصاد ومالية -المدرسة العليا

للتجارة الجزائر)

11- د. بوسعدة عمر ( علوم الإعلام والاتصال -جامعة

الجزائر 03)

12- د. خواجه عبد العزيز (علم الاجتماع -المركز

الجامعي غرداية )

13- د. بوحنية قوي ( علوم سياسية -جامعة ورقلة)

14- د. دبلّة فاتح (اقتصاد -جامعة بسكرة)

15- جبايلي نورالدين (علم النفس - جامعة باتنة)

### ثالثاً : من خارج الوطن

1- د.خلوق آغا ( أصول الفقه -جامعة العلوم الإسلامية

العالمية الأردن)

2- د. وليد العويمر (علوم سياسية ودراسات إستراتيجية

-جامعة الحسين ابن طلال الأردن)

3- د.فؤاد كريشان (إدارة واقتصاد -جامعة الحسين بن

طلال الأردن)

4- أ.د عبد العزيز أبو نبة (إدارة أعمال -الأردن)

5- د. محمد فالح لحنيطي (الإدارة العامة - الجامعة

الأردنية الأردن )

6- د. حسين العايد (العلاقات الدولية والعلوم السياسية

جامعة الحسين بن طلال الأردن)

7- د. سعيد أوكيل (التسيير والتسويق -جامعة الملك

فهد السعودية)

- 8- د.حسين عليوي الطائي (الجامعة الإسلامية- بغداد)
- 9- د. سيف الدين حمدت (قانون -جامعة شندي السودان)
- 10- د. عوض إبراهيم (الإعلام والاتصال- الجامعة الإفريقية العالمية السودان)
- 11- د. خالد أحمد اسماعيل ( أستاذ اللغة -جامعة غرب كردفان السودان)
- 12- أ.د عبد الحكيم ناصر العشوي (جغرافية المدن - جامعة تعز اليمن)
- 13- أ.د داوود الحديبي ( الإقتصاد ومالية وإدارة الاعمال- جامعة العلوم والتكنولوجيا-اليمن)
- 14- جمال حلاوة ( ادارة الأعمال - جامعة القدس فلسطين)
- 15- د.محمد توفيق رمضان (شريعة ومصارف إسلامية- جامعة دمشق سوريا)
- 16- ا.د سليمان عبد ربه محمد (قسم القيادة والإدارة التربوية- جامعة الخليج البحرين)
- 17- د. زرداني حسان ( القانون المغرب)
- 18- د.بن بلقاسم لحبيب ( علوم الإعلام والاتصال -تونس)
- 19- جيرالد ماك لوجين ( إدارة الأعمال – جامعة دبيول- أمريكا .
- 20- جوسيط ماك لوجين – إدارة أعمال وتسويق – جامعة روزفلت – أمريكا .



- تهتم مجلة الحقيقة بنشر الإسهام العلمي الجامعي المتميز في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بشتى فروعها .
- تقبل للنشر الدراسات والبحوث المتخصصة وفقاً للقواعد التالية :
- 01 - أن يتسم البحث بالأصالة النظرية والإسهام العلمي.
  - 02 - أن يكون المقال جديداً لم يسبق نشره لدى جهات أخرى، وذلك بتقديم تعهد كتابي ممضي من طرف المعني.
  - 03 - أن يتوفر المقال على الشروط العلمية والمنهجية.
  - 04 - تخضع المقالات للتقييم والتحكيم.
  - 05 - يجب أن تقدم المقالات في قرص مرن مرفقة بثلاث نسخ، لا يتجاوز عدد صفحاتها 20 صفحة ، ولا يقل عن 10 صفحات.
  - 06 - يجب إرفاق السيرة الذاتية لصاحب المقال.
  - 07 - يجب إرفاق ملخص للمقال بالعربية وبلغة مغايرة للغة التحرير .
  - 08 - أن يوضع الهامش بصفة آلية (حواشي سفلية) جديد لكل صفحة.
  - 09 - أن يحرر المقال بـ **Simplified Arabic** الحجم 14 أسود عريض.
- ملاحظات:**
- 01 - الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها
  - 02 - لا ترد البحوث المقدمة إلى المجلة سواء نشرت أم لم تنشر

# الفهرس العام

أ	كلمة مدير الجامعة
ب	هينات المجلة
ج	قواعد النشر
	الفهرس العام

## محور الأدب

18-2	فن الرسالة وأدب الرحالة ( قديما في توات).	01	أ.فاطمة قاسمي
47-19	العلاقة بين الجامعة والمجتمع.	02	د. جمال حلاوة
64-48	ابن العالم سيدي محمد الزجلوي: (حياته وإسهامه في الحركة العلمية بتوات).	03	أ.عبد القادر بقادر
84-65	صورة التراكيب اللغوية العربية.	04	أ. شابي سعاد
117-85	فاعلية الاختيار وتعليمته في اللغة العربية بين تقويم المعلم وتلقي المتعلم.	05	د. محمد الأمين خلادي
136-118	الشهرة مفهوما وأثرها في النقد في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد	06	د. بلخير حديبي
154-137	الترجمة وتفاعل الثقافات	07	أ.باقي عبد القادر
166-155	النقد اللغوي لدى القدماء كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت 577 هـ. أنموذجا	08	د. مشري الطاهر
189-167	المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة.	09	أ. قاسي محمد عبد الرحمن

## محور القانون

208-191	تكييف بنود الاستقرار التشريعي و تقييم دورها في عقود الدولة	01	أ.علي محمد عبد الكريم
225-209	الرشوة كمظهر من مظاهر الفساد الإداري وأساليب معالجته	02	أ. قاشي علال
268-226	التحكيم بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية	03	د. فريجه حسين

## محور التاريخ وعلم الاجتماع

324-270	الدين، التاريخ، الثقافة: أي علاقة؟ نحو مقارنة سوسولوجية للمعطي الجزائري.	01	د. خواجه عبد العزيز أ. داود عمر
366-325	الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830-مطلع القرن 20م) الطريقة الشيخية أنموذجا	02	د. خير الدين شترة
389-367	مشكلة الحضارة، في فكر مالك بن نبي	03	أ. زوهير عبد السلام
405-390	تعدد المصطلحات الاجتماعية- مقارنة سوسيو لغوية	04	أ. سميرة لغويل

## محور الإقتصاد

427-407	أثر برامج التنمية الفلاحية على التنمية البشرية بولاية أدرار	01	د. وناس يحي
452-428	حوكمة البنوك المركزية في الدول العربية: نظرة جديدة للإستقلالية	02	أ. بن باحان محمد
479-453	المديونية الخارجية الجزائرية والتخصص الدولي	03	أ. عبد العزيز بوكار

498-480	التعليم والزيادة السكانية: مقارنة اقتصادية	04	أ. فيصل بوطيبة
	معيار صافي القيمة الحالية VAN كمقياس لتقييم المشاريع	05	عبد الغني بوطيبة
520-499	الاستثمارية مع التطبيق على مشروع ممول من طرف بنك .BDL		أ. بن العارفة حسين

## المحور الأول: الأدب

## فن الرسالة وأدب الرحالة

- قديماً في توات -

أ. فاطمة قاسمي

جامعة أدرار

## الملخص:

توات هذا الإقليم الذي لجأ إليه العلماء والزهاد والصالحون منذ فجر التاريخ، فرارا بدينهم من القهر والتسلط إلى غياهب الصحراء، حيث الأمن والأمان، هذا الإقليم أنار قرائح العلماء فراحوا ينافسون نظراءهم المشاركة في مختلف العلوم والفنون، هذا الإقليم الذي فتق من عبقرية الشعراء فكتبوا في مختلف الأغراض الشعرية ومختلف الأوزان منها حتى ابتكروا وأبداعوا في هذا المجال.

## Résumé :

Touat, cette région fréquentée par les universitaires et les ascètes, les vertueux depuis l'aube de l'histoire. Ils se sont échappés de leur religion à cause de l'oppression et du pouvoir des ténèbres du désert, où la sûreté et la sécurité. Cette région a redorés les savants afin qu'ils commencent à rivaliser avec les Orientaux leurs homologues dans les différentes sciences arts. Cette région que a fait naitre des génies et des poètes qui ont écrit dans les différents usages de la poésie jusqu'à ce qu'ils ont fait des créations dans ce domaine.

## المقدمة:

إن منطقة توات عريقة في القدم، واغلة جذورها في التاريخ، فقد وردت آراء وأقوال حول تاريخ نشأتها وقدمها، واختلاف المؤرخون في أصل تسميتها، ولكنهم لم يختلفوا في كون البربر هم أول من سكن المنطقة، ثم انتقل إليها العرب مع الفتح الإسلامي أفواجا، فحملوا معهم الدين الإسلامي واللغة العربية التي صارت لسان السكان فأبداعوا بها وانكبوا على القرآن الكريم تلاوة ودراسة حتى فقهوا منه الكثير وراحوا يؤلفون ويكتبون.

ومما أبداعوا باللغة العربية فن النثر الذي وجد في المكتبات الأثرية التي تزخر بها المنطقة، ومن الألوان النثرية التي برعوا فيها الرسائل،

والخطابة، والوصايا التي كانت همزة الوصل بين السكان والدعاة والمصلحين كما هو الشأن بالنسبة لكل الشعوب، كما أبدعوا في أدب الرحلات أيضا.

وقبل الولوج في صلب الموضوع يتعين أن أقدم له بهاته الإطلالة، للحدث فيها عن الإشكالية، ثم أتطرق بعد هذا للتعريف بمنطقة توات، وآراء الباحثين والمستشرقين فيها.

إن الإشكالية التي يقوم عليها هذا البحث هي هل عرفت -فعلا- منطقة توات قديما فنونا نثرية، وإن وجدت، فكيف هو مستواها فنيا، هذا ما يسعى البحث الإجابة عنه وإثباته عبر هاته الخطة.

**المطلب الأول: التعريف بإقليم توات.**

**المطلب الثاني: مفهوم النثر اللغوي والاصطلاحي.**

**المطلب الثالث: الرسائل.**

**المطلب الرابع: أدب الرحلات.**

**المطلب الخامس: الخصائص الفنية وفن الرسالة وأدب الرحالة وسماته.**

**الفرع الأول: الخصائص الفنية.**

**الفرع الثاني: سمات فن الرسالة وأدب الرحالة في توات.**

**المطلب الأول: التعريف بإقليم توات**

رأى " محمد بن المبارك " أن كلمة توات أصلها أعجمي، فقد كانت قبائل من لمتونة جاءت إلى توات في منتصف القرن السادس الهجري (12م) فأطلق هذا اللفظ.1

ويروي " ماندوفيل "MANDEFILLE عن اسم توات أنه من إطلاق الطوارق والعرب على مجموعة من الواحات التي تتواجد بالمنخفض العميق لواد الساورة وواد مسعود.2

كما يرى " روكليس "RECLUS ومضمون روايته ينطوي على أن أصل كلمة توات بربري معناه الواحة.3.

ويرى الأستاذ بوساحة أن توات معناه الأماكن المنخفضة في اللهجة البربرية، ويمثل لذلك بقوله: " كلمة توات تطلق على الجزء الداخلي من جسم الإنسان والذي يقع تحت القفص الصدري " 4.ومن هذه الآراء والروايات المختلفة نميل إلى الرأي والرواية التي مفادها أن أصل التسمية بربري ونعلل ذلك بتسمية ج ل قصور توات التي هي تسميات غير عربية (بربرية )، فهي تبدأ بحرف التاء وقد تختم به كما هو الحال في تسابيت، وتوات.... وكذلك أن أصل السكان من البربر، والرواية القائلة بأنها الأراضي المنخفضة فعند قدومك إليها من جهة الشمال تجد نفسك تتحدر نحو الأسفل، وكذلك معظم القصور تقع في منخفضات الأودية، لملائمة أراضيها للزراعة. وصف الإقليم كثير من الرحالة والكتاب؛ فقد قال الوزان الفارسي في كتاب وصف إفريقيا: "تسابيت إقليم ما هو في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس، يضم أربعة قصور وقرى عديدة، سكانه فقراء، لا تنبت أراضيهم غير التمر وقليل من الشعير بشرتهم سمراء إلا أن نساءهم جميلات سمراوات " 5.

وعن تجورارين: قال " تيكورارين منطقة مأهولة في الصحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا شرق تسابيت، حيث يوجد بها ما يقارب من خمسين

<sup>1</sup> فرج محمد فرج . إقليم توات بين القرنين 18 و19 . ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط 1977 ص : 02 .

<sup>2</sup> -ينظر أحدد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902 م ص: 11 .

<sup>3</sup> -المرجع السابق . ص: 11.

<sup>4</sup> -بوساحة . أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر . دار هومة الجزائر ط: 2002 م ص: 79.

<sup>5</sup> حسن بن محمد الوزان الفارسي إفريقيا . ترجمة محمد حجي الأخضر . دار الغرب الإسلامي ببيروت لبنان . 1983 م 12 133 و

قصرا وأكثر من مائة بين حدائق النخيل وسكانها أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم لبلاد السودان ... يأكلون لحم الجمال ويستعملون في طعامهم الشحم الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان "1

ويضيف في ذات السياق: "وتدبير الشؤون بأيدي رؤساء الفرق وكثيرا ما يتقاتلون بينهم إلا أنهم لا يمسون الغرباء بسوء، ويؤدون عادة إتاة صغيرة للأعراب "2.

الملاحظ من خلال آراء وأقوال " الحسن الوزان " أنه ذكر تسابيت وتيكورارين وقد وصف كل منهما على حده رغم أنها من إقليم واحد، كما يلاحظ أنه وصف الأول بالفقر والثانية بالغنى كما ذكر بعض مظاهر الحياة فيهما؛ من وصف الأراضي والنساء والنخيل والطعام وشؤون السياسة ومعاملة الغرباء ووداعتهم معهم رغم الظروف التي يمرون بها.

أما الصورة التي رسمها " ابن بطوطة " عن توات تتمثل في قوله: "وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكند وتوت ... ودخلنا بودة وهي من أكبر قصور توات وأرضها رمال وسبخة وثمرها كثير ليس يطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وإن أكبر أهلها التمر والجراد "3.

وقد استبدل اسم أدرار وتوات مع نهاية القرن الثالث عشر هـ (19م) وبداية القرن الرابع عشر؛ أي مع طلائع الاستعمار الفرنسي للمنطقة 1900م 4.

ومع مطلع القرن السابع الهجري (13م) هاجرت إلى الإقليم قبائل عربية بعد أحداث القرامطة بالبحرين والفاطميين بمصر، وقد كان لهم دور كبير في تثبيت اللغة العربية ونشر الإسلام، بالإضافة إلى تمصير المدن وبناء القرى وإعمار الصحراء 5

ويتضح من هذا أن القبائل العربية التي هاجرت إلى توات كان لها وقع إيجابي على المنطقة؛ إذ مكنت للغة العربية أن تتبوأ تلك المكانة التي

<sup>1</sup> حسن الوزان الفارسي . ص: 134.

<sup>2</sup> حسن بن محمد الوزان الفارسي وصف إفريقيا : ص 134.

<sup>3</sup> ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب . دار بيروت للطباعة النشر . ط : 1980 م . ص : 699 و 700 .

<sup>4</sup> ينظر الحاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات ... ص 35.

<sup>5</sup> د- بوخلفة نور الهدى . محاضرة بعنوان: " استقرار العرب : إنشاء المدن ووالقرى في المغرب الوسيط " . نقلا من " التغيير

الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور " مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة . جامعة منتوري قسنطينة . 2001م



ستأخذها في القرون القادمة، كما مكنت للدين الإسلامي من الانتشار في هذه الربوع الطيبة، كما حملت معها المدينة والعمران، فقد ظهر بعد هذا القرن في توات علماء حملوا لواء الإسلام إلى إفريقيا الغربية، وخلفوا آثارا مازالت حبيسة المكتبات الأثرية المنتشرة هنا وهناك في ربوع المنطقة، وذلك في مختلف الفنون والعلوم.

وبعد أن اعتنق أهالي توات الدين الإسلامي وصار الإسلام شريعة ومنهاجا وسلوكا وحضارة وصبغ كل شيء في توات بالصبغة الإسلامية من عادات وتقاليد وأعراف وغيرها فكلها إسلامية. عكف الناس على حفظ كتاب الله وتعربت ألسنتهم ونشطت الحركة العلمية والفقهية واللغوية فازدانت البلاد بالزوايا والمراكز العلمية التي انتشرت بربوعها. وقد كان ذلك حالها وحال أهلها كتب الله لها أن يعم الخير أرجاءها فكانت مقصدا للعلماء والزهاد والصالحين.1. وبذلك صارت توات مركز إشعاع علمي وإسلامي ليس في الجزائر فحسب بل حتى في إفريقيا. وازداد التواصل العلمي والمعرفي وتوسع وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثم انكبت النفوس على الدروس وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبّر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان هذا العمر الزاخر بالشعراء والأدباء في مختلف الفنون الأدبية والمؤلفين في شيء المجالات العلمية والمعرفية وكان ذلك كله في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.2.

### المطلب الثاني: مفهوم النثر اللغوي والاصطلاحي

إن فني الرسالة والرحلة من الفنون النثرية المهمة في الأدب؛ لذا ينبغي الوقوف على ذلك المفهوم في اللغة والاصطلاح :

لغة جاء في مختار الصحاح للرازي ( 666هـ ) في مادة ( ن ث ر ) : نثرت من باب نصر ( فانثرت ) والاسم بالكسر . و(النثا) بالضم ما ( تناثرت ) من الشيء.3.

وورد في لسان العرب عن ابن منظور ( 711 هـ \ 1312 م ) في مادة ( ن ث ر ) : النثر نثر الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر

<sup>1</sup> ينظر المرجع السابق. ص : 18 .

<sup>2</sup> ينظر أحمد أبا الصافي جعفري محمد بن أب المزمري ( 1160هـ ) حياته وأثاره . دار الكتاب العربي . ط : 01 . 1425 م . ص

13

<sup>3</sup> ينظر الرازي مختار الصحاح . دار الكتاب العربي بيروت، ط: 03 . 1401 هـ \ 198 م . ص 645 .

الجوز واللوز والسكر... وقد نثر ولدا ونثر كلاما: أكثره، وقد نثرت ذا بطنها ونثرت بطنها....

من خلال ما ورد عن الرازي وابن منظور نجد أن الجذر اللغوي للمادة(ن ث ر ) عن العالمين لهما مدلول واحد وهو بمعنى النشر والتفريق. فما هو مدلول المادة في اصطلاح أهل الاختصاص؟

يقول الدكتور شوقي ضيف ( 2005 م ): "النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقواف " 1 ويوصل كلامه عن النثر فيقول: " على ضربين: أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ....وأما الضرب الثاني فهو الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة

2 "

يلاحظ مما تقدم أن المعنيين اللغوي والاصطلاحي يكاد يكونان واحدا فلا نكاد نلمس فرقا بينهما ففي اللغة هو النشر والتفرق؛ أي كلام غير ( منظم ) وغير موزون وهو كذلك في الاصطلاح. إلا أننا نجده في الاصطلاح قسمين؛ قسم عادي وهو الذي لا يدرس ولا يهتم به لأنه كلام العامة ولا فنية ولا بلاغة فيه يستثنى منه ما جرى مجرى الأمثال والحكم. وقسم هو الذي يعنى به النقاد وهو الذي تتحقق فيه الفنية والبلاغة.

وهذا القسم الأخير يقسمه النقاد إلى قسمين كبيرين؛ هما الخطابة والكتابة الفنية ( النثر الفني ). فهل كان لمنطقة توات حظ من هذا النثر بقسيمه أم أن قسما طغى على الآخر؟

هذا ما يتم البحث عنه في بطون المكتبات الأثرية المنتشرة في منطقة توات المترامية الأطراف، إلا أن هذا البحث سيقصر على ثلاث مكتبات أثرية فقط هي مكتبة كوسام، ومكتبة ملوكة، ومكتبة با عبد الله.

لقد تم العثور على بعض المخطوطات في المكتبات الأثرية؛ ككتابات الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ( ت 909 هـ \ 1505 م ) وكتابات الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر ( ت 1189 هـ )، والفقير سيدي أحمد زروق البدوي الحضري ( 1244م )... إلخ

### المطلب الثالث: الرسائل

<sup>1</sup> د . شوقي ضيف . الفن ومذاهبه في النثر العربي دار المعارف بمصر ط. : 06 . ب ت ، ص : 15 .

<sup>2</sup> المرجع السابق ص : 15 .

دون شك أن في المنطقة كانت رسائل بين العلماء والفقهاء تحمل الأشواق والسلام والعلوم وغير ذلك ومنها تلك الرسائل التي كان يبعث بها الشيخ بن عبد الكريم المغيلي إلى العلماء في مختلف البلدان كليبيا وتونس والمغرب في قضية يهود توات الشهيرة، ومن بينها هذه الرسالة التي سماها " مصباح الأنوار في أصول الفلاح " وقد حققها الدكتور رايح بو نار عام 1968م. وعلى الرغم من تخصص هذه الرسالة بيهود توات وتجبرهم على أهل المنطقة؛ فهي رسالة أخلاقية وفيها العديد من التوجيهات للحفاظ على الأخلاق الإسلامية والشخصية القومية<sup>1</sup>. وهذه الرسالة مقسمة إلى ثلاثة فصول بين فيها موقفه من القضية كما أعطاها شرحا وافيا من وجهة نظره؛ ففي الفصل الأول بين ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وقد استهله آيات قرآنية من سورتي النور والبقرة وأنشأ في ذلك أبياتا شعرية:

<sup>1</sup> ينظر مقدمة د رايح بونار (ابن عبد الكريم المغلي) مصباح الأرواح في أصول الفلاح . تج : رايح بونار : الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع الجزائر . ب ط 1968 م ص : 24 .

إذا قرب الإنسان أخيار قومه وأعرض عن إشرارهم فهو صالح  
 إن قرب الإنسان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طالح  
 وكل امرئ ينبئك عنه قرينه وذلك أمر في البرية واضح

والحاصل أنه لا يقرب كافر من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله، ويجعله بيده شيئا من ماله، إلا من لا دين ولا عقل ولا مروءة " 1  
 وفي الفصل الثاني بين ما يلزم على أهل الذمة من الجزية والصغار فقد بدأه بآية قرآنية من سورة التوبة وقال بعدها : " فهذا أمر وجوب من الله تعالى بقتل اليهود والنصارى، ولا يرفع السيف عن رقابهم إلا بشرط إعطائهم الجزية وصغارهم " 2. وبين في الفصل الثالث الأسباب التي دعته إلى

اتخاذ القرار المتعلق بقضية اليهود 3 وسماه في ما عليه يهود هذا الزمان في كثير الأوطان ...قائلا : أقول والله المستعان : لا شك في أن اليهود المذكورين كيهود توات وتيجورارين وتافيلالت ودرعة وكثير من الأوطان بإفريقيا وتلمسان، وقد استحلّت دماؤهم ونساءؤهم ولا ذمة لهم. 4  
 وله رسائل أخرى في معظمها تتمحور حول قضية اليهود في توات. وأدبية الشيخ تبدو حلوية في هذه الرسائل التي يبعث بها إلى كل مكان، ويبدو ذلك من خلال استعماله للكلمات، من ترادف وسجع وتناص ... قال: " فو الذي نفسي بيده لقتل يهودي واحد أعظم من غزوة في أرض المشركين. فاحذرهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، وانهبوا أموالهم واسبوا أولادهم ونساءهم في كل مكان حتى يذعنوا للأحكام الشرعية أتم الإذعان، إنما الجزية والصغار مقمعة لشر هؤلاء الأشرار، وسلاسل وأغلال يطوفون بها في سائر الأقطار على مرور الأعصار، إظهارا لشرف النبي المختار. فمن حاول فك شيء من تلك السلاسل والأغلال عن رقبة أحد من الكفار، فقد حاد الله ورسوله وستقلب في عنقه ويكتب معهم في النار ...وفي ذلك قلت :

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود

<sup>1</sup> المصدر نفسه . ص : 29 و 30 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه . الصفحة نفسه

1 ينظر ابن عبد الكريم المغيلي . ص 45 .

2 ينظر ابن فقيه احمد تاريخ الشيخ ابن عبدالكريم المغلي وشجوته . مخطوط بمكتبة كوسام . ص : 16

## وأكرموا دين اليهود

## قوما أمانوا دينهم

## وخبث أصل صنعهم " 1

## يكفي الفتى من شينهم

وهذا نموذج من رسائل القرن الثاني عشر الهجري بين أحد الفقهاء والقضاة؛ فقد كاتب الفقيه سيدي أحمد زروق البدوي الجعفري<sup>2</sup> (ت 1244 هـ) الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي<sup>3</sup> (ت 1244 هـ) مستغريا ومستفسرا عن سبب رد شهادته وهي على ما يبدو كانت ردا على رسالة سابقة بعث بها القاضي إليه ،وهذا نص الرسالة: " الحمد الله إلى الفقيه الرضى العلامة المرتضى سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي ألف سلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من اكتنفته دائرتك وخصوصا أبي فارس سيدي عبد العزيز أعزه الله وحرسه. وبعد فالإعلام لك بأنني لست مفتيا ولا قاضيا بل ولا شاهدا ولا حريصا على شيء من هذه الخطط بل ولا أرتضي ذلك وأنا عائد بالله ومستجير به بحرمة نبيه من جميعها لا لنفسها حاشا لله إذ هي من أرفع الخطط والرتب بل لما يعرض لمن ابتلى بشيء منها في عرضه الذي هو أعز الأشياء على العاقل. وما من صحب خطة من هذه الخطط إلا هو هدف للقليل والقال ولا يسلم عرضه عند وضيع أو رفيع أو شريف أو مشروف ورحم الله القائل :

تسع أين منها أو لو الأحلام والهمم السنية وهي الشهادة والحكومة والتعرض للقضية وكذا الأمانة والرياسة والقبول للمرية ثم الوكالة والخصومة والوصية إلا بحال ضرورة تدعو لها مع حسن نية فسد الزمان وأهله إلا قليل في البرية

ولأجل هذا أقول بالله عليك ياسيدي الفقيه أخبرني لموجب ردك الشهادة مع قبولك لها سنين متطاول. أفسق طراً علي وشهدت به عيانا، أو أخبرك به شاهدان مبرزان، أم لما قدر الله وقضى "4

<sup>1</sup> ابن عبد الكريم المغلي مصباح الأرواح في أصول الفلاح ص : 53

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص : 60 و 61 .

<sup>3</sup> هو الشيخ سيدي أحمد زروق بن عبد الله بن صابر البدوي الجعفري يكنى بأبي العباس كان إمام في الفقه وعالما وله شعر جيد ) ينظر حاج أحمد الصديق التاريخ الثقافي لإقليم توات .... ص : 116.

<sup>4</sup> نص الرسالة مخطوطة في مكتبة با عياد الله أدرار .

## المطلب الرابع: أدب الرحلات

وهذا النوع من الأدب خير من يمثله في إقيم توات قاطبة هو الرحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر 1 يذكر الشيخ باي بالعالم أن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر قام في حياته بأربع رحلات ودونها هو بنفسه؛ فالرحلة الأولى كانت إلى تكرر 2 وكان برفقة شيخه الإمام سيدي عمر بن محمد بن مصطفى الكنتي، والرحلة الثانية كانت إلى مدينة أوران 3 لطلب العلم، وكانت الرحلة الثالثة إلى سجلماسة من أجل العلم، أمام الرحلة الرابعة فكانت لأداء فريضة الحج .

ومن رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر إلى سجلماسة هذا المقتطف: " ذكر خروجنا من مسقط الرؤوس والوطن الذي تعطينا فيه مدامة الشباب أذ كؤو س . أقول وبالله التوفيق إلى سراط المفعول والمنقول: خرجنا من ديارنا بالزاوية بالزاوية حماها الله من الفتن والأغيار وجعلنا محط الرحال الأفاضل والأخيار يوم الخميس ثاني القعد الثالث من سادس الشهور والسنة المذكورة ( 1156 هـ ) وتحينا يوم الخميس أغشاها للدعاء بالبركة فيه الوارد في السنة المأثورة، وفق ذلك من السنة الشمسية السادسة من عاشر الشهور ونسأل الله خيرها وخير ما بعدها . و نعوذ به تعالى من جميع الشرور، وقبل ذلك بنحو شهر كان ارتحالنا من القصبة المباركة التي سح فيها علينا من النعم المفيلة 4 غمامها وتفتح لنا عن أزاهير المسرات كامها قصبة سادتنا الشرفاء الذين طوقونا أياديهم تطويق الحمام، ووجدنا لديهم ما تعاطى من المال على طرق التمام ... ويوم خرجنا من القصبة المذكورة حرسها الله وحماها ... مررنا بقرب سادتنا

<sup>1</sup> هو عبد الرحمان بن عمر التواتي مولدا الأموي أصلا يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف كان عالم عصره انتهت إليه رئاسة الفقه بالديار الصحراوية كان كثير الترحال من أجل طلب العلم فأخذ عن عدد كبير من الشيوخ في عدد من البلدان بالمغرب والمشرق كما كان له تلاميذ في كل مكان حل به وارتحل عنه ،وفاته المذنية في الطيار المصرية أثناء عودته من الحج في سنة 1189 هـ وهو القول الراجح ( ينظر التاريخ الثقافي لإقليم توات ... ص : 87 و 88 و 89 . والشيخ باي بالعالم . العنصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلالي . دار هومة . ص: 03 ومحمد عيد العزيز سيدي عمر كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات دار هومة . ص : 103 )

<sup>2</sup> بلا تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب أهلها أشبه بالزواج ( ياقوت الحموي البلدان . 1 \ 149 .)

<sup>3</sup> بأرض مالي

<sup>4</sup> من المغابلة . ويجوز ان يكون قالوا تعظموا وتفاتحوا فصاروا ( ابن منظور لسان العرب . 11 \ 253 ) .

الأشراف الساكنين بتزنافت أدام الله حفظهم ورعاهم، وجعل فيما يرضاه سعيهم فتلقونا على عادتهم الكريمة بالبشاشة والترحيب وأوونا على فنائهم الرحيب... ثم سرنا من عندهم فرحنا للرتب ونزلنا بأولاد عيسى عند آل مغفر لا زال جميلهم يشكر وسيئهم يغفر فأحسنوا الضيافة على عادتهم الجميلة جزاهم الله بنعمه الجزيلة. ورحلنا غدا فرحنا لزاوية قطب السالكين ومأخذ الهالكين الصالح الصادق... فأحسنوا ضيافتنا غاية الإحسان، وأمروا إلينا من البر ما يكمل عن وصفه اللسان جزاهم الله كل خير ووقاهم كل ضير. ثم ارتحلنا غدا فرحنا لدارنا بالزاوية الزينية حاطها الله من شرور الزمان، وأسبل عليها رداء العافية والأمان فأقمنا بها نحو شهر لقضاء بعض المآرب ومضامنة أحشاء من شق عليه فراقنا من الأصدقاء والأقارب، واجتماع الرفاق الوافدين عليها من الأفاق.... هذا ولما قضينا الأوطار، وحانت مفارقة الأوطان والأقطار، خرجنا من ديارنا في اليوم المذكور وجعلنا الله بفضل ذلك وسائر أعمالنا من السعي المشكور، وقد استعملنا ما وفقنا ربنا من الآداب الشرعية، والخصال الحميدة المرعية لله الحمد على الهداية ونسأله أن يحسن في النهاية كما أحسن في البداية وقد عن 1 لي أن أتحف أهل الريانة ببعض آداب الحج والسفر لعلمهم يجتنبون منها إن شاء الله ثمار الظفر..... " 2 وذكور في رحلته تلك كل ما صادفه في طريقه من بلدان والحوادث التي تعرض لها الركب.

إن الرحالة الشيخ عبد الرحمان بن أبا عمر في هذه الرحلة كان يهدف إلى تصوير تلك الوقائع والأماكن التي يمر بها أثناء رحلته من بداية الرحلة إلى المكان الذي يقصده؛ وكان ذلك بطلب من أحد الأقارب ولولا هذا الطلب ما كنا لنسمع بهذه الرحلات - ربما - وما كانت لتكتب.

فالرحالة كان دقيقا في اختيار الكلمات والصيغ التي تؤدي هذا الغرض ألا وهو التصوير الدقيق فقد اختار من البداية صيغة الفعل الماضي للدلالة على الوقوع، وقد تكرر الفعل في الكثير من المرات ( خرجنا، سرنا، رحنا، وجدنا... )

<sup>1</sup> عن الشيء يعن ويعن عننا وغنونا : ظهر أمامك وعن يعن ويعن وعن عنونا واعتن : عرض . (لسان العرب 10 \ 310 )

<sup>2</sup> مقتطف من الرحلة مخطوط بمكتبة ملوكة .

كما كان اختيار الجملة الفعلية لدلالاتها على الحركة والاضطراب والتنقل - فقد كان الرحالة دائم التنقل من مكان إلى آخر - على الجملة الاسمية التي تدل عادة على الثبوت ( أقول وبالله التوفيق ....، جعلنا محط الرحال ...، كان ارتحالنا.....).

كما أحسن الاختيار فقد أحسن التركيب أيضا وذلك ما حقق له العدول في الاستعمال ؛ ففي البداية استعمل صيغة المضارع ثم عدل عنها إلى الماضي ( أقول ....خرجنا ) كما نلاحظ العدول عن الضمير الفردي إلى الضمير الجمعي، ولاحظنا استعمال الضمير المتكلم الجمعي دلالة على وجود جماعة كانوا يشاركونه الرحلة إلا أنك تجده يعدل عنه إلى الضمير المتكلم الفردي من حين لآخر كلما دعت الضرورة لذلك.

وعلى هذا النحو واصل الرحالة وصف الطريق والمدن التي مر بها وصفا دقيقا كما أنه ذكر تفاصيل الهجوم الإنكليزي على مدينة الجزائر وما خلف فيها من دمار وخراب.

**المطلب الخامس:** الخصائص الفنية وفن الرسالة وأدب الرحالة

وسماته



**الفرع الأول: الخصائص الفنية**

إنه من الصعب أن نبحت عن الجانب الفني في هذا اللون من الأدب في هذه الربوع الطيبة وذلك لعدة اعتبارات منها:  
أن هذه النصوص كانت تعبيراً عن طبيعتهم وبفطرتهم وسجيتهم فلم يعمدوا إلى الصنعة والتصنع، بل أرادوا بها تحقيق غاية من الغايات.  
الأدب التواتي لم يجد الجو الملائم للإبداع الفني ؛ فهو لم يطلع على الإبداع الأجنبي الذي يتيح له التأثير كما هو الحال في المشرق العربي.  
و مع هذا فقد حاولنا أن نجد بعضا الخصائص التي لا يخلو منها نص أدبي مهما كان لونه وجنسه ومن تلك الخصائص:

**1- اللغة والأسلوب:** إن معجمية الأديب التواتي تشكلت من محيط، بل فرضها عليها موروثه الثقافي والعالق بذهنه لأن اللغة مؤسسة اجتماعية؛ (1) فلغته لغة الزمن والمكان ولغة المجتمع ؛ أي أنها لغة واقعية(2) .

ومادام المجتمع التواتي مجتمع مسلم فقد كان لزاماً على الأديب التواتي أن يتأثر أسلوبه ولغته بلغة القرآن الكريم وهذا ما لمسناه جلياً في لغة وأسلوب النماذج التي عرضت.

**2- التصوير:** كما نعلم أن التصوير يكتسي أهمية بالغة وتوليه الدراسات الحديثة في الأدب أهمية أبلغ؛ إذ تجلعه مقياس حقيقي للتمييز بين الشعر الحقيقي والأجناس والفنون الأدبية الأخرى.(3) فلم تخل النصوص التي درست من التصوير الفني؛ حيث تم الوقوف على التشبيهات والاستعارات والتعابير المجازية...

**3-الصدق الفني والأخلاقي:** إذ ألاحظ على هذا الفن الأدبي في توات تأثره بالدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه؛ حيث يفرض على المسلم التزام الصدق في جميع أحواله ولا أستبعد هذا عن أولئك الأدباء الذين تم الإتيان بنماذج من أدبهم؛ إذ كل الفقهاء وفطاحل اطلعوا على الفقه الاسلامي

<sup>1</sup> على حد عيبر دي سوسير.

<sup>2</sup> ينظر، الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الأغلبية والرسمية والإدرسية 30 هـ 230 هـ. العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر دط، 1994 ص 78.

<sup>3</sup> ينظر، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي . عبدالقادر هني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 1995، ص 94

والتزموا به في حياتهم وأدبهم. والاهتمام بالمضمون الديني والأخلاقي في الأدب لا يعني البتة إهمال الجانب الفني فيه لأن إهمال هذا الجانب الفني في الأدب يؤدي إلى مساواته بغيره من أصناف الكلام الأخرى.(1)

4-التناص القرآني: التأثر بالقرآن الكريم كان جلياً في النص النثري التواتي؛ من أخذ آيتين أو مجموعة آيات، أو الأخذ بالمعنى، أو استعمال الألفاظ القرآنية، وهذا ليس غريباً على من تربى في المدارس القرآنية وتلقى علومه الأولى فيها حتى شب وشاخ على ذلك.

#### الفرع الثاني: سمات فن الرسالة وأدب الرحالة في توات

يتسم الأدب بكل فنونه وأجناسه بسمات تختلف من منطقة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر كذلك، لقد كان للنثر في توات سماته الخاصة به منها:

طول النفس فالكتابات المعثور عليها في معظمها تتسم بالطول.

كثرة الإستطراد بإيراد الترادف والتضاد والمحسنات أحياناً.

ألفاظ التعظيم والتوقير والاحترام وذلك يرجع إلى تواضع الكتاب وتوقيرهم لبعضهم البعض.

الذاتية؛ فالأديب التواتي يضيف على النص من تجربته الذاتية فيعبر عن واقعه مما يزيد من صدق الاحساس والمشاعر فيخرجه في صورة موحية مشوقة.(2)

الخاتمة :

وبعد هذه الجولة في قصور توات - من تيلكوزة إلى تديكلت - إن صحت تسميتها كذلك فقد تم الخروج ببعض النتائج والملاحظات حول كتابة الرسالة وأدب الرحالة في هذه الربوع ومنها :

- الإهمال الذي أصاب الخزائن الأثرية مما أفقدها الكثير من النصوص والوثائق الأدبية والتاريخية وحتى الفقهية.

-إهمال الكتاب في الشمال لإقليم توات فذكر الإقليم في كتبهم

قليل .عدم العثور على كتابات تتناول الإقليم قبل الفتح الإسلامي.

- تعريب الإقليم كان مع مجيء العرب بالدين الإسلامي.

<sup>1</sup> محمد عباس البشير الإبراهيمي . أدبيا ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ب ط، ب ت، ص 263.

<sup>2</sup> البشير الإبراهيمي أدبيا . ص 236

- القبائل التي جاءت إلى الإقليم التي توافدت على الإقليم كان لها الفضل في تمدنه وبنائه وتعميره وفتح مجالات الثقافة فيه .  
 - توات قديما عرفت مختلف الفنون النثرية مثل :الرسائل . أدب الرحلات، والتي تعد وثائق تاريخية، سياسية، اجتماعية ،و ثقافية ،تعبر عن المشهد الثقافي في منطقة توات .  
 بالإضافة إلى هذا ،فالشاعر التواتي عرف كيف يبدع في هاته الفنون، إذ نلاحظ فيها مظاهر مكثفة من الأساليب الفنية والإبداعية التي تفنن الشاعر التواتي في تقديمها للقارئ.  
 أولا المصادر

- 01- رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس. مخطوط بمكتبة كوسام. مخطوط مكتوب بيد السيد الطيب شاري صاحب خزانة كوسام. نقلنا عن نسخة كتبت عام 1244م هـ .  
 02- رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن أبا عومر. مخطوط بمكتبة ملوكة.  
 03- ابن عبد الكريم المغيلي مصباح الأرواح في أصول الفلاح. رابح بو نار ..الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ب ط 1968 م.  
 04- ابن فقيه أحمد. تاريخ الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي وشجرته. مخطوط بمكتبة ملوكة

## ثانيا المرجع

- 05- أحمد أبا الصافي جعفري. محمد بن أب المزمري (1160هـ) حياته وأثاره دار الكتاب العربي ط : 01. 1425 م.
- 06- أحمد العماري. توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 م إلى 1902 م منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس . ط 01. 1408 هـ 1988م .
- 07- ابن بطوطة. تحفة الأنظار في غرائب الأمصار . دار بيروت للطباعة النشر. ط: 1980 م
- 08- بوساحة. أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر دار هومة الجزائر. ط : 2002 م .
- 09- الحاج أحمد الصديق. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14 هـ \ 17 إلى 20 م ط 01. 2003 م .
- 10- حسن بن محمد الوزان الفارسي. وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر . دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان. 1983 م .
- 11- الرازي. مختار الصحاح دار الكتاب العربي. بيروت. ط: 1401.03 هـ \ 1981 م
- 12- شوقي ضيف. الفن ومذاهبه في النثر العربي. دار المعارف بمصر. ط: 06. ب ت
- 13- الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الأغلبية والرستمية والإدرسية 30هـ 230هـ. العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر دط، 1994 .
- 14- دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي. عبد القا در هني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 1995.
- 15- فرج محمود فرج إقليم توات بين القرنين 18 و 19 الميلاديين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر ط. : 1977م.
- 16- محمد باي بالعالم. الغصن الداني في ترجمة وحياء الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني. دار هومة. الجزائر ب ط ب ت .

- 17- محمد عباس البشير الإبراهيمي. أديبا ديوان المطبوعات الجامعية،  
 وهران، ب ط، ب ت 18- ابن منظور لسان العرب. دار صادر. ط:  
 03. 2004م.

#### المحاضرات :

- 19- بوخالفة نور الهدى. محاضرة بعنوان : " استقرار العرب وإنشاء المدن  
 والقرى في المغرب الوسيط ". نقلا من " التغييرات الاجتماعية في البلدان  
 المغاربية عبر العصور ". مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة. جامعة منتوري  
 قسنطينة. 2001م.

- 20- محمد باي بالعالم. محاضرة بعنوان : " التعريف ببعض الجوانب من  
 منطقة توات وحضارتها ". القيت في أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف  
 بتاريخ منطقة أدرار. نقلا عن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. ولاية  
 أدرار 13 - 14 شعبان 1405 هـ - 4-1 ماي 1985م.

#### الوثائق :

- 21- جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار. دليل ولاية أدرار.

#### الكتب الإلكترونية :

- 22- ياقوت الحموي. معجم البلدان. موقع: [www.alwarrad.com](http://www.alwarrad.com)

## العلاقة بين الجامعة

## والمجتمع

## د. جمال حلاوة

## ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة آراء وتصورات أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة القدس وما مستوى هذه العلاقة بين الجامعة والمجتمع المحيط بها، بالإضافة إلى كشف نقاط القوة والضعف في هذه العلاقة.

تكون مجتمع الدراسة من أعضاء الهيئة التدريسية والبالغ عددهم 400 عضو، حيث استخدم الباحث الاستبانة بعد تحكيمها والتأكد من صدقها وثباتها، وقد اشتملت الاستبانة على (41) فقرة تم توزيعها على ثلاثة مجالات: وهي تنمية المجتمع وتنمية الموظفين، وتنمية الطلبة، وتنوعت الأسئلة من حيث التطوير والمتابعة والخدمات المقدمة من قبل الجامعة للمجتمع، وكان أعلى متوسط حسابي قدره 4.28، لبند (تسعى الجامعة لتأسيس برامج مميزة غير موجودة في الجامعات المحلية)، في حين بند (ترغب كعضو هيئة تدريسية في العمل الإداري بهدف التنمية) فقد حصل على أقل متوسط وقدره 1.84.

كما توصلت الدراسة إلى أنه توجد فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة القدس تعزى لمتغير الجنس والخبرة. ولا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى وظيفة عضو هيئة التدريس لنفس المستوى.

وبناءً على النتائج تم تقديم التوصيات منها وضع معايير ومقاييس معينة من شأنها توطيد العلاقة بين المجتمع والجامعة بشكل أفضل، وتشجيع أعضاء الهيئة التدريسية لدعم وفكرة تنمية المجتمع والطلبة الخريجين.

**Abstract :**

The purpose of this study was to investigate the views and perceptions of members of the faculty at Al-Quds University and the level of the relationship between the university and surrounding community, as well as to detect the strengths and weaknesses in this relationship.

The Society of this study includes 400 teachers from the academic staff. The researcher has used a

questionnaire after is being judged and made certain of its validity and credibility, the questionnaire consists of 41 items distributed on three fields, that is the development of society employees and students. The questions were various in regard of development follow up and services offered from the University to the society. The high mean was 4.28 in favors of (The University seeks to establish distinguish programs which not available at other local Universities item), on the other item which is (As a member of academic staff to do administrative work in order to develop the outcome was less mean 1.84). The study came to conclusion there are statistically significant at ( $\alpha = 0.05$ ) between the responsive of academic staff at the University that are attributed to gender and experience. But there are no statistically differences that are attributed to the position of the academic staff for the same level.

In the light finding the researcher has recommended to introduce new category and standards in order to establish relationship between the Society and university in the best was possible better condition encourages the academic staff to support the idea of development of society and graduated student.

#### المقدمة:

مجتمع الغد إما أن تصنعه التربية والتعليم أو لا يكون، وتغيير الإنسان يسبق في ذلك تغيير المجتمع، والعملية التنموية لا يمكن أن تتم إلا من خلال إقامة علاقة وشكل جديد من التربية والتعليم داخل المجتمع، والاهتمام بالتعليم نوعاً وكماً، وليس أمامنا خيار آخر، إما أن نقبل به، وإما أن نعيش على الهامش، وهذه هي مسئولية المؤسسات التعليمية بالدرجة الأولى ومسئولية المجتمع كله أيضاً ولا نستطيع أن ننكر بأن المجتمع والجامعة قناتان تصبان في التنمية، وأن كل منهما نتاج بعضهما البعض (الحر، 2003).

وكثيراً ما يروج بين الاقتصاديين والسياسيين أن المشكلة الرئيسية في المجال التربوي والتعليمي مستخدمين سلاحاً وحجة واهية وهي أن أعداد العاطلين عن العمل تزداد نظراً للأعداد الكبيرة من خريجي الجامعات سنوياً

وربطوا بين سوق العمل والتعليم، وقد غفلوا حقيقة واقعية أن التعليم حق من حقوق الإنسان، حتى ولو لم يكن من أجل العمل، فإنه ضرورة لا غنى عنها لحياة أي مواطن مهما كانت أوضاعه ( بدران، 2002). وأن إنماء الطاقات البشرية وتوجيهها تلعب دوراً رئيسياً وحيوياً في إثراء التنمية في كافة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية فجوهر التقدم في المجتمعات الإنسانية يكمن في تفاعل وتكيف الإنسان مع بيئته وظروفه، ولذلك فإن النوعية التعليمية للمورد البشري تعتبر ضرورة لبناء وتنمية أي مجتمع، لأن التعليم يؤدي إلى غرس القيم والاتجاهات داخل المتعلمين كما أنه يزيد من فرص المشاركة في التنمية والاستثمار وزيادة الإنتاج (محمد، 2005).

بالإضافة إلى حاجتنا لمهارات أساسية للتفكير والتعاون والتفاعل البناء بين المجتمع والجامعة، بشرط وجود قيادة ملتزمة من الطرفين بالمبادئ والأسس الخاصة فيما يتعلق بينهما مثل: التربية والتعليم، الانتماء، التنمية، والتكنولوجيا والثقافة، والتدريب والاحتياجات الحالية والمستقبلية، التخطيط، التنظيم، تحديد الأولويات والقدرة على مواجهة المشاكل، العرض والطلب، الابتكار والقدرة على التحليل، الرؤيا المشتركة استخدام لغة الحوار، اتخاذ القرارات، نظم التفكير، بناء القدرات، منهجية وأساليب حل المشاكل التمويل، المنافسة، الاجتماعات، المؤتمرات، الندوات، والتنسيق (توفيق، 2005). والتأكيد على أن العلاقة بين المجتمع والجامعة تبادلية لا اعتمادية حيث أن كل منهما يحتاج إلى الآخر ولا يمكن لأي طرف أن يعيش بمفرده منعزلاً عن العالم، أو لديه الإمكانيات لأن يعتمد على نفسه، ورسالة الجامعة إلى المجتمع هي العلم بمعناه وجوهره الشامل من بحث وتطوير وخدمات، ورسالة المجتمع هي دعم العلم لما له من أهمية والمواطن والانتماء بالإضافة إلى التفاعل والإيمان بالجامعة ورسالتها ودورها الحيوي في تحريك النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (محمد مصطفى، 2000).

#### مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في:

د. جمال حلاوة

1. تحديد مستوى العلاقة والتعاون بين جامعة القدس والعلاقة بين الجامعة والمجتمع
2. التعرف على مواطن القوة والضعف في علاقة جامعة القدس بالمجتمع المحيط بها وموظفيها، وطلبتها أيضاً كجزء من المجتمع.



### تساؤلات الدراسة:

- حاولت الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:
1. ما مستوى العلاقة بين جامعة القدس والمجتمع.
  2. هل هنالك فرق بين إجابات المبحوثين تعزى لمتغير (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، مكان السكن).
  3. ما هي نقاط القوة من أجل تعزيزها، وما هي نقاط الضعف في هذه العلاقة من أجل تجنبها.

### فرضيات الدراسة:

1. لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى  $\alpha = 0.05$  بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين الجامعة والمجتمع تعزى لمتغير الجنس.
2. لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى  $\alpha = 0.05$  بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين الجامعة والمجتمع تعزى لمتغير الخبرة.
3. لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى  $\alpha = 0.05$  بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين الجامعة والمجتمع تعزى لمتغير وظيفة عضو هيئة التدريس.

### أهداف الدراسة:

1. معرفة إذا ما كانت العلاقة والتعاون بين جامعة القدس والمجتمع المحيط بها بالمستوى المطلوب أم لا.
2. الكشف عن مواطن القوة في هذه العلاقة للعمل على تنميتها والحفاظ عليها وعلى نقاط الضعف من أجل علاجها
3. من الممكن الاستفادة للأبحاث المستقبلية.

### أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة للتأكيد على دور الجامعات والمجتمع في بناء الوطن، وأن العلم هو الشريان الرئيس والقناة الوحيدة للتنمية والتطوير في جميع القطاعات.

### محددات الدراسة:

اقتصار الدراسة على موظفو جامعة القدس من أعضاء الهيئة التدريسية فقط، نظراً لضيق الوقت  
دراسات سابقة:

1. دراسة للهيئة اللبنانية للعلوم التربوية حول (التعليم العالي وسوق العمل في لبنان، 2003) المنسقة سوزان عبد الرضا أبو رجيلي وآخرون، دراسة تتبعية للخريجين أعتبر 60% من الطلاب وخصوصاً في ميادين العلوم الصحية والطبية والتربية، أن الفرق بين الاختصاص ومهنة المستقبل تام أو غالب وحوالي 25% من الطلاب أنه جزئي، و 13% في ميادين علم الاجتماع والعلوم السياسية والتاريخ والفلسفة والفيزياء والإدارة الدولية والإليكترونك أنه ضعيف. كما افترض 45% من الطلاب أنهم سيجدون عملاً فور تخرجهم، 24% بعد أقل من سنة، والباقي أجاب بعد سنتين أو أكثر ولا أعلم. وبالنسبة لموضوع الكفاءة هي الأكثر شيوعاً 70% وللواسطة 52%.

2. أظهرت دراسة ( الخولي، وآخرون، 1985). حول تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي، صادرة عن (مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان) بأن العلم بمثابة المحرك الرئيس الذي لا بد منه لعملية التنمية والنمو الاقتصادي في كل بلد، كما ضربت بعض الأمثلة والصور عن آفاق النشاط العلمي المعاصر منها:

- يدعم المجتمع المتقدم الجامعات ومؤسسات البحث والتطوير الوطنية ليس على أنها واجهة براقية لا بد منها، بل لأنها تمثل بالنسبة له أوج عملية التعلم بمعناه الشامل والمستمر، والتي لا تكون مؤسسات التعليم الرسمي إلا بدايته ويعود ذلك أيضاً لإدراك غالبية المجتمع بما فيها الطبقات العاملة والحرفية بالدور المركزي المباشر وغير المباشر لهذه المؤسسات في تطوير وسائل الإنتاج والخدمات ورفع مستوى المعيشة والدخل القومي.

- إن فعالية أساليب ومنهجية البحث العلمي دفعتنا إلى استعمالها في مجالات أخرى كالعلوم الاجتماعية والاقتصادية ونتيجة لذلك فقد أصبح لإنشاء قواعد المعلومات وبنوك الإحصاءات ولاستخدام النظريات الرياضية والإحصائية والحاسوب دور بارز في جميع المجالات الزراعية والتجارية والصناعية.

• إن إيصال التكنولوجيا الحديثة من الجامعات ومراكز البحوث والتطوير إلى القطاع الخاص من مصانع ومزارع ومراكز صحية وخدمانية وتجارية ونقل ومواصلات وغيرها، لا يكفيه نجاح الأبحاث التجريبية أو دراسات الجدوى الاقتصادية أو توفير المهندسين الكفيا، إذ لا بد من توفر الأيدي العاملة المدربة على مستوى المهارة والتدريب المطلوب. وهذا مثال على مستوى التحديات التي يواجهها نظام التعليم العام بمعناه الشامل والمستمر فمن جهة توفر الجامعات الأعداد الكافية من المهرة والمدربين من أصحاب الاختصاصات المطلوبة عن طريق التعاون بين مختلف مؤسسات القطاع الخاص ذات العلاقة ومن خلال أشكال متنوعة من البرامج كالدورات التدريبية المختلفة المسائي منها وال صباحي ولجميع مجالات الحياة.

دراسة أخرى حول دروس مستفادة من اليابان للشرق الأوسط سعى من خلالها (الثاقب، 1993) لاستخلاص ما يمكن أن يستفيد منه الشرق الأوسط من التجربة اليابانية في سعيها الحثيث نحو التقدم العلمي وبناء الأمة، ووصل إلى نتيجة أن الكونفوشوسية كان لها الأثر الكبير في التعليم الذي أصبح موضع فخر وغدا شرطاً لتولي المناصب وللمنزلة الاجتماعية وتقدم المجتمع وازدهاره. كما استفادت اليابان من الداخل والخارج، وجمعت بين القديم والحديث من أساليب التعليم. بالإضافة إلى أنها تعتبر أن التعليم هو عملية جماعية تعاونية بين الآباء والمدرسين والأبناء باعتبارهم مثلثاً حيويًا وله نزعة جماعية لدى الشعب الياباني وله ميزانية عالية تميزه عن بقية القطاعات، كما ذكر أن ترتيب الجامعات في تسلسل هرمي في اليابان له تأثير الحافز القوي بصورة غير مألوفة على الشباب، وتوصل إلى أن التعاون بين الجامعات والقطاع الخاص في أوج عظمتها حيث الاجتماعات والمؤتمرات والتنسيق المطلق باستمرار بينهما لتحديد احتياجات كل قطاع من الآخر، وأن التنمية لا تتم إلا عن طريق التعاون والتدريب وورش العمل والمنافسة والحوافز وأن الإنتاجية في المدى الطويل هي وحدها التي تحدد مستوى معيشة السكان.

3. دراسة سعيد حارب، 2001 حول ( مستقبل التعليم وتعليم المستقبل) بينت أن الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي ما زالت تواجه تحديات كثيرة لعل أبرزها تلبية احتياجات المجتمع من برامج التنمية

المختلفة، رغم وجود عدد كبير من الجامعات، وبعض التقدم والاستفادة البسيطة من مخرجات التعليم، وحاجتها من الكفاءات البشرية القادرة على الإسهام في المجتمع، وأن دور المؤسسات التعليمية العليا هو إيجاد التوازن بين التخصصات وأن هذه المؤسسات هي وعاء يتم فيه إعداد ما تحتاجه المجتمعات، مما يتطلب رؤية واضحة لهذه الحاجة، فما زالت مجتمعاتنا تفتقر إلى خطط طويلة المدى. فمثلاً عدد الباحثين في العلوم الطبية في العالم العربي عام 1996 بلغ (21100) باحث لم يتفرغ منهم للبحث العلمي سوى 7% فقط، وفي علوم التقانة (60300) شخص لم يتفرغ منهم سوى 7.2% للبحث، وفي العلوم الهندسية (14200) لم يتفرغ منهم سوى 6.6% للبحث العلمي، ولم تتقدم النسب المذكورة في المجالات العلمية الأخرى عن هذا المستوى.

4. دراسة Gupta & Others, 1997 بعنوان: التغيرات في أداء المؤسسة كنتيجة لأثر أبعاد التكنولوجيا والبيئة المتعاملة مع المؤسسة حيث هدفت إلى الكشف عن هذه المتغيرات، وأن التكنولوجيا لها الأثر الأكبر في تحسين الأداء، مما يساعد المؤسسة في التعامل مع المتغيرات البيئية الداخلة والخارجية، وكيف تكون هنالك علاقات تعاون بين المؤسسة والبيئة الخارجية بالإضافة إلى أن هذه المتغيرات تؤثر على التنمية وتزيد من التبادل التجاري من خلال التكنولوجيا، والسرعة في العمل، واستغلال الوقت. كما أوصت الدراسة بدعم هذه الطريقة في استخدام وتدعيم التكنولوجيا، حيث تؤدي في النهاية إلى تقوية وتنشيط المؤسسة داخلياً وخارجياً.

5. دراسة Poole, Richard بعنوان: العلاقة بين سلوك المنظمات مع البيئة الخارجية والداخلية وكيفية تأثيرها على إنتاج المؤسسة، حيث هدفت هذه الدراسة عن نوع العلاقة وارتباطها بالإنتاج من حيث الحجم والنوع، ودلت النتائج على أن إنتاج المؤسسة (أي مؤسسة) تتعامل مع العالم الخارجي بمصادقية أكثر من تعاملها مع العالم الداخلي، وذلك لكي ترفع من سمعتها ومكانتها في المجتمع، كما أوصت الدراسة بأن تحاول المؤسسة دائماً إقامة علاقات توازن مع البيئة الداخلية والخارجية لكي تحافظ على بقائها وديمومتها.

## 6. دراسة Knippenberg بعنوان: Motivation & Performance Social Identity Perspective.

هدفت هذه الدراسة إلى تشجيع وتحفيز العلاقة بين العمل والأداء من منظور مجتمعي والهوية الاجتماعية، وما هي أساس العلاقة بين المؤسسة والمجتمع، وخرجت بنتائج أن هذه العلاقة تبادلية واعتمادية، حيث تركز على التطابق في المصالح، وأنه لا يمكن أن يستغني طرف عن الآخر، حيث تربطهم الأعمال والخبرات، وتنشيط الاقتصاد، وأن الهوية الاجتماعية بارزة و ملحوظة، وهناك فاعلية قوية جداً بين المؤسسة والمجتمع من حيث الأداء والتحفيز، وخدمة المجتمع.

### إيجاز ما جاء في الدراسات السابقة:

1. أن العلم حق من حقوق الإنسان، وأنه السبيل الوحيد للتنمية.
2. التنسيق الكامل هو الهدف المطلوب، والانتماء الديني والوطني والأخلاقي هو أساس التعاون والتنمية.
3. أن الجامعات والمجتمع قناتان تصبان في التنمية وبناء الوطن.
4. تشجيع البحث العلمي لأنه السبيل الوحيد للتنمية.
5. التوجه نحو التعليم المهني وتطوير أساليب التعليم .
6. التغيير النوعي في التعليم، والتخصص حسب احتياجات السوق منهجية يجب أن تتبع لحل كثير من المشاكل المتعلقة في البطالة.
7. التأكيد على أن العلاقة بين الجامعة والمجتمع تبادلية لا اعتمادية.

### الإطار النظري:

العلاقة: مفهوم اجتماعي يدل على عملية التفاعل والتأثير المتبادل بين الأفراد والجماعات، وتنتج عن سعي البشر وراء إشباع حاجاتهم المادية والفكرية والروحية (نعمة وآخرون، 1986). وتزداد العلاقة وعملية الاتصال بين الجامعة والمجتمع لأنهما مكملان لبعضهما البعض، والسؤال هنا ما هو المزج المناسب بينهم؟ وهل سمعة الجامعة من سمعة المجتمع، أم سمعة المجتمع من سمعة الجامعة؟ وهل أسلوب التعاون والاتصال بينهما وأنواع الآليات والتدابير المرغوبة تعمل على تنمية الطرفين (تقرير صادر عن البنك الدولي، 2002) وتتجلى الجامعات الفعالة الناجحة بقدر جيد من الاستقلالية لتقديم العطاءين الحضاري والتنموي على حد سواء. وهذا النوع من الجامعات

يمكن تسميته ( الجامعة التنموية) التي تقودها عقيدة الابتكار لمنفعة الإنسان، ودراسة البيئة المحيطة في المؤسسات تعتبر من أولويات الإدارة وخاصة الإدارة التي تتبع الإستراتيجية كمنهجية حيث أن دراسة البيئة أو المجتمع وعملية فهم هذا المجتمع وماذا تستفيد منه المؤسسة و و بماذا تفيده هي، مما يقدم للإدارة بعداً أساسياً تتعلم فيه كيف تتعامل مع المجتمع على أساس علمي ومدروس، كما تستطيع أن تسيطر على مشاكلها قدر المستطاع، وتفهم كيفية التعامل مع المتغيرات من خلال التخطيط والرقابة (Digman, 1995).

عرّف ( Sergioivanni, 1996) المجتمعات بأنها أماكن يرتبط فيها الناس من خلال مجموعة من القيم التي يلتزمون بها، مثلما يلتزمون تجاه بعضهم بعضاً، ويناضلون معاً من أجل تحقيق هذه القيم.

كما عرّف (أحمد وآخرون، 2003) الاتصال بأنه العملية التي يقوم فيها الفرد بإرسال إشارة إلى فرد آخر بهدف التأثير في معتقداته أو سلوكه.

وركز (القيوتي، 2009) على أهمية وفعالية وكفاءة الاتصال، بالإضافة إلى أدواته سواء كانت مرئية أو مسموعة أو مرئية مسموعة، وشفوية أو غيرها، وأنواع الاتصال مثل الاتصال النازل أو الصاعد أو الشبكي وغيره مما يجعل عملية الاتصال فعالة وتسير في الطريق الصحيح وهل تصل الفكرة من الاتصال بالوقت والسرعة المناسبة، وقال أن عملية الاتصال أساس العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات وخاصة في الوقت الحاضر الذي نعيشه مع عصر التكنولوجيا.

#### جامعة القدس الأهداف والتطورات:

تقع مدينة القدس في بقعة جبلية هي جزء من سلسلة جبال القدس وترتفع 750 متر عن سطح البحر الأبيض المتوسط، ونحو 1150 متر عن سطح البحر الميت (وزارة السياحة والآثار، 2001)، ويبلغ عدد سكانها 420409 نسمة (مصطفى إياد وآخرون، 2006). وتقع جامعة القدس في بلدة أبو ديس على بعد 4 كيلو متر جنوب شرقي القدس (أبو حمود، 1984). ويبلغ عدد سكان أبو ديس 12290 نسمة وأقرب البلدات لها هي بلدة السواحة الشرقية ويبلغ عدد سكانها 5287 نسمة وبلدة العيزرية ويبلغ عدد سكانها 17656 نسمة (مرجع سابق، 2006) وجاءت فكرة إنشاء

الجامعة للمحافظة على هوية القدس كرمز وعنوان بالإضافة إلى أن موقع جامعة القدس يربط شمال الضفة بجنوبها، مما يفسح المجال أمام مواطني مناطق الوسط من متابعة تعليمهم بسبب الحصار المستمر للشعب الفلسطيني، والنهوض اقتصادياً واجتماعياً لهذه المنطقة وإيجاد فرص عمل (الكرمي، 1997). وجامعة القدس مؤسسة أكاديمية، وجدت لتكون منبر علم، ومنبع ثقافة، وامتداد حضارة فحملت في رسالتها البعد الإنساني لتبث كيائها الوجداني، والروحي في القدس الشريف، وتحمل أمانة الفكر العربي والإسلامي، وتحافظ على عراقته وأصالته.

انضمت جامعة القدس إلى عضوية اتحاد الجامعات العربية عام 1984، وبعد توحيد الكليات الجامعية: الدعوة وأصول الدين (تأسست عام 1978)، العربية للمهن الطبية (تأسست عام 1979)، العلوم والتكنولوجيا (تأسست عام 1979) هند الحسيني للنبات (الأداب سابقاً) (تأسست عام 1982). توالت الجهود تباعاً لضم وإنشاء كليات، ومراكز جديدة، وفريدة من نوعها في فلسطين، فتأسست كلية الحقوق عام 1992، وكلية الآداب المختلطة عام 1996 وكلية الطب البشري عام 1994 والقرآن والدراسات الإسلامية عام 1996. ومن ثم كليات: الصحة العامة الهندسة، وطب الأسنان، والصيدلة، والعلوم الاقتصادية والإدارية. وعلى صعيد الدراسات العليا، أنشأت الجامعة برامج واسعة وشاملة تزيد اليوم عن 60 برنامجاً في كافة تخصصات العلم والمعرفة، وذلك من خلال الدوائر الأكاديمية، ومراكز ومعاهد أكاديمية بحثية: مثل مركز الأبحاث الإسلامية، والمعهد العالي للآثار ومركز الدراسات الإقليمية والدراسات الأمريكية، ومعهد الإدارة والاقتصاد إضافة إلى برامج في التكنولوجيا التطبيقية والصناعية، وبرامج في الصحة والبيئة وتخصصات العلوم الأخرى لتكون جامعة القدس أهم وأكبر المؤسسات الفلسطينية من حيث: موقعها، تميز أدائها، وندرة تخصصاتها وتنوعها ضمن أربعة عشرة كلية، وتسعة وعشرون معهداً ومركزاً و12000 طالب (تقرير جامعة القدس، دائرة القبول والتسجيل، 2010). كما تمنح درجات علمية في البكالوريوس، والدبلوم العالي، والماجستير. وتتبع نظام الساعات المعتمدة في الدراسة، وتقدم الجامعة خدمات مختلفة للمجتمع الفلسطيني وذلك عن طريق المراكز والمعاهد التابعة لها وهي: معهد العلوم اللغوية والصوتية، معهد الإعلام

العصري، مركز الأبحاث الإسلامية، مركز عصام السرطاوي لدراسات السلام والديمقراطية، مركز مصادر اللغات الأجنبية، مركز التحاليل الكيميائية والحيوية، معهد الطب العدلي مركز البحوث الصحية، مركز العلوم والتكنولوجيا، المركز الفلسطيني للخدمات النفسية، مركز إنسان لدراسات الجندر، مركز دراسات القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، ومركز تكنولوجيا المعلومات . وكيفية الجامعات لها نظام داخلي خاص بالهيكل التنظيمي الخاص بالجامعة ومجلس الأمناء وهيئة المجالس ومجلس الجامعة، والمجلس الأكاديمي ومجلس الدراسات العليا، ومجلس الكلية مجلس الدائرة أو البرنامج، ورئيس مجلس الأمناء، ورئيس الجامعة، نائب الرئيس، أمين عام هيئة المجالس، العميد، ومدير المكتبة، ورئيس الدائرة، منسق البرنامج، عضو هيئة تدريسية، والموظف كما أن هنالك أنظمة تتعلق بالموظفين فيما يخص نظام الرواتب، والحقوق والواجبات والمكافآت، والعقوبات، والنقل والأجازات وأنواعها، والمنح والبعثات والتعيينات وبالنسبة للطلبة فيما يخص عدد ساعات الدراسة في برامج البكالوريوس والدبلوم العالي والماجستير والانتظام، والفصل، والعقوبات، والمنح والبعثات، والإرشاد الأكاديمي والإعفاءات، وغيرها من احتياجات الطلبة والموظفين ( أنظمة وتعليمات الجامعة 2004).

### بعض الأنشطة التي قامت بها جامعة القدس من أجل التعاون مع

#### المجتمع:

1. تأسيس تلفزيون القدس التربوي، وهو تلفزيون محلي تابع لجامعة القدس يعنى بتنقيف المجتمع من خلال برامج مجتمعية هادفة ومتابعة الاتصال مع المجتمع بشكل مستمر، ومتابعة العلوم والتطورات الميدانية من خلال الدراسات البحثية، والمقابلات مع أهل الرأي والعلم.
2. بتاريخ 2007/1/10 تم عمل معرض للكتاب في جامعة القدس، عرضت فيه آلاف الكتب العلمية، والأدبية والقصص والمراجع، الهدف منه تنمية العلاقة بين المجتمع والجامعة.
3. تقرير (إنجاز، 2006) جامعة القدس حول يوم العمل التوظيفي الثاني دعت فيه دائرة العموم التنموية ممثلة برئيسها وأعضاء الهيئة التدريسية والإدارية والطلبة الشركات الخاصة في الضفة الغربية بتاريخ 2006/12/5،



من أجل تفعيل العلاقة بين الجامعة والمجتمع، واستيعاب خريجو الدائرة من أجل العمل لدى الشركات المستضافة، وحضر ممثلين عن 6 شركات بالإضافة إلى الطلبة الخريجين، وكانت الفكرة نواة لأسلوب تطوير العلاقة بين الجامعة واحتياجات المجتمع من الخريجين، حيث أخذت طابع الاحتفال مع إبراز أهم أنشطة الدائرة التنموية، وفي نهاية الاحتفال تقدم الطلبة الخريجين بطلبات عمل لدى الشركات المذكورة.

4. بتاريخ 25-26/11/2006 عقد مؤتمر للاجئين الفلسطينيين في حرم جامعة القدس، بحضور العديد من أبناء الوطن وشخصيات رفيعة المستوى من مختلف دول العالم.

5. الفترة ما بين 18-20/9/2004، تم عقد مؤتمر الطفل الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال العسكري وسياسة التمييز، برعاية جامعة القدس بالتعاون مع مؤسسة برامج الطفولة والعمل الجماهيري في محافظة رام الله.

6. بتاريخ 20/2/2007 قَدِّمَتْ برنامج ندوة بعنوان ( تهويد القدس إلى أين؟) تحدّث فيه مجموعة من الباحثين والعلماء عن المسجد الأقصى ومحاولات التلاعب بمصيره. وما هو مصير مدينة القدس ومحاولات تهويدها.

7. إقامة علاقات توأمة بين جامعة القدس وجامعات محلية وعربية وعالمية، وورش عمل ودورات وأنشطة رياضية.

### التحليل الإحصائي والمنهجية:

اعتمدت الدراسة على تبويب البيانات وتطبيق الأساليب الإحصائية التالية:

1. استخدم الباحث الأسلوب الإحصائي الوصفي: مثل النسب المئوية التي تم الحصول عليها من مفردات العينة.
2. الأسلوب الإحصائي الاستدلالي: حيث تم إجراء المقارنات لعينة البحث وخرج الباحث بوجود اختلافات وتجانس في بعض مفردات العينة مثل الجنس والخبرة والوظيفة.

3. تم استخدام أسلوب العينة الحصصية (Quota) وذلك بتوزيع قوائم الاستبيان بشكل يتلاءم مع حجم مجتمع الدراسة (حسنين، 1995)، حسب عدد أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة القدس والبالغ عددهم 400 عضو موزعين على أربعة عشرة كلية. وذلك من خلال توزيع 50 استبانة، تم

استرجاع 46 منها وبذلك تكون نسبة الاستجابة 92%، فيما تم استبعاد 4 استبيانات لعدم استجابة المستقصى منهم.

كما قام الباحث بالمعالجة الإحصائية من خلال تفريغ المعلومات باستخدام الحاسوب مستعيناً ببرنامج الرزم الإحصائية spss. لاستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج اختبارات ونتائج اختبار تحليل التباين الأحادي ونتائج اختبار شيفيه ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا.

#### الثبات:

تم حساب الثبات بطريقة الاتساق الداخلي، حيث بلغت قيمة الثبات حسب كرونباخ ألفا 0.93، وهو معامل ثبات عالي مما يشير إلى دقة أداة القياس.

### رقم (1)

#### جدول يبين خصائص العينة الديموغرافية

المتغيرات	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	15
	أنثى	31
سنوات الخبرة	1-10	18
	11-20	16
	21 سنة فما فوق	12
الوظيفة	رئيس دائرة فما فوق	9
	عضو هيئة تدريس	37

يتضح لنا من الجدول رقم (1) أن 32.6% من أفراد العينة هم من الذكور في حين شكلت الإناث ما نسبته 67.4% من إجمالي العينة، أما فيما يختص بسنوات خبرتهم فقد أكد 39.1% من أعضاء هيئة التدريس أن خبرتهم تتراوح من 1-10 سنوات 34.8% سنوات خبرتهم تتراوح من 11-20 سنة، 6.1% سنوات خبرتهم فوق 21 سنة، أخيراً فيما يتعلق بوظيفة أعضاء هيئة التدريس فقد كان أغلبهم وينسبة 80.4% أعضاء هيئة تدريس مقابل 19.6% يحملون مسمى وظيفياً رئيس دائرة فما فوق.

#### نتائج الدراسة ومناقشتها:

#### تساؤلات الدراسة:

ما استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع و الجامعة، وللإجابة على هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وذلك كما هو واضح من الجدولين رقم (2، 3).

### جدول رقم (2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة كما توضحها مجالات الدراسة:

الانحرافات المعيارية	المتوسطات الحسابية	استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع الجامعة	الرقم
.67	3.65	تنمية الجامعة للمجتمع المحيط بها	1
.60	3.55	تنمية الطلبة	2
.54	3.34	تنمية الموظفين	3
.56	3.54	الدرجة الكلية	4

تشير المعطيات الواردة في الجدول رقم ( 2 ) أن استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة كانت متوسطة حيث بلغت هذه الاستجابات على الدرجة الكلية 3.54، ولقد كانت ابرز هذه الاستجابات تنمية الجامعة للمجتمع المحيط بها بمتوسط حسابي 3.65، تلاها في المقام الثاني تنمية الطلبة بمتوسط حسابي 3.55، وأخيرا تنمية الموظفين بمتوسط حسابي 3.34.

## جدول رقم (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة كما توضحها فقرات الدراسة

الرقم	العبارة	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية
Q10	تسعى لتأسيس برامج مميزة غير موجودة في الجامعات المحلية الأخرى	4.28	.91
Q8	تدعم المؤتمرات والندوات	4.17	.82
Q22	تشجع البحث العلمي	4.04	.82
Q9	الدراسات العليا طورت العلاقة مع المجتمع بشكل واضح	3.98	1.04
Q15	تعمل على تقوية العلاقة مع البلديات	3.98	1.11
Q7	تعمل على تشجيع المعارض بمختلف أنواعها	3.96	.87
Q1	تهتم الجامعة بتحقيق أهدافها	3.96	.92
Q6	تركز على تحسين صورتها في المجتمع	3.91	.76
Q18	تهتم بالمنح والبعثات	3.91	.97
Q14	تقدم خدمات اجتماعية للمجتمع	3.89	1.16
Q13	تعمل على تقوية الروابط المجتمعية من أندية وجمعيات	3.89	1.16
Q5	إعداد الخريجين لمواجهة المجتمع	3.87	.99
Q12	عملت على تطوير المجتمع المحيط بها	3.83	1.22
Q19	إقامة علاقات توأمة مع الجامعات	3.82	1.01
Q16	تعمل برامج ثقافية وترفيهية لتوثيق العلاقة مع المجتمع	3.80	1.22
Q25	تهتم بتدريب الطلاب ميدانياً	3.80	.95
Q30	يتم قبول الطلاب حسب معدلاتهم بغض النظر عن حاجة السوق	3.76	.91
Q24	تهتم بالدورات التدريبية للموظفين	3.75	.94
Q20	تتابع التنمية بمختلف مجالاتها	3.74	1.24
Q4	تهتم بالإستراتيجية التعليمية أولاً	3.72	.98
Q21	تهتم بحل المشاكل المتعلقة بالمجتمع	3.64	1.17
Q23	إقامة علاقات مع مؤسسات اقتصادية لتشغيل الخريجين	3.64	1.30

1.22	3.61	تعمل على تحقيق التوازن بين الكليات العلمية والنظرية بالنسبة لاحتياجاتهم	Q17
1.04	3.59	تهتم بالتقارير السنوية للموظفين	Q27
1.08	3.49	تهتم بورش العمل للموظفين	Q28
1.11	3.48	تركز على تطبيق معايير الأداء الوظيفي	Q26
1.17	3.41	تعمل على استقطاب الطلبة المتفوقين	Q32
1.08	3.39	تقوم بعمل لجان لحل المشاكل	Q37
1.14	3.37	تهتم بحل مشاكل الطلبة	Q34
1.05	3.28	تشجع الاتصال بين الموظفين لرفع الجامعة	Q36
1.24	3.28	إجراء مسح لمعرفة احتياجات المجتمع	Q2
1.18	3.24	تتابع الطلبة الخريجين	Q33
1.13	3.18	تركز على التغذية العكسية للمجتمع	Q3
1.18	3.11	يتم قبول الطلاب على التخصصات حسب احتياجات السوق	Q29
1.16	3.07	تشجيع الطلاب على التعليم المهني	Q31
1.18	3.07	تهتم بحقوق العاملين	Q40
1.30	3.04	تهتم بالتعليم المستمر	Q11
1.14	3.02	تعتمد مبدأ تكافؤ الفرص بين الموظفين	Q35
1.22	2.98	تهتم بالأمن الوظيفي للموظفين	Q39
1.08	2.17	تعمل على توزيع منشورات وتقارير لزيادة الوعي بين المواطنين	Q38
1.22	1.84	كعضو هيئة تدريسية ترغب في العمل الإداري في الجامعة بهدف التنمية	Q41

يتضح لنا من الجدول رقم (8) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى وظيفة عضو هيئة التدريس مع ملاحظة استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة كما توضحها فقرات الدراسة فقد كانت هذه الاستجابات عالية في الفقرة رقم 10 والتي تنص على أن الجامعة تسعى لتأسيس برامج مميزة غير موجودة في الجامعات المحلية الأخرى بمتوسط حسابي 4.28 ، تلاها في المقام الثاني دعم الجامعة للمؤتمرات العلمية بمتوسط حسابي 4.17، وأخيرا تشجيع الجامعة للبحث العلمي بمتوسط

حسابي 4.04، في حين كانت أقل هذه الاستجابات الفقرة رقم (41) والتي تنص كعضو هيئة تدريسية ترغب في العمل الإداري في الجامعة بهدف التنمية بمتوسط حسابي 1.84، تلاها في المقام الثاني عمل الجامعة على توزيع منشورات وتقارير لزيادة الوعي بين المواطنين بمتوسط حسابي 2.17 تلاها في المقام الثالث تهتم الجامعة بالأمن الوظيفي للموظفين بمتوسط حسابي 2.98.

ثانيا: فرضيات الدراسة:

#### الفرضية رقم (1)

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى الجنس وللإجابة على هذه الفرضية تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبارات وذلك كما هو واضح من الجدول رقم (4).

## جدول رقم (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبارات للفروق بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع و الجامعة تعزى إلى الجنس

المجالات	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية
تنمية الجامعة للمجتمع المحيط بها	ذكر	15	3.25	.72	14	-2.989	.005
	أنثى	31	3.84	.57	30		
تنمية الموظفين	ذكر	15	3.10	.54	14	2.187	.034
	أنثى	31	3.45	.51	30		
تنمية الطلبة	ذكر	15	3.25	.67	14	-2.466	.018
	أنثى	31	3.69	.52	30		
الدرجة الكلية	ذكر	15	3.21	.62	14	-3.010	.004
	أنثى	31	3.69	.45	30		

تشير المعطيات الواردة في الجدول رقم ( 4 ) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع الجامعة تعزى إلى الجنس في مجالات الدراسة الثلاثة وعلى الدرجة الكلية، حيث كانت الدلالة الإحصائية  $> 0.05$  وهي دالة إحصائية، ولقد كانت هذه لصالح عضوات هيئة التدريس (الإناث ) حيث بلغت متوسط استجاباتهن نحو ذلك 3.69 مقابل 3.21 لأعضاء هيئة التدريس الذكور.

## الفرضية رقم (2):

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى سنوات الخبرة، وللإجابة على هذه الفرضية تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار تحليل

التباين الأحادي ونتائج اختبار شيفيه وذلك كما هو واضح من الجداول رقم (5، 6، 7).

### جدول رقم (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى سنوات الخبرة لعضو هيئة التدريس

المجالات	سنوات الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحرافات المعيارية
تنمية الجامعة للمجتمع المحيط بها	10-1 سنوات	18	3.44	.74
	11-20 سنة	16	3.83	.58
	21 سنة فأكثر	12	3.71	.66
	المجموع	46	3.65	.67
تنمية الموظفين	10-1 سنوات	18	3.10	.52
	11-20 سنة	16	3.62	.53
	21 سنة فأكثر	12	3.32	.45
	المجموع	46	3.34	.54
تنمية الطلبة	10-1 سنوات	18	3.36	.67
	11-20 سنة	16	3.83	.53
	21 سنة فأكثر	12	3.45	.49
	المجموع	46	3.55	.60
الدرجة الكلية	10-1 سنوات	18	3.33	.60
	11-20 سنة	16	3.77	.47
	21 سنة فأكثر	12	3.53	.50
	المجموع	46	3.54	.56

تشير المعطيات الواردة في الجدول رقم (5) أن بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى سنوات الخبرة لعضو هيئة التدريس كانت الأعلى لدى أعضاء هيئة التدريس الذين سنوات خبرتهم من 11-20 سنة بمتوسط حسابي 3.77، تلاها في المقام الثاني أعضاء هيئة التدريس الذين سنوات خبرتهم فوق 21 سنة بمتوسط حسابي 3.53، وأخيرا أعضاء هيئة التدريس الذين تتراوح سنوات خبرتهم من 1-10 سنوات بمتوسط حسابي 3.33 ولمعرفة فيما إذا كانت هنالك فروقا نحو ذلك تعزى إلى سنوات الخبرة تم



استخراج نتائج تحليل التباين الأحادي وذلك كما هو واضح من الجدول رقم (6).

### جدول رقم (6)

نتائج تحليل التباين الأحادي للفروق بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى سنوات الخبرة لعضو هيئة التدريس

المجالات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية
تنمية المجتمع المحيط	بين المجموعات	1.367	2	.684	1.537	.227
	داخل المجموعات	19.121	43	.445		
	المجموع	20.489	45			
تنمية الموظفين	بين المجموعات	2.278	2	1.139	4.469	.017
	داخل المجموعات	10.956	43	.255		
	المجموع	13.234	45			
تنمية الطلبة	بين المجموعات	2.015	2	1.007	3.008	.060
	داخل المجموعات	14.401	43	.335		
	المجموع	16.416	45			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	1.711	2	.855	3.017	.059
	داخل المجموعات	12.192	43	.284		
	المجموع	13.903	45			

تشير المعطيات الواردة في الجدول رقم (6) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى سنوات الخبرة لأعضاء هيئة التدريس في مجال الدراسة المتعلقة بتنمية الموظفين، حيث

كانت الدلالة الإحصائية  $>0.05$  وهي دالة إحصائية، ولمعرفة مصدر الفروق تم استخراج نتائج اختبار شيفيه وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (7) من جهة أخرى أظهرت نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى سنوات الخبرة لأعضاء هيئة التدريس في مجالي الدراسة المتعلقين بتنمية المجتمع المحيط بها وتنمية الطلبة، حيث كانت الدلالة الإحصائية  $<0.05$  وهي غير دالة إحصائية.

## جدول رقم (7)

نتائج اختبار شيفيه للمقارنات الثنائية البعدية للفروق بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول دور الجامعة في تنمية الموظفين تعزى إلى سنوات الخبرة لعضو هيئة التدريس

المجالات	سنوات الخبرة	المتوسط الحسابي	10-1 سنوات	20-11 سنة	21 سنة فأكثر
تنمية الموظفين	10-1 سنوات	3.10		-0.5181*	
	20-11 سنة	3.62	0.5181*		
	21 سنة فأكثر	3.32			

يتضح لنا من نتائج اختبار شيفيه للفروق بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول دور الجامعة في تنمية الموظفين تعزى إلى سنوات الخبرة لعضو هيئة التدريس أن الفروق كانت ما بين أعضاء هيئة التدريس الذين سنوات خبرتهم من 10-1 سنوات و 20-11 سنة ولصالح الفئة الثانية الذين كانت استجاباتهم نحو تنمية الموظفين - أعلى - أعضاء هيئة التدريس ذوي الخبرة من (10-1) سنوات وبفارق 0.5181 درجة.

## الفرضية رقم (3)

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى وظيفة عضو هيئة التدريس، وللإجابة على هذه الفرضية تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبارات الفرضية وذلك كما هو واضح من الجدول رقم (8).

## جدول رقم (8)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبارات للفروق بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى وظيفة عضو هيئة التدريس

المجالات	الوظيفة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية
تنمية الجامعة للمجتمع المحيط بها	مدير دائرة فما فوق	9	3.58	.60	8	-.324	.748
	عضو هيئة تدريس	37	3.66	.70	36		
تنمية الموظفين	مدير دائرة فما فوق	9	3.27	.55	8	-.399	.692
	عضو هيئة تدريس	37	3.35	.55	36		
تنمية الطلبة	مدير دائرة فما فوق	9	3.54	.48	8	-.047	.962
	عضو هيئة تدريس	37	3.55	.64	36		
الدرجة الكلية	مدير دائرة فما فوق	9	3.49	.49	8	-.301	.765
	عضو هيئة تدريس	37	3.55	.58	36		

يتضح لنا من الجدول رقم (8) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى وظيفة عضو هيئة التدريس في مجالات الدراسة الثلاثة وعلى الدرجة الكلية حيث كانت الدلالة الإحصائية  $0.05 <$  وهي غير دالة إحصائية حيث بلغت متوسط استجابات أعضاء هيئة التدريس الذين وظيفتهم مدير دائرة أكاديمية فما فوق 3.49 مقابل 3.55 لدى أعضاء هيئة التدريس.

ملخص النتائج:

1. بيّنت لنا نتائج الدراسة ومن خلال التحليل الإحصائي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى الجنس والخبرة.
2. بيّنت لنا نتائج الدراسة ومن خلال التحليل الإحصائي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين المجتمع والجامعة تعزى إلى وظيفة أعضاء هيئة التدريس.
3. أظهرت نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 بين استجابات أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس حول العلاقة ما بين الجامعة والمجتمع تعزى إلى سنوات الخبرة لأعضاء الهيئة التدريسية في مجالي الدراسة المتعلقة بتنمية المجتمع المحيط بها والطلبة.
4. دلّت الدراسة على أن أعضاء الهيئة التدريسية لا يرغبون في العمل الإداري وقد حصلت على أدنى متوسط حسابي بمقدار 1.84، وانحراف معياري 1.22 كما هو موضح في الجدول رقم (3).
5. دلّت الدراسة على أن تنمية الجامعة للمجتمع المحيط بها معقولة، ولكن ليس بالمستوى المطلوب، فقد حصلت على أعلى متوسط حسابي من حيث الخبرة بمقدار 3.65 وانحراف معياري بمقدار 0.67، أما مجال تنمية الموظفين فقد حصل على متوسط حسابي 3.34، وانحراف معياري قدره 0.54، وتنمية الطلبة فقد حصل على متوسط حسابي قدره 3.55، وانحراف معياري قدره 0.60، كما هو موضح في الجدول رقم (5).
6. يوجد تفاعل بين المجتمع المحلي على مستويات الندوات وورش العمل والتعاون وحل المشاكل ومنح الطلبة، والمجتمع الخارجي مع جامعة القدس على مستوى أبحاث وتوأمة بين الجامعات ومساعدات ومنح، وتبادل ثقافي وعلمي.

#### التوصيات:

1. دعم وتطوير التعليم المستمر، والعمل على مبدأ تكافؤ الفرص، ومتابعة الطلبة الخريجين، واحترام حقوق العاملين والمحافظة على الأمن

- الوظيفي وزيادة ونشر الوعي بين المواطنين. ووضع معايير ومقاييس معينة لتوطيد العلاقة بين الجامعة والمجتمع، تؤكد على أن العلاقة بينهما تبادلية.
2. تشجيع أعضاء الهيئة التدريسية لرفع مستوى الطلبة وتنمية المجتمع، وذلك من خلال رفع مستواهم الاجتماعي والمادي.
3. دعم فكرة يوم العمل التوظيفي، وإقامة المعارض والمؤتمرات والاحتفالات باستمرار، حيث أثبتت نجاحها كأسلوب ناجح في توطيد هذه العلاقة.
4. تفعيل ودعم فكرة تكوين اللجان والتنسيق بين الجامعة والمجتمع من حيث التخصصات المطلوبة، العرض والطلب، وذلك بتحديد احتياجات كل منهما للآخر.
5. توجيه وتطوير برامج التدريب وورش العمل بما يتناسب مع متطلبات العصر، وزيادة مهارات الشباب.
6. جمع المعلومات والبيانات عن السوق باستمرار، ودعم فكرة الإنسان هو المورد الحقيقي للمجتمع، ومتابعة التغذية العكسية.
7. تعزيز الانتماء الوطني لدى الطرفين لبناء جسور المحبة والتعاون، من خلال تشغيل الأيدي العاملة، والنهوض بالبلد.
8. العمل على استمرار التميز في البرامج الجديدة بما يتناسب مع احتياجات المجتمع، وتدعيم وتشجيع البحث العلمي والتطوير من خلال الحوافز والمكافآت، خاصة فيما يتعلق بالجامعة وعلاقتها بالمجتمع، والعمل على تطوير هذه العلاقة باستمرار.
9. حصر أعداد الخريجين سنوياً، ومحاولة حل مشاكلهم من خلال تأسيس مشاريع ومدن جديدة لخلق فرص عمل.
10. التركيز على نوعية الخريجين وليس عددهم، من خلال وضع معايير ومقاييس معينة (الجودة) يحدد فيها نوع المهارة المطلوب، وذلك بتحديد الوقت اللازم للتنفيذ، والتكاليف، والدقة وغيرها.
11. المتابعة المستمرة لكل البرامج واحتياجاتها المستجدة حسب الاحتياجات ومواكبة التطورات العلمية.
- المراجع:**

1. أبو حمود، قسطندي نقولا، معجم المواقع الجغرافية في فلسطين، جمعية الدراسات العربية، مطبعة أوفست حسن أبو دلو، بيت صافا، القدس، 1984.
2. أبو رجيلي، سوزان عبد الرضا (منسقة) وآخرون: التعليم العالي وسوق العمل في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، دراسة تتبعية للخريجين 2003.
3. أحمد، فرج حافظ، وآخرون، إدارة المؤسسات التربوية، عالم الكتب، القاهرة، 2003.
4. الأسعد، محمد مصطفى، التنمية ورسالة الجامعة في الألف الثالث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
5. الحر، عبد العزيز محمد، التربية والتنمية والنهضة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2003.
6. الخولي، أسامة وآخرون، تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، 1985.
7. الكرمي، زهير، حوار مفتوح مع السيد نصف اليوسف النصف عضو مجلس أمناء جامعة القدس الكويتي، عمان، 1997.
8. القريوتي، محمد قاسم، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2009.
9. إنجاز، تقرير، جامعة القدس، كلية الآداب، دائرة العلوم التنموية. 2006.
10. أنظمة وتعليمات الجامعة، جامعة القدس، الطبعة الثانية، 2004.
11. بدران، شبل، التعليم والبطالة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
12. تقرير صادر عن البنك الدولي، بناء مجتمعات المعرفة: التحديات الجديدة التي تواجه التعليم العالي، مركز معلومات قراء الشرق الأوسط (ميريك) 2002.
13. تقرير صادر عن دائرة القبول والتسجيل، جامعة القدس، 2010.

14. توفيق، عبد الرحمن، التفكير والعمل معاً المهارات والقدرات، إعداد إصدارات بمك، القاهرة، 2005.
15. حارب، سعيد عبد الله، مستقبل التعليم وتعليم المستقبل، المجمع الثقافي ابوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001.
16. حسنين، سمير محمد، دراسات في مناهج البحث العلمي بحوث الإعلام الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة، 1995.
17. خان، نجم الثاقب، دروس من اليابان للشرق الأوسط، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.
18. محمد، محمد عبد الفتاح، الأسس النظرية للتنمية الاجتماعية في إطار الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005.
19. مصطفى، إياد وآخرون، كتاب القدس الإحصائي السنوي، السلطة الوطنية الفلسطينية، الجهاز المركزي لإحصاء فلسطيني، رقم 8، حزيران 2006.
20. مؤسسة برامج الطفولة والعمل الجماهيري بالتعاون مع جامعة القدس مؤتمر الطفل الفلسطيني الواقع تحت الإحتلال العسكري وسياسة التمييز رام الله، فلسطين، 2004.
21. نعمة، ماجد وآخرون، موسوعة السياسة، دار الهدى للنشر والتوزيع 1986.
22. وزارة السياحة والآثار، دليل سياحي للمدارس في ربوع فلسطين، السلطة الوطنية الفلسطينية، بيت لحم، 2001.

23. Digman, Lester A. Strategic Management: Concepts, Decisions, Cases, Richard D, Irwin.INC, 1995.

24. Poole, Richard, (1989), The relationship between the behavior of organizations with external and internal environment and how they impact on the production of the Foundation.

25. Gupta, Chen, & Chiang, (1997), Determining Organizational Structure Choice In Advance Manufacturing Technology Management, The International Journal Of Management Science, 506-523.



26. Knippengberg , D, (2000), Work Motivation & Performance: A social Identity Perspective. International Association for applied Psychology, Published by Blackwell Publisher, Oxford.
27. Sergiovanni, T, (1996), Leadership for the school house, San Francisco, Jossey-Bass.

ابن العالم سيدي محمد الزجلوي  
(حياته وإسهامه في الحركة العلمية بتوات)

أ.عبد القادر بقادر  
جامعة قاصدي مرباح ورقلة

**الملخص:**

في ظروف طبيعية قاسية وأحوال معيشية صعبة عاش (ابن العالم) أبو عبد الله محمد ابن أمحمد الزجلوي. ولد في قصر زاجلو إحدى قصور زاوية كنتة، قبيل منتصف القرن الثاني عشر الهجري، كان أبوه عالما شهيرا، فتلقى عنه المبادئ الأولى للعلوم، ثم انتقل إلى تينيلان ليتعمق في شتى العلوم الشرعية واللغوية، فكان له ذلك، فأصبح لغويا فقيها وشاعرا فحلا، فألف الكتب وشرح المنظومات الفقهية، كل هذا في عصر ادلهمت فيه الخطوب وعظم البلاء؛ حيث كثر الجهل وعمت الفتنة.

**Résumé:**

C'est dans de rudes conditions naturelles de vie bien difficiles qu'a vécu Ibn El âlim Abou Abdallah Mohammed ben M'hammed Ezzedjlaoui.

Il est né au k'sar Zadjlou, l'un des innombrables k'sours de Zaouiet Kounta actuellement, vers le milieu du XII<sup>e</sup> siècle.

De son père qui fut un grand sage, il a reçu les premiers enseignements de la langue arabe ainsi que les préceptes de la religion musulmane.

Par la suite, il s'est déplacé à Tinillane, pour approfondir ses connaissances de la Chariâ et de la langue arabe et devint ainsi un grammairien reconnu de la langue arabe, un grand exégète (f'qih), ainsi que poète. Il a écrit de nombreux ouvrages dans lesquels, il interprète les textes de l'exégèse en cours de l'époque.

**التمهيد:**

إن أرض الجزائر ما فتئت تنجب رجالا حملوا مشعل الثقافة والعلوم على مر العصور، وإقليم توات جزء لا يتجزأ من هذه الأرض المعطاءة، فهذا الإقليم المترامي الأطراف الغائص في الصحراء الكبرى ذات الحرارة المفرطة والكثبان الرملية، والأرض المسبّخة القليلة الزراعة والأشجار، اكتسب سكانها جلافة الصحراء وقساوتها، كان له رجاله الذين تعايشوا مع هذه البيئة،

وأسهما بنصيب وافر في تقدم الثقافة الجزائرية والعربية الإسلامية، وإذا أردنا سرد رجالها فإن القائمة ستطول، وفي هذا المقال سوف أسلط الضوء على أحد هؤلاء الرجال الذين قاوموا الطبيعة والظروف؛ فألف وأبدع حتى كتب اسمه بأحرف من ذهب؛ إنه ابن العالم محمد الزجلوي.

### أولاً: بيئة ابن العالم التواتية:

#### 1 . الحياة السياسية والاجتماعية:

عاش ابن العالم ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وعُرف هذا العصر بعصر القضاة لأن الإقليم كان تحت حكم القاضي الذي كان له الحكم التشريعي المنبثق من تعاليم الشريعة الإسلامية، بينما كان الحكم التنفيذي لشيخ القبائل في الإقليم بأكمله، وبيدأ هذا العصر من وفاة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ت(909هـ)، إلى دخول الاستعمار الفرنسي إلى الإقليم سنة 1317هـ . 1900م. كما يُعرف هذا العصر بعصر التناقضات! فكيف ذلك؟

إن المنتبغ للحياة العامة في هذا العصر يجدها فعلاً تقتز له عن متناقضات كثيرة؛ فقد اجتمع الفقر والغنى، والعلم والجهل، والسلم والحرب، في زمان واحد، وسنحاول فتح نافذة على الجوانب العامة للحياة آنذاك ليتضح الأمر ويتجلى.

كان الحكم في الإقليم بيد القضاة وشيوخ القبائل؛ فالقاضي هو صاحب القرار ولا أحد يرد حكمه، ويساعده في التنفيذ رؤساء القبائل، كما عَرف هذا العصر فتنة (يحمد وسفيان)<sup>(1)</sup> التي زاد من تسعير نارها حكام المغرب الأقصى مخافة اتحاد القبائل وتشكيل إمارة على غرار ما كان ينوي محمد بن عبد الكريم المغيلي فعله. وعلى الرغم من هذه الفتنة التي كادت تقسم ظهر التواتيين إلا أن مظاهر التآلف والتكافل الاجتماعي الموروث عن الدين الإسلامي كان بارزاً على المجتمع التواتي من كرم الضيافة وتبادل

1 . نسبة إلى الحرب التي كانت قائمة بين أبي سفيان قبل إسلامه ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحمد لله أن هذه الفتنة لم تمس إلا أهل توات فيما بينهم ولم تتعد إلى ضيوفها وزانريها.

الزيارات...<sup>(1)</sup>، والفضل في ذلك يرجع إلى العلماء والصالحين الذين كان لهم حضور قوي في كل مناسبة.

## 2 . الحياة الاقتصادية:

على الرغم من تموقع الإقليم بالصحراء الكبرى حيث الجفاف وقساوة الطبيعة، فقد قامت الحياة الاقتصادية في الإقليم على ثلاثة أنشطة هي: التجارة، والزراعة، والصناعة، ولا تكاد الحياة الاقتصادية في أي مكان في العالم تقوم إلا على هذه الأنشطة.

فما لا يختلف فيه اثنان أن المجتمعات تحتاج إلى تبادل تجاري داخلي وخارجي؛ فالداخلي يكون بين الأهالي والتجار المحليين؛ ويتم بأشكال مختلفة منها تبادل السلع مثل التمر بالزيت والسمن واللحم واللباس، أو استبدال الصوف بغيرها...، أما الخارجي فهو يعتمد على القوافل القادمة من المغرب والسودان بغرض استبدال سلعتها بالسلع المحلية التي بحوزة التجار المحليين، يقول العياشي: "وهذه البلدة [تسابيت] هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تنبكت ومن بلاد اقرن ومن أطراف السودان، ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير، والسلع التي تجلب من المغرب مما هو خارج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحريز، فإذا قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل."<sup>(2)</sup>.

ولقد كانت هذه الأسواق الداخلية المنتشرة في القصور والمدن التواتية القلب النابض للنشاط التجاري، ويصف العياشي سوق منطقة تسابيت فيقول: "وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصا...وغالب أهلها عوام أهل تجارة جل عيشهم التمر."<sup>(3)</sup>، ولم تكن هذه الحال في سوق تسابيت وحدها بل كانت كل أسواق الإقليم على تلك الحالة<sup>(4)</sup>.

1 - ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 الهجري، عبد الحميد بكري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2003م، ص: 22 - 26، وإقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1977م، ص: 32 - 38.

2 - الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مولاي بالحيمسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979م، ص: 70.

3 - الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ص: 69.

4 - ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، 63 - 68.

أما الزراعة فعلى الرغم من صعوبة الزراعة في المناطق الصحراوية ذات الرمال الكثيفة، يقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: "توات أرض ذات سباح، كثيرة الرمال والرياح، لا تحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة، لا ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها، وأهلها يستخرجون الماء من بطن الأرض بالفقائير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة، ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب(\*) من ذلك"<sup>(1)</sup> إلا أن سكان توات كانت الزراعة هي موردهم الاقتصادي الرئيسي؛ فقد وجد الأهالي في مجاري الأودية القديمة أو قربها المكان المناسب لغرس النخيل وبقية المنتجات الفلاحية، ففي تلك المناطق تتشكل البساتين والحدائق ووحدات النخيل، كما أوجدوا طريقة بديعة لجلب المياه من المناطق المرتفعة وتمثلت في نظام الفقائير، ويعود تاريخ الفقائير في توات إلى عهد الفراعنة<sup>(2)</sup> وطريقة توزيع مياهها كانت دقيقة وعادلة وبديعة، ويفضل مياه هذه الفقائير يقوم السكان بزراعة النخيل وتحت ظلها يزرعون الحبوب بشتى أنواعها والخضروات والفواكه والحنة...، والمراعي بالإقليم قليلة إن لم نقل منعدمة وذلك يرجع إلى وجوده في الصحراء، ولهذا فأهالي توات يعتمدون على شراء اللحوم المجففة التي تجلب من السودان والمغرب.

ومن الناحية الصناعية فإن انتقال الإقليم إلى المواد الأولية للصناعة المتطورة في تلك العصور جعل سكان توات يعتمدون على القوافل القادمة من الشمال في اتجاه السودان والتي كانت تجلب معها بعض المواد الأولية كالصوف والجلود والقطن والحديد... مما جعل بعض الصناعات المحلية واليدوية تنتشر في ربوع الإقليم؛ فصنعوا الجلود والملابس وبعض الأدوات الحديدية كالسكاكين والسيوف وغيرها، كما اعتمدوا على المواد الأولية المحلية المتوفرة في الإقليم ألا وهي مادة الطين (الفخار)؛ فصنعوا منها مختلف أمتعة المنازل من أواني لحفظ المياه وأواني الطبخ والأكل، وكذلك

\* - الفقائير: هي مجموعة آبار متصلة ببعضها البعض بواسطة قنوات تحت الأرض، وتبدأ الفقارة من مكان مرتفع حتى تصل إلى مكان منخفض، فتظهر المياه على وجه الأرض لتجد في نهايتها حوضا يعرف بالقصرية، ومنه يتم توزيع المياه على الملاك (الفلاحين) كل على حسب حصته شراء أو عملا في الفقارة، ومن القصرية يشق كل مالك نصيبه في قنوات إلى بستانه حيث تتجمع المياه في حوض كبير يعرف بالماجل ومنه تسقى المزروعات.

1 - نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسيني، تح: مولاي عبد الله الطاهري، مخطوط، نسخة منه تحت يدي، ص: 24.

2 - ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 40 و41.

اعتمدوا في الصناعة اليدوية على النخيل فاستغلوا منها كل شيء فيها (جريدتها، وليفها، وجذعها، وكرنافها...) فصنعوا منها الحبال والأبواب والأقفال والسلل وبعض الأواني المنزلية، وهكذا استطاع الرجل التواتي أن يستغل كل ما منح الله إياه في الطبيعة لتبسيط الحياة في هذه الأقاليم الصحراوية الصعبة المراس، كانت هذه الصناعات التقليدية اليدوية تنتشر بين البسطاء من الناس وطبقة العمال والعبيد.

### 3. الحياة الثقافية والعلمية:

إن الوضع الثقافي في الإقليم عرف انتعاشا منذ دخول العرب والدين الإسلامي إلى هذه الربوع حيث حمل معه حركة ثقافية واسعة؛ فراح الناس يقبلون على تلقي العلم والمعرفة من أفواه العلماء في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية في مختلف المدارس والزوايا، ومع تقدم العصور كان القرن الثاني عشر (18م) وبداية القرن الثالث عشر عصرا ذهبيا في تاريخ الإقليم<sup>(1)</sup>، والسبب في ذلك يرجع إلى وجود عدد كبير من العلماء؛ فقد عكف الكثير من مشايخ توات المشهود لهم بالكفاءة على دراسة آداب اللغة العربية وأصول الدين، إلى جانب اشتغالهم بالتدريس في المساجد والزوايا وغيرها من مؤسسات التعليم التي كانت منتشرة داخل توات، وهكذا لم يخلُ قصر أو مدينة تواتية من مدرسة قرآنية أو زاوية، فنشطت الحركة العملية والفقهية واللغوية فازدانت البلاد بالزوايا والمراكز العلمية التي انتشرت بربوعها، فكانت مقصدا للعلماء والزهاد والصالحين.<sup>(2)</sup> وبذلك صارت توات مركز إشعاع علمي وإسلامي ليس في الجزائر فحسب بل حتى في إفريقيا. وازداد التواصل العلمي والمعرفي وتوسع وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثم انكبت النفوس على الدرس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبّر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر بالشعراء والأدباء في مختلف الفنون الأدبية، والمؤلفين في شتى المجالات العلمية والمعرفية وكان ذلك كله في خدمة

<sup>1</sup> - محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وأثاره، أحمد أبالصادي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 1، 1425هـ - 2004م، ص: 32.

<sup>2</sup> - ينظر النيزة...، ص: 18.

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة<sup>(1)</sup>، وتعليمهما لأهل الإقليم وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة.

ما كان ليكون هذا العطاء المتواصل، وتلك الحركة الثقافية والعلمية في مختلف الفنون والعلوم لولا:

1 . توافد عدد كبير من العلماء والصالحين إليها من كافة الأقطار والجهات؛ من المغرب والمشرق وغيرهما فأسهما في نهضة البلاد وبت روح الثقافة فيها<sup>(2)</sup>.

2 . توفر الأمن والاطمئنان في الإقليم عبر العصور بنسب متفاوتة.

3 . الإقليم لم يخضع للسلطة العثمانية كما خضعت لها معظم البلاد الإسلامية.

4 . الموقع الاستراتيجي الهام حيث كان الإقليم طريقا للقوافل مما سمح بتبادل الأفكار، وتوفر وسائل العلم من صمغ وورق...

5 . عكف الكثير من مشايخ توات المشهود لهم بالكفاءة على دراسة آداب اللغة العربية وأصول الدين<sup>(3)</sup>.

6 . خصال الرجل التواتي وحبه للعلم وتطلعه للمعرفة وإيمانه بأن العلم أفضل سلاح لمواجهة الحياة والأعداء.

7 . تنقل علماء توات إلى مختلف الحواضر الإسلامية (فاس، وسجلماسة، وشنقيط، ومصر، وتونس، والحجاز...) بحثا عن العلم ومجالسة العلماء والأخذ عنهم.

8 . تأسيس الزوايا والمدارس العلمية التي كان لها الفضل الكبير في نشر العلم والثقافة بالإقليم.

ومن الزوايا التي ذاع صيتها في توات وكان لها الفضل في تخريج العلماء، زاوية سيدي علي بن حنيني ت: (1118هـ) بزاجلو هذه الزاوية التي تأسست في القرن الحادي عشر الهجري، والتي ظهر فيها العديد من العلماء، ذكّر أحمد الزجلوي<sup>(4)</sup> بعضا منهم في قصيدة من ثلاثة وستين بيتا، وهو في

1 . ينظر: محمد بن أب المزمري(1160هـ) حياته وأثاره، ص: 13.

2 . النبذة في تاريخ توات وأعلامها ...، ص: 42.

3 . إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص: 85.

4 . هو أحمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري ، وُلد ما بين نهاية القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر الهجريين، تعلم في تلمسان فأخذ عن ابن بوكليخ، وفي المغرب، فأخذ عن علمائها أمثال عبد الواحد القدوسي بسجلماسة وعن أحمد بن ناصر الدرعي، ثم عاد إلى زاوية زاجلو ليقوم على التدريس فيها، في سنة 1174هـ كان حيا. وهو والد (ابن العالم) المترجم له.

تأفيلت بالمغرب الأقصى طالبا للعلم هناك بعد أن اشتاق إلى بلاده، فقال في مطلعها:

ولمّا تغربنا وقلّ مساعد ونفسي لشدة الفراق تراود  
تذكرت إخوانا لنا ومعارفا وما قد مضى من عهدنا متباعد  
ونحن بغرب حول شيخ المعارف وقد ضاق صدري طالما أنا جاحد  
ويبدأ في ذكر أعلام الزاوية فيقول:

فأولُ أهلِ الخيرِ موسى وبعدهُ عليٌّ بحجِّ البيتِ تَمَّتْ مقاصدِ  
هما سيدانِ آخذانِ بسنةِ فسل بهما تعطى فإنك واجد  
وأما محمد أخو الصبر والرضا فما دأبه إلا الثنا والمحامد  
ويختتمها بقوله:

وشمّر عن ساق الجدّ واكتسب الثقى وسلم ولا تَعْتَبْ فإنك وارد  
إلهي صل ثم سلم على النبي وآله والصحب فإنك واحد<sup>(1)</sup>

وما ابن العالم إلا واحد منهم، فمن يكون هذا العالم الذي شغل الناس بعلمه؟

### ثانيا: حياة ابن العالم ومصنفاته:

#### 1 . اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله<sup>(2)</sup> محمد بن امحمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري نسبا، التواتي وطنا وبلدا، الزجلوي منشأ<sup>(3)</sup>، لقبه ابن العالم، يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، وُلد قبيل منتصف القرن الثاني عشر الهجري (12هـ)، في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة؛ فوالده أمحمد الذي كان أحد أعلام المنطقة تعلّم بسجلماسة فيني اللطخ سيدي الأخصال الزجلوي تلمسان النحو وأصول الفقه، وكان مفتي الديار التواتية. (حياته وإسهامه في الحركة العلمية بتوات)

كان محمد أحد أعلام الإقليم، يقول فيه صاحب الدرّة الفاخرة عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التينيلاني ت(1256هـ): "كان رحمة الله أحد الأعلام وأحد المجتهدين في عصره، وكان أهل عصره يببالغون عنه في الثناء."<sup>(4)</sup>

1 . القصيدة كاملة مخطوطة في خزنة أنزجير .

2 . ذكره صاحب الدرّة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر التينيلاني، مخطوط في خزنة ابن الوليد ببا عبد الله، ص: 16.

3 . تسهيل الإرشاد للدرر المتعينة من الأصول والفروع على مذاهب عالم المدينة، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة عباي، ص: 1.

4 . الدرّة الفاخرة، ص: 16، ولعله يقصد يببالغون في الثناء عليه.



## 2 . نشأته وطلبه للعلم:

نشأ محمد في قصر زاجلو حيث تلقى العلوم الأولى على يد والد الشيخ أحمد أحمد فحفظ القرآن الكريم ثم حفظ المتون التي كانت مشتهرة في زمانه، منها مختصر خليل، فهو يقول عن قراءته لمختصر خليل على يد والده: "وابتداء قراءته (أي مختصر خليل) عند الوالد في ربيع الأول من عام ثمانية وخمسين (بعد ألف ومائة) 1158هـ إلى أن ختمته عليه ثم عاودته عليه..."<sup>(1)</sup> .

من خلال النص السابق يتبين لنا أن بداية تعلمه كانت على يد والده . كيف لا ووالده هو أحد العلماء المشهود لهم بالعلم . فقرأ عليه مختصر خليل أكثر من مرة، ثم انتقل إلى تينيلان . وهو في حداثة سنه . حيث يوجد عالم ذلك الزمان الشيخ عبد الرحمن بن عمر<sup>(2)</sup>، فأخذ عنه فنونا كثيرة.

تحلى ابن العالم بأخلاق حميدة وفضائل جمّة ناهيك عن العلم، قال فيه صاحب الدرّة الفاخرة: "وكانت فيه من المحامد والمكارم ما يستغرق الوصف، وفضله أشهر من أن يوصف... ولولا خوف الإطالة لأوردت من خبره طرفا كبيرا."<sup>(3)</sup>، وقد حظي محمد بمكانة مرموقة عند شيخه عبد الرحمن بن عمر؛ الذي انتقل إلى مدرسته في سن مبكرة وأخذ عنه النحو والفقه والتفسير...

كان إماما فقيها لغويا أصوليا مجتهدا عارفا بعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف واللغة العربية، يقول عنه أحد معاصريه: "إمام قطر توات وأحد المستقلين بها لمعرفة الفقه، والعربية واللغة، ورتبة الاجتهاد، وعلم الأصول، وشيء من المنطق والبيان، لم يكن في وقته في أقطار توات أقصاها وأدناها من يجاربه في علوم القرآن ضبطه... وتفسيره وناسخه ومنسوخه ومجمله ومفصله وغريبه"<sup>(4)</sup>، وكان كذلك في الحديث النبوي الشريف، وكان شاعرا مجيدا عالما بعلمي العروض والقوافي، تصدر للتدريس فكان رائدا فيه بحسن

1 . الوجيز على مختصر خليل، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة كوسام، والشيخ باي بأولف، ص: 1.

2 . هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التينيلاني، أخذ عن شيوخ من توات وآخرين من أقطار أخرى كالمغرب وغيرها؛ فمن التواتيين عمر بن عبد القادر التينيلاني(1152هـ)، والشيخ محمد بن اب المزمري ت (1160هـ)، ومن المغاربة أحمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الهلالي، كان أحد أعلام الإقليم وإليه تشد الرحال في طلب العلم له رحلات عديدة في طلب العلم، توفي سنة 1189هـ.

3 . الدرّة الفاخرة، ص: 16.

4 . وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة كتبت في عصر المترجم له، خزنة صديقي بومدين تمنظيط. (لم يرد اسم كاتب الوثيقة إلا أنه قال بأنه ابن عم الصالح محمد بن الحاج المحجوب وهذا الأخير هو تلميذ ابن العالم).

الخلق وأئيس المجلس، وكثير الحكايات، ولين الجانب مع الطلبة، فتفاخر الطلبة بالأخذ عنه وانتفع منه كثير منهم. كان زاهدا في الدنيا عفيفا متقشفا موصوفا بالصلاح، منقطعا عن العوام تاركا لهم عارف بزمانه؛ فإنه إذا حضر أحد العوام مجلس درسه مع طلبته أخذته قشعريرة وتلون وجهه فلا يكاد يفهم من كلامه شيء<sup>(1)</sup>.

ولما تولى القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري<sup>(2)</sup> توات (1210هـ) القضاء في توات اختار لمشورته أربعة من العلماء الأفاضل، قال عنهم صاحب جوهرة المعاني: "أربعة أشياخ لم تسمح الوقت بأفضل منهم في صناعة القضاء."<sup>(3)</sup> والأربعة هم: عبد الرحمن بن عمر، عبد الكريم الحاجب<sup>(4)</sup>، ومحمد بن الحاج عبد الله التمنطيبي<sup>(5)</sup>، ومحمد بن العالم الزجلوي.

1 - ينظر: نفسه. هذا ما نقله ناسخ الوثيقة عن تلميذ ابن العالم (الصالح محمد بن الحاج المحجوب)  
2 - هو عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم بن أحمد بن أبي أحمد بن أحمد بن ميمون، تولى القضاء عام 1174هـ، بعد وفاة والده . (ينظر: جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيبي، مخطوط بخزانة المطارفة، ص: 21، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها....، ص: 154).  
3 - جوهرة المعاني، ص: 22.  
4 - هو عبد الكريم بن محمد الصالح بن البكري بن عبد الكريم، وُلد في تمنطيط عام 1118هـ كان عالما وعاملا وفقهيا وزاهدا أخذ عن جده، وعن والده علم النحو والفقه والتفسير واللغة العربية (جوهرة المعاني، ص: 21، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها....، ص: 160).  
5 - لم أقف له على ترجمة.

ما كان لابن العالم أن يكون في مجلس قضاءٍ رئيسه القاضي عبد الحق . الذي عُرف بشدته العمرية في العدل . لولا علمه وزهده ونزاهته وخلقه، وما كانت تسجل في سجلات القاضي عبد الحق عقود أو غيرها إلا بعد استشارة مستشاريه الأربعة<sup>(1)</sup>. وهكذا ارتقى ابن العالم إلى تلك المرتبة مع شيخه ومن هم أكبر منه سنا.

### 3 . شيوخه:

أخذ العلم عن عدد من الشيوخ كان أبرزهم:

- أ- أحمد الزجلوي المعروف بالعالم وهو والد المترجم له
- ب- عبد الرحمن بن عمر (1189هـ)
- ت- عمر بن عبد القادر التينيلاني<sup>(2)</sup> (1098 - 1152هـ)
- ث- محمد بن عبد الرحمن البلبالي<sup>(3)</sup> (1155هـ - 1241هـ)

### 4 . تلاميذه:

تتلمذ على يد ابن العالم عدد كبير من التلاميذ الذين حملوا مشعل العلم بعده منهم:

- أبو العباس أحمد زروق<sup>(4)</sup>.
- عبد الله بن عبد الرحمن التينيلاني<sup>(5)</sup>.
- عبد الرحمن بن إدريس<sup>(6)</sup> (1181هـ - 1233هـ)
- عبد الله بن أبي مدين بن أبي بكر التمنطيطي<sup>(7)</sup> (1189هـ - 1231هـ)

1 . ينظر : نفسه، ص: 22.

2 . ولد بقصر تينيلان عام 1098هـ حفظ فيها القرآن الكريم وفيها كانت بدايته العلمية، ثم انتقل عام 1117هـ إلى مدينة فاس المغربية تلقى من شيوخها، ثم جلس للتدريس بجامع القرويين إلى سنة 1129هـ، ثم عاد إلى بلدته وجلس فيها للتدريس، ثم تولى القضاء عام 1133هـ، ومال في آخر عمره إلى التصوف فاعتزل الناس، توفي 3 من ربيع الأول 1152هـ. ربما ابن العالم لم يأخذ عن عمر بن عبد القادر مباشرة، وذلك يرجع إلى أن ابن العالم ولد قبل وفاة الشيخ عمر بن عبد القادر بحوالي خمس أو ست سنين، وهذا ما يرجح عندي عدم الأخذ عنه مباشرة، ولكن بعض من ترجم له يذكر أن عمر بن عبد القادر كان شيخا لابن العالم.

3 . هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحاج أحمد بن أحمد بن أبي زيد البلبالي الأنصاري نسبيا الملوكي دارا والتواتي موطننا ولد ليلة عرفة من عام 1155هـ، الموافق لـ 03 فبراير 1743م. المعروف بسيدي الحاج، كان عالما فقيها إماما، وأديبا شاعرا، وقاضيا، وطيبيا، تبادل الأخذ مع المترجم له فكان كل منهما شيخا للآخر وتلميذا له.

4 . هو أبو العباس أحمد زروق بن أبي عبد الله بن محمد بن موسى الجعفري، كان إماما عالما في الفقه وأديبا، له شعر جيد، كان صالحا، سافر إلى فاس وأخذ عن علمائها، تولى القضاء 1244هـ، وتوفي 1245هـ (الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، ص: 13).

5 . لم تذكر المصادر عنه شيئا إلا ما جاء في الدرّة الفاخرة حيث أنه كان عالما بالحديث ومثقتا، لازم والده الشيخ عبد الرحمان بن عمر وقتا طويلا توفي عام 1221هـ (الدرّة الفاخرة، ص: 14).

6 . كان عالما ماهرا بالفقه والتفسير، له رحلات عديدة إلى الجزائر المحروسة، وإحدى رحلاته مدونة، كان شديد الحفظ سافر إلى فاس وأخذ عن ابن شقرون، وفتة المنية أثناء عودته من الحج في شهر جمادى الثانية من عام 1233هـ (الدرّة الفاخرة، ص: 14).

7 . أخذ علم التجويد عن والده، كما كان أحد أقطاب عصره في العلم ومن أعيان العلماء<sup>(7)</sup>، حاور العديد من علماء عصره في مسائل كثيرة، كما انفرد في وقته بعلم الأصول، توفي عام 1231هـ (جوهر المعاني، ص: 30).

- الحسن بن محمد الزجلوي<sup>(1)</sup>

- عبد الرحمن بن أحمد الزجلوي<sup>(2)</sup>

### 5 . مصنفاته وآثاره:

خلف ابن العالم بعد وفاته آثارا كثيرة ما زالت حبيسة رفوف الخزائن في الإقليم:

#### أولا: الكتب:

1. تسهيل الإرشاد للدرر المتعينة من الأصول والفروع على مذاهب عالم المدينة (الكتاب من جزأين)<sup>(3)</sup>
2. الوجيز في شرح مختصر خليل<sup>(4)</sup>
3. شرح على منظومة التلمسانية<sup>(5)</sup>
4. نوازل الزجلوي<sup>(6)</sup>
5. السر المغتبط في وفق الخمس الخالي الوسط<sup>(7)</sup>
6. العقيدة السنّية في القواعد السنّية<sup>(8)</sup>

1 . وهو ابن المترجم له، لم تذكر المصادر عنه شيئا إلا صاحب الدرّة الفاخرة، إذ يقول: "كان رحمه الله إماما حافظا متقنا وانتهى إليه علو الإسناد بالديار التواتية، وكان يتحرز في الفتوى (الدرّة الفاخرة، ص: 16).

2 . وهو أخو المترجم له، لم تذكر المصادر عنه شيئا إلا صاحب الدرّة الفاخرة، أخذ العلم عن والده، وعن أخيه (محمد)، وعن محمد بن عبد الله الونقالي، وكان من أبرز علماء العصر، وكان فظا ومعه صلاحية في الحق (الدرّة الفاخرة، ص: 16).

3 . مخطوط في خزانة الحاج سالم سالم بعباني بلدية فنوغيل.

4 . مخطوط في خزانة الشيخ باي بأولف.

5 . مخطوط في خزانة بلبالي بملوكة.

6 . مخطوط في خزنة ملوكة وغيرها من الخزائن عبر إقليم توات.

7 . مخطوط بخزانة انزجمير .

8 . مخطوط بخزانة انزجمير .

### ثانيا: المنظومات:

اشتهر لابن العالم منظومتان هما: منظومة التفسير، ومنظومة الغريب، وقد عثرت له على منظومة ثالثة وهي منظومة الالتزام.

1. منظومة ألفية غريب القرآن<sup>(1)</sup>
2. منظومة ألفية التفسير<sup>(2)</sup>
3. منظومة الالتزام: يقول في مطلعها:

يقول راج رحمة ربه الغفار محمد بن العالم الأنصاري  
المالكي الزجلوي الدار مبتدئا اسم الإله الستار  
الحمد لله الذي قد ألزم عباده الإخلاص فيما ألزما  
وأوجب اتباع مصطفىاه والفوز بالوفا لمن قفاه<sup>(3)</sup>

### ثالثا: أشعاره:

بالإضافة إلى المنظومات إن لابن العالم شعرا جيدا فهو أحد شعراء توات المجيدين، ومن قصائده الجيدة هذه المرثية التي رثى بها شيخه أبا زيد عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، فقال [من البحر الكامل]:

وإذا ذكرت من الحوادثِ جمّة فاذكر رزية لا رزية عوضها  
واذكر أبا زيد وروعة فقده وتلهف الإسلام منه ورحضها<sup>(4)</sup>  
إن كان لا يبكيك حسن مثاله فازدب لقسوتك العيون وحضّها<sup>(5)</sup>  
يا عين جودي بالدموع لفقد من لمصابه بكت السماء وأرضها<sup>(6)</sup>

إن شعر محمد الزجلوي جاء مبنوثا في مؤلفاته العديدة؛ فهو لم يكتبه في ديوان شعري، ومن تلك الأشعار ما يأتي:

أرجوزة في موضوع الأحباس (الأوقاف) مطلعها:

مسألة لا خلف بين الناس في منع بت قسمة الأحباس

1 - المنظومة حقيقتها في رسالة الماجستير بجامعة ادرار سنة 2009م.  
2 - وهي مفقودة إلى حد الساعة، وهي منظومة من ألف بيت وزيادة، وهي سابقة لألفية غريب القرآن، وقد أشار إليها بنفسه في منظومة الغريب القرآني، قائلا:  
وأدوات النحو في التفسير أشبعت فيها القول في التقرير  
3 - المنظومة مخطوطة بخزانة أنجمير، ص: 1. وعندي نسخة منها.  
4 - الرخص: الغسل، ويقال: رخص الرجل رخصا: عرق حتى كأنه عُبل جسده...والرخصاء العرق في أثر الحمى (لسان العرب، مادة (رخص)، 121/6)، ولعل الشاعر يقصد أن المسلمين لما سمعوا بموت الفقيد أصابهم الحمى فتصيبوا عرقا.  
5 - ازدب: احتمل، يقال ازديبت الشيء إذ احتملته (الصحاح، مادة (زب)، 2366/6)، والحض: الحث في السير والسوق، (لسان العرب، مادة (حضض)، 151/4)، ولعل الشاعر هنا يقصد الحض على الدمع.  
6 - الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، دار هومة الجزائر، د ط، د ت، 407/1.

وأن ما جرى في الاغتلال على ثلاثة من الأقوال  
والمنع والجوز والتفريق للنهي في الثمار عن التحقيق<sup>(1)</sup>  
وفي نفس الموضوع يرد مجيباً على سؤال [من البحر الطويل]:  
ثنائي على المولى أقدم أولاً وأزكى صلاة للنبي على الولا  
رفعت سؤالاً من نوازل عدة إلى عالم بالفقه ما كان أغفلاً<sup>(2)</sup>  
وفي ذات الموضوع له هذه القصيدة [من البحر الطويل]:  
فسبحانك اللهم ما أنت أهله ثناء ولا أحصيه ما دمت موصلاً  
وأزكى الصلاة والسلام تحية على المجتبي المختار في الخلق اكمل  
وبعدُ فالاستفتاء في العلم أسه فأكرم به من عالم قد تأهلاً  
فأما جواب الحبس فاعلم بأنه تناقض مبناه بما قد تفصلاً<sup>(3)</sup>  
وله بيتان في صفة البعث وما يتصل به... من البحر البسيط المقطوع:  
بَعَثٌ وَحَشْرٌ قِيَامُ النَّاسِ عَرَضُهُمْ فَالْصُّحُفُ قَبْلَ الْجِسَابِ ثُمَّ مِيزَانُ  
عَلَى الصِّرَاطِ فَحَوْضٌ بَعْدَهُ جَنَّةٌ أَوْ هُوَ قَبْلَ الْجِسَابِ ثُمَّ نِيرَانُ<sup>(4)</sup>

## 6 . تنويه العلماء بابن العالم ومصنفاته:

قال عنه أحد معاصريه: "إمام قطر توات وأحد المستقلين بها  
لمعرفة الفقه والعربية واللغة ورتبة الاجتهاد وعلم الأصول وشيء من المنطق  
والبيان..."<sup>(5)</sup>

لقد تلقى المجتمع التواتي مؤلفات ابن العالم بالقبول الحسن، وفي ما  
يأتي تنويه بعض علماء عصره:

قال سيدي عبد الحق بن عبد الكريم بن الشيخ البكري قصيدة من  
خمسة عشر بيتاً وهي من البحر الكامل يقول في مطلعها:  
يا من يريد من النقول أصحها خذ ما تراه بتسهيل الإرشاد  
حاز النفيس والجواهر كلها طالع قدر ما قلت في الإنشاد<sup>(6)</sup>

1 . نقلاً عن محاضرة لمحمد باي بلعالم في أشغال ملتقى (محمد الزجلوي) بزواوية كنتنة سنة 2005م، نص المحاضرة تحت يدي، ص: 9.

2 . المرجع السابق، ص: 10.

3 . محاضرة محمد باي بلعالم، ص: 11.

4 . تسهيل الإرشاد، 40/1.

5 . وثيقة مخطوطة في عصر المترجم له، خزنة صديقي بومدين بتمنيط.

6 . القصيدة كاملة في تسهيل الإرشاد، 1/الصفحة الأخيرة.

وقال سيدي عبد الكريم بن بابا حيدا في ألفية غريب القرآن أبياتا من البحر الطويل، يقول في مطلعها:

فحمدا لمن بالفهم لازال مُنْعَمًا وبشرى لأهل العصر حيث تشعشعا  
وكم ترك السُّبَّاق لذي قريحة ردوا العلم بحرا بل ألدَّ وأوسعا  
إذا رمت ذوقا كالعسل حلاوة عليك بنظم كالجواهر رُصَّعا<sup>(1)</sup>  
وقال سيدي عبد الرحمن بن عمر عن "ألفية غريب القرآن"، و"ألفية التفسير":  
"هذه ينتفع بها كل واحد من عوام الطلبة، وتلك مخصوصة بالفقهاء."<sup>(2)</sup>  
أما من العلماء المحدثين الذين أثنوا على ألفية غريب القرآن خاصة  
أذكر منهم:

. العلامة الشيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله تعالى إذ كثيرا ما  
كان يوصي بها طلابه في العديد من المرات، وذلك لأنها كما يرى تجمع  
فنونا كثيرة زاخرة بالعلم زيادة على تضمناها لألفاظ القرآن الكريم.<sup>(3)</sup>  
. الشيخ محمد باي بلعالم أنها: "هدية الشيخ ابن العالم لحفظة القرآن  
الكريم".<sup>(4)</sup>

. محمد عبد العزيز سيدي عمر: "هي للطلبة كالغذاء للأرواح  
والأبدان".<sup>(5)</sup>

. عبد الحميد بكري: "وهي من أهم الأعمال التي تميز بها رحمه الله تعالى  
وهي منظومة ضمها أهم الألفاظ الغريبة في القرآن".<sup>(6)</sup>

## 7 . وفاته:

توفي محمد الزجلوي (ابن العالم) يوم الثلاثاء 23 من شهر شوال  
سنة 1212هـ. (7) الموافق لـ: 09 أبريل 1798م، في بلدته بقصر زاجلو وبها  
دفن رحمه الله تعالى، مازال قبره معروفا إلى يوم الناس هذا.

## الخاتمة:

1 . القصيدة كتبت في نهاية حاشية عبد الكريم الحاجب على ألفية غريب القرآن، ص: 25.  
2 . الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، د ط، د ت، ص:  
28.  
3 . في مقابلة شفوية مع الحاج محمد العلمي شيخ زاوية زاجلو.  
4 . الرحلة العلية...268/1.  
5 . كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، الجزائر، د ط، 2002م، ص: 123.  
6 . النبذة في تاريخ توات...ص: 93.  
7 . كتاب قطف الزهرات...ص: 123.

1) ابن العالم شخصية جزائرية لها إسهاماتها في الحركة العلمية والثقافية بالجزائر؛ ولذا يجب الالتفات إلى تلك الإسهامات وتحقيقها وإفادة الناس بما فيها.

2) غير ابن العالم كثير في أرض الجزائر جنوبا وشمالا وغربا وشرقا، ممن طوى عنهم التاريخ صفحا، فإهمالهم والسكوت عنهم يعد عارا على المثقفين في الجزائر عامة، وفي مناطقهم خاصة.

3) أما آثار ابن العالم فهي شاهدة له على تلك الإسهامات التي كان لها دورها في تنوير وتعليم أبناء المنطقة آنذاك، كما هي شاهدة له على البراعة والمقدرة العلمية في شتى المجالات؛ كشرح "التلمسانية" في علم الفرائض، وكتابه "الوجيز في مختصر خليل" و"تسهيل الإرشاد" في الفقه، أما ألفيتا غريب القرآن والتفسير فهما من الآثار التي تشهد له بالكفاءة العلمية، على الرغم من قلة الإمكانات والظروف الطبيعية الصعبة، والظرف التاريخي الصعب الذي وُجد به، إلا أنه أثبت مقدرة فائقة في التحصيل العلمي والمعرفي في مجال التفسير واللغة، والعملان إسهامان خدم بهما القرآن الكريم، وهو بهذا يكون قد سد ثغرة في الدراسات القرآنية في المنطقة خاصة والجزائر عموما.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن ننويه بهذا العالم وأمثاله في إقليم توات، وغيره من الأقاليم الجزائرية، كما ندعو الباحثين إلى لفت الانتباه إلى أمثاله من العلماء الذين ما زال رداء النسيان، وغبار الدهر يجللهم، ومصنفاتهم تئن تحت وطأة عوادي الدهر والأرضة.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 1) إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1977م.
- 2) تسهيل الإرشاد للدرر المتعينة من الأصول والفروع على مذاهب عالم المدينة، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة عباني.
- 3) الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مولاي بالحميسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979م.
- 4) جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيبي، مخطوط بخزانة المطارفة.



- 5) حاشية عبد الكريم الحاجب على ألفية غريب القرآن.
- 6) الدرّة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر التينيلاني، مخطوط في خزنة ابن الوليد ببا عبد الله.
- 7) الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، دار هومة الجزائر، د ط، د ت.
- 8) الغصن الداني في ترجمة وحياء الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، د ط، د ت.
- 9) كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، الجزائر، د ط، 2002م.
- 10) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 4، 2004م.
- 11) محاضرة لمحمد باي بلعالم في أشغال ملتقى (محمد الزجلوي)بزاوية كنتة سنة 2005م
- 12) محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره، أحمد أبالصافي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 1، 1425هـ - 2004م.
- 13) النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 الهجري، عبد الحميد بكري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2003م.
- 14) نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسيني، تح: مولاي عبد الله الطاهري، مخطوط.
- 15) الوجيز على مختصر خليل، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة كوسام، والشيخ باي بأولف.

## صورة التراكيب اللغوية العربية

أ. شابي سعاد  
جامعة أدرار

### الملخص:

إن المقاربات التي تحاول وصف اللغة وتفسير وقائعها المختلفة متعددة، والمقاربة الصورية باتجاهاتها المتنوعة من أهم تلك المقاربات، وهي محاولة لإعادة بث التلاقي بين اللسانيات والمنطق من جديد، بعد أن ظلا متباعدين لمدة طويلة، خاصة إثر التطور الذي مس مبادئ المنطق وأعاد هيكلة قواعده المعرفية.

ولا تكون الدراسة العلمية صورية ما لم تقم على وصف العلاقات الكامنة بين رموز اللغة المدروسة، وهي ترمي إلى تمثيل النظريات العلمية المختلفة، ووصف العبارات اللغوية وقواعد الاستدلال بعيدا عن الغموض، كما تسمح بتفسير الخصائص الصورية المميزة لأنحاء اللغات.

يندرج هذا النوع من البحوث ضمن نظر لساني حديث، إذ أنه يتردد بين اللغة والحاسوب، ذلك أنه يجمع بين اللغوي والحاسوبي المبرمج، فالأول يعمل على توصيف المادة اللغوية بعد استقرائها وتمثل نظامها واستشفاف صورتها لينتقل إلى النمذجة، والحق أن العربية تتميز بجملتها من الخصائص تجعلها قابلة للمعالجة الحاسوبية، أما الشاذ والغريب والنادر فقلته تعين على معالجته وإفراده.

### Résumé :

Les rapprochements qui essayent de décrire la langue et d'expliquer les différents et divers faits ainsi que le rapprochement formaliste avec ses différentes directions, qui est le plus important. C'est une tentative qui vise de nouveau, une réconciliation entre la linguistique et la logique, en particulier, durant le développement qui a touché les principes de la logique. C'est une nouvelle structuration des règles de la connaissance.

L'étude scientifique ne pourrait être formaliste sans qu'il ait des descriptions de relations entre les signes linguistiques étudiés. Elle prétend de représenter les

différentes théories scientifiques, et décrire les formules linguistiques et les règles raisonnables qui sont loin de l'incertitude. Elle permet également d'expliquer les caractéristiques formalistes spécifiques des langues.

Ce genre de recherche fait parti de la linguistique moderne, elle se situe entre la langue et la l'informatique, car elle réuni le linguiste et l'informaticien. Le premier met en exergue la description matérielle de la langue après relecture et clarification de son image pour passer à la programmation.

La langue arabe se distingue par un certain nombre de caractéristiques, qui lui permettent un traitement informatique. Par contre l'insolite et l'étrange mènent à son traitement et sa singularité.

#### \*المقدمة:

اللغة العربية هي لغة علمية فهي تملك القدرة علي التعبير عن كافة العلوم والمعارف الحديثة بسبب مرونتها في صوغ المصطلحات العلمية وقدرتها الاشتقاقية للألفاظ الجديدة، فقد حافظت على دورها عبر التاريخ وفرضت نفسها كلغة عالمية باعتبارها لغة العلم، لغة الحضارة الإسلامية .

إن التطورات التي عرفها العصر الحالي، على المستوى العلمي والتقني تشهد أن العالم يعرف ثورة علمية وتكنولوجية لها أبعادها الكبرى في شتى ميادين الحياة، والحوسبة أحد المحاور المهمة في هذا التطور إن لم تكن المحور الأساس للثورة العلمية المعاصرة، وقد اتسع مجال التقنية المعلوماتية ليشمل العديد من المجالات الحيوية، ومن ضمنها اللغة التي تعتبر الوسيلة الطبيعية التي يستخدمها الإنسان لاستمرار الحضارة، فإنها تمكنه من نقل المعلومات وتساعده على حفظها وتوارثها جيلا بعد جيل، وقد اعتمد التقدم في عصر المعلومات بشكل أساس على التحام اللغة بالحاسوب، من خلال بناء قواعد خبيرة يمكن أن تخدم مجالات مختلفة مثل معالجة اللغة العربية آلياً، تساعد هذه التقنيات على تمثيل اللغة وفق نماذج للمعرفة وقواعد تجريبية يستطيع الحاسوب التعامل معها، وهي تتميز باستخدامها ضمن مجال المعالجات الرمزية،

ولتوضيح هذه الأمور ارتأينا أن نعالج هذا الموضوع ضمن  
العناصر الآتية:

\* المقدمة

أولاً: التركيب اللغوي والمكونات المباشرة

ثانياً: التحليل إلى المكونات المباشرة

ثالثاً: الصورة مع النظرية التوليدية التحويلية

رابعاً: الخاتمة

أولاً: التركيب اللغوي والمكونات المباشرة:

إن سبويه وإن لم يستعمل مصطلح التركيب إلا أنه استعمل مفهومه  
في قوله: "عنصرين لهما موضع الاسم الواحد"<sup>1</sup>.

فالمركبات من المضاف والمضاف إليه والمنعوت والنعوت  
والموصول وصلته والجار والمجرور تجري مجرى الاسم الواحد في الموضع  
أو الموقع الإعرابي<sup>2</sup>.

أما الجملة في نظر ابن هشام نوعان: جملة صغرى وجملة  
كبرى، حيث بين أن الجملة الصغرى هي أية جملة بسيطة ومستقلة بنفسها  
والتي يمكن أن تكون إما جملة اسمية، فعلية أو جملة كونية<sup>3</sup>.

أما الجملة الكبرى فتتألف من اسم كمبتدأ وجملة فعلية أو جملة  
اسمية كخبر، إن الجملة الكبرى يمكن أن تتألف من جملتين اثنتين: واحدة  
غير مستقلة بنفسها والأخرى مستقلة بنفسها<sup>4</sup>.

نستنتج أن التركيب الاسمي جزء من الجملة الصغرى أو الكبرى،  
فهو إحدى مكوناتها إما الأساسية

أو الثانوية، وهناك من عرف التركيب بـ: "...قول مؤلف من كلمتين  
أو أكثر لفائدة سواء كانت تامة كقولك: "العلم نور"، أو ناقصة نحو: "الجمال  
الإنساني... .."<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سيبويه: الكتاب، منشورات الأعلمي للطبوعات، بيروت، لبنان، 1967، 2/297.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه: 87/2.

<sup>3</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1998م، 2/224.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، 2/224-225.

<sup>5</sup> - صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993،

ص 87.

والتالي نستنتج أن التركيب أعم من الجملة من ناحية الإفادة، فقد يكون مفيداً أو غير ذلك، عكس الجملة التي تتطلب الإفادة، وذلك لوجوب توفر علاقة الاسناد فيها، أما التركيب عند السلوكيين فهو: وحدات كبرى بها وحدات صغرى لها "سلوك" داخل النظام<sup>1</sup>، إلا أن التركيب الاسمي المقصود في دراستنا، هو أحد مكونات الجملة إما الإيجابية أو الاختيارية، إنه ذلك المكون من النواة الاسمية ومكوناتها (الإيجابية أو الاختيارية) والذي يحتل موقعا في الجملة ويؤدي وظيفة فيها، وقد عرف مارتنيني التركيب بأنه مجموعة من المونيمات تؤدي وظيفة<sup>2</sup>.

واللغة العربية كغيرها من اللغات تتميز بخضوعها في تراكيبها ودلالاتها الإفرادية والتركيبية لقواعد خاصة من كل المستويات (التركيبية، النحوي، الصوتي، الصرفي، الدلالي)، ما يمكن الاجتهاد من أن ينفذ إليها تبعاً للاختلاف العلمي في تعديد القواعد، فعلوم اللغة العربية نشأت من خلال اجتهادات متنوعة في الملاحظة والتحليل والفهم البشري.

إن النظرية التحليلية مثلا تهتم بتحليل الكلمات إلى مكونات وعناصر، وهذه النظرة التحليلية تختلف من لساني إلى آخر، فكاتز وفورد قدما تحليلاً مميزاً للكلمات ودلالاتها وأحصيا في ذلك ثلاثة عناصر اتخذت كمفاتيح للتحليل وتحديد المؤلفات التي تشكل الكلمة وذلك لتعيين دلالتها وهذه العناصر هي: المحدد النحوي والمحدد الدلالي والمميز فهي تُعنى بتحديد مؤلفات الكلمة عبر خصائصها ومميزاتها الداخلية، فالمحدد الدلالي يقوم بتخصيص معنى شامل لكل تركيب، انطلاقاً من الدلالات الفردية للمورفيمات التي تؤلفه وتبعاً للطريقة التي تتألف بها هذه المورفيمات<sup>3</sup>.

والمميز يشرف على تلك الوظيفة التمييزية ويقتضي ذلك وجود تضاد بين الوحدات المميزة من ذلك التضاد الصوتي القادر على التمييز بين كلمتين من حيث المعنى كالتمييز بين الكلمتين: (تاب) و(ناب) فوجود التاء في (تاب) مكان النون في (ناب) قد ميز بين دلالة هاتين الكلمتين<sup>4</sup>، فالمحدد

<sup>1</sup> - المنصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع - في مقدمات كتاب كليله ودمنة - دراسة إحصائية وصفية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1982م، ص 15.

<sup>2</sup> - Jean pierre paillet, et André dugas : principes d'analyse syntaxiques, les presse de l'université du québec, 1977, p46.

<sup>3</sup> - ميشال زكرياء: الأسنوية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، بيروت، 1980م، ص 213.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه: ص 238.

النحوي مثلا يقوم بوظيفة التمييز بين دالتين لصيغة واحدة تأخذ إحداها في التركيب ووظيفة "الفعلية" والأخرى وظيفة "الفاعلية"، كالذي ذهب إليها العالم دي سوسير بحيث نظر إلى المعنى على أساس أنه مجموع تقابلات الصيغة المنتجة مع بقية الصيغ الأخرى "فكل لغة تنتظم في حقول دلالية، وكل حقل دلالي له جانبان: حقل تصوري وحقل معجمي، ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات أخرى في نفس الحقل المعجمي لتغطية أو تمثيل الحقل الدلالي، وتكون كلمتان في نفس الحقل الدلالي إذا أدى تحليلها إلى عناصر تصورية مشتركة، ويقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدلالي"<sup>1</sup>.

أما المكون التركيبي يقوم بإحداث دلالات إضافية للصيغة وذلك لاحتوائه على المكون الأساسي الذي هو جملة من القواعد (إعادة الكتابة)، والمكون التحويلي الذي تحدد معه المداخل المعجمية، وبكتابة التركيب بينيته العميقة تتم عملية الاستبدال بتحويل القواعد إلى جمل وتراكيب سطحية، ثم إن تحليل الصيغة إلى مكوناتها هو الذي يحدد مجالها الدلالي بتطابقها مع صيغ أخرى لها المكونات نفسها، ويكون للصيغة المعجمية دلالتها المميزة إذا حوت على مكونات تمييزية يوضح ذلك أحمد مختار فيقول: "إن معنى الكلمة طبقاً للنظرية التحليلية هو "طاقم الملامح أو الخصائص التمييزية"، وكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفرادها، والعكس صحيح كذلك، وعلى هذا يمكن تضيق المعنى وتوسيعه عن طريق إضافة ملامح أو حذف ملامح"<sup>2</sup>.

في المستوى التحليلي الإجرائي لبنى اللغة العربية توصل بلومفيلد (Ploomfield) وهاريس (Z. S Harris) في دراسة قواعد الجمل، وتحليلها بوصفها وحدات ممكنة في لغة معينة بمعنى يجب أن تتوافر فيها القابلية للتحقيق بهذا التصور لقواعد الجمل لذلك كان لابد من البحث عن معرفة المقاييس وبنائها، وكذلك اعتبار مجموعة من السلسلات الوصفية على أنها متتاليات لجمل ملفوظة (Phrases - enonces) فهي تشكل في نظر هاريس مؤسسة لشبكات من التكافؤ بين جمل وجمل متتالية، ويحيلنا ريمون طحان ودينين بيطار طحان إلى التجريد الذي لازم غراماتيكا الجمل وما تفرع

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي: اللسانيات واللغة العربية، ط1، 1986، منشورات عويدات، بيروت، ص 370.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م، ص 126.

منها من مفاهيم استقتها من اللسانيات وعلم الدلالة فمنها: أن الجملة التي تتمتع بالصحة الدلالية والمنطق اللغوي، هي التي تخلو من التنافر الصوتي، وتخضع بنيتها التركيبية لقواعد اللغة، أما إشكالية تحديد ماهية الجملة، فإذا كانت تتألف من عناصر تعود الى ثبت مغلق، ومن أصوات محدودة العدد ترتبط بالمعنى (...) ولكن ... هناك بنى وجمل تختلف في معناها وتتحقق بأشكال متشابهة، وهناك أيضا بنى وجمل تتشابه في معناها وتتحقق بأشكال مختلفة<sup>1</sup>.

### ثانيا: التحليل إلى المكونات المباشرة:

لقد ارتبط التحليل التوزيعي بالنزعة السلوكية فكان من أهدافها تحقيق الموضوعية في دراستها، وتجلت مبادئ، المدرسة التوزيعية في محاولتها دراسة توزيع الوحدات اللسانية عن طريق المدونة، غير أن الذي يميز هاريس هو تأكيده على العلاقات القائمة بين الجمل وتفصي إلى سلسلة من الجمل المتكافئة، وعليه فإن مبدأ التحويل الذي أقره هاريس يتضح في تحليل العلاقات التي تؤلف بين الجمل. وتوصل بلومفيلد إلى اكتشاف مبدأ لساني هام يعتبر أساسا جوهريا في تحليلاته اللسانية، سماه ب: التحليل إلى المكونات المباشرة، أي أننا نأخذ الجملة ونقسمها إلى مكونين اثنين، ثم نقسم هذين المكونين إلى مكونين آخرين.

<sup>1</sup> - ر. طحان ود. بيطار طحان: فنون التعقيد وعلوم الألسنة - لبنان - ص 292.

ونستمر في التقطيع حتى نصل إلى أصغر الوحدات التركيبية أي الـورفيمات<sup>1</sup>، والهدف من هذا المبدأ هو تحليل الوحدات اللغوية تحليلاً يهدف إلى الوصول إلى الوصف الصوري لبنية الجملة، فهو: "بيان أن بنية الجملة لا ترجع إلى كونها مجرد سلسلة خطية من الألفاظ وإنما هي تتميز باحتوائها على تدرج من العلاقات"<sup>2</sup>.

فمثلاً: الجملة التالية: زرع الفلاح بذور الجزر، نحللها كما يلي:

		(من أسفل إلى أعلى) *	
	ال	ال	
زرع	فلاح	بذور	الجزر
زرع الفلاح	بذور	الجزر	
	زرع الفلاح بذور الجزر		

<sup>1</sup> - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص 198.

<sup>2</sup> - Marie-Noelle Gary-Prieur, Les Termes clés de la linguistique, ed de seuil, 1999, p 18.

\* يُنظر إلى الجملة عبر هذا المبدأ التحليلي بوصفها سلسلة من القطع الصوتية يُراعي الباحث في تكوينها علاقات الإندراجية المنتظمة في شكل طبقات من الوحدات بعضها يكون بعضاً أو بعضها يندرج في بعض، للمزيد من التفصيل ينظر، الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية-دراسة تحليلية إبستمولوجية-، طبعة دار القصة للنشر، دت، ص 150.



والطريقة الشائعة لهذا النوع من التحليل هي التمثيل بالأقواس:

((زرع)(ال)(فلاح))(((بذور)(ال)(جزر))).

وأحسن طريقة لتمثيل العلاقة بين المكونات هي المشجر التركيبي:

زرع الفلاح بذور الجزر



فلاح

ال

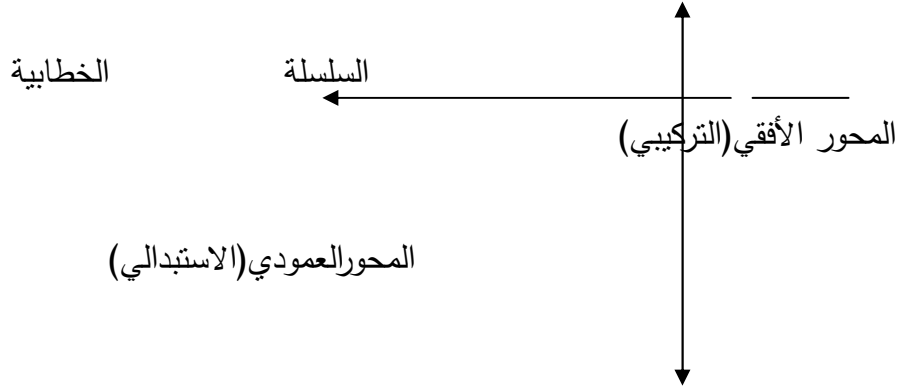
ال جزر

وإضافة إلى مبدأ التحليل إلى المكونات المباشرة للجملة، والذي يوصل إلى أصغر المكونات التي لا تقبل التحليل إلى ما هو أصغر وحدة ذات معنى (أي الوصول إلى المكونات النهائية)، استعمل التوزيعيون إجراء لسانيا آخر هو مبدأ الاستبدال بين وحدات الجملة وبين ما يمكن أن يقوم مقامها من الوحدات.

اعتمد هاريس بالإضافة إلى مبدأ التحليل إلى المكونات المباشرة مبدأ الاستبدال لأن الدراسة عنده لا تتوقف على وصف العلاقات القائمة بين وحدات الجملة وحسب بل إلى تطبيق إجراء العلاقات الاستبدالية. يقوم مبدأ التوزيع على ما تصنعه العلاقات على مستوى المحورين الاستبدالي والتركيبي، بحيث يكون للوحدات نفس التوزيع إذا كان لها نفس التواتر في السياق نفسه، ومن هنا فهي بذلك بدائل توزيعية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد حساني: مباحث اللسانيات العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 104.

(الرسم التالي يوضح مستوي التحليل)

**التحليل العمودي والتحليل التركيبي:**

ويمكننا البدء من الجملة القاعدية<sup>1</sup> للتعرف أكثر على كيفية التحليل بالاعتماد على المستويين، مثل: (نجح الطالب).  
فهاته الجملة تتكون من عنصرين: نجح والطالب.

على المستوى الاستبدالي: فلفظة الطالب تنتمي إلى فئة الاسم، ولذلك لا بد من البحث على الوحدات المعجمية التي بإمكانها أن تحتل موقع الطالب في المثال دون المساس بسلامة التركيب، ويمكن الحصول على ما يلي:

نجح	الطالب
	التلميذ
	الأستاذ
	الرجل
	.....

فكل هذه الوحدات المعجمية (الأستاذ، التلميذ، الرجل...) مقترنة ب (ال) مثل: الطالب، وهي صيغ مخالفة لصيغة ما قبلها (نجح) التي لا تقبل (ال).

<sup>1</sup> - 71\* الجملة القاعدية هي الجملة ذات التركيب الشائع الاستعمال مثل بنية "مسند إليه+مسند"، "مسند+مسند إليه"، "مسند+مسند إليه +فضلة".

إذن فالوحدات (الأستاذ، التلميذ، الرجل...) يمكنها أن تحتل نفس الموقع التوزيعي من المحور التركيبي، والتي يمكنها أن تؤدي أدوارا وظيفية أخرى في تراكيب مختلفة، مثل: هنا الأستاذ التلميذ. أما العنصر الآخر (نجح) فيمكننا إيجاد الوحدات المعجمية التي بإمكانها احتلال موقعها من الجملة،

نجاح	الطالب
اجتهد	
فاز	
رسب	

فلاحظ أن هذه الوحدات (اجتهد، رسب، فاز....) يمكنها أن تحتل نفس الموقع التوزيعي من المحور التركيبي الذي تحتله الوحدة (نجح)، وهي وحدات أيضا لا يمكنها الاقتران ب(ال) سواء كانت داخل الجملة أو خارجها.

وأما على المستوى التركيبي فإننا عندما نغير من ترتيب وحدات الجملة القاعدية، فإننا نحصل على بنيات أخرى قد تكون مقبولة أو غير مقبولة، لذلك لابد من مراعاة القواعد الاقترانية والمعجمية التي يظهر أثرها في المستوى التركيبي<sup>1</sup>.

إن الجملة القاعدية هي: (نجاح الطالب) وهي جملة مقبولة تركيبيا ومعنى، وعند تغيير ترتيب الوجدتين نحصل على: (الطالب نجاح)، وهي أيضا جملة مقبولة، إلا أنه في جمل أخرى فإن تغيير الترتيب قد يؤدي إلى جمل غير مقبولة، مثل تقديم النعت على المنعوت الذي لا تقبله العربية في مثل: المجتهد التلميذ نجاح فهي جملة غير مقبولة.

نستنتج أن الجملة المقبولة هي التي تخضع وحداتها لقواعد تركيبية معينة ينبغي مراعاتها ليكون المعنى سليما.

<sup>1</sup> - انظر مجلة اللغة العربية: مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، العدد الثالث، 2000م، ص 53.

## ثالثاً: الصورة مع النظرية التوليدية التحويلية:

## 1- الصورة:

تعدّ الصورة من أساسيات إخضاع قواعد اللّغة من أجل برمجتها كلياً بواسطة الرموز الرياضية، فهي عبارة عن مجموعة من الضوابط و القوانين لتركيب اللغة الداخلي و الخارجي، من الناحية الشكلية و الوظيفية لوحاداتها حسب المفاهيم المنطقية انطلاقاً من الاعتماد على أدوات رياضية تساعدنا على صورة أي شكل لغوي معيّن، فالصورة هي مادّة رياضية تستعمل فيها رموز لدراسة أي تركيب لغوي، كما تدرس التراكيب الجديدة والمحولة عن التراكيب الأساسية وذلك بفضل رموز وقواعد بسيطة.

## 2- النظرية التوليدية التحويلية:

جهود المدرسة التوليدية التحويلية هي امتداد لجهود بلومفيلد وهاريس صاحبها نوام تشومسكي ( N. Chomsky ) الذي تحدث عن الثنائية الكفاءة والأداء اللغويين، وإن ما يمكن استخلاصه من نظرية نوام تشومسكي تخطيها للدراسة السطحية التي تنتهجها اللسانيات البنيوية ولا تتعداها للبحث عن المستوى العميق للكلام ولا تأخذ مبدأ التأويل في حسابها، إن الدرس التوليدي التحويلي يعالج عملية التكلم ومكانيزماتها التي تظهر في الاستعمال المبدع للغة.

تعتبر النظرية التوليدية من أشهر النظريات اللغوية حالياً، ويعد (نوام تشومسكي) رائد هذه النظرية، وبالرغم من أن تشومسكي عاد بالبحث الدلالي إلى الطابع العقلاني الذهني إلا أن نظريته استطاعت أن تقدم تفسيرات علمية لظواهر لغوية تخص الدلالة.

تستند هذه النظرية على آلية توليد جمل صحيحة اعتماداً على كفاية المتكلم اللغوي ويعني ذلك توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل متكلم اللغة تتيح له ما شاء من الجمل، وقد انطلق تشومسكي للتدليل على وجود هذه الكفاءة، من تعلم اللغة عند الطفل، بحيث يبدأ الطفل إنتاج جمل لم يسبق له أن سمعها من قبل بناء على القواعد الكائنة ضمن كفايته اللغوية، والنظرية التوليدية تتخذ شكل قاعدة "إعادة الكتابة" أي أنها تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام برمز آخر أو بعدة رموز.

يبدو أن اعتماد هذه القواعد من شأنه أن يعقد عملية التواصل والإبلاغ، ولذلك تشترط القاعدة التوليدية وجود متكلم ومتقبل مثالين، لأن عملية التحام المعنى بالبنى اللغوية هي ليست بالعملية السهلة ذلك أنها تقتضي علماً كافياً بقواعد الإسقاط وبناء على ذلك: "يحتوي المكون الدلالي إذن على المعجم أو اللائحة بمفردات اللغة وعلى القواعد الإسقاطية التي تشكل قدرة المتكلم على استدلال معنى الجمل من خلال معنى المفردات"<sup>1</sup>.

لقد تحدث تشومسكي على وجهي الظاهرة اللغوية السطحي والعميق، أو كما سماه الظاهر والخفي وعليه حدد مصطلح "الكفاءة اللغوية" و"الأداء اللغوي" وقد أرجع العلماء هذه الفكرة إلى أصول فلسفية تعود إلى نظرية أفلاطون حول العالم.

"تقول نظرية أفلاطون إن للعالم وجهاً ظاهرياً نعتمد في إدراكه على شهادة الحواس وقد تكون هذه الحواس خادعة لا موضوعية فيها ووجه خفي حقيقي يدرك بالعقل.. أو كما يقول كانط أن العالم الظاهري يخفي عالماً حقيقياً"<sup>2</sup>.

إن الأداء اللغوي يمثل ظاهرة الخطاب في النظرية التوليدية، والكفاءة اللغوية تمثل حقيقة الخطاب، وعلى اللغوي في نظر تشومسكي ألا يبني أحكامه على بنية اللغة السطحية، وإنما عليه أن يصل إلى البنية التحتية العميقة، ليطلع على القواعد الذهنية التي تنتظم اللغة.

لقد توصل تشومسكي إلى أن العقل الإنساني يحوي آلية مكونة من مجموعة قواعد متناهية بمقدورها تحليل الجمل ومساعدة متكلم اللغة على إنتاج جمل لا متناهية بمعجم لغوي متناه فضلاً عن فهم الجمل التي لم يسبق له أن سمعها، ورصد الالتباس الحاصل في الجملة، وعوض التحليل المفهومي في النظرية التوليدية التحليل التوزيعي، الذي اتبعته النظريات السابقة في اللغة، فما الدلالة إلا مجموعة سمات تتحدد بواسطة المشير

<sup>1</sup> - ميشال زكريا: المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، ص20، عن مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد رقم 19/18 السنة 1982.

<sup>2</sup> - ميشال زكريا: المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، ص20، عن مجلة الفكر العربي المعاصر، رقم 19/18، لسنة 1982م.

الدلالي وذلك "في تعيين العلاقات الدلالية بين الكلمات المترادفة والمتزايلة أو المتضمنة الواحدة الأخرى"<sup>1</sup>.

اتخذ تشومسكي منهجاً عميقاً لا يعتمد الوصف، وإنما التحليل والتفسير للوصول إلى وضع معايير تحدد قدرة اللغة على الخلق والإبداع والابتكار بإعادة بناء "نسق المعاني" عن طريق قواعد التوليد والتحويل، ولذلك عُدَّت النظرية التحويلية التوليدية من أحدث النظريات التي قدمت تفسيراً علمياً موضوعياً لنظام اللغة ووضعت قواعد مرنة تصلح لأي لغة، لأنها قواعد تتسم بالشمولية والعالمية، واتجه الدرس اللساني، لا إلى تحديد ما هو موجود من السلاسل اللغوية السليمة فحسب، بل أيضاً إلى ما يمكن أن يوجد من التراكيب اللغوية غير اللائحة بواسطة مجموعة من القواعد التوليدية.

حاول تشومسكي الانتقال بالنظرية النحوية من نظرية مؤسسة على قواعد شكلية (règles formelles)، إلى نظرية أكثر تجريداً تقوم على المبادئ والمقاييس (principles and parameters) التي توجد في كل الألسنة ومنها يشكل النحو الكلي، ولعل مزيد التجريد هذا هو الذي يفسر ما جاء في برنامجه الأدنى (minimaliste)<sup>2</sup>.

وذلك لاعتماده على مبدأي التبسيط والإقتصاد (simplification et économie)، والهدف من ذلك هو أن تدرك النظرية النحوية المبادئ الكلية للألسنة البشرية .

### ج- البرنامج الأدنى:

مصطلح جديد يُراد به تسمية مقارنة جديدة للقواعد ضمن مدرسة القواعد التوليدية<sup>3</sup>، هذا يعني أنه يمكن تمثيل المعرفة اللغوية كنظام من المبادئ والقوانين وبصيغة قواعد توليدية، أي: نظام من المبادئ والقوانين التي تنتج الجمل القواعدية في اللغة وتحسب حساب الخصائص الشكلية للغة كالنحو وال fonologie والصرف وبعض جوانب الدلالة، إلا أن هذه المعرفة لا تتكون من قوانين بحد ذاتها بل من مبادئ تشتق منها القوانين التي تصف لنا

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

<sup>2</sup> - Neil smith :Chomsky –Ideas and Ideals-,2nd edn ,Cambridge university press,2004,p83.

<sup>3</sup> - مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م، ص 189.

بنية من الجمل بمكوناتها المختلفة، وأن تناسق القوانين يتسم بالكفاءة بقدر إحاطته ببُنى كل الجمل في اللغة التي يصفها، وبالتالي نستطيع التمييز بين الجمل الصحيحة الصياغة (القواعدية)، والجمل غير الصحيحة (غير القواعدية).

للبنية اللغوية مستويان عميق وسطحي<sup>1</sup>:

\* **فالبنية السطحية:** شكل لغوي قريب من الصورة المنطوقة المسموعة للكلام، إذا توقف المرء عن كل جزئية فيها لم يدرك الخصائص الحقيقية للغة، أما البنية العميقة: فهي البنية البسيطة المجردة التي تتولد منها أبنية سطحية متعددة وتشارك فيها الألسنة البشرية.

فالبنية العميقة تتمثل في راسم أركان الجملة التي تحتوي على الوحدات المعجمية، بينما البنية السطحية فهي البنية المحولة عن البنية العميقة بعد أن تطبق عليها مجموعة من القواعد التحويلية.

ترتبط بين البنية السطحية والبنية العميقة علاقة تحويلية تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية النحوية العميقة لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر فيها الجملة.

بالتالي فالتركيب العميق يقوم بدور المدخل للمكون الدلالي، والتركيب السطحي يقوم بدور الدخول للمكون الفونولوجي.

إن اللغة خاصية عقلية ذاتية للإنسان وليس كأمر خارجي (أي ليس متعلقاً بدراسة السلوك ونتاج ذلك السلوك)، ولذلك فإن تحديد القواعد هي وصف لهذه الحالة المعرفية المذوتة ولا يقتصر فيها على وصف جمل المعطيات اللغوية، فالقواعد تكون ناجحة متى كانت صادقة في تمثيل هذه المعرفة وفقاً لخواص العقل البشري.

تم الصورة انطلاقاً من الواقع اللغوي الذي اصطلح عليه تشومسكي ب: تقنية الناطق السامع المثالي: "يلجأ العالم إلى الأمثلة من جديد فيفترض أن المجموعة اللسانية متجانسة متشاكلة وذلك بصرف النظر عن الفروق التي يمكن ملاحظتها"<sup>2</sup>، أي الفروق بين أفراد هذه المجموعة اللسانية

<sup>1</sup> - chomsky noam :le langage et la pensée, traduit par :louis-jean calvet ,payot,paris,1970,p 60.

<sup>2</sup> - chomsky.N, réflexions sur le langage,maspero, paris,1977,p 179

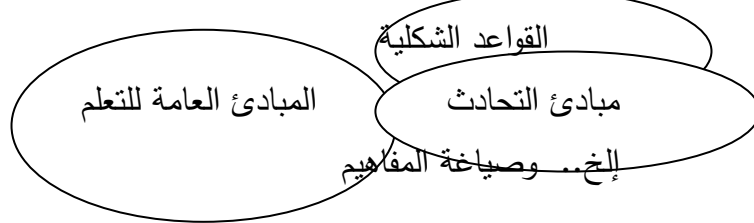
ظلت الدراسات الحديثة تتطرق من الظاهرة اللغوية (الواقع)، فالمحدثون اعتمدوا في تصنيف الوحدات اللغوية تصنيفا جديدا باختيارهم مقياسين هما: المعنى/ الوظيفة من ناحية والشكل من ناحية أخرى، والمعنى عندهم قُسم إلى معجمي ووظيفي<sup>1</sup>:

- المعنى المعجمي هو ما تفيده الكلمة مفردة معزولة عن السياق.  
- المعنى الوظيفي هو ما تفيده الكلمة مستعملة في سياق معلوم.  
وقد أُضيف إلى هذين المعنيين المعنى المقامي وذلك بالرجوع إلى ملابسات الخطاب.

إن الظاهرة اللغوية هي نتاج تداخل أو تفاعل عوامل وأنظمة عديدة يولف نظام القواعد عنصرا واحدا منها.

هذا التصور المتعدد الأنهاج أُطلق عليه: المقاربة النهجية أو المقاربة القالبية، حيث يكون كل من هذه الأنظمة نهجا أو قالبيا، والمخطط التالي يوضح تداخل هاته العناصر والأنهاج وفقا للتصور النهجي أو القالبية<sup>2</sup>:

الخواص الصوتية الفيزيائية      الفسيولوجيا علم نفس الإدراك



ذلك لأن النظام اللغوي يتألف من عناصر داخلية (internal) وعلاقات خارجية (external) وهذه العناصر الداخليتها الصادرة عند التحليل اللغوي، إذ هي تمثل نظام اللغة الداخلي "البنية"، أما العلاقات الخارجية فتتمثل في دراسة العلاقات القائمة بين البنية اللغوية وما يؤثر فيها، مثل الاجتماع، التاريخ، علم النفس.....

#### د- المحلل النحوي

<sup>1</sup> - انظر : حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1973م، ص 32.

<sup>2</sup> - مقدمة في نظرية القواعد التوليدية (م س)، ص 194.



يُعتبر المحلّ النحوي أساساً في المعالجة الآلية للغة العربية، يجري فيه تحديد بنية الجملة من حيث هيكلية مكوناتها ووظائف عناصرها، وإيجاد قالبها النحوي بالاعتماد على القواعد الأساسية من حيث تقسيم الجملة وتحديد قوابلها، وتقسيم الكلمات فيها لإيجاد العلاقة النحوية فيما بينها. فالجملة والقالب مصطلحان مختلفان ولكنهما متّصلان انّصلاً وثيقاً، فمثلاً "أكل الولد التفاحة" جملة، ولكن (ف + فا + م به)<sup>1</sup> قالب أي الكتابة الصورية (الرمزية أو الرياضية).

إن عدد القوابل الأساسية محدودٌ ومعروفٌ في اللغة، ويُمكن إيجادها من القواعد التوليدية والتحويلية. لهذا ينتج لكلّ قالب عدد لانهائي من الجمل، وبالاعتماد على مفهوم القوابل يمكن تصميم بُنى المعطيات النحوية التي تؤدي دوراً هاماً في عملية التحليل النحوي، وتتضمّن مجموعة الحقائق أوالتعابير الإعلانية للجملة العربية التي تصف العلاقة المنطقية بين العناصر والمفاهيم، وتُحدّد هذه التعابير انطلاقاً من قوابلها؛ مثلاً يُحدّد القالب "مبتدأ + خبر" بالشكل ("ت س", "ت س") أو ("ت س", "ت ف") أو ("ت س", "ت ح")<sup>2</sup>، وإضافةً إلى احتوائها على القواعد النحوية، يجب توفر وحدة ملاءمة وربط بين بُنى المعطيات ومحرّك البحث النحوي، وهو عبارة عن إجراءات مُبرمجة تقود إلى الحلّ المطلوب بربط القواعد والحقائق المعيّنة لتكوين خطّ الاستنتاج والاستدلال، فاللغوي تنتهي مهمته بجمع وتصنيف الصور الممكنة للقواعد الجمالية بتراكيبها المتنوعة، ثم تبدأ مهمة الحاسوبي (المختص في النمذجة الحاسوبية)، ليعيد كتابة تلك القواعد كتابة رياضية يُسمح بتقديمها للحاسوب لمعالجتها، وتكون هنا بمثابة برنامج محاكي للغة الطبيعية يُزود به الجهاز، وبالتالي يُسمح للجهاز بتحديد أشكال القوابل النحوية المُمكنة للجمل، وبالتالي تسهيل العملية، وعلى هذا يجري الوصول إلى الهدف المطلوب وهو القالب النحوي الصحيح للجملة وفقاً لعدّة مراحل:

\* تحديد بارامترات الجملة أي طولها (عدد تراكيبها).

\* تقطيع الجملة إلى تراكيب، بحيث يصبح كلُّ تركيب عنصراً من

عناصر القائمة له ترتيبه الخاص.

<sup>1</sup> - ف: فعل، فا: فاعل، م به: مفعول به.

<sup>2</sup> - ت س: تركيب اسمي، ت ف: تركيب فعلي، ت ح: تركيب حرفي.

\* تحديد بارامترات كل تركيب سواء كان اسما فعليا أو حرفيا، أي طوله (عدد كلماته)

\* تحديد الصور الممكنة للتركيب ضمن بُنى المعطيات، أي تحديد القوالب الممكنة.

#### رابعا: الخاتمة:

بعد هذا العرض المتواضع نخلص إلى النقاط الآتية:

- تعد المعالجة الآلية للغات الطبيعية من أهم المجالات التي تستفيد من الدراسات الصورية نظرا لما تقدمه من نتائج تساعد في إنشاء برامج منطقية تحاكي الأنشطة اللغوية ولها فوائد اقتصادية كبيرة.

- علم الرياضيات هو من العلوم المعتمدة في دراسة قواعد اللغة باستخدام الأدوات المنطقية والرموز الصورية.

- إن الصورة هي إعادة كتابة قواعد اللغة بصيغ متعددة لتمثيل التركيب اللغوي من حيث نوع الوحدات، علاقة الوحدات فيما بينهما و وظيفة كل وحدة في التركيب، ويكون ذلك انطلاقا من الواقع اللغوي الذي يضم عددا غير منته، أو منته من الوحدات والجمل المتكوّنة بدورها من مجموعة تراكيب منتهية، وبالتالي فإن لكل وحدة لغوية خصائص نحوية تركيبية بالإضافة إلى تميزها بنوع من الوظائف تؤديها في الجمل.

- الوحدات اللغوية التي تتكون منها الجمل داخل الواقع اللغوي منها ما هو أساسي فيها ومنها ما هو إضافي أي يمكن الاستغناء عنه (فضلة).

- التحليل إلى المكونات المباشرة يسهل عملية تحديد التراكيب، وهي خطوة أولى لصورة اللغة.

كل هذه الأمور تُدرس وتُضبط من خلال توصيف التراكيب بأشكالها المختلفة وبمواقعها المتنوعة في تركيب أكبر وهو الجملة.

#### المصادر والمراجع:

##### أ- العربية:

- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1998م.

- أحمد حساني: مباحث اللسانيات العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1988.
- أحمد مومن: اللسانيات: النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002.
- حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1973م.
- صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- طحان ود. بيطار طحان: فنون التعقيد وعلوم الألسنة لبنان .
- سبويه: الكتاب، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان 1967.
- عبد القادر الفاسي: اللسانيات واللغة العربية، ط1، 1986، منشورات عويدات، بيروت.
- محمد فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.
- المنصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع - في مقدمات كتاب كليلة ودمنة - دراسة إحصائية وصفية، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1982.
- مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.
- ميشال زكريا: الألسنية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، بيروت، 1980م.
- ميشال زكريا: المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، عن مجلة الفكر العربي المعاصر، رقم 18/19، لسنة 1982م.
- الدوريات:
- مجلة اللغة العربية: مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، العدد الثالث، 2000م.

ب- الأجنبية:

- Chomsky noam , réflexions sur le langage, maspero, paris, 1977.
- Chomsky noam , le langage et la pensée, traduit par louis jean calvet, payot, paris, 1970.
- Jean pierre paillet, et André dugas : principes d'analyse syntaxiques, les presse de l'université du québec, 1977.
- Marie-Noelle Gary-Prieur, Les Termes clés de la liguistique, edt de seuil, 1999.
- Neil smith :Chomsky –Ideas and Ideals-, 2nd edn ,Cambridge university press, 2004.

فاعلية الاختيار وتعليمته في اللغة العربية بين تقويم المعلم وتلقي المتعلم  
( قراءة ميدانية في نصوص كتاب اللغة العربية وموضوعاته / السنة  
الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجاً )

د. محمد الأمين خلادي  
جامعة أدرار

**الملخص:**

إن تعليمية الاختيار هي مزيج من النظم والمقاييس والقواعد العلمية الرصينة التي بها تستقيم العملية التربوية التعليمية التعليمية؛ ذلك أن الاعتباطية والفوضى في انتقاء المعلومة أو سوء إلقائها واستعمالها فيما لا يتلاءم والمنهاج الجديد المعتمد، مما يقصي الأهداف والمرامي المتوخاة ويشنت ذهن المعلم والمتعلم.

**Résumé :**

Le choix dans la didactique est un mélange des systèmes, des normes et des règles scientifiques solides qui gèrent le processus éducatif de l'apprentissage.

Puisque l'arbitraire et l'anarchie dans la sélection de l'information et/ou la mauvaise façon de la faire dévoile et ne coïncide guère avec le nouveau programme adopté, qui exclut les objectifs et les buts fixés et de distraire l'esprit de l'enseignant et de l'apprenant.

**مقدمة:**

في المبتدأ كان الخطاب المعجز قوله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. ﴾ سورة العلق، من الآية 1 إلى الآية 5، وهو الخطاب الفصل في حسم الرسالة الأدمية بصبغة الخلافة التي خولت لابن آدم عساه يفلح دنيا وأخرى.

من أجل ذلك طفق البشر يعملون فرادى ومثتى وزمراً بغية الوصول إلى غاياتهم المنشودة كغاية العلم والتعلم والتعليم... التي بها عرف هذا المخلوق الناطق العاقل، وهي غاية تفصل الخطاب في مدى وظيفية النطق واللغة « والوظيفية: FONCTIONNALISME ... إحدى نظريات علم الجمال وهي القول إن جمال الأثر الفني يرجع إلى منفعته... / والوظيفة في اللغة ما يقدر

من عمل... وتطلق الوظيفة في علم الحياة على مجموع الخواص الضرورية لبقاء الكائن الحي... / والوظيفي هو المنسوب إلى الوظيفة.../ والتربية الوظيفية هي التي تجعل ممارسة الوظيفة ضرورية لتنميتها»<sup>1</sup>؛ هي التربية اللغوية الوظيفية التي أحاول استباحت بعض أوجهها في هذا الطرح الذي أخاله من اليقانة بأسمى مكان، ذلكم وقع لغتنا العربية في واقع تدريسها وسط مدارسنا الجزائرية في شتى صورها المتنوعة، إذ نريدها لغة ذات فاعلية (Activité) تؤتي أكلها كل حين بإذن مجريها ومستعملها والناطق بها؛ لأن الفاعلية - هاهنا - هي «النشاط، أو الممارسة، أو استخدام الطاقة، نقول: فاعلية الفكر، أي نشاطه»<sup>2</sup> كقولنا فاعلية اللغة العربية وهي تساق إلى التلميذ والطالب والمريد في صورة مقبولة تحمله على تمثيلها فتغري به إغراء يفي بالأثر الحميد.

ومما لا مرأى فيه أننا بالغون ذلك المنتهى إن أحسنا الوسيلة بالكفاءة، والمنهج بالإخلاص، والنية بالعزيمة الفاعلة العنيدة، « باختصار علينا أن نترجم الحب إلى وعي، والوعي إلى ممارسة، وذلك بالتعميم والاستعمال اليومي على أوسع نطاق... لابد من تدعيم الوعي العام وتعميقه بوعي لغوي وعقدي، قوامه المعرفة العميقة والالتزام العملي، لا مجرد العاطفة المشبوبة، والحماس الظرفي»<sup>3</sup>، كيف لا وهي لغة إعجازية مشرفة ومحفوظة، هيأت للناطق بها أسباب الإظفار بالبلاغية، قال تعالى: ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ . سورة النحل، الآية 16. وذلك الذي سنحاوله كطريقة في استيعاب نظرية تعليمية الاختيار، ومقاربة السبيل المثلى في استيضاح ضادنا وتيسيرها على ألسن الناشئة زمن طلابها.

<sup>1</sup> د . جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ط/ 1979 ، ج 2 ، ص 136 .

<sup>2</sup> د . جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ص 581 .

<sup>3</sup> عاطف محمد بونس ، العربية أرقى اللغات الحية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 / 1998 ، ص 8 .

ولعل مما يثير الحسرة ويفوت الفرص على تلامذتنا وطلابنا أن هناك عيوباً كثيرة في العملية التربوية التعليمية القائمة؛ أخطرها الزخم الفائض والكثافة الهائلة التي يُشحن بها المبتدئ وخاصة في الطورين الأول والثاني من التعليم لعدم مراعاة مقاييس التدرج والسن والحجم الساعي ووسائل التعليم العملية، في حين نرى دروساً عديدة تُكرَّر تكراراً معيباً في المراحل اللاحقة كالتعليم الثانوي، وهذا بسبب استحواذ النظرة التجزيئية المخلة بالصورة الكلية المتكاملة المنتظمة وغياب الإتقان والانسجام في التنسيق بين الدروس اللغوية في جميع المستويات والشعب والمراحل، وانعدام التكافؤ بين المعطيات التربوية ووسائلها وأهدافها...، وقس على ذلك من مواقع الخلل والضعف التي تحدث في ثنايا الدرس اللغوي وانقسام الكتاب عن المنهاج وغياب الطرح الموحد بين المدرسين في طرائقهم وأساليبهم، فهي شذر ومذر.

إن التعليمية اليوم توسم بأنها إحدى الصروح العلمية التي تؤسس ناظمة تربوية تحيي اللغة، بل «إنها علم قائم بذاته له مرجعيته المعرفية ومفاهيمه واصطلاحاته وإجراءاته التطبيقية، فالتعليمية من هاهنا يمكن لها أن تحتل مكانها بجدارة بين العلوم الإنسانية...»<sup>1</sup> وهي بذلك تعقب المعلومة فنقومها وتبحث عن آلات إبلاغها بصورة علمية موضوعية ناجحة تؤثر في المتلقي، بإحداث قابلية التلقي ثم الاستجابة المستوعبة ثم الكفاءة المرجوة، كما « استخدم هذا المصطلح لأول مرة سنة 1961 م للدلالة على الدراسة العلمية لتعليم اللغات، وذلك قصد تطوير المحتويات والطرق والوسائل وأساليب التقويم للوصول بالمتعلم إلى التحكم في اللغة كتابة وشفاهة... وتنوعت فروعها فهي لا تبتعد عن كونها تهتم بالمواد الدراسية وبالبحث عن أنجع الأساليب في تخطيط محتواها وتنظيمه وتعديله»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> د. أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، د. م. ج. الجزائر، ط 2000، ص 130.

<sup>2</sup> تأليف مشترك بين مجموعة خبراء، مادة التعليمية العامة، وحدة اللغة العربية، الإرسال 1، المركز الوطني لتعميم التعليم، الجزائر،

1999، ص 12.

إن تعليمية الاختيار هي مزيج من النظم والمقاييس والقواعد العلمية الرصينة التي بها تستقيم العملية التربوية التعليمية التعليمية؛ ذلك أن الاعتباطية والفوضى في انتقاء المعلومة أو سوء إلقائها واستعمالها فيما لا يتلاءم والمنهاج الجديد المعتمد، مما يقصي الأهداف والمرامي المتوخاة ويشنت ذهن المعلم والمتعلم.

### العرض:

#### 1- اختيار التعليمية قبل تعليمية الاختيار:

تواجه المنظومة التربوية الجزائرية تحديات كبرى على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ فعلى الصعيد الداخلي تتوارد عدة تساؤلات وهموم شغلت وما تزال تشغل الكثير من القائمين على العملية التربوية، ومن تلك التساؤلات: ما مدى استيعاب القائم على العملية التعليمية للمنهاج التربوي المعتمد؟ وهل ثمة رضى وقناعة تربوية وعلمية من لدنه إزاء تلك التبديلات والتعديلات التي تطرأ بين الفينة والأخرى على مناهج المنظومة التربوية؟ وما مدى توافق تلك المناهج وقدرات المعلم وكفاءته وأهليته وفاعليته؟ ثم هل من سبيل إلى تحقيق رؤية بيداغوجية واحدة وترسيخها على الأقل - مدة كافية من الزمن- ريثما تتبين نتائج هذا المنهج أو ذلك؟.. أم أن سنة التبديل والتغيير باتت - هي أيضا- رهينة مبدأ السرعة والتسارع؟! !! وهل عمليات التأطير والتأهيل البيداغوجيين كافية وكفيلة بسد متطلبات ما اعتمد من منهج تربوي؟ وهل تتوفر فعلا الآليات والوسائل والأدوات اللازمة للشروع في هكذا منظومة تربوية؟.. أم على المعلم والمتعلم الاكتفاء بما يلقيه أو يُلقى عليه من تنظيرات وحشو وجرى وسرد؟! !!



أما على الصعيد الخارجي، فهل ما تبنته المنظومة التربوية من منهاج بيداغوجي جديد مستعار من صنوه الأجنبي، كسابقه - منهاج بيداغوجية الأهداف - حقيقٌ بالصمود والبقاء في ظل متغيرات أجواء السياسة التربوية الداخلية والخارجية على حد سواء؟ هل تمت مدارس واستقراء هذا المنهج الجديد وهل استوعبت أسباب تبنيّه وهل حُدِّت أبعاده واستُبحِثت أهدافه قبلاً أم نزل - هكذا - فجأة على ساحتنا التربوية دونما إشعار؟ أم علينا الرضوخ إلى المقولة التقليدية: النتائج تأتي بعد الأسباب؟ .. هل استوعب درس بيداغوجية الأهداف نُقَحَم من جديد في درس الكفاءات والمهارات؟؟ !!

إن مهمة اختيار المناهج التربوية الكفيلة باستقرار المنظومة التعليمية التعلمية أولى وأقمن بالعناية من النظر في كيفية إعداد المضمون واختيار النصوص وانتقاء المواضيع، لأن الهيكل أولى نشأة وتكويناً من المحتوى، ولهذا فالاهتمام بالمنظومة التربوية من حيث تركيبها العامة ومرجعيتها وتوجهاتها وأبعادها ووسائلها وأهدافها من الأولوية بمكان؛ إذ لا يُعقل الاكتفاء باستعارة آلة أو وسيلة دون النظر في البيئة أو الواقع الذي استُلِّت منه ثم المحل أو الحقل الذي ستعمل فيه، ومدى قابلية تأقلمها معه ومدى خضوعها واستجابتها لمقاييسه وأعرافه وقيمه... إن مهمة كهذه لهي خطوة ضرورية بل أساسية في النهوض بمشروع منظومة تربوية قارة وهادفة.

ثم إن التمعّن في خصائص المناهج التربوية التي تواترت على مؤسساتنا التعليمية في الجزائر، ومن خلال قراءتنا المتأنية للنموذجين الأخيرين "نموذج بيداغوجية الأهداف ونموذج بيداغوجية الكفاءات" نجد أن فكرة التقريب بالكفاءات هي امتداد طبيعي للتعليم البيداغوجي القائم على أساس الأهداف، و« يمكن أن نستنتج وبدون أي ريب، أن بيداغوجيا الكفاءات - على غرار بيداغوجيا الأهداف - نشأت في إطار الطرح الصناعي والتكنولوجي، الذي يسعى إلى تحقيق الفعالية والمردودية، بل يمكن القول إن تبني العديد من المنظومات التربوية لبيداغوجيا الكفاءات (الجزائر وتونس والمغرب وفرنسا وبلجيكا وغيرها...) يعتبر خطوة هامة، ليس فقط للاستجابة لمتطلبات المجتمع من موارد بشرية واقتصادية، ولكن للاستجابة أيضاً لملء الثغرات التعليمية التي كشف عنها علماء التربية بالنسبة

ليداغوجيا الأهداف»<sup>1</sup>، وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين النموذجين ألفينا بعضا من الفوارق المائزة بينهما؛ فمنها مثلا أن بيداغوجية الأهداف تركز على هدف عام ومحدد تنبثق منه أهداف خاصة عكس بيداغوجية الكفاءات التي تنطلق من أهداف عامة تتمثل في كفاءات متعددة منها القدرة على الفهم والاستيعاب والتحكم في آليات التفكير والتركيب وحياسة المهارات والإبداع، كما تعتمد الأولى على الجهد المشترك بين المعلم والمتعلم، بينما تكتفي الثانية بجهد المتعلم على وجه الخصوص، ويُعتبر المعلم في النموذج الأول المسؤول الرئيس في تلقين المعلومة وبث المعرفة، أما في النموذج الثاني فللمتعلم أن يسهم في عملية صياغة المعلومة وبشارك في بث المادة المعرفية حسب مكنته وعلى قدر جهوده المبذولة وكفاءته الذاتية... ومجموع القول في هذه المقارنة أن ثمة نقلة نوعية تتم بين هذين النموذجين، ففي النموذج الأول كانت تتم العملية التعليمية على النحو التالي:

المعلم ← المعلومة ← المتعلم

فالمعلومة هي واسطة العملية التعليمية، أما في نموذج التقريب بالكفاءات فقد أضحت تتم على أساس أن المعلم هو واسطة العملية التعليمية، أي على الشاكلة التالية :

المعلومة ← المعلم ← المتعلم

ولأجل ذلك، فلا بد من مراعاة هذه المفارقة الوظيفية والأخذ بمعطياتها ومتطلباتها ثم العمل وفق ما تقتضيه من آليات ووسائل لم تكن متاحة وقتئذ، لكن بعيدا عن التهاون أو التواكل أو المماطلة أو صلب جام المسؤولية على طرف واحد.. وقبل هذا وذاك: أن لا يُغفل الهدف الأساسي المنوط بالعملية التعليمية / التعلمية؛ ألا وهو نجاح عملية التلقي واكتساب الهدف المرجو لدى المعلم والمتعلم على حد سواء مهما اختلفت الطرائق والنماذج والمناهج...

<sup>1</sup> د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف وبيداغوجيا الكفاءات، قطعة أو امتداد، مجلة دراسات، جامعة عمار النقيحي، الأغواط،

الجزائر، ع: 03 -ديسمبر، 2005، ص: 181، 182.

ومهما يكن، فما من نموذج تعليمي إلا ويعتريه النقص والخصاصة، ولا ضير عندئذ من أن تطال نقائصه وفجواته نقودُ المختصين وتقويماتهم، ولعل هذا ما يدعونا إلى التملّي الدقيق والنظر العميق والبحث الحثيث عن مكامن النقص ومواطن الخلل في النموذج المراد تبنيّه قبل اختيار طبيعة المادة التعليمية التي نود تلقينها، ناهيك عن مطارحة الواقع الذي تتم فيه وخصوصيات أفرادهِ ومشاريهِم وسلوكياتهِم، لأن الواقع هو الكتاب الأول الذي تتفتّح عليه أعين الناشئة والمبتدئين، ولا أسمى من ذلك الهدف المنشود الذي نبغيه لهم.

## 2- تعليمية الاختيار بين الثابت والمتحول:

المراد بالاختيار - ههنا - عملية الانتقاء المنهجي والمعرفي للمادة أو النص أو المعلومة مطلقاً أي كانت ، ولكن وفق الشرائط العلمية والتربوية والمنهجية المتعارف عليها عالمياً في الدرس اللغوي والعلمي والبيداغوجي ؛ ولطالما أن الجزائر على غرار مثيلاتها من الدول العربية قد « عدّلتُ مناهجها غير مرّة، وعقدت الندوات والمؤتمرات لتقويم المردود التربوي، واعتمدت النظريات التربوية الغربية الحديثة، إلا أن ذلك كله لم يكن غير لبوس زاهٍ لجسد خاو ماتت فيه جذوة الإبداع والوطنية والتفكير الحرّ، حيث حُدث شكل التربية وبقي مضموناً تقليدياً يقيم الذاتية الفردية للطفل، ويخلق فرداً تابعاً مطيعاً يملك معارف شتى ولكنه غير قادر على الربط بينها <sup>1</sup>، ورغم ذلك فجميلٌ ما انتهجته المنظومة التربوية من جديد في التوجه والأسلوب والمنهاج والأهداف القريبة والبعيدة، وجميل كل ما من شأنه أن ينأى بمؤسسات المجتمع وقطاعاته التعليمية والتربوية والإنتاجية والخدماتية بعيداً عن مهاوي الإفلاس والركود والعيالة، لكن هناك ثمة انعطافة تستوجب الوقوف عندها ثم التأمل في ما سيؤول إليه مجتمعنا بعد جيل أو جيلين من تبني هذا الوجهة الجديدة، ونقصد بذلك التوجه الذي عقد العزم على تحويل المؤسسة التربوية التعليمية إلى مؤسسة إنتاجية عنوانها العرض والطلب والريح والخسارة، » فلقد كان من نتائج استخدام مفهوم الكفاءة كمبدأ منظم للمؤسسة الإنتاجية بصفة خاصة، وفي مجال العمل بصفة عامة، أن تسرب هذا المفهوم إلى ميدان التربية والتعليم، فأصبح ينظر إلى كل مؤسسة تعليمية/ تكوينية على

<sup>1</sup> سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص:128، بتصرف.

أنها مؤسسة للاستثمار والإنتاج، تشتغل وفق المقاربة النسقية بمدخلات وعمليات ومخرجات، لتحسين المردودية، وتحقيق الجودة في إنتاج الموارد والطاقات البشرية<sup>1</sup>، وعليه فإذا كان مفهوم التعليم بتقريب الكفاءات يقوم على الأسس الثلاثة: الحس المعرفي والحس الوجداني والحس الحركي فإنه من اليسير تقويم تلك الكفاءة من خلال سلوكيات معينة ومحددة قابلة للقياس والتقييم؛ ومنه فعلى قدر إنجازات المتعلم ومجهوداته تتحقق الكفاءة المتغياة، ويضحى عندئذ همّ المتعلم الإنتاج والجودة والمردودية، وبذل المزيد من ذلك حسب ما ترضيه متطلبات المؤسسات الإنتاجية الأخرى ليجد مكانا مناسباً في إحداها، وإلا فيُعاد إلى مؤسسته ليعاود الكرة من جديد ما أمكن ذلك.

إن إخضاع المؤسسة التربوية التعليمية إلى قانون السوق والعمل ليتطلب من العامل المتعلم الحرص على أداء وظيفته قصد الحصول على منتج يجب أن يتوافق ومعايير الجودة والإتقان، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتلقين الجيد والاكتماب المحكم والدرية الأوفى، لكن ماذا يجب أن يُلقن؟ وما هو الاختيار الأمثل للمادة التعليمية الخام التي يجب أن يتلقاها وما طبيعة عناصرها وألوانها وأشكالها وظلالها وتحولاتها؟

إن الكتاب المدرسي أو المقرر كما اعتيد تسميته هو سند بيداغوجي للمسار التعليمي التعليمي الموجّه للمعلّم عامة وللمتعلّم على وجه الخصوص، فهو يحتوي المواضيع المتعلقة بالبرنامج الدراسي الخاص بكل نشاط تعليمي أو طور تعليمي أو مستوى تعليمي، ويقدم بشكل عملي ومباشر المعارف والمفاهيم الأساسية من معلومات وشروحات وتمارين وأنشطة وقواعد وتلخيصات وتقييمات، وبعد مرور الكتاب المدرسي بمراحل عدة أهمها مرحلة ما بعد الاستقلال فمرحلة جزارة الكتاب ثم أخيراً مرحلة التجديد والتنويع، فقد أضحي لزاماً تولية هذا السند العناية التامة والاهتمام البليغ من حيث المضامين والأهداف التي سطرته سياسة المنهاج الدراسي الجديد، وكذا الكفاءات المتوخاة من كل مرحلة تعليمية.

<sup>1</sup> د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف وبيداغوجيا الكفاءات، قطعة أو امتداد، ص: 180

بعد النظر الدقيق والمراجعة المستفيضة لمحتويات جلّ الكتب المدرسية المقترحة لتعلم اللغة العربية في مختلف الأطوار التعليمية، لا بأس أن نكاشف عن بعض الملاحظات والنقود التي شدّت انتباهنا ونحن نستقرئ طريقة بناء نصوصها وكيفية انتقاء مواضيعها، ومن أجل ذلك فلا بد من التنويه بدءاً بإيجابيات هذه الصيغة البيداغوجية الجديدة الهادفة إلى تحقيق الكفاءات اللغوية الأساسية: الإصغاء والتحدث والقراءة والكتابة؛ فمن محاسنها تبسيط جلّ المعارف والمعلومات وجعلها في متناول التلاميذ حسب مستوياتهم الدراسية، وكذا إشراك المتعلم في عملية التحصيل والتلقي وتحسيسه بروح المسؤولية التربوية المتمثلة في الاعتماد الكلي على قدراته ومهاراته، بالإضافة إلى اشتغالها على الطابع الجماعي من حيث الأداء، وكذا الصيغة الإدماجية القائمة على مبدأ توجيه المتعلم نحو تشكيل روابط منطقية بين مختلف الأنشطة التي يتلقاها من جهة، وبين معطيات العملية التعليمية وواقع مجتمعه من جهة أخرى، ومن محاسنها أيضاً إعداد المتعلم وتهيئته لمواجهة مواقف ووضعية جديدة بإعطائه حرية التصرف في اتخاذ الموقف الملائم وكذا استعمال مكتسباته وقدراته الخاصة في ما قد يطرأ من وضعية مختلفة، ومنها أيضاً ميزة التقييم الذاتي وبيداغوجية المشروع المدرجيتين في نهاية كل وحدة أو محور تعليميين أو فصل من فصول الكتاب، ومما يُحمد لها أيضاً انتقاؤها لبعض النصوص والموضوعات المتضمنة لآليات وكيفيات نوعية دقيقة من شأنها الإسهام في ترسيخ التربية الاجتماعية والمدنية والأخلاقية والثقافية...

ومن النقائص والسلبيات التي نراها قد اعترت بعضاً من هذه المضامين؛ عدم مراعاة بعض المقاييس والمعايير الضرورية كمقياس الحجم الساعي وأعمار التلاميذ... فكم من نصّ مختار لا تكفيه حصة أو حصتين وكم من موضوع لا يتلاءم وسن التلميذ...، ومن ثمة فهناك إشكالية في اختيار النصّ أولاً ثم في طريقة عرضه وتحليله ثم استيعابه؛ فعلى اختلاف مشارب المؤلفين - وواضعي النصوص الأدبية المقررة- وتفاوت أذواقهم وتوجهاتهم كان لا بد من النظر في هذه الخطوة بتدبر وتمعن دقيقين لئلا تتعارض تلك المختارات والأهداف المقررة من كل نص أو وحدة أو برنامج تعليمي، فمن أولئك من يميل إلى اختيار النصوص الشعرية أو النثرية المشهورة ومنهم من يجذب

النصوص المغمورة؛ وهذا ما ألفيناه جلياً في بعض الكتب المقترحة، وفيما يتعلق بدور وزارة التربية الوطنية في هذا الصدد فثمة عدم تنسيق بينها وبين دور التأليف والنشر والمختصين بأدب الطفل وثقافتهم عامة؛ إذ يقول الكاتب رابح خدوسي مدير "دار الحضارة للنشر والتوزيع" أن ثقافة الطفل وأدبه في المنظومة التربوية ناقص جداً مؤكداً أنه «من حيث المنهاج فهي تقدم كتاب وأدباء أغلبهم من خارج الجزائر، وقليل جداً من الكتاب الجزائريين الذين ترد أسماؤهم في الكتاب المدرسي»<sup>1</sup>، كما لاحظنا أيضاً أن بعض النصوص المقدمة معقدة في بعض مفرداتها المعجمية، ونحن نعلم أن المنهاج الجديد يعتمد على اقتصاره على شرح يسير لبعض معاني المفردات، ثم إن الشرح المعجمي لا يكفي وقد يتعارض أحيانا مع سياق المفردة داخل النص، وهذا مما يستوجب على المعلم أن يوضح ما أشكل على المتعلمين في ذلك، ويتطلب ذلك مدة زمنية ليست باليسيرة، وهذا مما يعطل ويؤخر ويقصي بعض عناصر العملية التعليمية فيخلّ بسيرها وأدائها الجيد، وإذا كان الهدف الأساسي من تدريس اللغة العربية أن يتشبع المتعلم بالمشاعر التي يتضمنها النص ويتمثل قيمه الجمالية والفنية والأدبية واللغوية والفكرية والنفسية والاجتماعية، فهذا ما ألفيناه يتعارض وبعض النصوص المنتقاة في بعض الكتب، ولأن النص الأدبي يجب أن تتوفر فيه الجمالية الأدبية واللغوية والبلاغية والنحوية مع المضمونية المعنوية التي تكفل للمعلم والمتعلم حقلا معرفيا شاسعا يتفاعلان فيه، فهذا لا يعني انتقاء النصوص ذات الغموض اللغوي والتعقيد النحوي والأحادية في الدلالة والوظيفية والإيصال، ومن مآخذ هذا الطرح الجديد أنه قد اعتمد في بعض الكتب مختارات حافظت على مبدأ التسلسل الزمني للأدب بدءاً من عصر ما قبل صدر الإسلام إلى العصر الحديث، بيد أن أخرى قد أهملت هذا الترتيب، وهذا مما قد يكون عائقاً دون الفهم لدى بعض التلاميذ، ومن ذلك أيضاً اختيار بعض النصوص البعيدة عن اهتمام المتعلمين ورغباتهم وواقعهم المعيش، وفي مقابل ذلك تغييب بعض النصوص ذات الصلة الوثيقة بطبيعة العصر وتحدياته والمرحلة النفسية لدى المتعلمين، وإذا كان « من سبل الترويج للعربية إعداد المناهج

<sup>1</sup> جازية روابحي، واقع أدب الطفل في الجزائر، مقال منشور بتاريخ 31 أكتوبر 2007، تحقيقات وآراء، مركز الأخبار، أمان، www،  
بتصرف

الجيدة الصالحة والموائمة لهذا العصر، فالمنهج الجيد مع الأستاذ التقدير والطالب الجاد هي القواعد الأولى في صرح العملية التعليمية الناجحة في عصر التطور العلمي والتكنولوجي، وإعداد المنهج في مادة اللغة العربية يتطلب اختيار طاقات من ورد بستانها الوارف، وتراثها العظيم، وتقديمها للأجيال لكي يتعرفوا على خصائص هذه اللغة الخالدة، ومزايا اللسان العربي المبين»<sup>1</sup>.

لقد تعددت منابع المعرفة وتنوعت مصادر المعلومة « ولاسيما منها وسائل الإعلام المرئية، حيث ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل - بما تملكه من نفوذ جماهيري- إلى معاول تنسف اللغة، وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى الحضيض. لاسيما إذا كان التلاميذ يقعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون فوق مقاعد الدراسة، فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضاوا 20000 ساعة مشاهدة في مقابل 15000 ساعة في المدرسة، ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية نقيم جسرا منيعا مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم معرفية عديدة، قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل مزاحمته»<sup>2</sup> ؛ ولهذا « فليس بمستغرب أن نجد انتشار ظاهرة تراجع المستوى الدراسي لأطفال التلفاز فضلا عن تدني قدراتهم العقلية والخبرات الخاصة نتيجة حرمانهم من ممارسة القراءة، يقول برونو بتلهاييم، Bruno Bettelheim : التلفاز يأسر الخيال لكنه لا يحرره أما الكتاب الجيد فإنه ينبه الذهن ويحرره في الوقت ذاته... فتصبح القراءة ممارسة سطحية، ويرجع السبب إلى الانتباه المسترخي غير المركز ( السلبية العقلية ) المصاحب للمشاهدة التلفازية الذي يعوق نمو قدرة الأطفال على تفسير المادة اللفظية بطريقة ذات معنى مما يجعل عملية القراءة والتحصيل شاقة جدا»<sup>3</sup>، فأنتى لهم - والحال هاته - أن يفقهوا لغتهم ويتقنوها وأن يحبوا عربيتهم ويتبنوها؟!،

<sup>1</sup> د. محمد رفعت زنجير، قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجهها اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة :

<http://www.dmr.50g.com/m2.htm>

<sup>2</sup> علي حمودين، اللغة العربية في ظل الإعلام والعلوم، أي واقع؟ أي مصير؟ مداخلة، الملتقى الوطني الثاني لقضايا النحو العربي جامعة عبد الرحمان ابن خلدون، تيارت.

<sup>3</sup> أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات والمواجهة: [www.alfal@yahoo.com](http://www.alfal@yahoo.com)

ولأجل ذلك لا بد من انتقاء النصوص الأدبية ذات المجال الرحب للدراسة والتتقيب والتي تتسجم مع المنهج التكاملي والأسلوب الشامل الذي يخترق عوالمها، وكذا اختيار المواضيع القريبة من واقع الفئة المتعلمة وأعمارها، ولا فرق في ذلك كله بين الانتقاء من تراثنا الأصيل أو حاضرتنا المعاصر؛ « والظن بأن الأمة العربية مرشحة للتبعية الكاملة للغرب في القرن الحادي والعشرين إذا لم تتدارك أمر حاضرتها المفضي إلى مستقبلها. أو فلنقل إنها مدعوة لانتقاء العناصر الإيجابية من الماضي والحاضر لتجعلها عماد الثقافة العربية عموماً، والثقافة المستقبلية للطفل العربي خصوصاً. والعناصر المنتقاة هي التي تُشكّل جوهر التربية العربية الجديدة، جوهر العمل والمواطنة والانسجام والجماعة والابتكار والأخلاق. إنها الثوابت الجديدة القادرة على مواجهة متغيرات المستقبل»<sup>1</sup>.

و من جهة أخرى « علينا أن ندرك أن النحو والصرف والبلاغة وسائل لتمثل النص وتذوقه وليست غايات بحد ذاتها، ويستدعي هذا أن يكون النص محورا لدراسة علوم اللغة مندمجة لا مفرقة في حصص مستقلة يسأم فيها الطالب من رتابة البحوث وينفر من لغته بدل أن يحبها ويتقبلها. فالعملية التعليمية / التعلمية للغة يجب أن تتحرر من التجزيئية والقواعدية، واعتماد النص محورا للنشاط اللغوي كله»<sup>2</sup> ، لكن هذا لا يمنع من احتواء الكتاب على ملحقات مبسطة لعلوم النحو والإعراب والصرف والإملاء (كفاءة الكتابة) والصوت واللسان (كفاءات الإصغاء والتحدث والقراءة)، مما يثري رصيد التلميذ ويساعده حفظاً واستيعاباً واستذكاراً وفهماً لأن « للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها: كالقلب المكاني، والنحت، والتعريب.. وغيرها. ومن مرونتها كذلك، الظواهر الصوتية من إبدال، وإدغام، وإظهار، وإخفاء، وروم، وإشمام، وأيضاً اسم المكان - الزمان - السببية - الحرفة - الأصوات - المشاركة - الآلة - التفصيل... وغيرها»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، ص: 130 ، 131

<sup>2</sup> د. حسن بن فهد الهويمل، النص الإبداعي التربوي، إشكالية الاختيار والدرس، مجلة المعرفة، ع: 38 ، جمادى الأولى 1419 هـ، سبتمبر 1998 م. [www.bab.com/articles/full\\_article.cfm](http://www.bab.com/articles/full_article.cfm)

<sup>3</sup> أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات والمواجهة.



و لا بد من الوقوف هنا على قضية هامة وخطيرة، ألا وهي تغييب تقنية الإعراب التعليلي في كثير من الأنشطة والتدريبات والتمرينات وإبدالها بالإعراب الاجتزائي الذي أحال جمال الإعراب العربي إلى عشرين مفككة موضعياً؛ وفي هذا مغالطة وتناقض كبيرين فيما هو كائن وما هو مأمول من المتعلم في الظفر بكفاءة التحكم في قواعد لغته وحسن التصرف فيها وبها؛ إذ كيف يُعقل أن يُطلب منه إعراب جملة دون تعليلٍ وافٍ تترسخ به القاعدة النحوية في ذهنه أو كيف به إذا صادف وضعية إعرابية أخرى شبيهة بسابقتها؟! إنه بهذه المغالطة التعليمية / التعلمية سيعتقد أن المثال أو النموذج التطبيقي هو القاعدة لا محالة، والميدان خير شاهد على هذا؛ فهذا ما عودنا عليه وفاجأنا به الكثير من التلاميذ حينما يجيبون عن سؤال يتضمن مثلاً ما بمثال آخر، أو محاولتهم الاستعانة بمثال سابق...؟؟ ثم أليس هذا ما نجده في مادة الرياضيات مثلاً؟! ثم إن ذلك مما يقتل روح الموهبة والإبداع وشتى الروابط المنطقية لدى المتعلم؛ « إذ يُعرف الموهوب في الحقل الأدبي من تفوّقه في القراءة والتعبير، وميله إلى المطالعة وتذوّق الجمال في النصوص المكتوبة والمسموعة، وقدرته على مخاطبة الآخرين وإيصال أفكاره إليهم، وإسهامه في النشاط اللغوي العام، واندفاعه الذاتي للنقد والحكم والتحليل. ويُعرف المبدع من تحلّيه عادة بالدلالات الخارجية السابقة الخاصة بالموهوب، إضافة إلى القدرة على الإنتاج الإبداعي الذي يتصف بالجدّة.. ومن المفيد أن أنصّ على أن الموهوب يصير مبدعاً، والمبدع يصير عبقرياً، إذا توافر المناخ التربوي الملائم.. وهذا يقودنا إلى أن تربية الإبداع لدى الأطفال يجب أن تُعنى بالموهوبين أولاً لأنهم أكثر عدداً، ولأن هذه العناية قادرة على قيادة الموهبة إلى الإبداع إذا توافرت في الموهوب قدرات كامنة تستطيع التربية إثارتها وحفزها على الظهور. وربما برز العبقرى من صفوف المبدعين إذا كانت القدرات الكامنة والاستعدادات الوراثية أكثر أصالة وميلاً إلى العمل»<sup>1</sup>.

و فيما يلي نعرض نماذج تمثيلية موجزة في رصد ملاحظات حول

توظيف اللغة في المرحلة الابتدائية ضمن كتاب اللغة العربية:

<sup>1</sup> سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص: 27 ، 28

1 - التدريبات المقترحة في كتاب اللغة تتميز بالتمطية الموحدة في كل الدروس تقريبا ( تفتقر إلى التنوع )؛ فثبوتية العمليات وعناوينها غير حيوية، بل هي رتيبة جافة غالبا مثل:

ضع خطأ/ ضع دائرة/ كوّن/ هات...، دون تنوع في طبيعة العمليات، مما يغيب الاستنتاج وإعمال الذكاء والتفكير والتصرف في المسائل والمشاكل اللغوية.

2- التدريبات المقترحة في كتاب اللغة يغيب فيها تدريب المتعلم على الإعراب بشكل كبير، وبخاصة في السنة الرابعة لغياب معالجة المكتسبات السابقة في شكل مراجعة للتحصيل السابق في المعلومات.

3 - غياب تخصيص وقفة تقويمية افتتاحية لمراجعة المكتسبات القبلية لدروس اللغة عند بداية كل مقرر جديد بين سنة وأخرى.

4- غياب تكرار دروس اللغة بين السنة الرابعة والسنة الخامسة، ذلك لأن إقصاء عملية التكرار معناه إفشال عملية الترسخ لمعلومات لا تثبت إلا بالتكرار، ناهيك عن فائدة التكرار قياسا بالمستويات المتوسطة والضعيفة وكذا التلاميذ الذين يتغيبون لأسباب مقبولة، فالتكرار آلية للتواصل والربط والترتيب.

5 - في السنة الرابعة يطالب المتعلم بتصريف الفعل المعتل وهو لم يتعرف عليه بعد.

6- في السنة الرابعة يتعرف المتعلم على أماكن كتابة همزة الوصل وهو لا يعرف همزة الوصل؛ فلا يُعقل أن يُطلب من المتعلم معلومة لاحقة دون استيعابه السابقة، لهذا يجب تقديم مفاهيم أولية مبسطة في الصرف والإملاء قبل التدريب عليها.

7- تثبيت العمل بالمقاربة النصية، فهي ناجحة إلى حد بعيد من جهة الإفادة من المعلومة اللغوية بأنواعها ضمن فضاء النص، حفاظا على ذهن المتلقي.

وعلى الرغم من كل ذلك تبقى الدراسة الميدانية والعملية في مثل هذه الدراسات هي الفيصل الوحيد في استيضاح الكثير من الغموض الكامن في ثنيات هذه الصيغة المنهجية الجديدة وفي كشف نقائصها وسلبياتها ،

وهذا ما سنحاول معالجته في الصفحات المتبقية من هذا العرض بشيء من التركيز والإيجاز بما يسمح به زمن هذه الدراسة والله الموفق .  
تقويمات وحصائل لما سبق: من المعالم التربوية والتقويمات المستخلصة والحصائل المتوخاة كأثر، ما يلي:

1- التحول من فقه التقنية إلى توظيفها، بعد أن حبيننا مقدرة المتعلم على محاولة التعليل الإعرابي، ولا أقول محاولة الإعراب، وقد غدت هذه المحاولة عقيمة معطلة، بفعل عوامل عدة، أخطرها وأشهرها الإعراب الاجتزائي الذي أحال جمال الإعراب العربي إلى عضين مفككة موضعيا... وغير هاتيك كثير.

2- ازديان العملية الإعرابية بفقه اللغة العربية والتفرس في لطائفها وخصائصها، كالذي نلمحه آن ربط الشاهد اللغوي أو المادة اللغوية بجوهرها الذي تنشي به، فتسكب اللغة العربية أثرها في المتكلم المتذوق المنشي، وعندها فقط تبلغ تعليمية الإعراب التعليلي بناءها لشخصية المتعلم فكرا ولسانا وسلوكا ونظما معرفيا ونفسيا وعقائديا وروحيا واجتماعيا وحضاريا...

3- استحداث نشاط التطبيقات اللغوية بواسطة النصوص نشاط لغوي تربوي تعليمي / تعليمي قد يحقق اكتساب مهارات كثيرة كالقراءة الصامتة والفهم والتعبير الكتابي وإثراء القاموس والكتابة الصحيحة...<sup>1</sup>، وهو منظور من شأنه أن تستوي به الذائقة الإعرابية لدى المتعلم، خاصة لو تصطحب بمعيته طريقة التعليل الإعرابي التي توازي حل التطبيق اللغوي وسؤاله بالشفاهة ثم الكتابة، وهو تعليل يصل بين كل بنيات النص، فتصطنع هذه الطريقة نظام الاكتساب المهاري للإعراب، فلا ينزلق مرید الإعراب إلى الاعتباطية أو الغش أو المحاولة كما انفق... وإنما يأوي إلى ركن شديد من العلمية.

4- تدريبات على التربية اللغوية ولو شفاهة في خلال الدرس، بطلب الإعراب وتعليل الحركة غير منعزلة عن السياق والمعنى؛ وهذا تحسيس تربوي مسؤول عن جسامه العناية بالنطق الصحيح والكتابة السليمة.

<sup>1</sup> ينظر ، التجيني محمد بن صالح ، تعليمية التطبيقات اللغوية بواسطة النصوص ، السنة السادسة أساسي ، المركز الوطني للوثائق التربوية ، الجزائر ، مارس 1999 ، ص 4 ، 5 .

5- وأكثر من ذلك حمل المتعلم على تدواق لغته توظيفاً وشعوراً خالصاً وتصديقاً عملياً، وذلك في وظائف سابقة على الامتحان، حتى إذا جاء الامتحان يولج المدرس علامات خاصة بتقويم اللغة والأسلوب والإعراب والتركيب... وهذا في عموم الامتحانات والبحوث والإلقاءات... إن أريد محاربة الجرثومة (الفيروس) قبل تفحلها أكثر مما هي عليه في كل مستوياتنا...! ألم يأن للذين يشرفون على العربية ويدرسونها تفعيل هكذا من المقترحات والبدائل والنصائح. . . ؟

6- تخصيص أيام تكوينية مركزة تُحسس مدرسي اللغة العربية في كل المراحل، بل وغير أولئك من المدرسين، بالتركيز على المنهجية الصحيحة الواضحة والمتزنة السريعة في توصيل المعلومة أيًا كانت علماً بقناعة فحواها أنه لا تتجح المعلومة إن أسيء لمفتاحها اللغوي.

7- محاولة تعميم الاستعمال اللغوي الصحيح ضمن آليات كثيرة متنوعة كالمطويات الدقيقة المختزلة، التي تغري المتكلم بأساليب عربية ميسورة هادفة في الاختصاصات الشتى، إشعاراً بدرجة العربية كما أي لغة في الإفهام والتفاهم علمياً ونفسياً واجتماعياً وتلقياً وجمالياً.

#### مقاربة مركزة في النتائج والاقتراحات والتوصيات:

1- لا أزعم أن في هذا التصور مجانية الزلل والنقص، كما أنني في مسيس الحاجة إلى الرؤى الهادية إياي إن ضللت الطريق، ولكنني أملك قناعة طمأننتي بجدوى هذه الطريقة خلال تجربتي التعليمية والتربوية المتواضعة، وإن ثمة نفعاً متجلياً آنسه معظم من أرشدته إلى هذه الطريقة، وبالأخص لما أفردتها بأساليب متميزة عنوانها التحسيس بوزن اللغة العربية وعلاقتها بالمعارف الشتى، فلا فعل ولا نجاح ولا نصارة لتلك المعارف من غير لسان قويم، وهذا كله قد عاينته في توقيعات من مبتدأ محاولتي هذه في حين أترجى رسم الأفق نحو المنتهى كقراءة تقويمية للمحاولة. ولنتأمل قول الحكيم:

لغة إذا وقعت على أسماعنا      كانت لنا برداً على الأكباد  
ستظل رابطة تؤلف بيننا      فهي الرجاء لناطق بالضاد

2- يجب إعادة النظر في طريقة تكوين المعلمين والأساتذة، إذ يجب أن تكون وظيفية في شكل أعمال مفردة قبل الجماعية، يقومها

مختصون من المفتشين والمعلمين والأساتذة الخبراء، دعماً لجهود المفتشين، وبخاصة اللغة العربية مفتاح كل الأنشطة والمعارف.

3- ضرورة دعم كل مقرر بنشاط إدماجي يكون تقويماً شاملاً لمقرر السنة السابقة.

4- ضرورة إعادة النظر في كثافة الوحدات التعليمية المقررة في السنة الثالثة والرابعة، مع ملاحظة العطل واعتباراتها الثابتة والمتحركة.

5- التسريع باستدراك الدرس الإعرابي المفصل المتدرج بدءاً من السنة الرابعة؛ فالإعراب هو المحور المركز والمعمق في الأنشطة اللغوية، خاصة وأن المدرسة الجزائرية تعاني ضعفاً ملحوظاً وخطيراً في هذا الدرس بالذات.

6- يجب الانتباه مستقبلاً إلى مقياس الزمن في بناء المناهج وإعطاء الفرصة للمختصين والخبراء في مراجعتها وتقويمها قبل اعتمادها، مع مراعاة إشراك كل أرجاء الوطن، ومقياس الجد ثم الخبرة.

7- فورية التقطن إلى ما يحارب اختصاص اللغة العربية في الجزائر، ولهذا نتساءل: أئمة مقياس علمي أو منطقي أو موضوعي يتم به توجيه ذوي المعدلات الدنيا إلى هذه الشعبة؟، إذن فلا مناص من توحيد مقاييس القبول في الثانوية وكذا الجامعة.

8- مراعاة اللغة العربية في كل الاختصاصات، لا سيما مراحل ما قبل الجامعة.

9- التفكير بجد في تقويم السلامة اللغوية ضمن الامتحانات والبحوث وتحسيس التلاميذ والطلبة بذلك في كل التخصصات، وذلك بمنح علامة تخص هذا الشأن.

### جزء الدراسة الميدانية

#### 1 - منهج الدراسة:

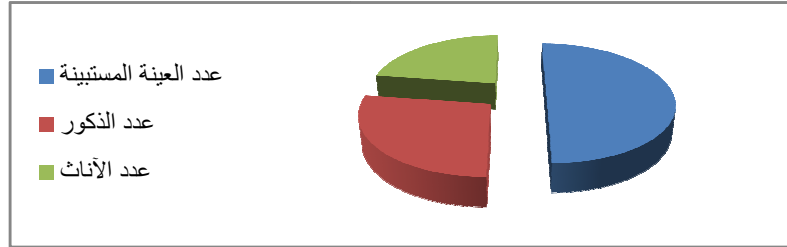
بنيت معالجة هذه الدراسة على اتباع مناهج ثلاثة تتمثل في المنهج الوصفي والمنهج العلمي المقارن والمنهج التحليلي، فالأول لإعطاء تقرير وصفي لسيرورة العمل الميداني، أما الثاني فهو يساعد على تحديد الأسباب التي تقف وراء نجاح أو إخفاق تعلمية الاختيار في نصوص كتاب اللغة العربية ( السنة الخامسة نموذجاً )، بينما الثالث لتحليل النتائج

المحصل عليها اعتماداً على وسيلة الاستبيان كأداة في جمع البيانات ودراسته وفق المحاور التي بنيت عليها هذه الدراسة والتي تهدف تحديداً إلى تقديم قراءة تقويمية حول " تعليمية الاختيار وفاعليته التربوية بين تقويم المعلم وتلقي المتعلم ( قراءة في نصوص كتاب اللغة العربية وموضوعاته / السنة الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجاً ).

## 2- الإطار الزمني للدراسة:

### 3- مكان الدراسة:

طبقت هذه الدراسة في ولاية أدرار وشملت 07 مدرسين و03 أساتذة بمجموع 11 فرداً، كما هي مبينة في جدول رقم 01 / الملاحق، والتي يمثلها المنحنى التالي:



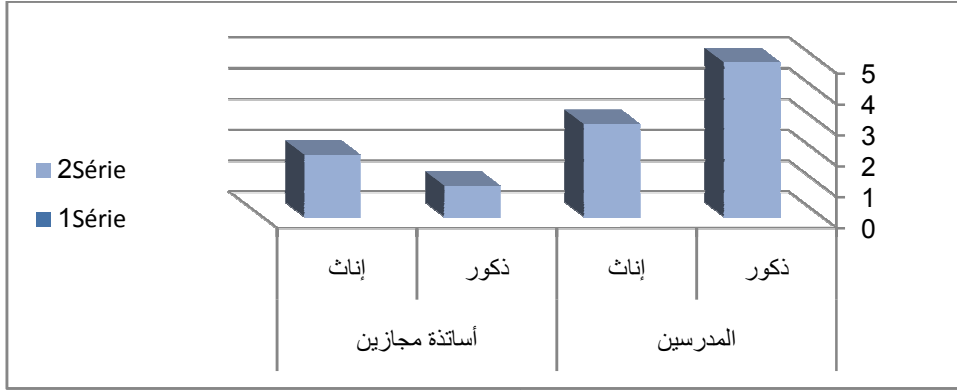
منحنى رقم 01 يمثل العينة المستبينة في الدراسة الميدانية

ويعود سبب اختيارنا لولاية أدرار لإجراء الدراسة الميدانية إلى العوامل الآتية:

- إمكان الحصول السريع على أفراد العينة المطلوبة.
- إمكان تطبيق الاستبيان ومتابعة أفراد العينة بشكل دقيق.
- كون أفراد العينة ( معلمين / أساتذة مجازين ) لا يختلفون عن غيرهم من حيث شروط التوظيف التي خضعوا لها .
- ارتباط الدراسة الميدانية بموعد الملتقى مما فرض علينا بحكم عنوان المداخلة إنجازها في وقت زمني قياسي.

## 4 - عينة الدراسة:

تم اختيار أفراد هذه الدراسة بشكل عشوائي ، وينتمون إلى المقاطعة التربوية رقم 01 و02 بأدرار ( ينظر جدول 05 / الملاحق )، وتتراوح أعمارهم ما بين 26 و 47 سنة ( ينظر جدول 03 / الملاحق ) وبأقدمية عمل ما بين 03 سنوات و17 سنة ( ينظر جدول 04 / الملاحق )، ويمكن تمثيلها بيانياً كالآتي:



منحنى رقم 02 بين النسبة المئوية لفئة المدرسين والأساتذة المستبنيين في الدراسة الميدانية

## أ - حجم العينة:

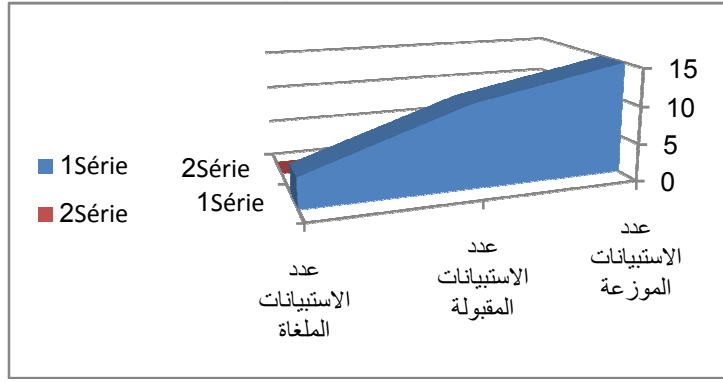
تم إحصاء 11 مؤطراً تربوياً يمارسون مهامهم التعليمية في الطور الأول والثاني من التعليم الابتدائي بالمدارس الموجودة في المقاطعة التربوية الأولى والثانية. ومن خلال عملية التصنيف التي أجريت على العينة المدروسة وانطلاقاً من المعلومات التي أوردها أصحابها في بطاقة المعلومات أمكننا الحصول على الآتي:

1 - عدد الاستبيانات الموزعة: 15

2 - عدد الاستبيانات الملغاة: 04

3 - عدد الاستبيانات المقبولة: 11

ويمكن تمثيل حجم العينة في المنحنى التالي:



منحنى رقم 03 يمثل إحصاء للأستبيانات المعتمدة في الدراسة الميدانية



#### 4 - تصميم الدراسة:

لإجراء هذه الدراسة اعتمدنا طريقة الاستبيان كأداة للدراسة وتجميع المعلومات بناء على المنهج العلمي المقارن والمنهج التحليلي المعتمد في هذا الدراسة.

#### \* بناء استبيان الدراسة:

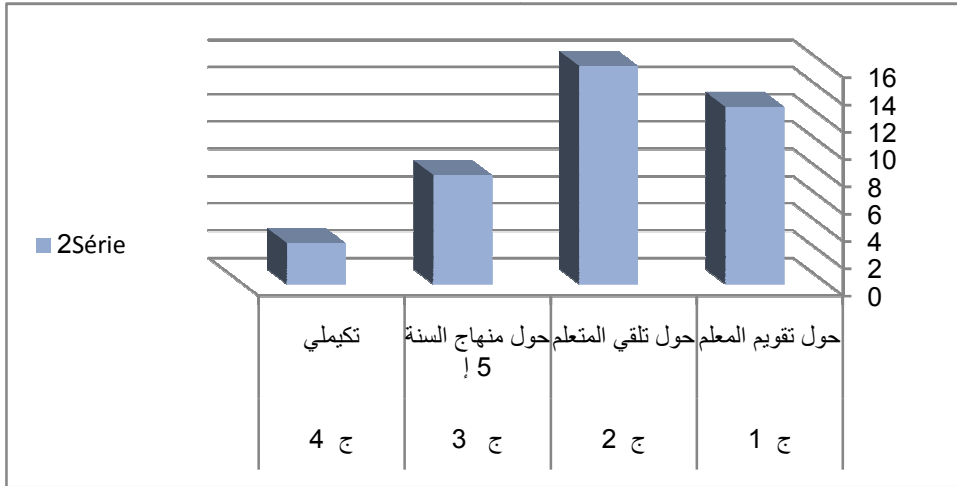
انطلاقاً من عنوان المداخلة المقترح قمنا بصياغة استبيان قسمت أسئلته على أربعة أجزاء، ثلاثة منها أساسية والرابع تكميلي كما هو مبين في الملاحق ( ينظر جدول 07 ) الهدف منها هو كما يلي:  
\* الجزء الأول: حول تقويم المعلم: وتتألف أسئلة هذا الجزء من 13 سؤالاً، بما نسبته 32.50 % ( ينظر جدول رقم 07 / الملاحق ) ، والهدف منها تشخيص مدى إمكان المعلم من تناول الأنشطة اللغوية المقررة ( قراءة، تعبير شفوي وتواصل، تراكيب نحوية ، صيغ صرفية وإملائية ..... ) وفق سيرورة التعلم انطلاقاً من كتاب التلميذ ( كتابي في اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي ) بعبارة استفهامية محددة بخيارات ثلاث، هي ( نعم /نوعاً ما/لا ) مثل: هل يساعدك كتاب السنة 5 من التعليم الابتدائي على تناول نشاط ..... في هذا المستوى وفق سيرورة التعلم الواردة في الكتاب؟: نعم / نوعاً ما / لا.

**حول تلقي المتعلم:** وتتألف أسئلة هذا الجزء من 16 سؤالاً، بما نسبته 40 % ( ينظر جدول رقم 07 / الملاحق )، والهدف منها تشخيص مدى إمكان المتعلم من تناول الأنشطة اللغوية المقررة ( قراءة، تعبير شفوي وتواصل، تراكيب نحوية، صيغ صرفية وإملائية ..... ) وفق سيرورة التعلم انطلاقاً من كتاب التلميذ ( كتابي في اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي ) بعبارة استفهامية محددة بخيارات ثلاث، هي ( نعم / نوعاً ما/لا ) مثل: هل النصوص الواردة في كتاب اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي في متناول المتعلم ..... هذا المستوى وفق سيرورة التعلم الواردة في الكتاب؟: نعم / نوعاً ما/لا.

\* **الجزء الثالث:** حول منهاج اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي في ضوء كتاب التلميذ: وتتألف أسئلة هذا الجزء من 8 أسئلة، بما نسبته 20 % ( ينظر جدول رقم 07 / الملاحق )، والهدف منها تشخيص مدى نجاح

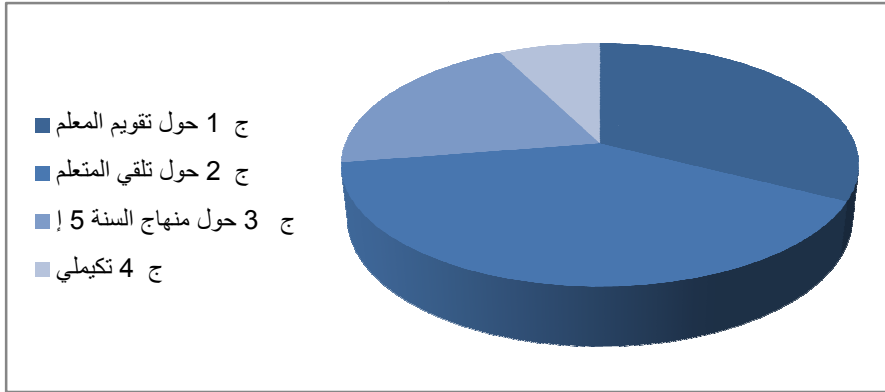
كتاب اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي في تناول الأنشطة اللغوية المقررة ( قراءة، تعبير شفوي وتواصل، تراكيب نحوية، صيغ صرفية وإملائية ..... ) وفق سيرورة التعلم انطلاقاً من كتاب التلميذ ( كتابي في اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي ) بعبارة استفهامية محددة بخيارين اثنين، هما ( نعم / لا ) مثل: هل النصوص الواردة في كتاب اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي تتضمن أخطاء لغوية أو معرفية أو مطبعية ؟ نعم / لا ( إذا كانت إجابتك بنعم حدد ذلك على الجدول التالي).

\* الجزء الرابع: ( عبارة عن أسئلة تكميلية شاملة لما أعلاه ) : وتتألف أسئلة هذا الجزء من 03 أسئلة، بما نسبته 7.50% ( ينظر جدول رقم 07 / الملاحق )، والهدف منها استطلاع رأي المربي حول نصوص كتاب اللغة العربية للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي من زوايا مختلفة انطلاقاً من ممارسته اليومية في الميدان، مثل: ما هي الملامح الإيجابية في كتاب اللغة العربية للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي بحسب رأيك ؟ وفي ضوء ما سبق، يسعنا أن نترجم ذلك في اللغة البيانية التالية:



المنحنى رقم 01 : تمثيل لأجزاء الاستبانة

كما يمكن تمثيل النسبة المئوية المشكلة لأجزاء الاستبانة في المنحنى التالي:



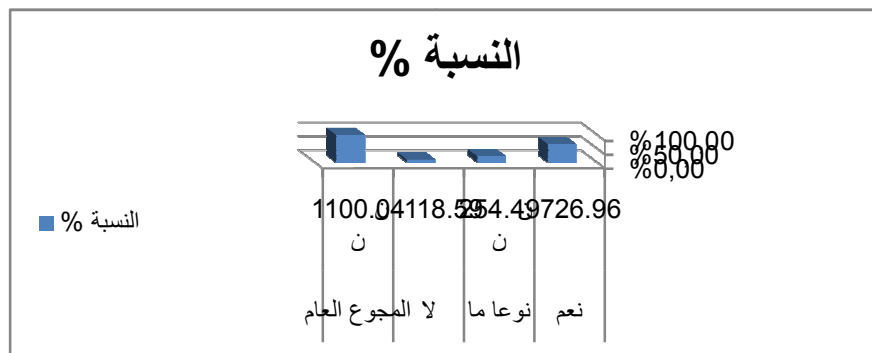
المنحى رقم 01 : تمثيل النسب المئوية لأجزاء الاستبانة

### 5 - عرض نتائج الدراسة وتفسيرها:

إن المعالجة الإحصائية للاستبيان المحصل عليها بعد تطبيقه على العينة المدروسة أفضت إلى نتائج ننبه أولاً إلى تحفظنا الشديد إزاء تعميمها فيما توصلت إليه هذه الدراسة الميدانية والتي نعرضها كما يلي:  
\* الجزء الأول ( حول تقويم المعلم ) : جاءت نتائج هذا الجزء كالتالي :

الجواب	مجموع النقاط	النسبة %
نعم	726.96 ن	66.08 %
نوعاً ما	254.49 ن	23.14 %
لا	118.59 ن	10.78 %
المجموع العام	1100.04 ن	100 %

وهي نتائج يمكن تمثيلها في الشكل البياني التالي :



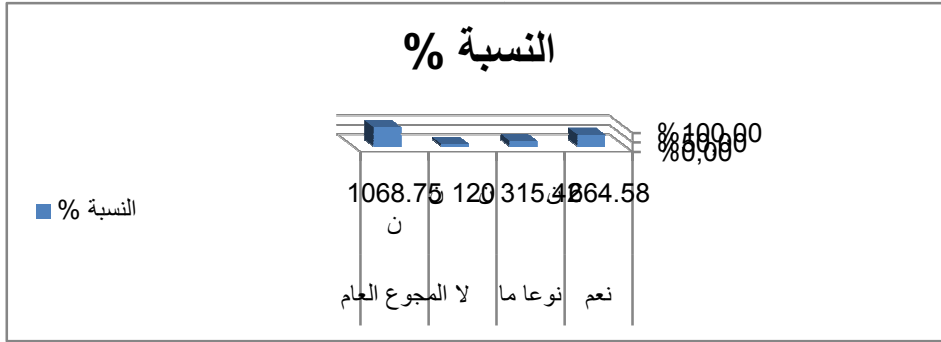
المنحى رقم 04: يمثل النسب المئوية المسجلة في نتائج الاستبيان

حول ( تقويم المعلم )

\* الجزء الثاني ( حول تلقي المتعلم ): ونتائج هذا الجزء جاءت على النحو  
الآتي :

النسبة %	مجموع النقاط	الجواب
60.42 %	664.58 ن	نعم
28.67 %	315.42 ن	نوعا ما
10.91 %	120 ن	لا
100 %	1068.75 ن	المجموع العام

ويمكن تمثيل هذه النتائج في المنحى البياني التالي :



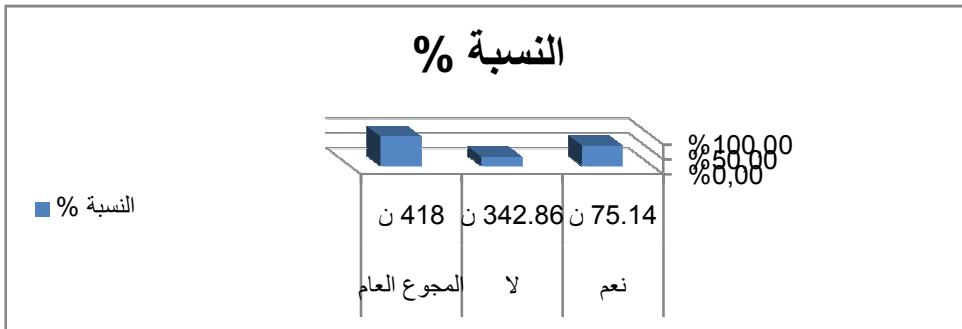
المنحى رقم 05: يمثل النسب المئوية المسجلة في نتائج الاستبيان

حول ( تلقي المعلم )

\* الجزء الثالث ( حول منهاج كتاب اللغة للسنة 5 إ ) : وجاءت كما يلي

النسبة %	مجموع النقاط	الجواب
68.83 %	75.14 ن	نعم
31.17 %	342.86 ن	لا
100 %	418 ن	المجموع العام

ويمكن تمثيل هذه النتائج في المنحى البياني الآتي :



المنحى رقم 06 : يمثل النسب المئوية المسجلة في نتائج

الاستبيان حول ( تلقي منهاج كتاب اللغة العربية في السنة 5 إ )

\* الخاتمة:

بعد الإشارة إلى الجهود المبذولة من قبل الدولة والوزارة المعنية في عملية الإصلاح التربوية الشاملة للمنظومة التربوية والمدرسة الجزائرية.

- التنويه بالمساهمة الناجحة للسادة الأخوة المربين ممن شملهم الاستبيان.

- التنويه بالشكر الجزيل لكل الأخوة القائمين على إعداد وإنجاح ملتقانا هذا في ظروف أقل ما نصفه بها أنها ناجحة ومحقة للغاية المرجوة.

الملاحق :

عدد العينة المستبينة	عدد الذكور	عدد الإناث
11	06	05

لملحق رقم 01: توزيع الفئة المستبينة في الدراسة الميدانية

فئة المدرسين		فئة الأساتذة مجازين	
ذكور	إناث	ذكور	إناث
05	03	01	02

الملحق رقم 02 : توزيع الفئة المستبينة في الدراسة الميدانية

السن	السن
بين 34 و 47 سنة	بين 26 و 43 سنة

الملحق رقم 03: التوزيع العمري للفئة المستبينة في الدراسة الميدانية

الأقدمية في العمل	الأقدمية في العمل
بين 17 و 23 سنة	بين 03 و 12 سنة

الملحق رقم 04: جدول إحصاء خاص بالأقدمية في العمل للفئة المستبينة

في الدراسة الميدانية

رقم المقاطعة	المؤسسة التربوية	عدد المربين المستبئين	البلدية	الدائرة	الولاية
01	مدرسة عبد الحميد بن باديس	02	أدرار	أدرار	أدرار
01	مدرسة 20 أوت	01	أدرار	أدرار	أدرار
01	مدرسة الانتفاضة	01	أدرار	أدرار	أدرار
02	مدرسة الإمام الحسين بن علي	01	أدرار	أدرار	أدرار
02	مدرسة عائشة أم المؤمنين	02	أدرار	أدرار	أدرار
02	مدرسة مولاي التهامي بوشنتوف	01	أدرار	أدرار	أدرار
02	مدرسة عقبة بن نافع	01	أدرار	أدرار	أدرار
02	مدرسة الشهيد بريك عبد القادر	01	أدرار	أدرار	أدرار

02	مدرسة أحمد بر رزوق	01	بودة	أدرار	أدرار
----	--------------------	----	------	-------	-------

الملحق رقم 05: جدول إحصاء للمؤسسات التربوية وعدد المرشحين  
المستبنيين في كل مؤسسة

الجزء	الأجزاء	من ..... إلى .....	عدد الأسئلة	نوع المطلوب
الجزء الأول	حول تقويم المعلم	من 01 إلى 13	13 سؤال	نعم / نوعا / لا
الجزء الثاني	حول تلقي المتعلم	من 14 إلى 29	16 سؤال	نعم / نوعا / لا
الجزء الثالث	حول برنامج س 5	من 30 إلى 37	8 أسئلة	نعم / لا
الجزء الرابع	تكميلي	من 38 إلى 40	3 أسئلة	بحسب رأيك
المجموع			40 سؤال	

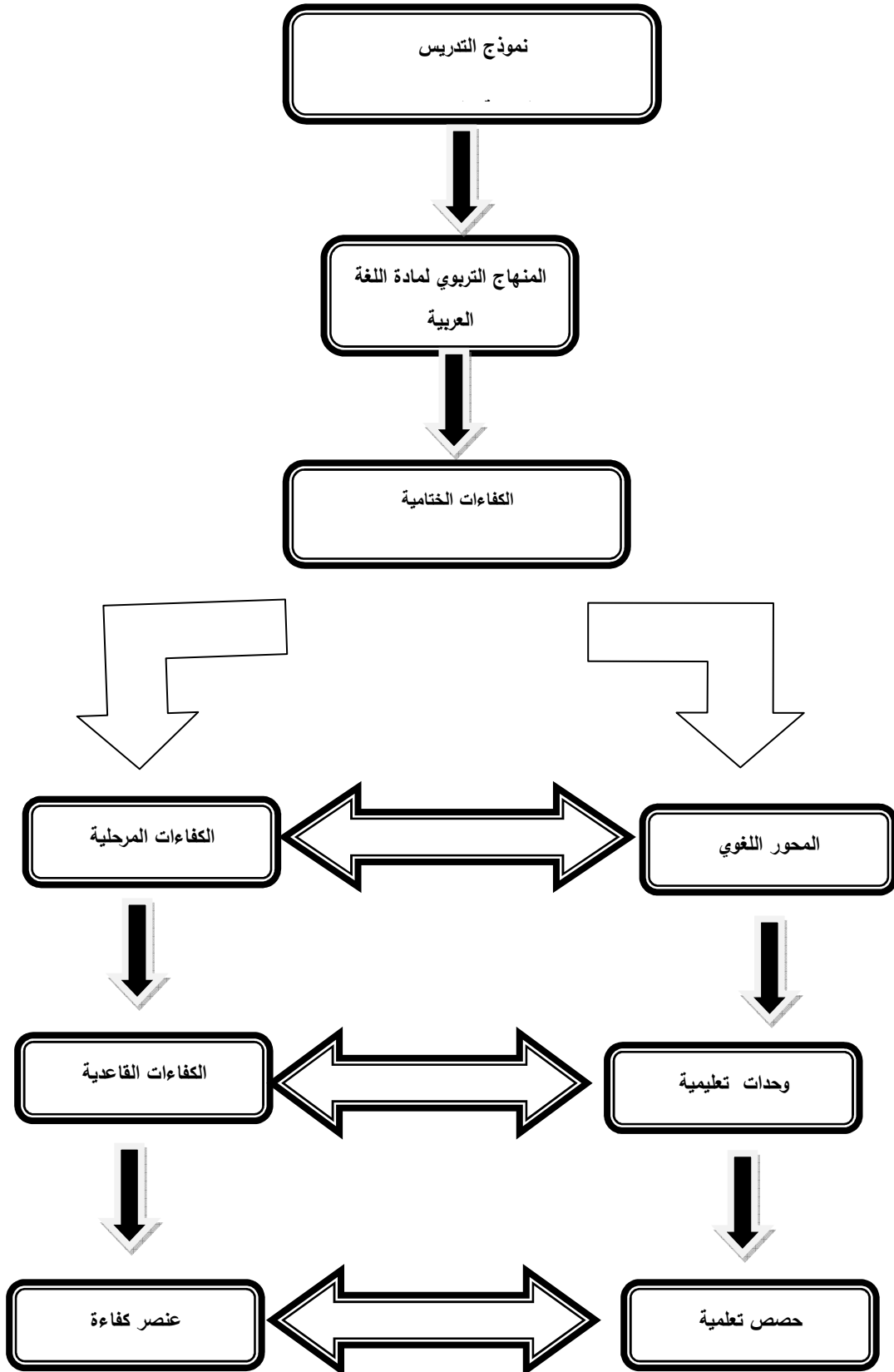
الملحق رقم 06: جدول تفصيلي لأجزاء الاستبانة المعتمدة

في الدراسة الميدانية

الأجزاء	عنوان الجزء	عدد الأسئلة	النسبة %
الجزء الأول	حول تقويم المعلم	13	32.50 %
الجزء الثاني	حول تلقي المتعلم	16	40 %
الجزء الثالث	حول منهاج كتاب السنة 5	08	20 %
الجزء الرابع	تكميلي	03	7.5 %
المجموع		40	100 %

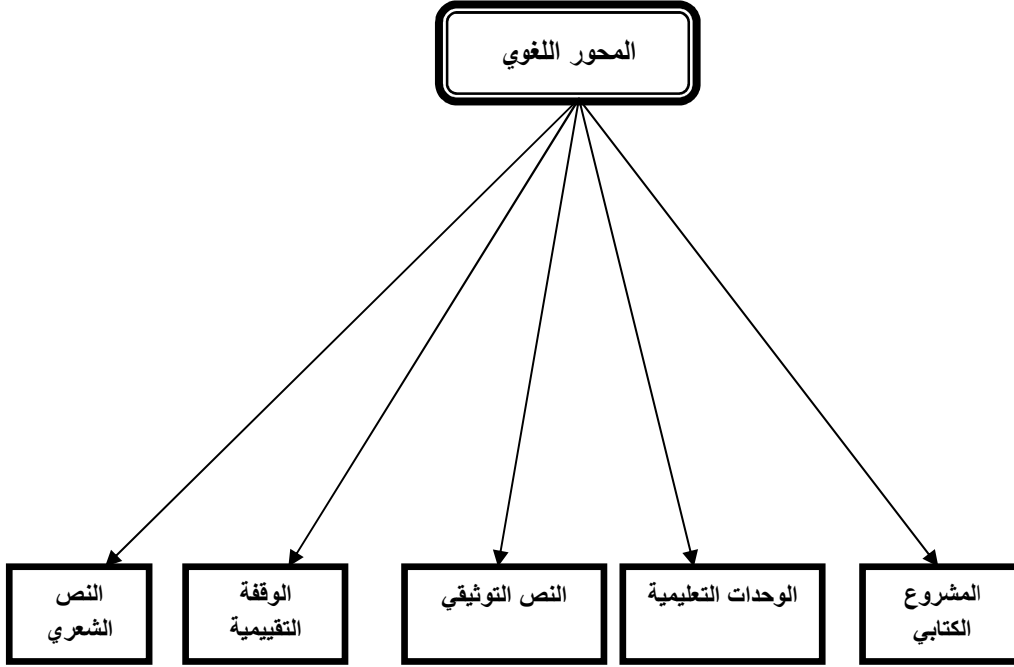
الملحق رقم 07 : جدول تفصيلي لأجزاء الاستبانة المعتمدة في الدراسة

الميدانية بالنسب



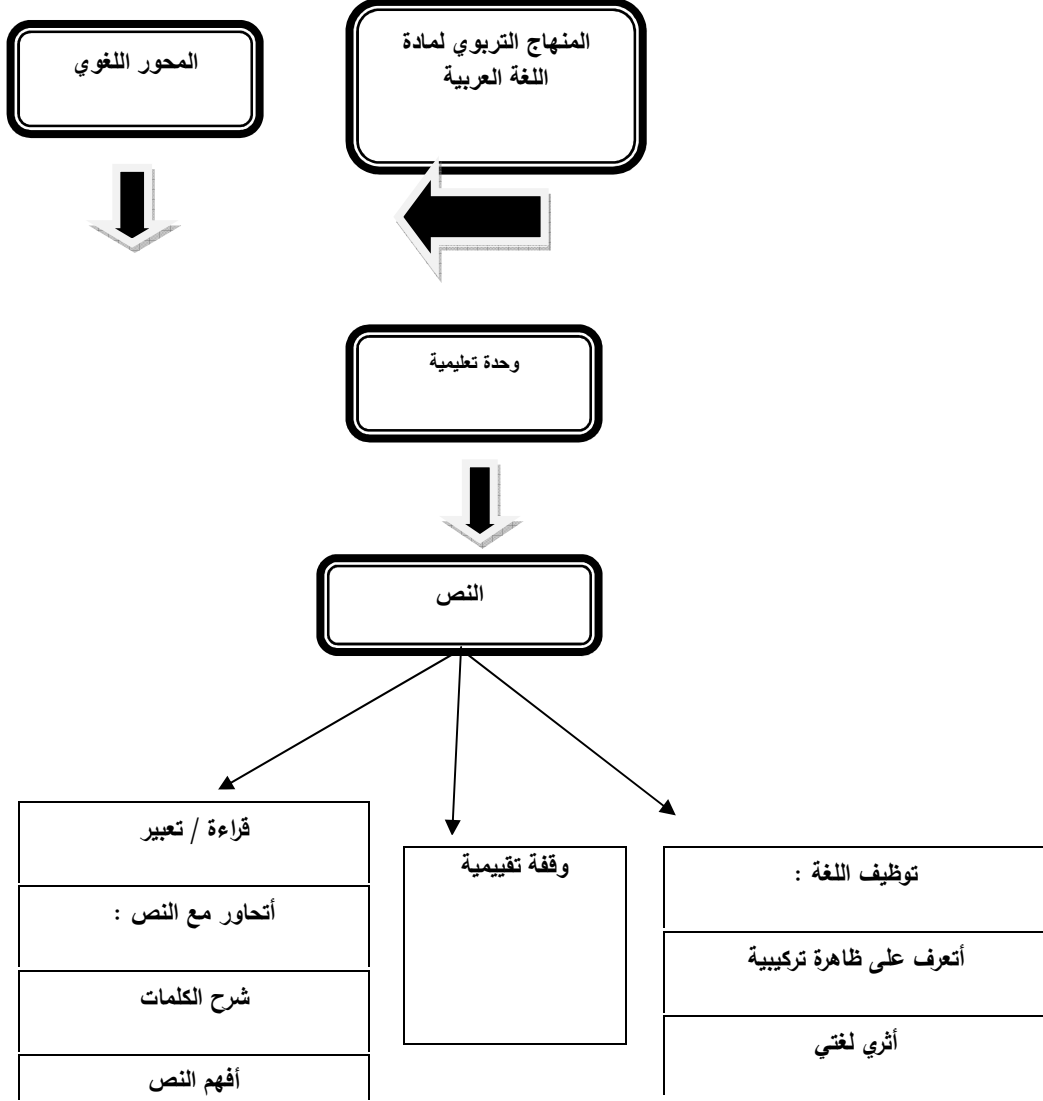
الملحق رقم 07: مخطط تعليمية اللغة العربية في مراحل التعليم الابتدائي

المرجع: بناء تعليمية اللغة العربية في المرحلة الابتدائية. بحث تربوي.  
عبد الكريم طواهرية. 2006



الملحق رقم 08 : مكونات المحور لأنشطة اللغة العربية ( السنة الخامسة  
من التعليم الابتدائي )  
المرجع : بناء تعليمية اللغة العربية في المرحلة الابتدائية . بحث تربوي  
. عبد الكريم طواهرية . 2006





الملحق رقم 09: مكونات الوحدة التعليمية ( السنة الخامسة من التعليم الابتدائي )

المرجع: بناء تعليمية اللغة العربية في المرحلة الابتدائية. بحث

تربوي. عبد الكريم طواهرية. 2006

ملحق رقم 10: مصادر النصوص المقررة في كتاب السنة 5 من التعليم

الابتدائي المرجع: كتابي في اللغة العربية للسنة 5 من التعليم الابتدائي،

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2007 / 2008

➤ أهم المصطلحات:

01- أهداف تعليمية: هي الأهداف التي تمثل مسعى التدريس إلى إحداث

تغييرات دائمة عند المتعلم خلال أو بعد وضعية بيداغوجية.

- 02- أهداف تعليمية:** وتمثل الوسائل الموصلة إلى هذه الأهداف.
- 03 - الأداء:** هو تعبير عن نوع الإنجاز الذي يقوم به المتعلم كجزء من الكفاءة بحيث يعالج جانبا محددا من الوضعية الإشكالية.
- 04- البرنامج:** هو خطة تنظم مجموع الخطوات والإجراءات والدروس والأنشطة التي تتم في الفصل والمدرسة وفي زمن معين، وهو بذلك يتضمن المعلومات المطلوب تحصيلها من قبل المتعلم، وكذا التقنيات اللازم التحكم فيها.
- 05- التطبيق:** هو القدرة على استعمال المادة المتعلمة في وضعيات واقعية وجديدة وبالتالي فهو عملية تتطلب.
- 05- الكفاءة المستهدفة:** هي الكفاءة المرتبطة بالوحدة التعليمية التي تحتوي على الحد الأدنى من المعارف والسلوكيات تجهل التعلم ووضعيته تتمحور حولها.
- 06- الكفاءة المرحلية:** هي الكفاءة المركبة من مجموع الكفاءات القاعدية المرتبطة بكل مجال من المجالات التعليمية المدرجة في المنهاج .
- 07- مستوى الإدماج:** هو خلاصة لإطار من المعارف المستهدفة في حصص وحدة تعليمية / تعليمية كاملة يصاغ على شكل مفهوم شامل.
- 08- المنهاج:** هو مجموعة متنوعة من الخبرات يتم تشكيلها لإتاحة الفرص للتعلم للمرور بها وهذا يتضمن عمليات التدريس التي تظهر نتائجها فيما يتعلمه التلاميذ.
- 09-المحتوى:**هو المعالجة التفصيلية لموضوعات المقرر وبهذا المعنى يصبح تلك الصياغة المعدة للمتعلمين.
- 10-الموقف التعليمي:** هو تلك العلاقات التفاعلية القائمة بين مختلف أطراف العملية التعليمية: المعلم، المتعلم وموضوع المعرفة، وما يحيط بها من مستلزمات : طرائق ، أنشطة ..... الخ.
- 11- المقاربة:** هو تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز في ضوء حصة تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال والمردود المناسب
- 12- المقاربة النصية:** هي المقاربة التي تقوم على أساس اتخاذ نص ما محوراَ تدور حوله جميع النشاطات التعليمية / التعليمية، ففي نشاط اللغة -

مثلاً - يصبح النص هو المنطلق في تدريسها وهو الأساس في بناء الكفاءات اللغوية (فهم المنطوق والمكتوب التعبير المنطوق والمكتوب)، كما تنعكس فيه كل مختلف المؤشرات الثقافية والاجتماعية ... فهو إذاً البنية الكبرى التي تظهر فيه كل المستويات اللغوية من صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية.

**13- المهارة:** هي نشاط ذهني أو أدائي يحصل عليه المتعلم بعد حدوث عملية التعلم.

**14- المعرفة:** هي تذكر المادة المتعلمة سابقا أي تذكر المعارف السابق تعلمها.

**15-الموضوع:** (العناصر المفاهيمية المستهدفة للبناء): هي العناصر المعرفية المحورية لكل وحدة تعليمية ، وهي محددة تماشياً وقدرة المتعلم على التفاعل مع المادة واستيعابه لها وترجمتها في السلوكيات

**16- النشاط التعليمي:** هو النشاط الذي يسعى إلى تفعيل قدرات المتعلم بغرض تحقيق هدف خاص.

**17- النشاط المقترح:** هو وضعية إشكالية يقترحها المنهاج لتحقيق الكفاءة المقصودة ، وهي تتغير تبعا بتغير الوسيلة ومعايير التقويم.

**18- النشاط الإدماجي:** هو نشاط تطبيقي مركب يجري به تقويم الوحدة التعليمية / التعليمية.

**19- الفهم:** هو الإدراك والاستيعاب للمادة أو للموقف أو كون المتعلم قادراً على إعطاء معنى الموقف الذي يواجهه ويستدل عليه من مجموعة من السلوكيات التي يظهر بها، كما يعرف بأنه القدرة على إدراك المعاني. المصطلحات البيداغوجية الواردة أعلاه مقتبسة بالتصرف من المراجع التالية:

- مصطلحات ومفاهيم تربوية، 2002، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر.

- مناهج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، أبريل 2003 وزارة التربية الوطنية، الجزائر.

- مناهج السنة الثانية من التعليم الابتدائي، ديسمبر 2003، وزارة التربية الوطنية، الجزائر.

## المصادر والمراجع

- \* القرآن العظيم ( المصحف الشريف)، برواية الإمام ورش عن الإمام نافع.  
مراجع ودوريات:
- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، د.  
م.ج. الجزائر، ط /2000 .
- تأليف مشترك، مادة التعليمية العامة، وحدة اللغة العربية، الإرسال 1،  
المركز الوطني لتعميم التعليم، الجزائر، 1999.
- التجيني محمد بن صالح، تعليمية التطبيقات اللغوية بواسطة النصوص،  
السنة السادسة أساسي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، مارس  
1999.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان ، ط/ 1979، ج  
2.
- محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف وبيداغوجيا الكفاءات، قطعة أو  
امتداد، مجلة دراسات، جامعة عمار التليجي، الأغواط، الجزائر، ع: 03 -  
ديسمبر، 2005.
- عاطف محمد يونس، العربية أرقى اللغات الحية، دار الشروق للنشر  
والتوزيع، الأردن ، ط 1 /1998.
- علي حمودين، اللغة العربية في ظل الإعلام والعولمة، أي واقع؟ أي  
مصير؟ مداخلة، الملتقى الوطني الثاني لقضايا النحو العربي جامعة عبد  
الرحمن بن خلدون، تيارت.
- سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب  
العرب، دمشق، 1998.
- مواقع إلكترونية من الشبكة:
- جازية رواجي، واقع أدب الطفل في الجزائر، مقال منشور بتاريخ 31  
أكتوبر 2007، تحقيقات وآراء، مركز الأخبار، أمان. www ، بتصرف.
- حسن بن فهد الهويمل، النص الإبداعي التربوي، إشكالية الاختيار  
والدرس، مجلة المعرفة، ع: 38 ، جمادى الأولى 1419 هـ، سبتمبر 1998  
www.bab.com/articles/full\_article.cfm

---

- محمد رفعت زنجير، قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات  
التي تواجهها اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة:  
<http://www.dmr.50g.com/m2.htm>

- سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات والمواجهة:  
[www.alfalagg@yahoo.com](http://www.alfalagg@yahoo.com)

الشُهرة مفهومها وأثرها في النقد في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد

د. بلخير حديبي

جامعة أدرار

### The Concept of Common Sense as Practiced Through Contemporary *Hadith* Critics

The following article attends to the problematic arising from the phenomenon or a situation known in Islamic *Shari'a* laws as "common sense"; that is that which is widely-in-circulation or simply "famous" but to which applies no direct law or a clear cut 'fatwa'. The field where the "common sensical" applies has been ever since the start of Islam a fertile domain for debate and reflection. In this connection, it is interesting to note that the way early Muslim jurists define, classify and judge "common sense" does not necessarily oblige late jurists in anyway. Hence the critical importance of that fragile space created as a result of the potential that 'common sense' makes possible in the first place.

#### مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه

ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا بحث بعنوان: "الشُهرة مفهومها وأثرها في النقد في ضوء

تطبيقات المحدثين النقاد"؛ أتناول فيه موضوعا مهما وهو: **الشهرة عند**

**المحدثين؛ والإشكال فيه: هل للشهرة أهمية في نقد الحديث؟ وهل يمكن**

**اعتبارها الميزان الصحيح الذي نفتقر إليه في مجال التخريج والتصحيح**

**والتضعيف؛ وهل للشهرة أثر، فتعد من أهم قرائن النقد؟** حيث مازال مبحث

المشهور مجالا خصبا للدراسة، فكتب المصطلح -على جلالته قدر مؤلفيها-

لم تتوسع في توضيح الشهرة، وكيفية توظيفها في النقد بالشكل الذي يعطي

للقارئ تصورا وانطبعا صحيحا وشاملا لها عند أئمة الحديث المتقدمين؛ بما يتوافق مع منهجهم العام في النقد، ف جاء هذا البحث لبيّن معاني الشهرة عند الأئمة المتقدمين، وإطلاقاتهم لها، وأقسامها عندهم، والألفاظ المستعملة فيها، وكيفية اعتمادهم عليها، وتوظيفهم لها، من خلال تتبع نماذج وتحليلها من صنيعهم وتطبيقاتهم، كما يهدف البحث إلى المقارنة بين الجانب التطبيقي لدى أئمة الحديث ونقاده الأوائل والجانب التنظيري في كتب مصطلح، لأن الواجب الوصل بين الجانبين وعدم القطيعة بينهما؛ ولتوضيح هذا انتظم البحث المطالب الآتية:

**المطلب الأول:** تعريف الشهرة لغة واصطلاحا.

**المطلب الثاني:** إطلاقات الشهرة عند المحدثين النقاد.

**المطلب الثالث:** أثر الشهرة في النقد وعلاقتها بالواقع الحديثي

والواقع العملي.

**المطلب الرابع:** تطبيقات الشهرة النسبية المتعلقة بالأسانيد.

**المطلب الخامس:** تطبيقات الشهرة المطلقة المتعلقة بالمتون.

خاتمة.

**المطلب الأول:** تعريف الشهرة لغة واصطلاحا:

**الشهرة لغة<sup>1</sup>:**

هذه المادة أعني الشين والهاء والراء (ش ه ر) تدل **في** لسان العرب: **وُضُوحُ الأَمْرِ، فَنَقُولُ: قَدْ شَهَرَ يَشْهَرُهُ شَهْرًا وَشُهُرَةً فَاشْتَهَرَ، وَشَهْرُهُ تَشْهِيرًا وَاشْتَهَرَهُ فَاشْتَهَرَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:**  
**أَجِبُّ هُبُوطَ الوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُشْتَهَرٌ بِالْوَادِيَيْنِ عَرِيبٌ، وَيُرَوَّى لَمُشْتَهَرٌ بِكسر الهاء.**

وترد بمعنى ظهور الشيء، وعادة ما يكون في شُنْعَةٍ، كما في الحديث: **"مَنْ لَيْسَ ثَوْبَ شُهُرَةَ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَدْلَةٍ"**. ومن الظهور والوضوح: سمي الهلال شهرا، لوضوحه وإضائته، ومنه قولهم: شهر سيفه، إذا سله فرآه الناس، وذلك راجع أيضا إلى معنى الوضوح.

<sup>1</sup> - انظر: معجم مقاييس اللغة، للإمام ابن فارس: (222/03)، وتهذيب اللغة، للإمام الأزهري: (52/06)، والمحكم والمحيط الأعظم،

للحافظ ابن سيده: (185/04)، ولسان العرب، للعلامة ابن منظور: (431/04).

**فالشُّهرة:** الوضوح والظهور في الأمر والإضاءة، ووضوح الأمر يقتضي كونه معروفاً، والوضوح قد يتعلق بالمعاني كما يكون في الحسيات، ولذا : فإذا قيل كلام أو حديث مشهور : أي واضح ومعروف لدى الناس .

### الشهرة اصطلاحاً:

لم أجد تعريفاً لمعنى الشهرة في كتب مصطلح الحديث، وإنما تتكلم على أنواع الحديث المشهور، ويقسمونه: إما أن يكون مشهوراً عند المحدثين، وإما أن يكون مشهوراً عند غيرهم، كأن يكون: مشهوراً على الألسنة، أو مشهوراً عند الفقهاء؛ أو الأصوليين، أو عند النحاة، أو مشهوراً عند الأدباء، ممثلين على كل نوع منها؛ كما يقسمونه إلى صحيح وغير صحيح؛ يقول الحافظ ابن الصلاح: "معنى الشهرة مفهوم، وهو منقسم إلى صحيح... وإلى غير صحيح... وينقسم من وجه آخر إلى ما هو مشهور بين أهل الحديث خاصة وغيرهم... وإلى ما هو مشهور بين أهل الحديث خاصة دون غيرهم"<sup>1</sup>. وهذا التقسيم وإن كانت معرفته مهمة، إلا أنه لا يتعلق بالشهرة التي أودّ شرحها لدى المحدثين النقاد، يقول الحافظ السخاوي: "لا اعتبار إلا بما هو مشهور عند علماء الحديث"<sup>2</sup>. لذا عرف العلامة الجرجاني والإمام عز الدين ابن جماعة الحديث المشهور<sup>3</sup>: بأنه ما شاع عند أهل الحديث خاصة؛ ومقتضى الإشاعة أن يكون قد رواه جماعة، وبعضهم يخصه بما رواه أربعة رواة فصاعداً، وقيل ما رواه ثلاثة أيضاً<sup>4</sup>، وقال الحافظ ابن حجر: "ماله طرق محصورة بأكثر من اثنين، وهو المشهور عند المحدثين، سمي بذلك لوضوحه،... ثم المشهور يطلق على ما حُررَ هنا، وعلى ما اشتهر على الألسنة، فيشمل ماله إسناد واحد فصاعداً، بل ما لا يوجد له إسناد أصلاً"<sup>5</sup>. وذكر الشيخ طاهر الجزائري<sup>6</sup>: أن المشهور يشترط فيه العدد في كل طبقة من طبقات السند، ولم أجد من نص على ذلك من أهل الاصطلاح، بل قرر الحافظ السخاوي أن التعدد في جميع طبقات السند ليس شرطاً في إطلاق

<sup>1</sup> - علوم الحديث" المقدمة للحافظ أبي عمرو ابن الصلاح: (ص/155-156).

<sup>2</sup> - فتح المغيب في شرح ألفية الحديث، للحافظ السخاوي: (37/03).

<sup>3</sup> - انظر: المنهل الروي، للحافظ عز الدين ابن جماعة: (ص/55)، ومختصر الجرجاني مع شرحه ظفر الأمانى للعلامة عبد الحي اللكنوي: (ص/249) .

<sup>4</sup> - انظر: المصدر نفسه.

<sup>5</sup> - نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للحافظ ابن حجر: (ص/39).

<sup>6</sup> - توجيه النظر إلى أصول الأثر، للعلامة طاهر بن صالح الجزائري: (490/01).



اسم الشهرة على الحديث، فقال عن المشهور أنه: "يقع على ما يروى بأكثر من اثنين عن بعض رواته، أو في جميع طبقاته، أو معظمها"<sup>1</sup>.  
وخلاصة الأمر: أن إطلاق الشهرة في الاصطلاح لا تنفك عن اعتبار العدد، وبصير الحديث المشهور: ما رواه جماعة، إما في جميع طبقات السند، أو في بعض طبقاته.

### المطلب الثاني: إطلاقات الشهرة عند المحدثين النقاد:

إن المتتبع لإطلاقات المحدثين النقاد يجد أن المشهور من الحديث ما خرج عن حد الغرابة، فالحديث المشهور ضد الغريب عندهم، فقد كانوا يؤكدون على "استحباب رواية المشاهير، والصدوف عن الغرائب والمناكير"<sup>2</sup>؛ كما قرر ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي فقال: "وأما الحديث الغريب فهو ضد المشهور، وقد كان السلف يمدحون المشهور من الحديث، ويذمون الغريب منه في الجملة، ومنه قول ابن المبارك: العلم هو الذي يجيئك من ههنا ومن ههنا، يعني المشهور... وعن علي بن الحسين: ليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن... وعن مالك: شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس... وقال الخطيب: أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب عليهم كتب الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف..."<sup>3</sup>. وقال الإمام ابن منده: "الغريب من الحديث: كحديث الزهري وقتادة وأشباههما من الأئمة ممن يجمع حديثهم إذا انفرد الرجل عنهم بالحديث يسمى غريباً، وإذا روى عنهم الرجلان وثلاثة واشتركوا في حديث سمي عزيزاً، وإذا روى الجماعة حديثاً سمي مشهوراً"<sup>4</sup>. وقال الإمام أبوداود: "والأحاديث التي وضعتها في كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهي عند كل من كتب شيئاً من الحديث، إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس، والفخر بها أنها مشاهير، فإنه لا يحتج بحديث غريب، ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد، والنقات من أئمة العلم، ولو احتج بحديث غريب وجدت من يطعن

<sup>1</sup> - فتح المغيب: (36/03).

<sup>2</sup> - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للإمام الخطيب البغدادي: (100/02).

<sup>3</sup> - شرح علل الترمذي، للحافظ ابن رجب الحنبلي: (624-621/02).

<sup>4</sup> - نقله الإمام ابن الصلاح في مقدمته: (ص/155).

فيه، ولا يحتج بالحديث الذي احتج به إذا كان الحديث غريبا شاذًا، فأما الحديث المشهور المتصل الصحيح فليس يقدر أن يرده علينا أحد<sup>1</sup>.

إذا فالذي يتحرر من إطلاق الأئمة النقاد أن الغريب ضد المشهور، ولما كانت الغرابة تطلق **بمعانٍ** شتى<sup>2</sup> عندهم، يجمعها **الغريب النسبي**، والغريب المطلق، فالشهرة تكون لزاما كذلك قسما:

**القسم الأول: الشهرة المطلقة:** المقصود بالإطلاق: ثبوت المتن -

أو حكمه رواية وعملا- عن مصدره الذي قاله، سواء كان قائله النبي ﷺ، أو الصحابي، أو التابعي أو غيرهما؛ فيصير ذلك معروفا لدى الناس، ومتداولاً بينهم، وبصير ما ثبت عن النبي ﷺ هو السنة المشهورة عنه، ومثله: ما ثبت عن الصحابي أو التابعي، فصير مذهبا له فقها أو فتوى أو اعتقادا، والثبوت يكون إما بالرواية عنه، وإما بالعمل الثابت عنه، وكذلك ما ثبت عن من بعدهم فصير ذلك مذهبه وفتواه واعتقاده، وهكذا؛ ومن الشهرة المطلقة أيضا ثبوت حكم متن ما بالقرآن والسنة والإجماع، أو بأحد الثلاثة. ويعبر عن هذا أئمة الحديث بقولهم: والمعروف هو كذا، والثابت كذا، وهذا خلاف ما ثبت... الخ. ومن أمثلة هذه الشهرة:

ما قاله أبو نعيم الأصبهاني في حديث "الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة": "ثابت مشهور عن النبي ﷺ من غير وجه"<sup>3</sup>.

ومن ذلك ما مثل به الإمام الحاكم على المشهور بحديث: "حديث الأعمال بالنيات"<sup>4</sup>، وغيره من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، أو الثابتة عن أصحابه ﷺ وهي الموقوفة، أو الثابتة عن التابعين ومن بعدهم وهي الأحاديث المقطوعة.

وهذا النوع من الشهرة يعرفها أهل العلم بالحديث المشتغلين به، ولا يخفى عليهم ذلك، ويستوي في معرفتها العام والخاص منهم، وأحيانا يشاركونهم في معرفتها غيرهم، سيما الشهرة الثابتة عن النبي ﷺ.

<sup>1</sup> - رسالة الإمام أبي داود إلى أهل مكة في وصفه كتابه السنن: (ص/29).

<sup>2</sup> - يقول الإمام الترمذي كما في العلل الصغير، (537/02 مع الشرح): فإن أهل الحديث يستعملون الحديث بمعاني شتى... وانظر شرحه: (627/02) وما بعدها.

<sup>3</sup> - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم الأصبهاني: (43/03).

<sup>4</sup> - معرفة علوم الحديث، للإمام الحاكم النيسابوري: (ص/150).

<sup>5</sup> - أنظر أمثلة في: المصدر نفسه.

فإذا خالفت رواية ما هذه الشهرة الثابتة عن مصدرها مخالفة صريحة صارت هذه الرواية غريبة عند المحدثين النقاد، ويحكمون عليها بالوهم والخطأ، وقد تكون شاذة أو منكرة، بحسب فداحة تلك المخالفة .

**القسم الثاني: الشهرة بالنسبية** والمقصود بها: ثبوت الرواية عن صاحبها الذي ذكرها ويكون هو مصدرها، وصحة عزوها إليه، ووضوح ذلك حتى صار معروفاً بها، هذا بغض النظر عن صحة رواية وحديث من عزيت إليه في نفس الأمر، ومن أمثلة هذه الشهرة:

ما قاله الترمذي: "هذا الحديث تفرد به حماد بن سلمة عن أبي العشاء، ولا يعرف لأبي العشاء عن أبيه إلا هذا الحديث، وإن كان هذا الحديث مشهوراً عند أهل العلم، وإنما اشتهر من حديث حماد بن سلمة لا يعرف إلا من حديثه، فيشتهر الحديث لكثرة من روى عنه"<sup>1</sup>.

ومن ذلك قول أبي نعيم الأصبهاني في حديث مفتاح الصلاة الطهور: "مشهور لا يعرف إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل بهذا اللفظ من حديث علي"<sup>2</sup>. يقول الحافظ ابن حجر -تعليقاً عليه-: "إن مراده أنه مشهور من حديث ابن عقيل، فهذه الشهرة النسبية، نظير الغرابة النسبية"<sup>3</sup>. وهذه الشهرة هي التي يعرفها أهل الصنعة، والتي لا يقف على شهرتها غير أهل الحديث المجتهدين في جمعه ومعرفته"<sup>4</sup>.

والذي يتحصل من قسمة الشهرة **اجتماعها** في أنهما يقتضيان ثبوت الحديث عن اشتهر عنه، **بمعنى أن الحديث صار واضح المصدر، معروفاً ومتداولاً لدى النقاد**، على ما هو معنى الشهرة في اللغة، لأن شهرة الحديث بمصدره اكتسبها برواية الجماعة عنه، فصار عزو الحديث إليه صواباً وصحيحاً واضحاً، ورواية الجماعة الثقات لا يتصور فيها عادة الوهم، أو الكذب في الغالب؛ كما أنهما يفترقان في أن الشهرة المطلقة هي ثبوت المتن عن قائله، وصحته عنه، فهي إذن تقتضي الصحة إن كانت عن النبي ﷺ، بينما لا تقتضي الشهرة النسبية صحة الحديث عن النبي ﷺ في نفس الأمر دائماً، حتى تتوفر في الحديث شروط الصحة من عدالة الرواة واتصال

<sup>1</sup> - العلل الصغير (مع شرح العلل): (628/01).

<sup>2</sup> - حلية الأولياء: (372/08).

<sup>3</sup> - نقله السخاوي في: فتح المغيب: (32/03).

<sup>4</sup> - معرفة علوم الحديث: (ص/153).

الإسناد وانتفاء العلل. ومن ثم يمكن تلخيص معنى الشهرة عند النقاد: بأنها الواقع في رواية ذلك الحديث، ولا يعني هذا صحة الحديث والرواية، إلا إذا كان المتن مشهورا مطلقا.

**المطلب الثالث: أثر الشهرة في النقد وعلاقتها بالواقع الحديثي**

**والواقع العملي: .**

إن المنتبِع لصنيع المحدثين النقاد في حكمهم على الروايات يجد معنى واحدا عليه مدار نظرهم وبحثهم: التأكد من مدى إصابة الرواة في عزوهم الأحاديث ونقلهم لها، عمن فوقهم، ومدى أخطائهم وأوهامهم فيها، أو كذبهم وافتراءهم، مهما كان هؤلاء الرواة ثقافتا أم ضعفاء، ومهما كان الصواب والخطأ في إسناد الحديث أم في متنه، وكتب النقاد المحدثين جُلها وعلى اختلاف مناهج تصنيفها، خادمة لهذا المعنى، واشترطهم انتفاء الخطأ والوهم في الرواية، معناه موافقة ما رواه الراوي للواقع الحديثي، والواقع العملي، **وتفسير هذا الواقع ما قاله شيخنا الأستاذ الدكتور حمزة المليباري: "الواقع الحديثي فأعني به ما ثبت عن المحدث الذي رُوِيَ عنه الحديث، فبمقدور الناقد أن يقف على الواقع، وتحديد به بكل دقة، من خلال معاينته أصول ذلك المحدث، أو بحفظ ما يتداوله أصحابه الثقات عنه، لا سيما أكثرهم مجالسة له وحفظا وضبطا لأحاديثه، وفي هذا الصدد تصدر عن النقاد عبارات مختلفة: كقولهم: المشهور عن فلان كذا، والمحفوظ في هذا الحديث كذا، والثابت عن فلان كذا، وما رواه الثقات عنه كذا، والمعروف عنه كذا، وإنما يروى هذا الحديث عن فلان كذا، ونحو ذلك من عبارات النقد التي تزخر بها كتب العلل وكتب الضعفاء وسنن الترمذي... فإذا خالف أحد هذا الواقع الثابت في رواية هذا الحديث يعتبر واحدا... وأما الواقع العملي فأقصد به العمل المشهور عن الشيخ، أو فتواه، أو عقيدته، أو ما ثبت عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة، في الجانب العملي"<sup>1</sup>. وهذا هو معنى الشهرة عند النقاد؛ ومعرفتها وبالأحرى معرفة موافقة ما رواه الراوي للواقع الحديثي والعملي، أو مخالفته له، أو تفرد به بما لا أصل له في الواقع، هي الركيزة الأولى والأساسية في الحكم على الحديث؛ والوقوف على هذه الشهرة والواقع مهمة علمية يحتاج**

<sup>1</sup> - علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، لأستاذنا الدكتور حمزة عبد الله المليباري: (ص/ 54-55) .

فيها الناقد إلى خلفية علمية متكاملة المعارف<sup>1</sup>: حديثية وتاريخية ، وفقهية واسعة تؤهله لمعرفة الواقع الحديثي والعملي؛ وبدون هذه الخلفية العلمية الواسعة لا ينبغي لأحد الحكم على الحديث بأن المشهور كذا أو المعروف كذا، ولا الحكم عليه تصحيحا وتعليلا في نفس الأمر، حتى الحكم على الأسانيد اتصالا وانقطاعا وتديسا وإرسالا، فهي التي قصدها الحاكم حين قال: "إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط، وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع، وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علة الحديث"، وقال أيضا: "والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير"<sup>2</sup>؛ وقال البيهقي: "وهذا النوع من معرفة صحيح الحديث من سقيمه لا يعرف بعدالة الرواة وجرحهم، وإنما يعرف بكثرة السماع ومجالسة أهل العلم بالحديث ومذاكرتهم، والنظر في كتبهم، والوقوف على روايتهم حتى إذا شذَّ منها حديث عرفه"<sup>3</sup>. وعليه فمقتضى هذه الخلفية العلمية الواسعة المتنوعة المعارف، أن يكون لدى الناقد الذي يتصدى لنقد حديث ما رؤية واضحة حول واقع ذلك الحديث من جميع جوانبه من حيث الرواية والعمل به، بحيث يستطيع أن يستحضر الروايات الواردة فيه مع ملابساتها، وما يتعلق بموضوع الحديث من الجوانب العملية، من أجل مقارنة بعضها ببعض، وملاحظة ما يمكن وجوده فيما بينها من فوارق جوهرية، حتى يتم التمييز بين الثابت المشهور من الغريب الذي أُحيل إلى غير مصدره، ومنه معرفة الخطأ والصواب في ضوء الدلائل والملابسات والقرائن الواقعية بعيدا عن التخمين والتجوز والاحتمال العقلي.

إذن فالإحاطة بالمرويات وفقهها وتفسيرها ومعرفة العمل بها من عدمه، وكيفية تداول الرواة وطريقة نقلهم لها وعملهم بها أيضا، هي التي أوقفت أئمة الحديث ونقاده على شهرة الرواية عن صاحبها، ومعرفة مصدر شيء، ومعرفة هذه الشهرة هي التي تكسبهم روح النقد، وأضحت من أسسه، بل صارت لهم ذوقا؛ ذلك الذوق الحديثي الخاص بالأحاديث النبوية الذي صاروا يميّزون به بين الثابت من سنته ﷺ مما لا يثبت منها، بل لقد تجاوز

<sup>1</sup> - من معرفة رواة الحديث وشيوخهم وتلامذتهم: على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العلمية، وبلدانهم، ورحلاتهم، ومواليدهم، ووفياتهم ونحو ذلك، وكذا من فهم معاني الحديث وفقهه، واختلاف الناس فيه وعملهم به .

<sup>2</sup> - معرفة علوم الحديث: (ص / 59 و 112 ) .

<sup>3</sup> - معرفة السنن والآثار، للإمام أبي بكر البيهقي: (01 / 144 ) .

بهم الذوق الحديثي التمييز بين حديث النبي ﷺ وحديث غيره، إلى ما يمكن أن يكون من مرويات فلان من الرواة وما لا يمكن أن يكون من مروياته، بكونه يشبه حديثه أم لا يشبهه، يقول الحافظ ابن رجب: "حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث ومعرفتهم بالرجال، وأحاديث كل واحد منهم لهم فهم خاص، يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان، فيعللون الحديث بذلك، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة التي خصوا بها عن سائر أهل العلم"<sup>1</sup>. وقال أيضا: "وإنما تحمل مثل هذه الأحاديث<sup>2</sup> على تقدير صحتها، على معرفة أئمة الحديث الجهابذة النقاد الذين كثرت ممارستهم لكلام النبي ﷺ وكلام غيره، ولحال رواة الأحاديث ونقلة الأخبار، ومعرفتهم بصدقهم وكذبهم وحفظهم وضبطهم، فإن هؤلاء لهم نقد خاص في الحديث يختصون بمعرفته.. لا يمكن أن يعبر عن سبب معرفته ولا يقيم عليه دليلا لغيره"<sup>3</sup>. ومنها ربما عرفوا الخطأ ولم يعرفوا صوابه. كما يستتكرون الحديث سنده أو منته أحيانا ولا يذكرون علته. حتى تظهر علته بعد. وربما يعللونه بشيء غير ظاهر ولا منضبط في الجملة - لعدم التعليل به في موضع آخر - للنكارة الواقعة في المتن أو في السند، ولكن يرونه يكفي في تعليل ذلك الحديث المستنكر. ومنها: العلم بما عند المحدث من الحديث وما ليس لديه منه وما سمع مما لم يسمع من شيوخه وعددها، وما هي الأحاديث الغرائب التي يستفيدها ذلك الناقد منه، لكونها ليست من مروياته مما لم يستفد لكونها مشهورة. ومنها: يدلهم حفظهم وفهمهم إلى علاقة حديث بحديث، فيعمل حديث بحديث آخر، مع أنه لا تقارب بينهما لا في اللفظ ولا في الموضوع والمعنى. ومنها: على العكس مما سبق فقد يدلهم حفظهم وفهمهم إلى دفع علة حديث بحديث آخر، لا تشابه بينهما في اللفظ والمعنى.. **وهكذا، إلى غير ذلك** من دقائق الملابس التي تحتف بالمرويات أثناء تداول الرواة ونقلهم لها بكل أنواع النقل، وعملهم واحتجاج بعضهم بها في أبواب الشريعة المختلفة؛ وكل هذا

<sup>1</sup> - شرح علل الترمذي: (861/02).

<sup>2</sup> - يقصد حديث: "إذا سمعت الحديث عني تعرفه قلوبكم وأبشاركم" الحديث. انظر: جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلي: (102 /02). مع الهامش.

<sup>3</sup> - جامع العلوم والحكم: (102 /02).

الحس النقدي يدور على معرفة الواقع في الروايات والشهرة فيها. والخلاصة: أن بالشهرة يرجح كثير من الأئمة عند اختلاف الروايات على الراوي، الرواية الموافقة لما اشتهر وعُرف من ذلك حديث، أو الموافقة لما عُرف واشتهر عن شخص ما؛ فإذا كان لدينا **حديث معروف** مصدره هو فلان راو من رواية الحديث، قد يكون صحابيا، أو من دونه، فيشتهر ذلك ويعرفه القاصي والداني، فيرويه شيخ مثلا فيختلف عليه الرواة، فيرويه البعض عنه إلى مصدره المعروف والمشهور، ويرويه آخرون عن الشيخ، فيحيله إلى مصدر آخر غير مشهور ولا معروف، فيرجح الأئمة ما وافق المشهور والمعروف في الحديث، ويجعلون شهرته عن مصدره قرينة من قرائن ترجيح تلك الرواية المختلف فيها بين الرواة عن ذلك الشيخ، بل يجعلون مخالفة الراوي لما اشتهر وعرف في ذلك الحديث علة في الحديث، وتصير تلك الشهرة والمعرفة من قرائن التعليل أيضا، من خالفها<sup>1</sup> تعد روايته غريبة معلولة، وهذا هو معنى إعلال الغريب بالمشهور، وهذا هو معنى مخالفة الراوي للواقع التي سبق شرحها، وقل مثل هذا أيضا ترجيح رواية ما وافق ما اشتهر عن شخص ما، إذا كان الحديث المختلف فيه متعلقا به، فنجد أئمة الحديث يعلنون بالرواية المشهورة كل رواية غريبة ويجعلونها قرينة في ذلك الإعلال، وصور ومظاهر هذا الإعلال متنوعة ومتعددة، ويفرقون مع ذلك ما يصلح أن يكون متابعا وشاهدا للرواية المشهورة من ما يكون غريبا معلولا، ومن الألفاظ المستعملة عندهم في هذا الإعلال قولهم: لا يعرف هذا الحديث من حديث فلان، وإنما يعرف من حديث فلان، ونحو ذلك، وقولهم كذلك: هذا حديث غريب، والمعروف أو المشهور حديث كذا وكذا، ونحو ذلك من العبارات؛ وفيما يأتي تطبيقات الشهرة توضح ذلك، سواء النسبية وهي ما تعلق منها بإحالة الأسانيد إلى مصادرها، أو الشهرة المطلقة المتعلقة بالمتون.

### المطلب الثالث: تطبيقات الشهرة النسبية المتعلقة بالأسانيد:

**المثال الأول:** ما قاله الدارقطني -بعد أن ذكر حديثا طويلا لمعاذ بن جبل-: "...وروى هذا الحديث شهر بن حوشب واختلف عنه..." ثم قال: "وروى هذا الحديث عاصم بن أبي النجود، واختلف عنه: فرواه معمر، عن

<sup>1</sup> - نقصد بالمخالفة هنا المخالفة العامة وهي عزو الحديث إلى غير مصدره ونسبته إلى غيره، وليس الخاصة بالاختلاف عن الراوي مخرج الحديث فقط.

عاصم، عن أبي وائل، عن معاذ؛ وخالفه حماد بن سلمة فرواه-أي عن عاصم - عن شهر، عن معاذ، وقول حماد بن سلمة أشبه بالصواب لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عنه فيه...<sup>1</sup>.

فالدارقطني رجح رواية حماد بن سلمة على رواية معمر - مع حفظ معمر وإتقانه-، لأن رواية ابن سلمة موافقة لما اشتهر وعرف في هذا الحديث، وكونه من حديث شهر بن حوشب هو مصدره ومعروف به، ودليل ذلك كثرة اختلاف الرواة عنه في سنده، فلما أحاله معمر إلى غير مصدره المعروف أخطأ وخالف المشهور في الرواية.

**المثال الثاني:** ما قاله ابن أبي حاتم: "سألت أبا زرعة عن حديث رواه معاوية بن عبد الله الزبيري عن عائشة ابنت الزبير عن هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عطاء بن يسار عن السائب بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "اللهم، من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله...". الحديث؟ قال أبو زرعة: روى هذا الحديث الليث بن سعد عن هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ. قلت لأبي زرعة: أيهما الصحيح؟ قال: حديث عائشة بنت الزبير أصح؛ لأن الناس قد رووه عن السائب بن خالد. فسألت أبا زرعة: ما حال معاوية بن عبد الله هذا؟ قال: لا بأس به؛ كتبنا عنه بالبصرة...<sup>2</sup>.

فأبو زرعة رجح رواية معاوية عن عائشة عن هشام هنا على رواية الليث بن سعد عن هشام، لأن رواية معاوية موافقة للمشهور في هذا الحديث وكونه من حديث السائب بن خالد، لا من حديث عبادة بن الصامت، هكذا حدث الناس بهذا الحديث واشتهر عنه، وكان مقتضى الاصطلاح تقديم رواية الليث بن سعد لكونه أوثق من معاوية، لكن قرينة الموافقة للمشهور في الرواية حالت دون ذلك.

**المثال الثالث:** ما ذكره عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي أيضا فقال: "وسألت أبي عن حديث رواه عبد العزيز الدراوردي عن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ؛ قال: "عشرة في الجنة". ورواه موسى بن يعقوب الزمعي عن عمر

<sup>1</sup> - العلل الواردة، للإمام الدارقطني: ( 06 / 78 )، رقم: ( 988 ) .

<sup>2</sup> - كتاب العلل للإمام عبد الرحمن ابن أبي حاتم، رقم: ( 787 ) .



بن سعيد بن شريح عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ. قلت لأبي: أيهما أشبه؟ قال حديث موسى أشبه؛ لأن الحديث يروى عن سعيد من طرق شتى، ولا يعرف عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ في هذا شيء<sup>1</sup>.

فرجح أبو حاتم رواية موسى بن يعقوب عن عمر بن سعيد عن عبد الرحمن بن حميد، على رواية الدراوردي عن عبد الرحمن بن حميد، لقريظة الموافقة للمشهور في رواية هذا الحديث، حيث أنه معروف من حديث سعيد بن زيد لا من حديث عبد الرحمن بن عوف، وهذه الشهرة دلت عليها طرق هذا الحديث كما قال أبو حاتم: "لأن الحديث يُروى عن سعيد من طرق شتى، ولا يعرف عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ في هذا شيء".

**المثال الرابع:** ما ذكره ابن حبان عن "سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي عن عبد الله بن مروان الدمشقي، عن ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة، فلا صلاة إلا المكتوبة"؛ قال ابن حبان: وهذا الحديث ليس من حديث ابن عمر ولا من حديث نافع ولا من حديث ابن أبي ذئب، وإنما هو من حديث عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة، هذا هو المشهور"<sup>2</sup>.

فابن حبان أعل حديث سليمان الدمشقي لأنه خالف المشهور الثابت في رواية هذا الحديث، حيث عزاه إلى غير مصدره خطأً ووهماً، فمصدره عمرو بن دينار عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، هكذا رواه الحفاظ<sup>3</sup>، وهكذا اشتهر عند الأئمة كما نصَّ الإمام ابن حبان، وقال أبو نعيم: "مشهور من حديث عمرو، رواه عنه الجمع الغفير"<sup>4</sup>. فخلاف الراوية المشهورة يُعدُّ وهماً في الحديث، لذا تواردت كلمة النقاد في تعليقه، فقد قال

<sup>1</sup> - علل ابن أبي حاتم، رقم: ( 2613 ) .

<sup>2</sup> - المجروحين، للإمام ابن حبان: (36/02).

<sup>3</sup> - أخرجه من طرق كثيرة كل من: مسلم، رقم: (710)، وأحمد: (331، 455، 517، 531)، وأبو داود، رقم: (1266)، والنسائي: (116/02) والترمذي، رقم: (421)، وابن ماجه، رقم: (1151).

<sup>4</sup> - حلية الأولياء: (138/08).

ابن عدي: "ومن رواية ابن أبي ذئب غير محفوظ"<sup>1</sup>. وقال الدارقطني: "ويروى عن ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر ولا يصح حديث ابن أبي ذئب"<sup>2</sup>. هذه بعض أمثلة الشهرة النسبية، وقد تبين من خلالها مدى اعتماد الأئمة النقد عليها في تحليل الرواية الغريبة التي تُسبب إلى غير مصدرها، دون الوقوف على ظاهر الإسناد، وحال الرواة الظاهرة. كما أنها العمدة في الترجيح عند الاختلاف على الراوي.

#### المطلب الرابع: تطبيقات الشهرة المطلقة المتعلقة بالمتون:

سبق وأن ذكرت أن من شرط ثبوت الرواية "أن لا تخالف رواية كل راو من رواة الحديث الأمر الواقع في رواية ذلك الحديث، أو الواقع العملي الذي ثبت عن مصدر ذلك الحديث، أو عن مصدره الأعلى، ولا سيما عن النبي ﷺ؛ ويتحقق ذلك إما بموافقة الحديث الواقع، أو أن يكون لما تقرد به الراوي أصل لدى شيخه، وهذه النقطة هي مناط حكم الحديث بسلامته من الشذوذ والعلّة"<sup>3</sup>. فإذا خالفت رواية ما المشهور الثابت عن النبي ﷺ أي السنة المشهورة، أو الثابت عن الصحابي مثلاً، أو الثابت بالقرآن والسنة والإجماع، فكثيراً ما يعلّ الأئمة النقاد أحاديث بعض الرواة إذا خالفت المشهور والثابت من الأحاديث عن النبي ﷺ، ويستدلون بذلك على شذوذ متن ذلك الحديث أو نكارتة بحسب فداحة المخالفة لتلك الأحاديث، والمقصود بهذه المخالفة والغاية من ذكرها لدى النقاد أن متن هذا الحديث غير محفوظ، فمن أمثلة ذلك:

- **المثال الأول:** يقول الإمام الترمذي: "وسألت محمداً عن هذا الحديث - يعني حديث صالح بن محمد بن زائدة عن سالم عن أبيه عن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من وجدتموه غلّاً فأحرّفوا متاعه"<sup>4</sup>. فضعف محمد هذا الحديث. وقال: **قد روي عن النبي ﷺ غير حديث خلاف هذا:** حديث أبي هريرة في قصة مدعم، وحديث زيد بن خالد أن رجلاً غل خرزات؛ - وذكر أحاديث - فلم يذكر في شيء منها أن النبي ﷺ

<sup>1</sup> - الكامل، للإمام ابن عدي: (316/01).

<sup>2</sup> - العلل الواردة: (99/11).

<sup>3</sup> - علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد: (ص/ 42- 43 ) .

<sup>4</sup> - رواه أحمد في مسنده، رقم: (144)، (22/01)، وأبو داود في: الجهاد، باب في عقوبة الغال، رقم: (2713)، والترمذي في:

الحدود، باب ما جاء في الغال ما يصنع به، رقم: (1461)، وقال: هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

أمر أن يحرق متاع من غل. قال محمد: وصالح بن محمد بن زائدة هو أبو واقد، منكر الحديث ذاهب لا أروي عنه"<sup>1</sup>.

ضعف الإمام البخاري متن الحديث المروي عن عمر مرفوعاً : "من وجدتموه غلّ فاحرقوا متاعه"، فقال : " قد رُوِيَ عن النبي ﷺ غير حديث خلاف هذا...". وقد اعتمد في تضعيفه له على قرينة متنية صريحة، وهو كون هذا المتن يخالف الأحاديث الكثيرة المشهورة الثابتة: في أن النبي ﷺ لم يحرق متاع الغال، وإنما حرم وعظّم الغلول، وأوعد الغال بالعذاب بالنار، ولم يصل عليه، ورغب في إرجاع الغلول ليقسم . منها حديث أبي هريرة في قصة الغلام مدعم الذي غل الشملة ومات بخبير"<sup>2</sup>.

- **المثال الثاني:** يقول الإمام الترمذي: "حدثنا أبو موسى بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة، عن الحكم، سمعت القاسم بن مخيمرة، يُحدِّث عن عمرو بن شرحبيل، عن قيس بن سعد: كنا نصوم يوم عاشوراء، ونعطي زكاة الفطر قبل أن يُنزل علينا... الحديث. حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن مهدي حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن القاسم بن مخيمرة، عن أبي عمار، عن قيس بن سعد: قال أمرنا بصوم عاشوراء . سألت محمداً عن هذا الحديث، وقلت له: حديث الحكم، عن القاسم بن مخيمرة، عن عمرو بن شرحبيل، عن قيس بن سعد، أصح، أو حديث سلمة بن كهيل عن القاسم، عن أبي عمار، عن قيس بن سعد؟ فقال: لم أسمع أحداً يقضي في هذا بشيء؛ إلا أن حديث سلمة بن كهيل أشبه عندي؛ إلا أن هذا خلاف ما يروى عن النبي ﷺ في زكاة الفطر، قال ابن عمر: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر"<sup>3</sup>.

مراد الإمام البخاري من هذا النص النقدي تعليل الحديث المروي عن قيس بن سعد رفعه: " أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت الزكاة لم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله"<sup>4</sup>؛ وعمدته في التعليل

<sup>1</sup> - علل الترمذي الكبير: (ص/237-238).

<sup>2</sup> - رواه البخاري في: المغازي، باب غزوة خيبر، رقم: (3993)، وانظر، رقم: (6329) ومسلم في: الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول، رقم: (115).

<sup>3</sup> - علل الترمذي الكبير: (ص/119-120).

<sup>4</sup> - أخرجه ابن خزيمة، برقم: (2394)، واللفظ له، وأحمد في مسنده: (421/03)، رقم: (15556)، و(6/06)، رقم: (24344) و(6/06)، رقم: (24341)، والنسائي في: الزكاة، باب صدقة الفطر قبل نزول الزكاة، رقم: (2506 و 2507)، وابن ماجه في: الزكاة، باب صدقة الفطر، رقم: (1828)، والحاكم في المستدرک: (568/01)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قرينة متنية هي: مخالفة الحديث لما ثبت وصح واشتهر عن رسول الله ﷺ من إيجاب زكاة الفطر، وفرضها، كما دل عليه حديث ابن عمر: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر"<sup>1</sup> المذكور في النص. ووجه المخالفة أن حديث قيس بن سعد دل على عدم إيجاب زكاة الفطر، وغاية ما يدل عليه الاستحباب، كما قال الإمام الحاكم بعد تخريجه له: "وإنما جعلته بإزاء حديث أبي عمار فإنه على الاستحباب وهذا على الوجوب"<sup>2</sup>. وهذا الحكم بخلاف ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الثابتة والمشهورة من الإيجاب والفرض، لذا أخرج البخاري بعضها<sup>3</sup>، وبوّب عليها في صحيحه بقوله: "باب فرض صدقة الفطر، ورأى أبو العالية وعطاء وابن سيرين صدقة الفطر فريضة"<sup>4</sup>. وهذا الجزم منه يشبه أن يكون مقصوده: أن ما يرد من الأحاديث في موضوع زكاة الفطر بخلاف الفرض والإيجاب، إما غير محفوظ، أو هو على التأويل؛ وكونه غير محفوظ عنده هو المقدم، بدليل قوله في النص النقدي: "إلا أن هذا خلاف ما يروى عن النبي ﷺ في زكاة الفطر"، لأنني تتبعت هذه العبارة عنده فوجدت مراده منها التعليل، ويستعملها كقرينة متنية فيه. إلا أن البيهقي رأى تأويل حديث قيس بن سعد، فقال: "وهذا لا يدل على سقوط فرضها، لأن نزول فرض لا يوجب سقوط آخر، وقد أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر، وإن اختلفوا في تسميتها فرضاً، فلا يجوز تركها"<sup>5</sup>. وحكم البخاري أولى في نظري، لما في سند الحديث من جهالة بعض الرواة، كما قال الحافظ: "روى النسائي وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر... وتُعقب بأن في إسناده راويًا مجهولاً"<sup>6</sup>.

- **المثال الثالث:** قال الإمام البخاري: "وقال لي عبد الله بن محمد،

حدثنا هشام قال: حدثنا معمر، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، أن رسول الله ﷺ قال: "ما أدري! أعزير نبياً كان أم لا؟ وتبع لعينا كان أم لا؟ والحدود كفارات لأهلها أم لا؟ وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري في: الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، رقم: (1432).

<sup>2</sup> - المستدرک، للإمام الحاكم: (568/01).

<sup>3</sup> - انظر: صحيح البخاري، الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، رقم: (1432)، وانظر الأرقام: (1433 و 1433).

<sup>4</sup> - المصدر السابق.

<sup>5</sup> - السنن الكبرى، للبيهقي: (159/04).

<sup>6</sup> - فتح الباري: (368/03).

سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم. والأول أصح؛ ولا يثبت هذا عن النبي ﷺ. لأن النبي ﷺ قال: الحدود كفارة<sup>1</sup>.

أعل الإمام البخاري هذا المتن المرفوع إلى النبي ﷺ: "ما أدري! أعزير نبياً كان أم لا؟ وتبع لعيينا كان أم لا؟ والحدود كفارات لأهلها أم لا"<sup>2</sup>، لعلتين اثنتين:

**الأولى:** الاختلاف الواقع في سنده، وأن الصواب فيه أنه من مرسلات الزهري، ومرسلاته ليست بصحيحة عند أئمة الحديث<sup>3</sup>.

**الثانية:** علة في متنها؛ والقرينة المتنية المعتمدة في تعليقه: مخالفة مضمونه لجملة ما صح وثبت واشتهر من الأحاديث عن النبي ﷺ من أن الحدود كفارات لأهلها، وقد ذكر منها الإمام حديثاً واحداً بالمعنى معلقاً، وأشهرها وأصحها حديث عبادة بن الصامت في البيعة على ترك الكبائر: الشرك والزنا والسرقة والقتل، خرجه البخاري، وفيه: ".ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"<sup>4</sup>. وله ألفاظ أخرى، فـ"قي رواية: فهو طهور"، وفي رواية: "طهور له، أو كفارة"، بالشك، ورواه بعضهم: "طهور، وكفارة"، بالجمع، وقد خرجه البخاري في موضع آخر من صحيحه، وروى ابن إسحاق... عن عبادة وقال فيه: "فأقيم عليه الحد، فهو كفارة له". وفي رواية أبي الأشعث عن عبادة: "ومن أتى منكم حداً، فأقيم عليه فهو كفارة"... وهذا صريح في أن إقامة الحدود كفارة لأهلها. وقد صرح بذلك سفيان الثوري، ونص على ذلك أحمد... وقال الشافعي: لم أسمع في هذا الباب أن الحد كفارة أحسن من حديث عبادة"<sup>5</sup>. وقد جاء هذا المعنى في أحاديث أخرى. يقول الحافظ ابن حجر: "واعلم أن عبادة بن الصامت لم ينفرد برواية هذا المعنى، بل روى ذلك على بن أبي طالب، وهو في الترمذي، وصححه الحاكم، وفيه: "من أصاب ذنباً فعوقب به في الدنيا، فالله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده في الآخرة". وهو عند الطبراني بإسناد

<sup>1</sup> - التاريخ الكبير: (152/01)، وانظر: السنن الكبرى للبيهقي: (329/08).

<sup>2</sup> - أخرجه أبو داود مختصراً في: السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام، رقم: (4674)، والحاكم في المستدرک: (92/01)، و(17/02)، و(488/02)، والبيهقي في: السنن الكبرى: (329/08).

<sup>3</sup> - انظر: شرح العلال: (535/01).

<sup>4</sup> - رواه البخاري واللفظ له في: الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: (18)، وانظر الرقم: (3679 و4612).

<sup>5</sup> - فتح الباري، للحافظ ابن رجب الحنبلي: (72/01).

حسن من حديث أبي تميمة الهجيمي، ولأحمد من حديث خزيمة بن ثابت بإسناد حسن، ولفظه: "من أصاب ذنبا، أقيم عليه ذلك الذنب، فهو كفارة له؛ وللطبراني عن ابن عمرو مرفوعا: "ما عوقب رجل على ذنب، إلا جعله الله كفارة لما أصاب من ذلك الذنب"<sup>1</sup>. وقال أيضا: "ولأحمد من حديث خزيمة بن ثابت رفعه: "من أصاب ذنبا، أقيم عليه حد ذلك الذنب، فهو كفارته". وسنده حسن؛ وفي الباب: عن جرير بن عبد الله نحوه، عند أبي الشيخ. وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عنده بسند صحيح إليه نحو حديث عبادة، وفيه: "فمن فعل من ذلك شيئا، فأقيم عليه الحد، فهو كفارته". وعن ثابت بن الضحاك نحوه، عند أبي الشيخ"<sup>2</sup>. وقال الترمذي: "وفي الباب: عن علي، وجرير بن عبد الله، وخزيمة بن ثابت... وحديث عبادة بن الصامت حديث حسن صحيح. وقال الشافعي لم أسمع في هذا الباب أن الحدود تكون كفارة لأهلها شيئا أحسن من هذا الحديث"<sup>3</sup>. يقول الحافظ ابن رجب: "وانما قال هذا-يعني الشافعي- ؛ لأنه قد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، عن علي، وجرير، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله بن عمرو وغيرهم. وفي أسانيدنا كلها مقال، وحديث عبادة صحيح ثابت"<sup>4</sup>. فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن النبي ﷺ أكد أن الحدود كفارات لأهلها، وهذا مخالف للحديث الوارد عن أبي هريرة: "وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا؟" لذا ذهب الإمام البخاري إلى نفي ثبوت هذا الحديث، وعدم تصحيحه، ومعنى ذلك أن ليس له أصل عنده بدليل القرينة المذكورة.

هذه أمثلة سقتها من صنيع الإمام البخاري في تعليل الأحاديث بقرينة المخالفة الصريحة لما ثبت وصح واستفاض من الأحاديث عن النبي ﷺ، والتعليل بهذه القرينة معروف وكثير من صنيع غيره من النقاد، سيما فقهاء الحديث: كالإمام ابن مهدي وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ومسلم وأبي داود وأبي زرعة الرازي والترمذي والقاضي إسماعيل بن إسحاق وغيرهم، والأئمة يتفاوتون في إعمالها بين أكثر ومقل.

### خاتمة:

<sup>1</sup> - فتح الباري: (68-67/01).

<sup>2</sup> - المصدر السابق: (84/12).

<sup>3</sup> - سنن الترمذي، عقب الحديث، رقم: (1439).

<sup>4</sup> - فتح الباري لابن رجب: (72/01).

فهذا هو مفهوم الشهرة وتطبيقاتها في ضوء عمل المحدثين النقاد، وقد تبين من خلال البحث أن ترجيح الرواية الموافقة لما اشتهر وعرف من الحديث أو عن مصدره، هي التي لها أصل في الجملة، وهي الموافقة للواقع الحديثي والعملية، فهذه الشهرة والموافقة تعتبر عند الأئمة من قرائن الترجيح، كما أن مخالفتها تعتبر من قرائن التعليل. فيتلخص من هذا: أن الشهرة تُعدُّ من أهم قرائن النقد عند المحدثين، وهي قرينة يمارسها كلُّ ناقدٍ، بل كلُّ عاقلٍ في جميع المجالات المعرفية، ولا يكون المحدث ناقدًا إلا إذا تمكَّن من حفظ الروايات واستحضارها عند الحاجة، مع معرفة أسباب غرابة الحديث وشهرته.

### المصادر والمراجع:

- التاريخ الكبير للإمام البخاري: ت عبد الرحمن المعلمي ، ط دار الكتب العلمية- بيروت.
- التلخيص الحبير، لابن حجر، ت حسن قطب، ط1، س1416هـ، ط مؤسسة قرطبة- الجيزة.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري، ت عبد الفتاح أبوغدة، ط1 س1416هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب .
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ت شعيب الأرنؤوط، ط1، س1411هـ، دار الهدى للنشر والتوزيع - الجزائر.
- رسالة الإمام أبي داود إلى أهل مكة، ت محمد الصباغ، ط3، س1406، المكتب الإسلامي، بيروت
- شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، ت همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الثانية 1421هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
- كتاب العلل لعبد الرحمن ابن أبي حاتم، ت فريق من الباحثين، بإشراف وعناية الدكتور سعد الحميد والدكتور خالد الجريسي، الطبعة الكاملة، ط1، س1427هـ، مؤسسة الجريسي- الرياض - الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ت يحيى غزاوي، ط3، س1409هـ، دار الفكر- بيروت
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت.
- معجم مقاييس اللغة؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس، ت عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت.

- معرفة علوم الحديث، للإمام الحاكم النيسابوري، ت السيد معظم حسين، ط2، س1397هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
- المجروحين، لابن حبان، ت محمود إبراهيم زايد، ط1، س1396هـ، دار الوعي - حلب.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، ت عمرو سليم، ط1، س1415هـ، مكتبة ابن تيمية.
- علوم الحديث "المقدمة" لابن الصلاح، ت نور الدين عتر، س1406هـ، دار الفكر، بيروت.
- علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، لحمزة عبد الله المليباري، ط1، س1423، دار ابن حزم.**
- العلل الواردة، للدارقطني، محفوظ السلفي، ط1، س1405هـ، دار طيبة- الرياض.
- العلل الكبير، للترمذي، ترتيب القاضي، ت صبحي السامرائي، ط1، س1409، عالم الكتب- بيروت
- فتح الباري، للحافظ ابن حجر، ت ابن باز، ط1، س1379هـ، دار المعرفة- بيروت.
- فتح المغيـث في شرح ألفية الحديث، للسخاوي، ت علي حسين، ط1، س1415، مكتبة السنة القاهرة



## الترجمة وتفاعل الثقافات

أ.باقي عبد القادر

- جامعة بشار

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة من جهة إلى إبراز عامل الترجمة في تفاعل الثقافات وكذا دور الحضارة العربية الإسلامية وإسهاماتها الجبارة في صناعة الحضارة الإنسانية . ومن جهة تسليط الضوء على إجراء الاقتراض الذي يعد مفتاحا من مفاتيح الترجمة المباشرة؛ ناهيك على انه ظاهرة صحيحة لا تقتصر على لسان الضاد فحسب بل جل الألسنة قاطبة.

### Abstract :

On the one hand, this study aims to illustrate the factor of translation which plays an important part in the interaction of cultures. On the other hand, to show the role of the Islamic and the Arabic civilization and its gigantic contributions to the construction of the human civilization .Besides, to shed light on the borrowing procedure which is considered as a key of the direct translation. Meanwhile, the former which is a healthier phenomenon concerns not only the Arabic language, but all the languages as well.

### مقدمة:

العلم مدينة والترجمة بابها ، ومادام العلم قائم على مبدأ التراكم، والأخذ والعطاء، والتأثير، والتأثر، ومادامت البشرية قاطبة، لا تتفق على لسان واحد، كان من الضرورة بمكان، بروز حركة الترجمة منذ مهد التاريخ. فالحضارة العربية الإسلامية التي شيّد الغرب دعائم مدينته على أنقاضها، ونهل من منابعها من منافذ شتى، كمنفذ صقلية، والأندلس، والحروب الصليبية. لكن كل هذا يرجع فيه الفضل إلى عامل الترجمة.

فالغرب في القرون الوسطى، ترجم أمات الكتب العربية في مختلف فنون العلم، والمعرفة. مثل الطب، والفلك، والجبر، والهندسة، والمنطق، والفلسفة، والأدب ونقلها برمتها إلى رصيده المعرفي. فأوروبا في القرون الوسطى كانت تسبح في بحر من الظلمات حيث لم تكن تعرف الصفر الذي هو لا شيء لكنه قيمة قائمة بذاتها في علم الحساب، وحتى الأرقام المتداولة اليوم عند الغرب هي عربية خالصة.

إذن الترجمة هي لا ريب قناة فعالة في عملية التواصل الحضاري والثقافي بين الأمم في مشارق الأرض ومغاربها. ومادام لكل لسان نظام تركيبى وصوتي دال يميزه عن باقي الألسنة الأخرى، ولاسيما تلك التي لا تنتمي إلى شجرة العائلة الواحدة مثل العربية التي هي من أرومة الألسنة السامية والإنجليزية التي هي من أصل الألسنة الجرمانية فلا غرو أن نجد ألفاظاً عربية طائفة قد هاجرت إلى اللسان الإنجليزي وأصبحت متداولة في الثقافة والأدب الإنجليزي، وحتى لسان الضاد نفسه رضع من ثدي الاقتراض وعرب ألفاظاً لا حصر لها مثل الفلفل، الكروياء، القرفة، النرجس الياسمين المسك، الترياق، البطاقة، الزنجبيل، الدباج، القصعة، العنبر، القسطاس وهلم جراً... (1)

مما لا ريب فيه أن الترجمة منذ فجر التاريخ، كان لها الدور الريادي في عملية التواصل والمناقفة بين الأمم. ففي العصر العباسي على سبيل المثال، كان الأمراء يجزلون العطاء للمترجمين « كان المأمون يعطي لحنين بن اسحاق العابدي (254 هـ/ 873 أو 877م) من ذهب على كل كتاب يترجم، فقد كان يقابل زنته بالذهب مثلاً بمثل» (2). فالعرب عاشوا بين حضارتين عظيمتين، لكن سرعان ما انطفأت جذوتهما، بظهور الحضارة العربية الإسلامية، فاكتسحتهم كالسيل العرم. فرغم أن الثقافة الهيلينية كانت مفعمة بالوثنية والأساطير وتعدد الآلهة عندهم وكذا تخليد مآثر عظمائهم بالتماثيل إلا أن العرب والمسلمين أخذوا لب معارفهم، كالفلسفة والمنطق، والطب، والفلك، والكيمياء، ونقلوها إلى لغتهم، ونقحوا ما نقحوه، وصاغوها طبق ما يتماشى مع تعاليم عقيدتهم السمحاء.

<sup>2</sup> : ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، دار الفكر، لبنان ج/1، ب، ط، ب، ت، ص 203.

«وعدم شيوع ترجمة الشعر اليوناني - على اختلافه سواء علينا أكان بطولياً أو مسرحياً أم غنائياً - ترجع إلى أسباب جوهرية وهي أن هذا الشعر كان يعتمد على تراث وثني يتعارض تماماً والتوحيد الصارم، لهذا لم يكن في الإمكان ترجمته، فإذا ما ترجم منه شيء - مهما يكن قليلاً - فلا بد من تحويره ليتفق والروح التوحيدية»<sup>(1)</sup>.

فالعرب آنذاك، كان مولعين بالعلم وتقفي آثار المعرفة أينما كانت سالكين في ذلك الحديث مغزى القول المأثور «الحكمة ضالة المؤمن»<sup>(2)</sup> فكان سعيهم وراء المعرفة سعياً حثيثاً ودأبهم متواصلاً لاكتساب ثقافة الآخر والتي لم تكن عندهم سلوك حضاري فحسب بل فريضة مثل فرائض التعبد. فأسلافنا قدسوا العلم والعقل وربطوهما بالعبادة لأن من تعاليم الدين الحنيف طلب العلم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»<sup>(3)</sup>، وأن أول ما نزل من القرآن الكريم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾<sup>(4)</sup>.

والقرآن الكريم ثري بالآيات التي تدعو إلى طلب العلم والتعلم والتعليم والسعي وراءه حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> عباس، إحسان، ملاح يونانية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص: 11.

<sup>2</sup> الميداني، النيسابوري، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، نج، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ج/1، د، ط، 1374 هـ، 1955 م، ص 214.

<sup>3</sup> ابن الأثير، الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، نج، أيمن، صالح، شعبان، دار الكتب العلمية، ج/8، ط1، بيروت، لبنان، 1418 هـ، 1998 م، ص 7.

<sup>4</sup> سورة العلق، الآية رقم: 01.

<sup>5</sup> سورة طه، الآية رقم: 114.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾<sup>(1)</sup>.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(2)</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ يُوتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾<sup>(3)</sup>. وقوله تعالى: ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾<sup>(4)</sup>. وفي قوله عز وجل: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(5)</sup>.

كما أن السنة النبوية الشريفة تحت على طلب العلم «أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبباً ولا تكن الخامسة فتهلك»<sup>(6)</sup>

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(7)</sup> رواه مسلم.

فبيت الحكمة ببغداد عاصمة الخلافة آنذاك، كانت تعج بأمامت الكتب في الفلسفة والفلك، والمنطق وكل هذه العلوم والمعارف لم تولد عند العرب بل نقلوها عن الأمم الأخرى وأضافوا إليها بعد الدرس والتمحيص حتى وصلت إلى الغرب زبدة خالصة، فالتهمها بشراهة فقفزة قفزة مارد جبار، وأرسي دعائم حضارته، ونحن العرب تراجعنا القهقري، ففي عصر النهضة وإبان عهد محمد علي ( 1805م - 1849 م) الذي كان حاكماً على مصر، أرسل بعثات إلى الغرب قصد الانتفاع ونقل التكنولوجيا المدنية والحربية.

<sup>1</sup> سورة الزمر، الآية رقم: 09.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية رقم: 269.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية رقم: 269.

<sup>4</sup> سورة المجادلة، من الآية رقم: 11.

<sup>5</sup> سورة آل عمران، الآية رقم: 18.

<sup>6</sup> ابن الأثير، الجزري، المصدر السابق .

<sup>7</sup> ص7 النووي، أبو زكرياء يحيى بن شرف الدمشقي، رياض الصالحين، دار الفكر، لاط، بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م، ص393

«راح محمد علي بعد ذلك يلتبس طريقة أخرى، فرأى أن ينقل نفراً من أهل البلد إلى أوروبا - موطن هذه العلوم والنظم ليدرسوا هذا الذي نقلوه هناك، وبلغت القوم، حتى إذا عادوا لمصر كانوا عدتها في المستقبل، وحلوا محل الأجانب في الوظائف المختلفة وفي تعليم ما درسوا لأبناء أمتهم، وفي ترجمة الكتب الغربية ولهذا أرسل محمد علي البعوث إلى أوروبا الواحدة بعد الأخرى، وعاد الكثيرون من أعضائها وقد أفادوا الفائدة الكبرى وحققوا أغراض محمد علي»<sup>(1)</sup>.

وبعد سقوط الخلافة العثمانية، ذاقت الأمة العربية مرارة الاستعمار الأوربي بشقيه الإنجليزي والفرنسي، عُرفت في الذاكرة الجمعية الجزائرية - بسنين الجمر - حيث كانت عليه أشد حرقه من الرمضاء والنار. وبعد رحيل الاستعمار الفرنسي من بلادنا خلف من ورائه ألغاماً فكرية وثقافية أعتى ضراوة من خطي شال وموريس ومن شظاياها الفرنكوفونية والفرنوكفيلية. «...أن (الفرنوكوفيلي) كما تدل على حقيقته المعاجم الفرنسية المعاصرة، هو كل متفان في حب فرنسا، معجب بتقاليد العيش لدى أهلها. ذلك بأن هناك من الناس في المغرب العربي من قد يحب فرنسا وثقافتها وحضارتها وتقاليدها أكثر مما يحب وطنه ونفسه، حتى لا أقول: أكثر مما يحب الله! وهذا مرض ثقافي حضاري يجب أن يدان»<sup>(2)</sup>

فأرى أن الفروكفيلية قد خلفت شرخاً في ثقافتنا وهويتنا الوطنية إذ هي أشد مضاضة على المتقنين النزهاء لأنها نكرة تستكر لكل ما هو عربي أصيل وتذوب في أحضان الثقافة الفرنسية قلباً وقالباً، وتعادي العروبة والإسلام، وتذهب في ذلك مذهب المستشرقين المتعصبين الذين يقصوا دور العرب والمسلمين في أشواط الحضارة الإنسانية القائمة على مبدأ التراكم والتداول مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾<sup>(3)</sup>

فالثقافات تتعايش مع بعضها البعض وتتلاقح عبر رياح الاقتراض والترجمة والنقل والنحت والافتباس، فإذا كان الإنسان لا يستطيع البتة، العيش

<sup>1</sup> الشال، جمال الدين، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1420هـ-2000م ص:08-09.

<sup>2</sup> : د. مرتاض، عبد المالك، موقع اللغة والثقافة العربية في مواجهة الفرنكوفونية، مجلة العربي، الكويت، ع 515، س ط أكتوبر 2001م ص69.

<sup>3</sup> سورة آل عمران، من الآية رقم: 140.

رهين وحبيس حجرة مظلمة. فالأمر سيان بالنسبة للمجتمعات الإنسانية حيث هي الأخرى لا تطيق بتاتا مواكبة الحياة بمعزل عن الشعوب والأمم الأخرى، فلا بد لها أن تضمن قوت أبنائها عبر قنوات ومنافذ كالتجارة والقروض والمقايسة إذا اقتضى الحال.

فاللغة العبرية مثلاً: التي بعثت من رسمها وأصبح لها صدى مسموع في أنحاء المعمورة قاطبة ما كان لها ذلك كله إلا بفضل أبنائها الذين اقتحموا الغرب ونقلوا تكنولوجيته الرهيبة وامتلكوا السلاح النووي الفتاك.

«ويفسر السيد ياسين اهتمام المؤسسات البحثية الإسرائيلية بترجمة ودراسة الأدب العربي بمختلف عصوره، بدءاً من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، بأن أي أدب يرصد العملية الاجتماعية التي تصاحب التغير الاجتماعي وتلقي الأضواء عليها وعلى مساراتها المتعددة، بصورة أكثر بروزاً ووضوحاً وحيوية من كثير من البحوث العلمية، ومن

هنا يهتم الباحثون العلميون بتحليل مضمون هذه الأعمال الأدبية حتى يضعوا أيديهم على مفاتيح التغير الاجتماعي في المجتمع وآثاره»<sup>(1)</sup>.

فالترجمة على مر العصور، كانت معينا لا ينضب حيث أنت أكلها في السراء والضراء، والحرب، والسلم. فمعرفة الهو تقتفي من خلال لغته لأنها سجل ذاكرته وديوان حياته الفكرية والثقافية والاجتماعية والنفسية ولما كانت العبارات الاصطلاحية جزء لا يتجزأ من اللغة، كان لا بد لها أن تتقاطع مع الحياة الإنسانية في هذه الجوانب لأنها تجري على السنة الحيوان ظاهراً وتتناول الحياة البشرية باطناً. وتلقي بظلالها الوارفة على الأبعاد المضمرة والمسكوت عنها كالبعد السسيوثقافي، والحضاري والفكري وكذا البعد الترجمي الجمالي الفني.

«يتضح مما تقدم، أن الترجمة ضرورة إنسانية وقومية، وأداة هامة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب، علاوة على أنها عامل من عوامل النهضة. وليس أدلّ على أهمية الترجمة، من أنها أصبحت اليوم- في كثير من الدول المتقدمة- مهنة يقوم بها مترجمون متخصصون»<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> صالح حسين، محمد (أحمد)، لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي، مجلة العربي، الكويت، ع 514، 1422هـ، سبتمبر 2001م، ص 17:16.

<sup>2</sup> مظفر الدين، أسعد حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/1، دمشق، سوريا 1989م ص 24.

وعلى هذا فإن لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية عادات، وتقاليد، وثقافة، ولغة يعبر بها عما يختلج في لواعجه من خواطر، وأفكار، وما يحتاج من مآرب وأغراض.

وفي هذا الصدد يقول ابن جني (ت 395 هـ) في تعريف اللغة: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>(1)</sup> ولما كان الناس يتباينون فيما بينهم باللغات واللهجات، كان من الأهمية بمكان أن يتفاعلوا، ويندمجوا فيما بينهم عبر جسور الترجمة في شتى مواطن الحياة، حيث أن أي ازدهار لأي حركة علمية لابد وأن يواكبه ازدهار لحركة الترجمة والغرب نفسه هذا حذو العرب في هذا السلوك الحضاري، فتهافت على المخطوطات العربية بالنقل والتمحيص والترجمة واستفاد منها الكثير.

وقد نشاطر فراحي بوبكري بالجمع في رأيه حين يقول: «أعتقد أن الرجال الذين أسهموا في إذكاء مشعل النهضة العلمية في أوروبا، من أمثال غليلي ونيوتن وليبتز وديكارت، وغيرهم لم يكتفوا بالترجمة الحرفية لهذه المخطوطات فحسب بل فهموا معانيها وما ترمي إليه من مضامين كانت خافية حتى على أصحابها، فاستطاعوا أن يطوروها ويقدموها للعالم في ثوب جديد...»<sup>(2)</sup>

### تقاطع الثقافات في أسلوب الاقتراض:

إن ازدهار حركة الترجمة في عصر المأمون، جاء بعد مخاض وإنشاء مدارس، نظمت سير عملية الترجمة، فكانت بيت الحكمة ببغداد، مركز إشعاع فكري، ومطية للعبور إلى ثقافة الآخر، ونقل لب ما وصلت إليه الأمم السالفة التي تداولت على صولجان الحضارة، كالفرس، والهنود، والإغريق، والرومان.

«كان أول رئيس لبيت الحكمة وأول مؤسس لها طبيب المأمون الخاص النسطوري اشعيا بن مسواح (Shaia Ben Maswah) أحد العارفين الكبار بتاريخ الطب اليوناني وكان تلميذه الأول وخليفته من بعده هو حنين بن إسحاق (808م-873م) الذي عُرف في المصادر اللاتينية Johannituis أو Hunainus وبالإضافة إلى كونه مترجماً بارزاً كان إلى

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج 1، ب، ط ب، ت، ص 22.

<sup>2</sup> بوبكري، فراحي، الترجمة، التعريب والمصطلح، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص: 32.

جانب ذلك مؤلفاً العديد من الكتب في علم العربية وعلم النحو، كما كان مبرزاً في ميدان الطب فألف فيه كتاباً في أمراض العيون»<sup>(1)</sup>.

« وكان لهم في الترجمة طريقتان، أحدهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما حيث كانا يعمدان إلى الكلمة اليونانية فيأتیان بكلمة تقابلها في المعنى أما الطريقة الثانية وهي طريقة حنين ابن إسحاق والجوهري فيأتيا على الجملة فيترسخ معناها في أذهانهم ثم يأتيا على جملة تطابقها سواء ساوتها في الألفاظ أم خالفها وهذه الطريقة أحسن في نظري لأنها تحافظ على الجوهر أي المعنى. »<sup>(2)</sup>

وفي هذا الصدد يقول جورج مونان عندما يطرح السؤال الآتي: ما الذي يجعل من الترجمة عملية صعبة ؟

فيجيب «في الواقع ليست اللغات، عبارة عن قائمة من كلمات تطابق الوقائع نفسها دائماً والمعطيات المسبقة. وتكون الترجمة سهلة لو كانت في الحالة الخاصة دائماً بالقدرة على الترجمة الحرفية...»<sup>(3)</sup>

ولم تبق بيت الحكمة، فريدة زمانها آنذاك بل تلتها مدارس أخرى، كمدرسة حران بشمال العراق ومدرسة جنديسابور ومدرسة الإسكندرية وكذا مدرسة طليطلة، حيث كان لهذه المدارس، شأؤ عظيم، فتبعوا المكانة الرفيعة في عملية المثاقفة والتواصل بين الشعوب.

«ومقابل بيت الحكمة المعمور في بغداد المعروف بشهرته العالمية نهضت مدرسة ثانية للترجمة بحران بقيادة عالم جليل آخر هو ثابت بن قرة الذي عاش ما بين 836م و 901م وكان جملة العلماء الملتفتين حول هذا العالم انصبت معظم اهتماماتهم على ميدان علم الفلك والرياضيات حتى كادت مدرسة حران للترجمة تتخصص في مثل هذه المعارف بحيث تمت بهذه المدرسة ترجمة كتاب الماجسطي لبطليوس الاسكندري والذي بفضل الترجمة العربية استطاع أن يصل إلى ثقافات العالم لأن أصله لم يعد له وجود».<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص:335.

<sup>2</sup> ينظر : كاميل، هشام، الترجمة بالنصوص، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2002، ص:61.

<sup>3</sup> مونان، جورج، اللسانيات والترجمة، ترجمة بن رزوق، حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000 م، ص:54.

<sup>4</sup> د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص:336.



ومن أهم المدارس أيضاً التي ساعدت على ذبوع صيت الثقافة اليونانية وساهمت في توسيع آفاق العقلية العربية، مدرسة جند يسابور « فجدد يسابور مدينة في خوزستان أسسها سابور الأول واليه تنتسب، واتخذها موطناً لأسرى الروم، ولعل هذا من الأسباب التي جعلتها فيما بعد منبعاً للثقافة اليونانية، وأسس فيها كسرى أنوشروان مدرسة الطب المشهورة، وكانت تعلم فيها العلوم اليونانية باللغة الآرامية، وقد فتحها المسلمون فيما فتحوا من بلاد الفرس وظلت المدرسة قائمة إلى العصر العباسي» (1)

ومن بين المدارس التي ساهمت في انصهار الفكر والثقافات الأخرى في بوتقة الثقافة العربية الإسلامية، مدرسة الإسكندرية « وقد اتصل المسلمون بمدرسة الإسكندرية في العهد الأموي . فنرى أن خالد ابن يزيد بن معاوية يترجم له بعض الكتب " اصطفن " ويلقبه الففطي " اصطفن الإسكندراني " (2) .

ولا يختلف اثنان أن الثقافات الإنسانية، تتفاعل وتتعايش فيما بينها في شتى النواحي الإيديولوجية، واللغوية، والعلمية. وفي رأينا إن الاقتراض هو بمثابة الفيتامين الروحي لكل اللغات دون استثناء، لكي تحيا ويزهر عودها.

فاللغة العربية التي حباها الله بالقرآن الكريم وكتب لها بذلك الحياة الأبدية، أبد الأبدين، عرفت هي الأخرى، قديماً من معين اللغات المتاخمة لثغورها آنذاك، ومازالت في التو والحين تقفات من اللغات العالمية وهذا ليس عيباً بل عامل صحي اقتضته، ضرورة الزخم الحضاري والتمازج والحوار بين الثقافات، فديننا الحنيف يدعونا إلى الحوار والتعارف بين الشعوب والأمم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (3)

فالإنسان خلقه الله تعالى وكرمه على سائر المخلوقات وميزه بالعقل واللسان قال تعالى: ﴿ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدَاتُ إِذَا فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (4)

<sup>1</sup> أمين، أحمد، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 268/1.

<sup>2</sup> (م، ن)، 1/ص:262.

<sup>3</sup> سورة الحجرات، الآية رقم:13.

<sup>4</sup> سورة الروم، الآية رقم:22.

فاختلاف ألوان البشر وألسنتهم آية لأولي النهى لكي يتدبروا في ملكوت الله عز وجل ويهتدوا إلى جادة الصواب ويزدادوا إيماناً. فاللغات الحية لا بد لها أن تمر عبر قنوات الاقتراض، شاءت أم أبت، حتى تحافظ على مسيرة بقائها. ففوة الأمم تصاحبها سطوة على الصعيد اللغوي، الفكري، والعلمي. فلما كانت دوحة الإسلام دائية بقطوفها على العالم، وبأسطة أجنحتها البيضاء على ربوعه، كانت العربية في أوج عطائها حيث كان يتعبد بها في المساجد ويدرس بها العلم في جامعات أوروبا.

هذا ما يؤكد أحمد عروة في قوله: «...حين ازدهرت الحضارة الإسلامية في إمبراطورية شاسعة تمتد من أسبانيا إلى اندونيسيا، ومن القوقاز إلى دار السلام، صارت اللغة العربية اللغة العالمية، لغة الدين، ولغة الآداب والفنون، ولغة الدبلوماسية والعلم، لا في العالم الإسلامي فقط، ولكن في البلاد الغربية، التي أصبحت العربية عندها الأداة الضرورية للتعرف إلى الثقافة، وأهمية الكلمات في المعجم العلمي شاهد لا يمكن إغفاله ولكنه لا يكشف سعة التيار الثقافي كله الذي أخصب العصر الوسيط المسيحي»<sup>(1)</sup>.  
مما لا شك أن قوة أي أمة من الأمم، سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، واجتماعياً تواكبها لا محالة قوة علمية. ونحن لا ننكر فضل الأمم التي سبقتنا في مضمار الحضارة في ثراء لغتنا شكلاً ومضموناً. «وبفضل حركة الترجمة هذه عرفت اللغة العربية قفزة نوعية في ميدان ثرائها وغنائها بالعديد من المصطلحات التي عمد المترجمون إلى ابتكارها مرة أو نحتها واشتقاقها

أو تعريبها حسب النطق العربي الملائم لمخارجها الصوتية وبهذا الثراء النوعي فسح المجال أمام اللغة العربية لاستيعاب معارف أخرى»<sup>(2)</sup>.  
فأسلافنا، كانوا يسمون الاقتراض (Borrowing) بالمعرب والدخيل، أي الكلمات التي وفدت إلى لغتهم دخيلة عربوها. وكما قال ابن جني (ت 395هـ) «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> عروة، أحمد، نقله عن الفرنسية، أمين، عثمان، الإسلام في مفترق الطرق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:105.

<sup>2</sup> حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص:336.

<sup>3</sup> ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج/2، ب،ت، ب،ط، ص:25.

«والقرآن الكريم الذي هو حجة اللغة العربية يزخر بمثل هذه الكلمات، مثلاً: كلمة السراط لاتينية وأصلها: "stratta" وكلمة "سندس" فارسية وكذلك "سجيل" (طين وحجارة) و"مشكاة" و"اليم" و"أباريق" و"إستبرق" (غليظ الديباج) وكلمة "لغة" يونانية وأصلها (Logos) والأمثلة كثيرة»<sup>(1)</sup> وعلى سبيل الذكر، أحصى أبو منصور الثعالبي (ت 430 هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية ألفاظاً عدة «وأسماء تفرقت بها الفرس عمدت العرب إلى تعريبها أو تركتها على حالها ومنها: الإبريق، الطست، الطبق، القصعة الخز، الديباج، السندس، الياقوت، البلور، السميد، الفلفل، الكروياء، القرفة، النرجس البنفسج، النسرين، السوسن، الياسمين، المسك، العنبر، الكافور، القرنفل»<sup>(2)</sup>.

أما ما أخذته العرب عن الرومية «الفردوس، القسطاس، السجندل، البطاقة، البطريق، القنطار، القنطرة»<sup>(3)</sup> إذ امتزجت هذه الأسماء والألفاظ في مدونتنا العربية الأصيلة وأصبحت تجري على الألسن في كل آن ومكان وهي موسومة في بطون المعاجم والمجلدات، وتزيد من ثراء قاموسنا اللغوي، وهذا الإجراء ليس قاصراً على اللغة العربية فحسب بل تنضوي تحت لوائه جميع اللغات لأنه أمر لا بد منه. وما دام العلم، ملكاً مشاعاً بين البشرية قاطبة حيث كانت تغدو فيه اللغة أداة للتواصل ووسيلة لتدوين هذا الركام من العلوم والمعارف. فاللغات الهندوأوروبية والجرمانية، اقترضت ألفاظاً لا حصر لها من اللاتينية والإغريقية والعربية والعبرية، لأن اللغات في حقيقة الأمر هي الواجهة الأخرى للحضارات وهذه الأخيرة قائمة على مبدأ التراكم والتداول «وقد أطلق مصطلح الحضارة على نتاج الإنسان وإنجازته ونظمه وما يحيا به وما يحتاجه لشؤونه، وهي أمور شاركت فيها أمم وأجناس خلال التاريخ حيثما تقيم»<sup>(4)</sup>.

«أما مصطلح الحضارة عند العلامة ابن خلدون (ت-808 هـ) هو بمفهوم العمران البشري وقد وسمه في مقدمته المشهورة «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

<sup>1</sup> بيوض، إنعام، الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2003، ص: 67-68.

<sup>2</sup> الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة، تج، الطباع عمر، دار الأرقم، ط/1، بيروت، لبنان، 420 هـ، 1999 م، ص: 281-282.

<sup>3</sup> (م، ن)، ص: 283.

<sup>4</sup> الحجي، عبد الرحمن، علي، على أضواء الحضارة والتراث، شركة الشهاب، الجزائر، ص: 68.

«الأكبر»<sup>(1)</sup> وقد تناول فيه ابن خلدون العلوم الإنسانية ونشاطات الإنسان وكان بذلك قد كسب قصب السبق بقرون عدة ممن خاض في هذا الميدان من علماء الغرب الذين اعتبروا أنفسهم رواداً لهذه الدراسات أمثال الفرنسيين: أوغست كونت (August Conte 1798-1857) و أميل دوركايم (Emile Durkheim 1857-1917)»<sup>(2)</sup>.

وإبان الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، احتك الشرق بالغرب، وجاء نفر من العلماء والباحثين مع الأسطول الفرنسي قصد اكتشاف كنوز الفراعنة المغمورة في دهايز قبورهم.

وأثناء هذه الحقبة بالذات، كانت مصر تحت رحمة المماليك والدولة العثمانية التي ملكت زمام الأمة العربية رداً من الزمن، حتى وهنت وأصبح يشار إليها بالبنان - الرجل المريض - بيد أن مصر في هذه الفترة، بدأ بصيص النهضة يدب في أعماقها حيث طفقت تنهض رويداً، رويداً بقيادة محمد علي (1805م-1849م)، حاكمها آنذاك. فعمل ما في وسعه على نهضة مصر فقام بإرسال البعثات إلى أوروبا، وإنشاء المدارس العلمية. «وأما مدرسة الألسن فقد أنشأها محمد علي لتخريج المترجمين حين اشتدت الحاجة إليهم في ترجمة الدروس إلى الطلاب ونقل الكتب الطبية والعسكرية إلى العربية، وجعل إدارتها إلى المرحوم رفاعة بك الطهطاوي (1801م-1873م) حتى إذا خرّجت طائفة من أفاضل المترجمين تألف منهم قلم الترجمة سنة 1842م برئاسة رفاعة بك اضطلع بترجمة كثير من الكتب الأجنبية في مختلف العلوم الحديثة»<sup>(3)</sup>.

وفي الألفية الجديدة التي تعد عصر الترجمة بلا منازع، أضحي الاقتراض (The Borrowing) إجراء من إجراءات الترجمة وعلى غرار المحاكاة (The calque) التي تبدو لي بأنها الوجه الآخر للاقتراض ولكن على مستوى الأسلوب، فعلى سبيل المثال حينما يقول الإنجليزي: "He cried with hot tears" حيث يمكن ترجمتها كالاتي: "بكى بدموع حرى" أما في قوله: "He asked her hand" نقول نحن: "طلب يدها" وحينما

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1413هـ، 1993م، ص 6.

<sup>2</sup> ينظر: الحجي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 69.

<sup>3</sup> الزيات، أحمد، حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 188.

يقول الإنجليزي: "He plays with fire" يمكن ترجمتها: "يلعب بالنار"  
وحيث يقول كذلك:

فنترجمها كالاتي: "He represented the public opinion"  
"مثل الرأي العام".

وهناك نماذج عدة وردت على هذا المنوال في الصحافة الغربية  
بالفرنسية، وعلى سبيل المثال:

«أعطى صوته : Il a donné sa voix»

يكسب بعرق جبينه : Il gagne à la sueur de son front

توترت العلاقات : Les rapports sont tendus

أجاب حرفياً : Il a répondu à la lettre

وضع النقاط على الحروف: Il a mis les points sur les I

الأوساط الجديرة بالثقة : Les milieux dignes de foi

ركز البحث في نقاط معينة: Il a concentrés sa recherche

«sur certains points»<sup>(1)</sup>.

وهناك نماذج أخرى وردت على هذا المنوال بالإنجليزية وأدرجت في

بطون القواميس الثنائية على سبيل المثال:

«الأغلبية الساحقة : The overwhelming majority»

« سياسة حسن الجوار : Good-neighbour policy»

« غاز مسيل للدموع : Tear gas»

« فتح حساباً في مصرف : To open an account with a

«bank»

« على قدم المساواة : On an equal footing»

« قبل فوات الأوان : Before it is too late»

« بالعين المجردة : With the naked eye»

« وقف إطلاق النار : Cease-fire»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> بشير، عبد العالي، أثر لغة الصحافة الغربية في نماء وتوسيع اللغة العربية، مجلة المترجم، العدد 06 أكتوبر/ديسمبر/2002، ص: 140، 141.

<sup>2</sup> لامي، ثمار، Twins، القاموس المزدوج (عربي، انجليزي، انجليزي، عربي)، دار التراث الجامعية، بيروت، لبنان، ب، ت، ص 61.

فالافتراض ينضوي تحت لواء الترجمة المباشرة وقد عده محمد الديداي مفتاحاً من مفاتيحها. «ونعته بالاقتناس ويرى بأنه أبسط طرائق الترجمة لأنه يسد ثغرة مفاهيمية لا عهد بها للغة المترجم إليها، وهو يضيف نكهة محلية على الكلام بإيراد مفردات وعبارات غير مألوفة تظل على أصلها كتلك التي ترد عن العادات والتقاليد وقد ساهمت موجة العولمة العارمة على عدم تباعد ثقافات العالم وأصبحت في شرفة تطل منها الشعوب على بعضها البعض. ومن أكثر حالات الاقتباس العبارات الاصطلاحية المستجدة (Neologism) والتي تكون في الوهلة الأولى، مستعصية على الترجمة والنقل لكن سرعان ما، تتكيف مع مخارج النطق العربي رويداً، رويداً»<sup>(1)</sup>

وأخيراً وليس آخراً، لعل حسن ظاظا أنه يصيب عندما يقول:

« ووجود الدخيل في لغتنا العربية هو صورة لظاهرة عامة في كل اللغات، فهي جميعاً تستورد الدخيل بحسب حاجاتها، ويتسرب إليها أيضاً رغم أنفها. إذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته»<sup>(2)</sup>

#### خاتمة :

لا يختلف اثنان أن الترجمة في شتى العصور كان لها الدور الريادي في تفاعل الثقافات و الانفتاح على الآخر بل زاد الاهتمام بها في وقتنا الراهن حتى أصبحت غاية لا بد منها ونظراً للزخم المعرفي الهائل وكذا حاجة الناس للتفاهم والتواصل إذ أضحت إجراء الافتراض هو الآخر عاملاً تتقاطع فيه جل الثقافات شاعت أم أبت وقد سبرنا أغوار الثقافة العربية الإسلامية التي عربت ألفاظا

لا حصر لها قديماً وحديثاً ناهيك أن الافتراض ليس قاصراً على لسان الضاد فحسب بل يعد إجراء من إجراءات الترجمة المباشرة وكذا ظاهرة صحية تشمل جل الألسنة قاطبة .

#### المصادر و المراجع:

#### \*القرآن الكريم:

<sup>1</sup> ينظر، الديداي، محمد، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، ط/1، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 84.

<sup>2</sup> ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص:57.

- (1): ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، لبنان ج/1، ب، ط، ب، ت، ص 203.
- (2): عباس، إحسان، ملامح يونانية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص:11.
- (3): الميداني، النيسابوري، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ج/1، د، ط، 1374 هـ، 1955 م، ص 214.
- (4): ابن الأثير، الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح، أيمن، صالح، شعبان، دار الكتب العلمية، ج/8، ط1، بيروت، لبنان، 1418 هـ، 1998 م، ص 7.
- (5): سورة العلق، الآية رقم: 01.
- (6): سورة طه، الآية رقم: 114.
- (7): سورة الزمر، الآية رقم: 09.
- (8): سورة يوسف، من الآية رقم: 76.
- (9): سورة البقرة، الآية رقم: 269.
- (10): سورة المجادلة، من الآية رقم: 11.
- (11): سورة آل عمران، الآية رقم: 18.
- (12): ابن الأثير، الجزري، المصدر السابق، ص7.
- (13): النووي، أبو زكرياء يحيى بن شرف الدمشقي، رياض الصالحين، دار الفكر، لا ط، بيروت، لبنان، 1414 هـ، 1994 م، ص 393.
- (14): الشال، جمال الدين، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1420 هـ-2000 م ص:08-09.
- (15): د. مرتاض، عبد المالك، موقع اللغة والثقافة العربية في مواجهة الفرنكوفونية، مجلة العربي، الكويت، ع 515، س ط أكتوبر 2001 م ص69.
- (16): سورة آل عمران، من الآية رقم: 140.

- (17) : صالح حسين، محمد (أحمد)، لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي، مجلة العربي، الكويت، ع 514، 1422هـ، سبتمبر 2001م، ص 16،17.
- (18) : مظفر الدين، أسعد حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/1، دمشق، سوريا 1989م ص24..  
(19) : ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج 1، ب، ط، ب، ت، ص22.
- (20) : بوبكري، فراحي، الترجمة، التعريب والمصطلح، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص:32.
- (21) : د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص:335.
- (22) : ينظر : كاميل، هشام، الترجمة بالنصوص، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2002، ص:61.
- (23) : موان، جورج، اللسانيات والترجمة، ترجمة بن رزوق، حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000 م، ص54.
- (24) : د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص:336.
- (25) : أمين، أحمد، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 268/1.
- (26) : (م، ن)، 1/ص:262.
- (27) : سورة الحجرات، الآية رقم:13.
- (28) : سورة الروم، الآية رقم:22.
- (29) : عروة، أحمد، نقله عن الفرنسية، أمين، عثمان، الإسلام في مفترق الطرق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:105.
- (30) : حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص:336.
- (31) : ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج / 2، ب، ت، ب، ط، ص25.



- (32) : بيوض، إنعام، الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول، دار  
الفرابي، بيروت، لبنان، 2003، ص:67-68.
- (33) : الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة، تح، الطباع عمر، دار  
الأرقم، ط/1، بيروت، لبنان، 1420هـ، 1999م، ص:281-282.
- (34) : (م، ن)، ص:283.
- (35) : الحجي، عبد الرحمن، علي، على أضواء الحضارة  
والتراث، شركة الشهاب، الجزائر، ص:68.
- (36): ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط/1، بيروت  
لبنان، 1413هـ، 1993م ، ص6.
- (37) : ينظر: الحجي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص:69.
- (38) : الزيات، أحمد، حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة،  
بيروت، لبنان، دت، ص 188.
- (39) : بشير، عبد العالي، أثر لغة الصحافة الغربية في نماء  
وتوسيع اللغة العربية، مجلة المترجم، العدد 06 أكتوبر/ديسمبر/2002، ص:  
140، 141.
- (40) : لامي، ثمار، Twins، القاموس المزدوج (عربي، انجليزي،  
انجليزي، عربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ب، ت، ص 61.
- (41): ينظر، الديداي، محمد، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية  
واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، ط/1، الدار البيضاء، المغرب،  
2002، ص 84.
- (42): ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، الأهلية  
للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص:57.

## النقد اللغوي لدى القدامى "كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت 577 هـ." أنموذجا

د.مشري الطاهر

جامعة أدرار

### ملخص:

إن ظاهرة النقد اللغوي في التراث العربي القديم، باتت تلوح إرهاباتها في العصر الجاهلي في إطار الأسواق الأدبية كسوق عكاظ، عندما يأتي الشعراء لعرض قصائدهم.

وظهر الأمر أكثر بنزول القرآن الكريم فكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ينبه إلى الأخطاء وكذلك الصحابة -رضوان الله عليهم- ولما كثرت الفتوحات الإسلامية واستقرت دواليب الدولة انتشر اللحن كثيرا لدى العامة والخاصة، فكان ذلك مدعاة لنشوء ظاهرة التأليف في النقد اللغوي أو ما سمي بكتب لحن العامة والخاصة. وعلى هذه الشاكلة سألقي ضوءا على كتاب "المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت 577 هـ."

### وسأتناول النقاط الآتية:

- إرهابات النقد اللغوي.
- ظاهرة التأليف في النقد اللغوي.
- إطلالة على كتاب تقويم اللسان لابن هشام اللخمي ونقده

اللغوي.

### Résumé:

Le phénomène de l'échange de patrimoine linguistique dans le vieil Arabe, déroulement Irhasatha dans l'ère pré-islamique dans le marché littéraire comme un marché Okaz, quand il s'agit de poètes pour afficher leur poésie.

La commande apparaît plus de benzène Coran a été Prophète Muhammad - paix soit sur lui - attire l'attention sur les erreurs, ainsi que le prophète - que Dieu les bénisse - et ce qui abondaient conquêtes islamiques et se sont installés jantes État propagation mélodie beaucoup au public et privé, qui a été une cause

de l'émergence du phénomène de l'écriture dans la critique de la linguistique ou livres appelé l'ordre de public et privé. et de cette façon je vais faire la lumière sur le livre «Introduction à l'évaluation de la langue et la déclaration de l'éducation par Ibn Hisham Alkhmi v 577 AH."

Je vais aborder les points suivants:

- Emissaires de la critique linguistique.
- Le phénomène de la paternité linguistiques en espèces.
- Voir le calendrier sur un livre de Ibn Hisham Alkhmi langue.

مقدمة:

لا يشك أحد في أن احترام اللغة والعربية والدفاع عنها والذود عن حياضها ،كل ذلك كان وما زال في سبيل خدمة القرآن الكريم ، ونشر اللغة العربية ،فقد يتبادر إلى الأذهان وأن مؤلفات كثيرة في تراثنا العربي القديم نستدرك على بعضها البعض مؤذنة بوجود ثغرات جيدة يستوجب سد ها .  
وتلك الاستدراكات والتعقيبات من الكثرة ؛حتى يظن تخطئة المؤلفات السابقة ،والحقيقة أن ذلك ما هو إلا إثراء لفضاء اللغة العربية ليستظل بظلمها من أراد الوقاية من الخطأ والزلل الذي هو من العيوب التي يعاب عليها المرء وهو يكتب أو يتكلم.

إن ظاهرة النقد اللغوي في التراث العربي القديم،باتت تلوح إرهاباتها في العصر الجاهلي في إطار الأسواق الأدبية كسوق عكاظ،عندما يأتي الشعراء لعرض قصائدهم.وظهر الأمر أكثر بنزول القرآن الكريم فكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم -ينبه إلى الأخطاء وكذلك الصحابة - رضوان الله عليهم-ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية واستقرت الدولة الإسلامية في شتى أصقاع العالم ، انتشر اللحن كثيرا لدى العامة والخاصة ، فكان ذلك مدعاة لنشوء ظاهرة التأليف في النقد اللغوي أو ما سمي بكتب لحن العامة والخاصة .وعلى هذه الشاكلة سألقي ضوءا على كتاب" المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت 577 هـ وفق النقاط

الآتية: النقد اللغوي لدى القدامى "كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان

لابن هشام اللخمي ت 577 هـ." أنموذجاً

- إرهابات النقد اللغوي.

- الكتابات في النقد اللغوي.

- إطلالة على كتاب تقويم اللسان لابن هشام اللخمي ونقده اللغوي.

### أولاً- إرهافات النقد اللغوي:

كل من قرأ عن الأسواق الجاهلية، وخاصة سوق عكاظ وفي مواسم الحج خاصة، فله أن يستكشف حركة وحراكا لغويا وأديبا؛ حيث يجلس النابغة الذبياني تحت قبة من آدم، ويتسابق الشعراء لعرض قصائدهم عليه؛ وهو يوازن ويخطئ هذا ويصوب آخر، فكان في الحقيقة له دور في إبراز النقد اللغوي والأدبي في ذلك الوقت البعيد؛ بطريقة طبيعية انطباعية، كان لها تأثيرها لدى الشعراء والرواة في ذلك الوقت البعيد. فقد مر عليه حسان بن ثابت منشدا قصيدة منها:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطن من نجدة دما  
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا<sup>1</sup>  
فقال له النابغة الذبياني: (( لولا أن أبا بصير ، يعني الأعشى،  
أنشدني لقلت إنك أشعر الجن والإنس .....ويروى أن النابغة قال :أقلت  
أسيافك ، ولمعت جفانك ، يريد قوله الغر ، والغرة البياض في الجبهة ، ولو  
قال البيض فجعلها بيضا كان أحسن ، إلا أن الغر أجل لفظا ))<sup>2</sup>  
ومن النقد اللغوي المتعلق بمعاني المفردات ، وهو خروج الشاعر  
أوغيره بالمفردة من فضاء تستعمل فيه إلى آخر مثل نقد طرفة بن العبد  
المسيب بن علس في بيت هذا الأخير  
( ( وعن كلمة الصيعرية :

وقد أتتاسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكرم  
فسمعه طرفة بن العبد ، فقال :استتوق الجمل ، لأن الصيعرية سمة  
تكون في عنق الناقة لافي عنق البعير))<sup>3</sup>. وذهبت قولة طرفة مضرب  
الأمثال.

<sup>1</sup> - ديوان حسان بن ثابت ، 60.

<sup>2</sup> -التفكير النقدي عند العرب ، الدكتور عيسى علي العاكوب ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ،دار الفكر دمشق سورية إعادة الطبعة الأولى 2000.ص 26-27.. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ،الدكتور نعمة رحيم العزاوي ،منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ،1978. ص30.

<sup>3</sup> - الموشح للمرزباني ص110

وهذه كلها إرهابات لنقد لغوي وأدبي لاحت تباشيرها في الجاهلية  
وسطعت في الإسلام.

وفي القرون الإسلامية ، ازدهر النقد اللغوي حتى جعله بعض  
الباحثين ... أحد نوعين من أنواع النقد لم يعرف لهما العرب ثالثاً ، وهما النقد  
اللغوي والنقد البلاغي<sup>1</sup>

والأول يعالج الأخطاء في الصيغ والتراكيب والمفردات ، والإرشاد  
الى ما يقابلها من الاستعمال اللغوي السليم ، وقد برز هذا في شكل كتب  
اللحن.

وقد أدرك النقاد اللغويون أن الكتابة ظاهرة لغوية ، ولاسبيل إلى  
فهمها .. إلا من جهة اللغة ، أي أن النقد اللغوي دون سواه من فنون النقد  
الأخرى هو الذي يلائم هذه الظاهرة ، ويتكفل باستجلاء دقائقها لارتباطه  
الوثيق بأدائها الخام ، وما دتها الأولى<sup>2</sup>

#### ثانياً: الكتابات في النقد اللغوي:

إن نشأة حركة اللحن وتطوره قديمة قدم العهد الذي برزت فيه اللغة  
العربية كظاهرة لغوية توحد بها اللسان العربي في العصر الجاهلي ويرى  
آخرون أن بداية ظهور اللحن مسألة لم تحسمها الجهود التي بذلها باحثون  
أرادوا الوصول إلى أول لحن ، إلا أن الإجماع شبه منعقد على أن ظهور  
الإسلام وسرعة انتشاره واختلاط العرب بغيرهم من الأمم نتيجة الفتوحات  
الإسلامية عوامل أدت إلى تفشي اللحن في الألسنة بدءاً بالناشئة والعامية  
وانتهاء بالفصحاء من العرب ، حتى تنبه إليه الغيارى من علماء اللغة  
؛ فشمروا عن ساعد الجد لصيانة هذه اللغة وحمايتها من التحريف والفساد  
، جاعلين القرآن الكريم نصب أعينهم ، لان اللغة العربية هي اللسان الذي به  
نطق ، فصيانتها صيانة للقرآن الذي آمنوا به أصدق إيماناً ﴿ ومن أهم ما  
دعم العربية القرآن الكريم ، فكان الخروج عليه يعد مروقاً من الإسلام  
ومحاولة لنقضه وبذلك ظلت العربية شامخة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، 1978 ، ص 32.

<sup>2</sup> - النقد اللغوي بين التحرر والجمود ، د نعمة رحيم العزاوي ، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد الجمهورية العراقية ص 10.

<sup>3</sup> - الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، مصر 1969 ، ص 121.

وكان هاجس إصلاح الألسنة وعصمتها من الانحراف في نطق القرآن وفهمه دافعاً لنشأة (النحو) الذي يعد مرحلة متطور لحركة النقد اللغوي، وبه قويت شوكته حتى صار لأهل اللغة سلطان يخشاه الشعراء، وبهذا ظهرت رقابة لغوية حاولت جهدها أن تمنع ارتكاب اللحن وترشد إلى الصواب فيه مستهدية بتلك القواعد، ولكن كل تلك الرقابة الشديدة الممزوجة باستهجان اللحن واستبشاعه لم تأت أكلها فظل دبيب الفساد يسري إلى السنة التي فقدت كثيراً من سليقتها وصارت اللغة عندها صناعة مكتسبة لا تحصل إلا بالدربة والتعليم، مما دفع إلى التفكير بأسلوب آخر من المعالجة ابعده من مجرد عرض القواعد العامة<sup>1</sup>، وإنما يتجاوزها إلى مراقبة السنة العوام وتسجيل ما يسمع من لحنها بهدف دراستها وتقويمها وتصنيفها في مدونات خاصة توضع بين أيديهم ليعرفوها ويتقوها، وسميت (كتب لحن العامة) وما لبث أن تنبه رواد حركة تنقية اللغة إلى استئثار اللحن عند طبقة الخاصة من العلماء والأدباء والكتاب، فأحصوا عليهم كثيراً من العثرات التي تكفي مسوغاً لوضع تصانيف خاصة بها سميت (كتب لحن الخاصة).

إن هذين النوعين من المصنفات اللغوية استمرت عبر القرون دون انقطاع إلى الآن حتى شكلا ظاهرة فريدة في حركة التأليف عند العرب فقد بلغت حدّاً من الكثرة جعلها صنفاً خاصاً قد فاق التأليف في بعض العلوم الأخرى:

ومن أبرز تلك المصنفات:

- ما تلحن فيه العوام (الكسائي ت 189 هـ).
- إصلاح المنطق لابن السكيت ت 244 هـ.
- الفصيح ثعلب ت 291 هـ.
- لحن العوام أبو بكر الزبيدي ت 379 هـ.
- لحن الخاصة أبو هلال العسكري ت 395 هـ.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ابن مكي الصقلي ت 501 هـ.
- درة الغواص في أوهام الخواص (الحريري ت 516 هـ).
- التكملة فيما يلحن فيه العامة الجواليقي ت 539 هـ.
- المدخل إلى تقويم اللسان) ابن هشام اللخمي ت 577 هـ.

<sup>1</sup> - ملتقى أهل اللغة، حلقة قضايا اللغة ومشكلاتها، مقال: حركة التأليف في النقد اللغوي، د عادل الخزرجي. الانترنت

- تقويم اللسان (ابن الجزري 597هـ).  
- التنبية على غلط الجاهل والنبية ابن كمال باشا ت 940هـ.  
- عقد الخلاص في نقد كلام الخواص ابن الحنبلي ت 971هـ.  
وهذه المجموعة للتمثيل وليس الحصر.  
ثالثاً: إطلالة على كتاب "المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان  
لابن هشام اللخمي. ت 577.

أ - نبذة عن حياته ومؤلفاته:<sup>1</sup>

- حياته:

هو أبو عبد الله بن خلف اللخمي السبتي الاشبيلي ولد في اشبيلية  
بالأندلس وسكن سبتة وقد أقام طويلاً بهذه الأخيرة .

وتعلم على يد جمهرة كبيرة من العلماء ومنهم:

- أبو بكر بن العربي.
- أبو طاهر السلفي.
- ابن مضاء القرطبي.

- مؤلفاته:

- شرح الفصول الخمسين لابن معطي الزواوي ت 628هـجري.

- شرح الفصيح لثعلب.

- وشرح مقصورة ابن دريد ت 321هـجري.

- وفاته:

توفي على أرجح الأقوال سنة 577 هـ .

- مضمون الكتاب :

ففي مقدمة الكتاب أشار إلى:

أول ما يجب على طالب اللغة من تصحيح الألفاظ وغير ذلك

وذكر الزبيدي في لحن عامة زمانه وأشار إلى غلظه وذكر كذلك أوهام ابن

مكي المسمى "تنقيف اللسان وتلقيح الجنان"...

وهذه بعض أبواب الكتاب:

<sup>1</sup> - شرح الفصيح لابن هشام اللخمي رسالة دكتوراه مخطوطة ، عبد الكريم عوفي ، قسم اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر

1992. ص 11- 18 باختصار .

- باب ما جاء عن العرب فيه لغتان فأكثر استعملت العامة منها  
أضعفها وربما استعملت أقواها وربما عدلت عن الصواب في ذلك ونطقت  
باللحن.

- باب ما تلحن فيه العامة مما لا يحتمل التأويل ولا عليه من لسان  
العرب دليل.

- باب ما جاء لشيئين أو لأشياء مقصورة على واحد.

- مما تكلمت به العامة مما وقع في أشعار المتقدمين والمحدثين  
تلقونها عن الفصحاء وهم لا يعرفون الأشعار التي أخذت منها وربما حرفوا  
بعض ألفاظها.

- وردود على الزبيدي في كتابه " لحن العوام" و لابن مكي  
الصقلي في كتابه " تنقيف اللسان وتلقيح الجنان".

#### ب - جهد ابن هشام اللخمي في الردود والتعقيبات:

قام ابن هشام اللخمي الأندلسي بتصنيف هذا الكتاب الذي عنوانه  
"المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" حيث رد فيه على كتاب " لحن العوام"  
للزبيدي وكتاب تنقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي .

#### الرد على الزبيدي<sup>1</sup> في كتاب لحن العامة.

وقد رد عليه في اثنتين وستين مفردة ،عدها الزبيدي من اللحن  
،وثبتها ابن هشام اللخمي من الفصح.

قال الزبيدي :(( ويقولون في تصغير ضيعة ضويعة ويجمعونها  
على ضيع والصواب ضيعة،وضيعة إن شئت والجمع ضياح .

قال الراد :وأما إذ كان التصغير فصحيح على مذهب البصريين  
وغير صحيح على مذهب الكوفيين لأنهم أجازوا قلب هذه الياء واوا لانضمام  
ما قبلها فيقولون في ضيعة ضويعة.

وأما إنكاره الجمع فغير صحيح لان العرب تجمع فعلة في الكثير  
على فعال نحو جفنة وجفان وقصعة وقصاع وصحفة وصحاف،وينات الياء  
والواو بهذه المنزلة نحو ظبية و ظباء ،وكذلك ما اعتلت عينه. ضيعة وضياح

<sup>1</sup> - الزبيدي هو:محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي الأشبيلي هو "أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن منجح الزبيدي من أهل  
إشبيلية، والزبيدي نسبة إلى رُبيد بن صعيب بن سعد العثيرة، رطب عمرو بن معدى كرب.ويشير الصفاي إلى أن أصله من حمص  
الشام، بعد أن يقدّم لنسبه بعبارة "الزبيدي المغربي النحوي". توفي سنة 379 هـالبلغة في تاريخ أئمة اللغةالفيروز آبادي 218.بغية الوعاة  
في تراجم اللغويين والنحاة السيوطي3/108.الأعلام للزركلي6/316.



ويجمعونها أيضا على فعل وان كان جمعا عزيزا , نحو بدرة وبدر وهضبة  
وهضب<sup>1</sup>))  
قال الزبيدي .. ((ويقولون للحظير يكون في الدار حير. والصواب  
حائر.

<sup>1</sup> - المدخل إلى تقويم اللسان ، ص 17.

### رد اللخمي:

قال الخليل: "الحائر حوضٌ يسبب إليه سبيل الماء من الأمطار  
يسمى بهذا الاسم بالماء وغيره وبالْبَصْرَة حائر الحجاج معروف يابس لا ماء  
فيه".

وأكثر الناس يسميه الحير كما تقولون لعائشة عيشة يستحسنون  
التخفيف وطرح الألف...

يعني الخليل بقوله: وأكثر الناس يسميه الحير العرب والدليل على  
ما قلناه تعليقه لذلك.

لأن غير العرب لا يلتفت لكلامهم فكيف يعلل.  
ومن الدليل على ذلك أيضاً قوله: كما يقولون لعائشة عيشة، والذين  
يقولون لعائشة عيشة هم العرب وقد جاء ذلك في أشعارهم الفصيحة.  
قال الشاعر وهو رجل من بني تميم لعمر بن عبيد الله بن معمر..  
"انبذ برملة نبذ الجورب الخلق\* \*وعش بعيشة عيشا غير ذي  
رنق))<sup>1</sup>.

قال أيضاً: ((ويقولون في تصغير ضيعة ضويعة ويجمعونها على  
ضيع والصواب ضيعة، وضيعة إن شئت والجمع ضياع .  
قال الراد: وأما إذ كان التصغير فصحيح على مذهب البصريين  
وغير صحيح على مذهب الكوفيين لأنهم أجازوا قلب هذه الياء واوا لانضمام  
ماقبلها فيقولون في ضيعة ضويعة.

وأما إنكاره الجمع فغير صحيح لأن العرب تجمع فعلة في الكثير  
على فعال نحو جفنة وجفان وقصعة وقصاع وصحفة وصحاف، وبنات الياء  
والواو بهذه المنزلة نحو ظبية و ظباء، وكذلك ما اعتلت عينه. ضيعة وضياع  
ويجمعونها أيضاً على فعل وإن كان جمعا عزيزا ،نحو بدرة وبدر وهضبة  
وهضب))<sup>2</sup>

قال الزبيدي: (( ويقال دابة لاترادف اي لاتحمل رديفا ،وقولهم  
لاتردف خطأ..

<sup>1</sup> - المدخل الى تقويم اللسان ، ص16.

<sup>2</sup> - المدخل الى تقويم اللسان ، ص17.

قال اللخمي: ليس بخطأ بل هي لغة صحيحة وحكى ابن سيده وغيره  
؛أنه يقال دابة لاترادف ولا تردف أي لاتقبل رديفا)).<sup>1</sup>

## 2- الرد على ابن مكي في تثقيف اللسان وتلقيح الجنان.

- قال ابن : ((ويقال دابة "لا ترادف أي لا تحمل رديفا وقولهم لا  
تردف خطأ

قال اللخمي: ليس بخطأ بل هي لغة صحيحة.

حكى ابن سيده وغيره أنه يقال دابة لا ترادف ولا تردف، أي: لا  
تقبل رديفا)).<sup>2</sup>

- قال بن مكي : (( ويقولون قرئت الكتاب ،والصواب قرأت بالهمز  
؛وسمع أبو عمر الشيباني أبا زيد يقول :من العرب يقول ؛قرئت في معنى  
قرأت، فقال له أبو عمر: فكيف يقول في المستقبل؟ فسكت أبو زيد ولم يرد  
جواباً؛ لأنه لو قال يقرأ؛ لجا من هذا فعل يفعل بفتح العين في الماضي  
والمستقبل ،وليس عينه ولامه حرف ..... ولم يجئ كذلك باتفاق منهم إلا أبي  
يأبى وحده.

قال الراد: قد حكى الأخفش، ما يقوى قول أبي زيد ويشهد له ؛ذكر أن  
من العرب من يترك الهمز في كل ما يهمز، إلا أن تكون الهمزة مبدوءاً بها  
،وقوله :ولم يجئ كذلك باتفاق منهم إلا من أبي يأبى وحده.

قال الراد: قد جاء ركن يركن، وزاد الكوفيون ،غشا الليل يغشى،  
وقلى يقلى، وشجا يشجى، وحيا يحيى، وحكى كراع :عشى يعشى مقلوب من  
عاش يعيش .... و حكى بعض اللغويين شكى يشكى وقنط يقنط))<sup>3</sup>  
وقوله بن مكي (( ويقولون لشراع السفينة. قلاع. والصواب قلع  
والجميع قلوع.

قال ابن هشام :هذا الذي حكاه في شراع السفينة ؛هو قول ابن  
دريد. وذكر غيره أنه يقال لشراع السفينة ؛قلاع والجمع قلع))<sup>4</sup>.

هذه عينات فقط من الكتاب الذي هو مادة زخمة بالدراسات الدلالية  
واللغوية الأخرى.

<sup>1</sup> - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي ،22.

<sup>2</sup> - المدخل الى تقويم اللسان ، ص ،22.

<sup>3</sup> - المصدر السابق ص 48 - 49.

<sup>4</sup> - المدخل الى تقويم اللسان ، ص ، 47.

وفي الأخير فإن اللغويين، الذين تصدوا لتتقيف الألسن وتقويم اعوجاجها لم يتفقوا على (( مقياس محدد على أساسه الحكم بالصحة أو الخطأ فمنهم من سلك مسلكا متشددا بالوقوف عندما سمع وعدم الاعتراف إلا بالأفصح، وما عداه فهو خطأ ))<sup>1</sup>

ومنه من ذهب إلى التساهل، وتجويز النطق بالنادر والريء مادام ذلك واردا في لهجة من لهجات العرب، ففي رأي المتساهلين أن الناطق (( على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان ماجاء به خيرا منه ))<sup>2</sup>

### الخاتمة:

-النقد اللغوي عند العرب بدأ من العصر الجاهلي في صورة محتشمة.  
-أصبح النقد اللغوي في صدر الإسلام طريقا لاحترام لغة القرآن الكريم.  
-أصبح النقد اللغوي له مؤلفات كثيرة تصب كلها في خدمة اللغة العربية.  
-يعد كتاب ابن هشام اللخمي من الكتب المهمة في الاضطلاع بالتعقيب على كتب اللحن اللغوي.

-النقد اللغوي يهب اللغة العربية ميزة الاستمرارية والبعد عن الملل.  
-بقيت كتب النقد اللغوي القديمة هي الأساس في التعامل.  
-الردود على كتب النقد اللغوي لاتعني إلغاء بعضها البعض.  
-غلبة السهولة في الطرح اللغوي لدى منهج ابن هشام اللخمي.

### المصادر والمراجع

- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة عشر، 1999.
- بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة السيوطي، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ، 1964.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة الفيروز ابادي، تحقيق: محمد المصري ن وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة جامعة دمشق، 1973.

<sup>1</sup> - لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية، عبد العزيز مطر، ص 47.

<sup>2</sup> - الخصائص لابن جني، ج 2/ص 12.

- التفكير النقدي عند العرب، الدكتور عيسى علي العاكوب، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية إعادة الطبعة الأولى 2000
- الخصائص لابن جني، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 2008.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: الدكتور سيد حنفي حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1974.
- شرح الفصيح لابن هشام اللخمي رسالة دكتوراه مخطوطة، عبد الكريم عوفي، قسم اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر 1992.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، مصر 1969.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية، عبد العزيز مطر، القاهرة، 1966.
- المدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي الأندلسي، دراسة وتحقيق: مامون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1995.
- ملتقى أهل اللغة، حلقة قضايا اللغة ومشكلاتها، مقال: حركة التأليف في النقد اللغوي، د عادل الخزرجي. الانترنت
- الموشح للمرزياني، تحقيق، علي البجاوي، مصر 1965.
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978.
- النقد اللغوي بين التحرر والجمود، د نعمة رحيم العزاوي، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد الجمهورية العراقية.

## المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة.

أ. قاسي محمد عبد الرحمن

جامعة أدرار

## ملخص:

تعد الطقوس والممارسات الدينية إحدى مميزات الإسلام في المغرب العربي؛ نظراً لخصوصية الطرق الصوفية المنتشرة به (التيجانية والقادرية،... إلخ). وما زالت هذه الطقوس منتشرة ومسيطرّة على عقول الذين يمارسونها، وذلك للحصول على ما يسمى "البركة"، هذه الصفة المستترة وغير المرئية التي يحتكرها بعض الناس باعتبارهم "شرفاء" أي من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) والتي استقرت وأصبحت موروثاً من جهة وتقليدية وعفوية من جهة أخرى.

ويعد "السبوع" - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف - مظهراً من مظاهر تلك الممارسات الدينية التي يمارسها أهالي قورارة للحفاظ على طابعه الديني وضمان بقائه.

فقد أصبحت لهذه المناسبة الدينية بمدينة (تيميمون) منطقة قورارة شهرة وطنية وعالمية...

## Résumé:

Le "Sboue" de Timimoun est l'une des festivités les plus en vue dans la région du Gourara. Ce festival connu, localement sous le nom de "Sboue", le 7<sup>ème</sup> jour après la naissance du prophète Mohamed, se tient le 19 du mois de rabie el-awal de l'année hégirienne.

Un évènement culturel, religieux et touristique d'une grande importance. Son aspect économique revêt également toute sa dimension. Les visiteurs y affluent de toutes les régions du pays et même des pays voisins pour participer à ce rite exceptionnel célébré par la confrérie de Sidi El Hadj Belkacem ...

## مقدمة:

الفولكلور كلمة ذات شقين هما (Folk) وتعني الناس أو طبقة معينة. و (lor) وتعني المعرفة الجمعية أو الحكمة ، وغالباً ما يكون ذو صفة تقليدية أو قديمة، ويشمل الفولكلور السير والمدايح والابتهالات الدينية

والخرافة والأسطورة والحكاية، والمواويل الشعبي والأغاني بأنواعها والأمثال الشعبية، والتعبيرات والأقوال والمأثورة والألغاز والنكتة وغيرها من الفنون الشعبية، وتشير الأشكال الفولكلورية إلى مجال الخبرة المشتركة بين أبناء الريف، وهي غالباً ما توجه آراءه وسلوكه وقرارات الأفراد<sup>1</sup>.

ولقد قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية عام 1985 بدراسة استثنائية لحماية الفولكلور فقدمت التعريف الآتي: "الفولكلور هو إبداع نابع من الجماعة وقائم على التقاليد. تعبر عنه جماعة أو أفراد معترف بهم، يصورون تطلعات المجتمع، وتتناقل معاييرهم وقيمه شفهيّاً أو عن طريق المحاكاة، أو بغير ذلك من الطقوس والعادات والحرف والعمارة وغير ذلك من الفنون<sup>2</sup>.

والفولكلور يدخل ضمن التراث الشعبي الذي ينجزه الإنسان عبر مراحل حياته سواء في المجال الفكري أو المادي، ويعبر عنه في قوالب متنوعة كالموروث الشعبي الشفوي، يبيث بروحه على الإنسان ليبعث فيه روح الحيوية والنشاط من خلال الرقصات الفولكلورية التي تعبر الأجساد فيها عن إحياءات وإيماءات موحية، تعبر عن أشياء كثيرة كالصعود والهبوط في بعض الرقصات الشعبية، الذي يعبر عن النشوة، والفرح وتشابك الأيدي والاصطفاف جنباً إلى جنب الذي يعبر عن التلاحم والتكاتف، والرغبة في أداء الأعمال والمشاركة في الأفراح والأحزان مع بعض. أما اللباس الذي يختلف من رقصة إلى أخرى، فهو يعبر عن اختلاف النشاطات في حياة الإنسان التواتي، والتي تطبعها المنطقة الصحراوية بشتائها البارد والجاف وصيفها الحار غير الممطر، إضافة إلى الرياح والزوابع الرملية التي تفرض على الإنسان في هذه المنطقة أن يرتدي لباساً يقيه بأس العوامل الطبيعية<sup>3</sup>.

وينتزع عنه شيئاً من هذه الأجواء القاسية، لذلك كان على الإنسان كذلك إيجاد هذه الرقصات التي ترفه عنه ويبث فيها مشاعره من خلال تلك الأشعار أو تلك العبارات<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد مختار فؤاد أبو الخير، التواصل والاتصال (دراسة مقارنة للتعرف على الأمثال الشعبية)، في المجلة الجزائرية للاتصال العدد: 08، عن معهد الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1992، ص53.

<sup>2</sup> طارق حسون فريد، التراث الموسيقي والموروث (مجلة المأثورات الشعبية)، العدد: 04، عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، 1986، ص52.

<sup>3</sup> عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، بدون طبعة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص17.

<sup>4</sup> عاشور سرقمة، المرجع نفسه، ص17.

ومن بين الطبوع الفولكلورية المعروفة في منطقة تيميمون نجد:  
"قرقابو، والبارود، والحضرة، وأهليل".

ماهية الطبوع الفولكلورية وكيفية أدائها.

### 1) رقصة قرقابو العبيد:

تختص هذه الرقصة بمناطق معينة كما أنها خاصة بعائلات محددة  
يسمون "أولاد العبيد"، ويتم فيها ترديد أغاني يذكر فيها الله والرسول (صلى  
الله عليه وسلم) والصحابة والأولياء الصالحين.

وهناك من يرجع أصل هذه الرقصة إلى عهد الرسول (صلى الله  
عليه وسلم) وذلك حسب بعض الروايات حيث كان بلال (رضي الله عنه)  
أول مؤذن في الإسلام يقوم بما يشبه هذه الرقصة للترفيه عن السيدة خديجة  
(رضي الله عنها) عندما يخرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سفر.

كما أن هناك رواية أخرى تقول أن أصل هذه الرقصة يرجع إلى  
أيام المتاجرة بالعبيد الرق من إفريقيا حين كانوا مكبلين بالسلاسل والأغلال،  
وعندما اضطر المسئولون لتحريرهم، عبّر العبيد عن فرحتهم بدق السلاسل.

\* أما من حيث أداء هذه الرقصة:

تقوم فرقة قرقابو المتكونة من مجموعة من الرجال يرتدون لباساً  
تقليدياً متكوناً من العباءة، السروال، الخف، الحزام الأحمر والشاش ويجملون  
صناعات أو قراقيب (عبارة عن قطع حديدية معروفة) و"الدندون"، يتم فيها  
المزج بين الإيقاع والمديح النبوي أو الكلمات الشعرية، وانسجامها مع حركات  
جماعية متنوعة تؤدي بإشارة من رئيس الفرقة، من قفز ورقص بسرعة.



ولا تعرف هذه الرقصة بقصائد شعرية محددة إلا ما عرف مؤخراً بما يشبهها، عبارة عن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، وذكر الأولياء والرسول<sup>1</sup>.

وبعض العبارات الدينية، وبين ما يتردد:

صلوا على محمد	النبي صلينا
صلوا على محمد	صلى عليه وسلم
لعفوا يا مولانا	لعفوا يا مولانا
أرب أو يا محمد	حبيب الله
لعزیز علینا یا ربی	صلوا على محمد

## 2) رقصة البارود:

وهي رقصة منتشرة وطنياً وعالمياً. لكن المفارقة تكمن فيما يسمى "الصيغ" وهي تلك العبارات المسموعة التي يتغنى بها الراقصون، وتختلف من منطقة لأخرى، وهي رقصة شعبية شائعة وسط سكان ولاية أدرار، وترمز في حقيقتها إلى تحضير جسماني وفكري لأجل المقاومة والدفاع ضد الغزوات التي تأتي من هنا وهناك، يقولون بأن هذه الرقصة أتت من إفريقيا الوسطى، بواسطة مختلف المعسكرات لغزو المدن والقصور والقرى.

### أ) تحضير رقصة البارود:

تبدأ بتحضير "مادة البارود" لتكون جاهزة للتفجير ثم يتجمع أفراد الفرقة، ويبدوون بتريديد كلمات شعرية (الصيغة) بقيادة قائد الفرقة إضافة إلى الإيقاع والمزمار، بعدها يشكلون حلقة دائرية تعطي إشارة إمساك البنادق المتبوع بحركات منسجمة الإيقاع لتختتم الرقصة بطلقات نارية موحدة.

### ب) طريقة أداء البارود:

تبتدى الرقصة ببيت شعري بمدح الرسول فيه (صلى الله عليه وسلم) وتأتي بعدها مرحلة "التحمية" من أجل ضبط التوازن بين الإيقاع والحركة، وفي الأخير تخرج الفرقة الإيقاعية من وسط الحلقة، ويراقبون توازن وانسجام حركة الراقصين من طرف القائد الذي يعطي إشارة انطلاق النار جماعياً في الوقت المناسب ليرفعوا بعدها بنادقهم للسماء الذي يعبر عن تضرعهم إلى الله سبحانه وتعالى من أجل الانتصار.

مما يقال أو يردد في الصيغ نجد:

<sup>1</sup> عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص78

شيلاه يا رجال تيمي ما فيكم شي تالي  
جيتك بالكنتب الربعة والخامس سيدي...<sup>1</sup>

مولاي سليمان بن علي والشيخ الونقالي  
يا ربي ذنبي كبير سلمت أمري للخليل

### 3) رقصة الحضرة:

هي شكل من أشكال التعبير الشعبي الشعري ولدت من حلقات الذكر تحتوي على مجموعة من الحركات الصوفية في طبيعتها بتعابير شعرية صوفية ومرافقتها للرقص والإنشاد جاء فيما بعد، ومن هنا فإن حلقات الذكر كانت أصل هذه المجالس وأن الإنشاد كان وما يزال يمثل فرعها<sup>2</sup>.  
وقد ارتبط اسم مصطلح "حضرة" بتسمية المدرسة القرآنية أو الكتاب بمنطقة "بودة" خاصة ونجد معظم القصائد الشعرية التي تقال في الحضرة تعبر عن رصد لمجموعة أفكار صوفية زهدية، تحث على عبادة الله سبحانه وتعالى، وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، تستعمل فيها آلة الدف أو ما يسمى بـ "الطارة" أو "البندير"<sup>3</sup>.

وتعمل الموسيقى المصاحبة لهذا النوع من الرقص على بعث النشوة والنشاط في الشخص الذي يقوم بأدائها من خلال الصعود والنزول والميلان يمينا وشمالا، وإمساك أيادي بعضهم البعض في صفين متوازنين، وأن انعدام الإيقاع يجعلهم يعزفون عن أدائها، وتحفظ المئات من الأشعار حسب رأي بعض الحفاظ والمداحين بتوات الوسطى.

### أ- من الأشعار التي تلقى في هذا الطبع:

صلى الله عليك يا زين العمامة (تكرر مرتين).

واحد هو الله يا زين العمامة  
آدم وحواء يا زين العمامة  
أصحاب الروضة يا زين العمامة

من هو واحد يا زين العمامة  
من هما اثنين يا زين العمامة  
من هما ثلاثة يا زين العمامة

ونشير إلى أن هذا النوع من الرقصات ظهرت في الجزائر ما بين القرنين 16 و 18 الميلادي، وانتشرت في الزوايا في مواسم الزيارات<sup>4</sup>.

### 4) رقصة أهليل:

<sup>1</sup> بلغيت محمد، إيقاعات شعبية عادات وتقاليد فولكلورية في الجنوب الغربي، طبع الجاحظية، الجزائر، 2003، ص 20.

<sup>2</sup> عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص 25.

<sup>3</sup> عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص 27.

<sup>4</sup> عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص 28.

اشتهر بها سكان منطقة قورارة، ولقد لقي البحث عن أصل تسمية هذه الرقصة جدل كبير بين التهليل وأهل الليل، ولكن الراجح أنه مشتق من التهليل وبالضبط من القول لا إله إلا الله، ولقد صنف أهل الليل مؤخراً من طرف منظمة الأمم المتحدة والعلوم الثقافية على أنه يندرج ضمن التراث العالمي اللامادي الذي يجب المحافظة عليه.

تتميز هذه الرقصة بالطابع الديني الصوفي لما فيها من أذكار وأدعية وابتهالات، وتتناول في مضمونها ثلاثة مواضيع رئيسية:

### \* المواضيع المتناولة في رقصة أهليل:

**(1) الدين:** حيث يتم تمجيد دينهم الإسلام، ودوره الأساسي في تنظيم حياتهم وبناء علاقاتهم وتفعيلها، فقد تغنى القوراريون بالمدائح الدينية والأهازيج التي تتناول الجانب الديني بكل ما تحتويه هذه العبارات من معاني<sup>1</sup>.

ويتم أداء هذه الرقصة في المناسبات الدينية خاصة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والقصائد التي تردد فيها نجد قصيدة "اللهم صلي على من مقاطعها:

اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى نرية.

بسم الله الرحمن وآل يسمن ربي أينغانيز (بسم الله الذي أراه).

غوابنون ديما يساوال ايت بريت سلقعدنك (الفم الذي يتكلم).

صلاة - فالنبي أيد الحبوس أيا يدلكرت غايا دننتيدت.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يجد صاحبها أجره يوم

القيامة وهذا هو الكنز الذي يلقاه.

صليت فلاس الحباب اترويم الدرجات (صلوا عليه يا أحبة تناولا

الدرجات).

### (2) الحب والغزل والحياة الاجتماعية:

وفي هذا النوع من المواضيع نجد عدة قصائد تتناول الحب في

حياة المجتمع القوراري، ويتم أداء هذا النوع خاصة في الأعراس إضافة إلى

ذلك فإن "أهليل" يتناول مواضيع في مجال الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من

المشاكل والعقبات التي تواجهها.

<sup>1</sup> عاشور سرقة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص78.

## من حيث الأداء:

ينقسم أهليل إلا قسمين أو نوعين هما:

أ- أهليل نبداد: وتعني أهليل وقوفاً، وهو طبع خاص بالرجال في المناسبات الدينية، وتستعمل فيه مجموعة من الآلات هي: "الأقلال"، "الفوت" والتي هي بالزناتية "التامجة" وكذلك "القنبري" وهما عبارة عن آلة تصنع من الخشب يوضع عادة بها وتران فقط، وهي ذات إيقاع متميز وأول من يبدأ هو صاحب الفلوت، ويصطف الراقصون في شكل حلقة الكتف جنب الكتف، ويميلون من اليمين إلى اليسار ثم العكس، والقائد الذي يسمى بالزناتية "الابشينو" يلقي عليهم مقطعاً وهم يردون عليه بإعادة آخر البيت أو البيت كله.

ب- التقربيت: فهو حفل عائلي بمشاركة النسوة، تستعمل فيه "الحجرة" و"القنبري" و"أقلال صغيرة"، وهذا يقام عادة داخل البيوت. كما أن المشاركين في أهليل يرتدون زياً خاصاً عبارة عن "العباءة" و"الفتار" الذي يتكون من شاش ومنديل أحمر أو أخضر، وتسمى كل هذه بـ: "تشميرة" وكذلك من اللباس هناك "الجبيرة"، وهي كيس أو جراب من الجلد لوضع "الحشيش".

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن التفريق بين التقربيت وأهليل وقوفاً يكمن أساساً في أن الأول يكون برتة وإيقاع خفيفة والثاني يكون بإيقاع ثقيل وهادئ، أما من ناحية القصائد الشعرية فهي نفسها في الغالب.

نجد التظاهرات المعروفة بـ: "الزيارات" وهي موعد سنوي حسب التقويم القمري والمواسم الفلاحية موعدها زمن الحصاد وتوفر الغلة، تقترن الزيارة بذكرى وفاة عالم أو ولي صالح صار مثلاً للإقتداء.

وتعد الزيارة اليوم تظاهرة ثقافية واجتماعية شاملة، الاحتفال لها يدوم ثلاثة أيام في الأصل وتتخلل مواسم الزيارة أهازيج فولكلورية كالبارود والحضرة (مدح النبي صلى الله عليه وسلم)، إضافة إلى ما يصاحبه من كسوة ضريح الولي الصالح وتبييض المقام<sup>1</sup>.

والزيارة أيام عادية لا تمنع فيها أشياء وتباح أخرى، وتشكل فرصة للقاء والتعارف وصلة الرحم والتضامن، إضافة إلى الزخم الثقافي والمنتوع،

<sup>1</sup> عاشور سرقة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص 79.

الموروث عبر الأجيال، الذي يشكل لحظات التمسك بالجنور والإبداع والسحر الذي جسّدته عبقرية إنسان المنطقة، وتتفق الزيارات في عدة قواسم مشتركة (قراءة القرآن، وتقديم الطعام للزوار... الخ)، إلا أن البعض منها حمل مميزات خاصة مما جعلها أكثر استقطاباً للزوار، أهمها زيارة الحاج بلقاسم والتي تُخصّص للاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف الذي هو موضوع الدراسة والذي سيأتي تفصيله في فصولنا اللاحقة.

**المرجعية التاريخية للاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في تميمون (منطقة قورارة).**

### الاحتفال بالذكرى في التاريخ الإسلامي.

بداية هناك من يقول أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وأسبوعه بدعة مذمومة وهناك من أجاز ذلك معتبراً المناسبة بدعة حسنة بل من أحسن ما أبدع.

يقول الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني (من متأخري المالكية) داما الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف وأسبوعه ومعتبراً إياه بدعة:

- لا أعلم لهذا المولد أصلاً في الكتاب والسنة.
- إن الاحتفال به بدعة أحدثها البطالون واعتنى بها الأكالون، فإذا طبقنا عليه الأحكام الخمسة فهو ليس بواجب إجماعاً ولا مندوباً-المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه-ولا مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً.
- إن الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف أو بأسبوعه في شهر ربيع الأول وهو نفس الشهر الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام، فلماذا يفرحون بولادته ولا يحزنون لوفاته.

فانبرى الإمام السيوطي للرد على الفاكهاني قائلاً:

- لا يلزم عدم علمك بالدليل عدم وجود دليل.
- وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في يوم سابع ولادته.

- إن ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار الشكر على النعم والصبر والسكون عند المصائب. وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة ولم يأمر بالذبح أو غيره عند الموت<sup>1</sup>.

ويقول السيد أحمد بن زيني دحلان: ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الفرح بليلة ميلاده. ويقول أيضاً: تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم القربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين<sup>2</sup>.

قال تعالى: "ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه..."<sup>3</sup> وقال أيضاً: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"<sup>4</sup>.

ولقد اهتمت الدولة الفاطمية في مصر بالاحتفال بالأعياد القومية والمسحوية مثل عيد "النوروز" في الحادي عشر من شهر سبتمبر وعيد "وفاء الفيل" أما عن الاحتفالات الإسلامية فقد اهتمت إضافة إلى الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى بالاحتفال بميلاد أهل البيت والمولد النبوي الشريف. والدولة الفاطمية دولة شيعية قامت في المغرب على أكتاف المغاربة من بربر "كتامة" و"صنهاجة" في أواخر القرن 3هـ (297) ثم انتقلت إلى مصر بعد منتصف القرن الرابع الهجري 4هـ (358) واستطاعت أن تمد نفوذها من القاهرة إلى معظم بلاد الشرق العربي إلى أن سقطت أخيراً على يد "صلاح الدين الأيوبي"<sup>5</sup>.

ويذكر الأثري: مصطفى خالد (أمين متحف الإسلامي بالقاهرة) أن الفاطميين الذين جاءوا إلى مصر من بلاد المغرب على يد قائدهم "جوهر الصقلي" كانوا ينسبون أنفسهم إلى السيدة "فاطمة الزهراء" رضي الله عنها ابنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولذا اهتموا بإحياء المناسبات والأعياد الإسلامية خاصة موالد آل البيت والمولد النبوي الشريف. وقد حاول الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله" عندما جعل مدينة القاهرة عاصمة خلافته أن يشمل

<sup>1</sup> محمد نوري الشيخ رشيد النقشبندى الديوثري، ردود على شبهات السلفية، ط1، 1987، مطبعة الصباح، ص274-275.

<sup>2</sup> محمد نوري الشيخ رشيد النقشبندى الديوثري، المرجع نفسه، ص275.

<sup>3</sup> سورة الحج، الآية: 30.

<sup>4</sup> سورة الحج، الآية: 32.

<sup>5</sup> أحمد مختار العبادي، في التاريخ الفاطمي والعباسي، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د ت)، ص260-261.

الشعب المصري فأمر بإقامة أول احتفال بالمولد النبوي الشريف عام 973هـ<sup>1</sup>.

ولقد ذكر أحد الباحثين أن الفاطميين قد اهتموا بالاحتفال بستة موالد منها:

مولد "الإمام الحسن: رضي الله عنه في الخامس من شهر ربيع الأول (05 ربيع الأول). مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها في العشرين من جمادى الثانية (20 جمادى الثانية). مولد الحسن رضي الله عنه في الخامس عشر من رمضان (15 رمضان). ومولد الرسول عليه الصلاة والسلام في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (12 ربيع الأول). وأخيراً مولد الخليفة الحاكم للبلاد.

لكن مع قيام الدولة الأيوبية حوربت الاحتفالات والتقاليد الفاطمية لمحو نفوذ الفاطميين من العالم الإسلامي. ولأن الدولة الأيوبية كانت سنية المذهب بينما سابقاتها كانت شيعية مغالية كما سلف ذكره، غير أن المصريين عادوا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف في عصر المماليك، وفي عام 923هـ تغيرت الصورة تماماً حيث دخل العثمانيون مصر ولم يهتموا بإقامة احتفالات المولد النبوي الشريف وربما يرجع ذلك إلى نفس سبب محاربة الأيوبيين للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ولقد توارث المصريون فيما بعد عبر الزمن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف حتى عصرنا الحالي ولم تتغير مظاهر الاحتفال كثيراً عن العقود الماضية خاصة في الريف والأحياء الشعبية في المدن الكبرى<sup>2</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العراق والأندلس كانتا من البلدان العربية السابقة التي ساهمت في وضع أسس الاحتفال بالمولد الكريم. ومن المفاهيم التاريخية التي يجب أن تعلن وتسجل لأهل بلاد الرافدين والأندلس هو قيام

<sup>1</sup> ابتهاج مخلوف، المولد النبوي حلاوة وفرح وعروس من السكر،

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&pagename=Zone-Arabic-ArtCulture/ACALayout&cid=1182170331215#ixzz0oSZKyJU4](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-ArtCulture/ACALayout&cid=1182170331215#ixzz0oSZKyJU4).

<sup>2</sup> ابتهاج مخلوف، المولد النبوي حلاوة وفرح وعروس من السكر،

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&pagename=Zone-Arabic-ArtCulture/ACALayout&cid=1182170331215#ixzz0oSZKyJU4](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-ArtCulture/ACALayout&cid=1182170331215#ixzz0oSZKyJU4).

الأمير العراقي "مظفر الدين كوكبوري" بوضع قواعد الاحتفالات النبوية ودعوته لإحيائها كل عام<sup>1</sup>.

### تأسيس الاحتفال بأسبوع المولد في تميمون.

لقد تعددت الروايات الشعبية حول البداية للاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف.

#### 1- الرواية الأولى:

هذه الرواية تقول أن التأسيس لهذا الاحتفال كان على يد الوالي الشيخ الفاضل سيد الحاج بلقاسم الذي كان يتمنى الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف تكريماً منه للمصطفى صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لآل بيته، ولما استخار الله في أمره اتضحت له معالم الطريق فاستدعى كبار العلماء من أهل زمانه من "بن غازي" إلى "تلكوزة" حيث جمعهم على مأدبة غداء ولما فرغوا منها أخبرهم الشيخ بأنه يريد أن يحتفل بالأسبوع النبوي فقالوا: "سمعاً وطاعة لك" فاتفقوا على أسبوع المصطفى صلى الله عليه وسلم وأجازوه.

وفي الضحى رأى سيد الحاج بلقاسم -وهو نائماً- الرسول صلى الله عليه وسلم فقال الرسول "صدقت يا أبا قاسم في قولك بارك الله فيك وأخذنا الشيخ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم" اشترط يا أبا قاسم في قولك بارك الله فيك وأخذ الشيخ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "اشترط يا أبا قاسم والله هو الوافي" فأخذ الشيخ يطلب قائلاً.

1/- أنا وأولادي في حرمة الله وحرمتك.

2/- طلبت الله أن يعطيني قوة لأحملك على كتفي وأطوف بك بين الخلائق يوم أسبوعك.

3/- أطلب الشفاء لي ولأولادي ولأهل زاويتي ولجميع الحاضرين.

4/- نطلب الضمانة والحماية لكل الحاضرين.

وبعدها قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لم يقدر أن يأتي إلي بصرة من الذهب فليأتي إليك بصرة من السفوف" فإنه يدرك ما يدرك الحاج

<sup>1</sup> محسن جمال الدين، احتفالات المولد النبوي في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجريّة، ط1، مطبعة دار البصري، بغداد، 1967، ص5.

\* تلكوزة: إحدى القصور التابعة لدائرة زاوية الدباغ والتي تنتمي بدورها إلى إقليم قورارة.

\* السفوف: تمر يابس يتم دقه ليأكل فيما بعد مع إضافة بعض التوابل له.



ولا يفوته إلا الاسم على أن يرث الله الأرض ومن عليها" كما اشترط الشيخ سيد الحاج بلقاسم مع أولاده أن يكونوا خدماً لآل البيت وكان ذلك في أوائل القرن العاشر للهجرة 10هـ.

### 2- الرواية الثانية:

وتقول الراوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حضر في منام الشيخ سيد الحاج بالقاسم وقال له: "ستحتفل باليوم السابع لميلادي، وستحضر لي وليمة (مد ونصف من القمح المطحون تقدمها لأهلك والمدعوين والزوار". ففرح الشيخ واستدعى "بوشامية من بن غازي" من أولياء المنطقة، وسيد الحاج بومحمد من تبلكوزة، وقال لهما "سنحتفل معاً بأسبوع المولد النبوي الشريف" وبعد اجتماع ومشاورة طلب سيدي أحمد بن يوسف والي ماسين\*\* "المشاركة في هذا الحفل فأجابه الشيخ سيد الحاج بلقاسم قائلاً "إن أهلي وأهل سيد الحاج بومحمد سيلقونك في ديارك الليلة التي تسبق السبوع" وبعدها أعلام أخرى انضمت إليهم مثل علم أولاد سعيد وأعلام تميمون (علم مولاي الطيب) وآخرون.

### 3- الرواية الثالثة:

وهي الأكثر شيوعاً ومتفق عليها بنسبة عالية، وتبدأ بسفر الحاج بلقاسم الأسطوري الشاق لأداء فريضة الحج رفقة أصدقائه وعند زيارتهم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ألقوا عليه السلام فرد عليهم فاندھشوا لذلك واعتقد كل واحد منهم أن الرد كان على تحيته هو دون صاحبه مما أدى بهم إلى الاختلاف بينهم فقرروا أن يعيد كل واحد منهم السلام عليه صلى الله عليه وسلم بمفرده ولما جاء دور سيد الحاج بلقاسم قال: "السلام عليك يا حبيبي وبا شفيعي يا رسول الله فرد الرسول قائلاً: وعليك السلام يا حبيبي بلقاسم".

ومن هذه الحادثة يقال أن سيد الحاج بلقاسم قرر عند عودته إلى بلاده وفي الموسم القادم الاحتفال بذكرى أسبوع المولد النبوي الشريف وأن يكرمه أحسن تكريم إجلالاً واحتراماً له فقام بجمع الطرق الصوفية آنذاك التي كانت تعج بها المنطقة<sup>1</sup> وبعد مرور قرون كثيرة وموت هؤلاء الصالحين قام

\*\* ماسين: قصر تابع لبلدية تميمون.

أولادهم وأحفادهم بتمثيلهم برييات وأعلام تدعى "العلمة" وهي عبارة عن عصى طويلة في مؤخرتها أي في الرأس نجمة وهلال دليل على الولاية الإسلامية ولها أيضاً لباس معين حسب الوالي، والألوان المعروف والمنشرة هي الأخضر والأصفر والأحمر الفاتح والأبيض وكل سنة في زيارة الولي يغير لباس علم الولي القديم باللباس الجديد أما اللباس القديم فيوزع قطعاً صغيرة على الزائرين والسائلين للبركة والتبرك مقابل الزيارات وهي مقدار من النقود يستفاد منها في التحضيرات للموسم القادم.

### مؤسس احتفال السبوع.

هو الشيخ سيدي الحاج بلقاسم من آل سيدنا عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، ولد أواخر القرن التاسع للهجري 9هـ، في بلد "اوسيف" بالزاوية المتكونة من خمسة قصور متقاربة - ولم يبق منها الآن إلا الأطلال - حيث تربع وترعرع إلى أن سافر طالباً للعلم والمعرفة بمدينة "تادلة" بالمغرب، فأخذ العلم عن شيخه السيد "علي بن إبراهيم" ولقد كان نشأته ووفاته بزوايته المشهورة المسماة "زاوية سيد الحاج بلقاسم"، - كان رحمه الله - عالماً عابداً، له زاوية كبيرة عامرة بالضيوف والطلبة، شهرته بتوات وضواحيها لا تحتاج إلى الإيضاح، كما عرف أيضاً بشيخ الركب (ركب الحجيج) لأنه كان في موسم الحج ينظم الموكب الخاص به ويشرف عليه، ومن أبرز الشيوخ الذين تتلمذوا على يديه سيد الحاج بومحمد الجازولي المقبور بتلكوزة، سيد أحمد بن يوسف بالبركة: بماسين، سيدي عباد بن أحمد بأولاد عيسى، ومن أهم مؤلفاته منظومة في التوحيد، منظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، منظومة في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وميمية التوسل وغيرها كثير. ولقد كان الشيخ رحمه الله ينهج الطريقة الشاذلية حيث تعمق في التصوف وبلغ فيه مبلغه وألف فيه كتاب "منهج السالكين"<sup>1</sup>.

### خصوصية "السبوع" بتيميمون (بمنطقة قورارة).

#### مفهوم الاحتفال.

يعرّف الاحتفال على أنه ذلك الموكب المتجسد والذي ينم عن كثير من قيم الجماعة، وتلتقي فيه الشعائر والطقوس والمراسيم والرموز والأساطير، وإذا ما كلناه فإنه يحتوي على عناصر دينية واجتماعية وفنية وثقافية وخلقية

<sup>1</sup> عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص37.

في آن واحد ولذلك نستطيع أن نقول أن من أهم وظائف الاحتفال تعيين أهمية الحادث أو التي أقيم من أجلها وترك انطباعات خاصة في نفوس الحاضرين تؤكد قيمة خاصة تهم الجماعة ونظامها الاجتماعي وكذا النزول بقيم الجماعة من التجريد على الواقع<sup>1</sup>. وخير دليل على ذلك الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف في مدينة تيميمون. أنه موعد سنوي يقام بالمنطقة تتخلله العديد من الشعائر والمراسيم تشارك فيه مجموعة من أعلام الأولياء الصالحين الذين شاركوا الشيخ سيدي الحاج بلقاسم مؤسس هذا الاحتفال في الحفل التأسيسي لهذه التظاهر.

### الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف بتيميمون (بمنطقة

قورارة).

يبدأ الاحتفال بطلوع شهر ربيع الأول المبارك فتسمع طلقات البارود في القرى والمداشر كدليل على رؤية الهلال، عندها ترتفع الزغاريد والتهايل وتعم الفرحة أفراد المجتمع كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً حيث تنظف المنازل والشوارع والساحات من أول ليلة وتتلى المدائح والأذكار وتلقى دروس السيرة النبوية العطرة في جميع مساجد المنطقة وفي ليلة الثاني عشر (ليلة المولد) يسهر الجميع في المسجد لتلاوة المدائح إلى طلوع الفجر. وعند الضحى تتم زيارة الأقارب كما يزور البعض الآخر القبور للدعاء لساكنيها في هذا اليوم المبارك وتتواصل الاحتفالات إلى غاية أسبوع مولده صلى الله عليه وسلم. وهو ما يعرف في منطقة تيميمون باسم "السبوع" ولعل هذه المناسبة هي التي جعلت مدينة تيميمون تكسب شهرة في أنحاء مختلفة من الوطن وحتى خارجه.

ولقد قدمت كل من الصحافة والإذاعة والتلفزيون تفسيراتها لهذه الظاهرة بالمنطقة لكن "السبوع" في حد ذاته يفسر رواية مبهمه دون شك ترويبها (قورارة) لنفسها عن تاريخها أو على الأقل عما يهمها من تاريخها وذلك خلال احتفالات طويلة تدوم سبعة أيام يلتقي فيها الزوار من كل بقاع

<sup>1</sup> فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص182.

المنطقة عبر مراحل ولقاءات إلى غاية سور حفرة زاوية\* سيدي الحاج بالقاسم.

فالسبوع بذلك يعد الشعيرة الأكثر أهمية بمنطقة قورارة والتي تقام في إطار تعظيم وتقدير وحب المصطفى صلى الله عليه وسلم وأل بيته وكذا تمجيد وتقديس الأولياء الصالحين الذين ساهموا بأعمالهم وأفكارهم في بناء المجتمع وإصلاحه بنشر دين الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، بين أفراد المجتمع وفي كل ربوع قورارة، وتجدر الإشارة إلى أن لهذا الموسم الاحتفالي شهرة عالمية يؤكدتها السواح الوافدون إلى المنطقة في كل عام لحضور فعاليات هذه التظاهرة ومتابعة الطقوس المقامة خلالها.

**الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة: يوم 12 ربيع**

**الأول.**

قبل الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف يقام احتفال يوم المولد المسمى لالا حجة التي يقال أنها زوجة سيد الحاج بلقاسم حيث أنها في أثناء العودة من رحلة أحد مواسم الحج قال لها الشيخ لقد نسيت نعلي في الحج فقالت له ماذا تقول نعلك هنا وأشارت إلى جانبه فاستدار الشيخ فوجده بجانبه عندها اندهش وتفطن أنها ولية من أولياء الله "امرأة سالحة" واصلة عند ربها فقال لها: أسدان لا يمكن أن يلتقيا في غاية وقصد بذلك بأنهما يملكان بركات متشابهة وبعدها تفرقا وأصبحت "لالا حجة" تبدأ الموسم بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف (يوم 12 ربيع الأول) والشيخ يختمه بإقامة السبوع (يوم 18 ربيع الأول).

\* الزاوية هي الديار التي ينزل بها كل ولي صالح يعيش فيها حياته فيترك بها بصماته وتبقى خالدة مدى الحياة وجراء ذلك يطلق اسمه عليها تعظيماً وتمجيذاً له، وهنا هذه الزاوية هي للولي الصالح سيد الحاج بلقاسم، عاش بها حياته ودفن بها.

### المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف وأبعاده.

إن أهم مظهر يميز الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف هو لقاء "الحفرة" الذي يكون "بزواية سيدي الحاج بلقاسم"، ويكون ذلك بعد صلاة العصر إلى جانب هذا المظهر هناك عدة مظاهر نذكر منها:

#### 1) العلمة في الاحتفال بالاسبوع:

كل علم من هذه العلمة يرمز إلى أحد الأولياء الذين حضروا في أول لقاء دعاهم إليه الشيخ، كما يرمز بعضهم إلى تلامذته المباشرين وتلامذته بالوساطة، ومن الأولياء من كان يحضر علمه معه في حياته. ونشير في سياق حديثنا عن العلمة إلى أنها تلبس في ضريح الولي الخاص بها وعملية: "التلباس" تتم من قبل أشخاص أغلبهم رجال ونشير إلى إقصاء المرأة شبه الكلي من العملية اللهم إلا ما تعلق بالتدخل أحياناً بتبخير العلمة أو الزغاريد وغيرها.

لباس الحضور يكاد يكون كله أبيضاً بعمامة وقميص (عباية) بيضاء كذلك، وهو الزي المعروف في المنطقة يلبس في كل المناسبات الدينية يرمز للصفاء والسلام والمودة وهو اللون نفسه الذي تلون به الأضرحة في المنطقة عبر ما يسمى بعملية (التجيار). أما لون الرايات فمعظمها خضراء، وهو اللون الذي يعرف به أولياء الله الصالحين رفقة الأبيض، وقد رسمت على تلك الرايات مجموعة من الأشكال والكتابات من بينها "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وبعض الآيات القرآنية مثل آية الكرسي والفاتحة والإخلاص...، ولكل هذه الآيات والعبارات مكانة كبيرة في قلب المسلم، أما قبب الأعلام أو "المرصعة" فإنها نحاسية صفراء ولكن لها أشكال مختلفة منها شكل القبة، وهو يرمز أو يحاكي قبة المساجد في العمارة الإسلامية، وهناك بعضها على شكل رأس السيف وبعض الأشكال الأخرى، ومن جهة أخرى نجد نوعاً من الإيقاع الموسيقي الخاص سواء كان أثناء إلباس العلمة أو أثناء خروجها يكون هذا الإيقاع بآلة "الزمار"<sup>1</sup> و"القلال"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر مجلة النخلة، العدد التجريبي الصادرة عن مجموعة القروط، أدرار، 2005.

<sup>2</sup> القلال: آلة محلية تشبه الدربوكة، تصنع من جلد الخروف.

**(2) لقاء ماسين:**

يتم هذا اللقاء بقصر "ماسين" في الليلة التي قبل السبوع، ويجتمع هناك الناس من كل الأرجاء حتى الأجانب وينزلون ضيوفاً في هذا البلد، ويكون ذلك في 17 من ربيع الأول (زيارة سيدي أحمد بن يوسف)، فبعد صلاة العصر في ماسين، يدخل علم "سيدي أحمد بن يوسف" داخل زاويته ليلبس لباساً جديداً، ويبخر ويعطر وبعدها يخرج لاستقبال علم "سيدي الحاج بلقاسم" القادم من زاويته، وبعد صلاة العشاء يستعد العلمان ((علم سيدي أحمد بن يوسف وعلم سدي الحاج بلقاسم)) لاستقبال العلمة الأخرى مثل علم سيدي بومحمد وعلم سيدي الحاج بولغيت وغيرهم.

وبعد صلاة العشاء يلتقي العلمة الآخرين مع علم سيدي أحمد بن يوسف وعلم سيدي الحاج بلقاسم، لينطلق الجميع في التلهيل، وذكر الرسول. ويحدث التلامس بين الأعلام تعبيراً عن السلام الحار والترحاب وفي أثناء هذا التلامس يبدو للمشاهد كأنه معركة، إلا أنه يعبر عن اتصال رمزي بين القبائل بواسطة "العلمة".

**(3) التجمع في الجبل:**

بعد وصول الركب الذي بات في ماسين إلى منطقة تميمون وبالضبط في وسط المدينة (قرب حي 50 مسكن) يوجد مرتفع أو مجرد هضبة تدعى "الجبل"، حيث يجتمع الناس هناك لانتظار "العلمة". بعد مجيء "العلمة" تتشكل حلقة البارود لتبدأ في تقديم عروضها (أنظر الصورة رقم: 02، 4، 03، 05).

وفي نهاية كل عرض يتم إطلاق البارود وهذا ما يعرف عند أهل المنطقة بـ ((القرص)) ويستمر عرض البارود حتى صلاة العصر. ليسير بعد ذلك الركب باتجاه ما يسمى بالحفرة، وهذا المكان متواجد في زاوية سيدي الحاج بلقاسم مع الجمهور الغير الذي كان متواجداً في ما يسمى بـ: "الجبل" حيث يحبز الكثير المشي على الأقدام ومرافقة العلمة المتوجهة إلى "الحفرة". متبوعين بزغاريد النساء والهتافات وترديد الأذعية والأذكار.

**(4) لقاء الحفرة:**

الحفرة هي مكان منخفض يتواجد في زاوية سيدي الحاج بلقاسم (على عكس الجبل الذي هو مكان مرتفع)، وهي المكان الذي يتوافد عليه القادمون من الجبل سواء سيراً على الأقدام أو ركوباً لإحدى وسائل النقل، لأن زاوية سيدي الحاج بلقاسم تبعد عن تيميمون بأكثر من 4 كلم. وبعد صلاة المغرب والعشاء يلتقي الضيوف والعلمة الآخرين مع علم سيدي أحمد بن يوسف وعلم سيدي الحاج بلقاسم ويستقبلون استقبالاً حاراً<sup>1</sup>.

تصل العلمة إلى زاوية الحاج بلقاسم. حيث يقوم الناس والزوار بأداء الزيارة "عند الروضة" بتقديم مبلغ من المال مقابل قليل من الطعام وقطعة من لباس علم سيدي الحاج بلقاسم القديم بعد أن لبس لباساً جديداً، ثم يوضع علمه على قبره.

وبعدها يقف الناس لاستقبال العلمة القادمة من كل النواحي، تطلق طلقات بارود إشارة إلى أنه لم يبق أحد في الطريق، فتخرج العلمة من زاوية سيدي الحاج بلقاسم إلى الحفرة (ما يسمى بلحظة تلاقي العلمة).

تخرج العلمة بتقديمها علم سيدي الحاج بلقاسم مع ضربات البندير ويرددون ((أرسول الله، أرسول الله، النبي عبدك آ الله)). وتزداد ضربات البندير كلما اقتربت قافلة العلمة نحو الحفرة حيث تزداد كذلك هتافات الحاضرون وزغاريد النساء، حيث تدخل علمة الزاوية من باب الروضة والعلمة القادمة من تيميمون "الجبل" تدخل من الباب الرئيسي للحفرة، فيردد علمة الزاوية ((أرسول الله أرسول الله...)) أما العلمة الآخرون فيرددون ((لا إلى إلا الله باسم الله يا فضائل باسم الله))، وهكذا تبدأ العلمة في الاقتراب من بعضها البعض حتى يتلامسون فيما بينهم، والمشاهد للظاهرة يظن أن هناك معركة بينهم لكن هو تعبيرهم عن المحبة والتآخي وروح المودة بين الشعوب والقبائل، وفي هذه الأثناء يصبح حاملو العلمة وأبتاعهم كلهم يرددون صيغة واحدة هي ((يا رسول الله يا رسول الله الشفاعة يا رسول الله)).

وبعد هذا كله يباشر سيدي الحاج بومحمد بالخروج لتتبعه علمة تيميمون (علماء أن علمة تيميمون يجب أن تغادر الزاوية قبل غروب

<sup>1</sup> عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص78

الشمس)، والعلمة الباقية تسند على حائط الزاوية ولا يبقى في الحفرة إلا علم واحد مكتوب عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فيرفع الناس أيدهم لقراءة الفاتحة 03 مرات وبعدها يتفرق الناس، ويبقى من أراد التبرك بتراب الحفرة، أو من أرد طلب حاجته إلى الله والدعاء وطلب الرضا من الله والشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. والعاقبة للعام القادم إن شاء الله تعالى<sup>1</sup>.

### ب- العوامل المساعدة على استمرار الاحتفال.

إن استمرارية الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف في منطقة قورارة إن دلت على شيء وإنما تدل على وجود عوامل مساعدة على استمرار هذا الاحتفال؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(1) الطابع الديني الذي يميز المنطقة يجعلها تحافظ على هذا الاحتفال بهذه الذكرى وخاصة أنها تتعلق بالمصطفى عليه السلام.  
(2) التقديس والتعظيم للمصطفى صلى الله عليه وسلم ولأولياء الله الصالحين.

- (3) الاعتقاد بوجود أولياء الله الصالحين وتصديق أعمالهم وأقوالهم.
- (4) التعلق الشديد بالعادات والتقاليد ومحاولة المحافظة عليها.
- (5) المحافظة على دعائم المجتمع القوراري.
- (6) الرغبة في تناقل التراث الشعبي والثقافي.
- (7) المحافظة على الفلكلور.

### الأبعاد المستوحاة من الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف

#### بمنطقة قورارة.

#### أ- البعد الديني.

المظهر الديني أو البعد الديني في المنطقة ضارب بجذوره في التاريخ، ونستطيع تحديد هذا المظهر المتعدد الأشكال وفق ما يلي:  
\* تلاوة القصائد المختلفة في مدح أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) عبر كامل المساجد، بحضور المواطنين وأئمة المساجد على أن يختتم هذا النشاط يوم 12 أو 19 ربيع الأول.

<sup>1</sup> عاشور سرقة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، ص78



\* ينظم ملتقى سنوي في السيرة النبوية لمعالجة القضايا الاجتماعية بحضور الأئمة والمتقنين والمواطنين الناشطين في الحقل الثقافي بإشراف مديرية الشؤون الدينية.

\* تنظيم محاضرات ودروس تعالج القضايا الاجتماعية من خلال واقع السيرة النبوية، والغرض من ذلك تزويد المواطنين بالمعارف الإسلامية، تقدمها المساجد والمراكز الثقافية.

\* تلاوة القرآن الكريم جماعة أو ما يعرف في المنطقة "تبيت السلكة" ويخص هذا مساجد "ماسين، تينركوك، زاوية سيدي الحاج بلقاسم" بحضور المواطنين، وتختتم التلاوة في الصباح بدعاء جماعي ومصافحة بين الجموع الغفيرة من المواطنين....

\* تنظيم مسابقات دينية تشمل: حفز القرآن الكريم وتجويده، السيرة النبوية، حفظ الأحاديث النبوية...، تختتم باحتفالات رسمية بالمناسبة بحضور المواطنين وإشراف الأئمة.

#### ب- البعد السياحي والثقافي.

تتمثل فعاليات الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف في عدة أوجه، أو صور أهمها:

#### \* الفعل السياحي كنشاط اجتماعي وثقافي.

تنشيط عدد كبير من أوجه التراث الغير مادي وهو متعدد الأوجه:

- الوجه الديني: تلاوة القرآن والقصائد والأدعية...الخ.

- الوجه الثقافي: يتمثل في إقامة أنشطة فلكلورية (الحضرة-

البارود-أهلليل...الخ).

- الوجه الاجتماعي: يتمثل في الاشتراك العام للسكان المحليين

في إحياء التظاهرة من خلال إطعام الطعام والاشتراك في جميع الفعاليات.

- الوجه التاريخي: يتمثل في المحافظة على التراث التاريخي غير

مادي.

#### \* الفعل السياحي كنشاط اقتصادي:

- توفير فرص العمل لأصحاب الوكالات السياحية والمؤسسات

الفندقية.

- خلق منفذ لغرض بيع منتجات الصناعة التقليدية.

- الرفع بشكل عام من نسبة التوافد السياحي للسياح الأجانب والمواطنين، وبالتالي ضمان دخل لا بأس به من العملة الصعبة للدولة.

### ج- البعد الاجتماعي.

لكل ظاهرة سوسولوجية - حسب روبرت مارتون - جانب بارز والآخر خفي، أما المظهر البارز فيلاحظه الإنسان العادي وأما المظهر الخفي فيراه العالم وأهل الاختصاص، وبالنسبة للأسبوع بمنطقة قورارة فهو ذو طابع تقليدي يعود إلى تاريخ المنطقة، بيد أن الدارس لهذه الاحتفالات يمكن أن يكتشف عدة خبايا نذكر منها:

- التماسك الاجتماعي: إذ من خلال إحياء هذه الاحتفالات يلتقي أهل المنطقة في تبادل للأفراح والآراء وتزول الفوارق والحواجز بين طبقات المجتمع وتزول الخلافات والنزاعات...

- فك العزلة الاجتماعية عن المنطقة وسكانها من خلال قدوم السياح من داخل وخارج الوطن مما يسمح بتزاوج الثقافات وتبادل الخبرات في جميع مناحي الحياة.

- الاستثمار في الطابع الفلكلوري الخاص بالمنطقة خصوصاً تراث الأهليل الذي وصل إلى العالمية.

### خاتمة

إن الاحتفالات والممارسات الدينية كلها دعوة إلى أفراد فئة معينة من المجتمع في مكان معين وفي ظرف زمني محدد، تحيي هذه الفئة كل ما هو حميمي وكل ما هو مشترك بينها، والذي يدل على التآلف الاجتماعي بين أفراد هذه الفئة. فكل ثقافة تحتوي على الموسيقى والرقص والأدب الشعبي، والآداب والفنون الدرامية لا تخلو من الطقوس الاجتماعية والاحتفالات الدينية لتجسيد تلك العناصر. وما "السبوع" إلا نموذج لتلك الطقوس والاحتفالات الدينية. فأحياء ذكرى المولد النبوي الشريف والاحتفال به له معاني جد سامية؛ خصوصاً في تعريف الناشئة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدره العظيم، يقول الإمام البوصيري رحمه الله مشيداً بمولد النبوي:

ليلة المولد الذي كان للدين سرورا بيومه وازدهاء  
وتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحق الهناء

ونخلص من خلال هذا البحث إلى أن:

- الاحتفال بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وأسبوعه منتشر في جميع الأصقاع التي تدين بالإسلام، وهو بدعة محمودة ولو كان غير ذلك لزالته.
- مؤسس الاحتفال بأسبوع المولد بمنطقة قورارة هو الشيخ سيد الحاج بلقاسم مع اختلاف الروايات في بدايات الاحتفال بالذكرى.
- ما يميز "السبوع" بمنطقة قورارة (تيميمون) عن باقي الأقطار هو الكم الهائل من الرايات أو "العلمة" وكذا الحضور الكلي لجميع الطبوع الفلكلورية التي تعرفها المنطقة.
- أهم بعد ديني "للسبوع" بقورارة، تعريف الناس وخاصة السياح الأجانب بالرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة من خلال حلقات الدروس والندوات المقامة من أهل الاختصاص بالمناسبة.
- أهم بعد ثقافي وسياحي هو التعريف بالموروث الحضاري للمنطقة وكذا الترويج للصناعات التقليدية والحرف بالمنطقة.
- أما أهم بعد اجتماعي، فيتمثل في تقوية الأواصر والروابط الاجتماعية بين سكان المنطقة وكذا الوافدين إليها من مختلف البقاع.
- وبالرغم من كل هذا لا ننسى منكرات متعددة يجب استئصالها وأخطاء جهل يجب تصويبها هذه المنكرات والأخطاء حدثت ولا تزال تحدث في زماننا هذا منها:
- الاختلاط الناتج عن هذا اللهو، حيث أن هذا الرقص لا يقتصر على الرجال فقط؛ بل يجتمع عليه الكل رجالاً ونساءً.
- خروج النساء لهذا الاحتفال وهن متبرجات في زينتهن، فهذه كلها منكرات يجب إنكارها ومحاربتها.
- دعاء الأولياء الصالحين بدل الله سبحانه وتعالى بجاه أوليائه.
- التقرب بالذبايح للأولياء بدل إخلاص النية لله.

### قائمة المراجع

#### المراجع:

- أحمد مختار العبادي، في التاريخ الفاطمي والعباسي، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د ت).
- بلغيت محمد، إيقاعات شعبية عادات وتقاليد فولكلورية في الجنوب الغربي، طبع الجاحظية، الجزائر، 2003.

- عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، بدون طبعة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.
- محسن جمال الدين، احتفالات المولد النبوي في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجرية، ط1، مطبعة دار البصري، بغداد، 1967.
- محمد نوري الشيخ رشيد النقشبندي الديثوري، ردود على شبهات السلفية، ط1، مطبعة الصباح، بيروت، 1987.

#### المجلات:

- أسرة التحرير: مجلة النخلة، العدد التجريبي الصادرة عن مجموعة القروط، أدرار، 2005.
- طارق حسون فريد، التراث الموسيقي والموروث (مجلة المأثورات الشعبية)، العدد: 04، عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، 1986.
- محمد مختار فؤاد أبو الخير، التواصل والاتصال (دراسة مقارنة للتعرف على الأمثال الشعبية)، في المجلة الجزائرية للاتصال العدد: 08، عن معهد الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1992.

#### مواقع الأنترنت:

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C  
&pagename=Zone-Arabic-  
ARTCulture/ACALayout&cid=1182170331215#ixzz0oSZKyJ  
U4.](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-ARTCulture/ACALayout&cid=1182170331215#ixzz0oSZKyJU4)

## تكييف بنود الاستقرار التشريعي و تقييم دورها في عقود الدولة

أ. عدلي محمد عبد الكريم \*  
جامعة زيان عاشور الجلفة

### ملخص:

ليس خفيا على أحد أن حق الدولة في تعديل تشريعاتها ، غير أنه وخروجا على هذا الأصل تقرر بعض التشريعات و أحكام التحكيم للأطراف سلطة التجميد الزمني لقانون العقد ، بإدراج شرط أو بند في عقود الدولة ينص صراحة على أن قانون الإرادة لا يسري على العقد المبرم إلا بحالته التي كان عليها وقت إبرام العقد ، مع استبعاد كل التعديلات التي يمكن أن تطرأ عليه في المستقبل.

وإذا كانت شروط الاستقرار التشريعي تهدف في عقود الدولة أساسا إلى الحفاظ على حقوق الطرف الأجنبي في محاولة حد الشركة من سلطة الدولة التشريعية لتغيير تشريعاتها ، فإنني سأحاول من خلال هذا المقال البحث فيه الطبيعة القانونية لهذه الشروط ، على اعتبار أن هناك من يري أنه تمثله انتهاكا لواحدة من أهم مظاهر سيادة الدولة على الصعيد الداخلي والخارجي على حد سواء ، كما نحاول استقصاء دور هذه الشروط في تحديد القانون الواجب التطبيق على عقود الدولة التي عادة ما يدرج فيها مثل هذه الشروط .

### Résumé:

L'inclusion d'une condition ou une clause dans le contrat, prévoit expressément que la loi ne s'applique pas au contrat sauf si le lot tel qu'il était à la conclusion du contrat, à l'exclusion de toutes les modifications, peuvent survenir dans l'avenir. Elles comprennent généralement les conditions de stabilité législative dans les contrats

\* أستاذ مساعد قسم أ\* بكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة زيان عاشور بالجلفة .

d'État, afin de préserver les droits de la partie étrangère qui essaie d'éviter la société d'État du pouvoir législatif pour conférer le droit de modifier sa législation. Nous allons essayer de chercher la nature juridique de ces conditions, il constitue une violation de l'une des manifestations de la souveraineté au niveau externe et de la procédure, et de chercher si l'objectif de ces conditions ont été atteints.

### مقدمة:

لا أحد ينكر حق الدولة في تعديل تشريعاتها الداخلية وفقا لما تقتضيه مصالحها في ضوء المتغيرات الاقتصادية، وهي مضطرة لمسايرة التطور و لو أدى ذلك إلى الإضرار بالمستثمر الأجنبي. فالدولة تستطيع أن تلغي أو تعدل تشريعاتها الداخلية دون أية مسؤولية دولية عليها، مادامت لم تخالف أحكام القانون الدولي، ولا يغير من ذلك أن يكون التشريع قد صدر مخاطبا الأجانب ، و ذلك لأنه حتى لو سلمنا بالإرادة المنفردة كمصدر للالتزام الدولي في بعض الحدود، فإن هذه الإرادة يجب أن يعبر عنها في مواجهة أشخاص القانون الدولي الآخرين بقصد تكوين التزام دولي، وليس في تشريع الاستثمار الداخلي شيء من ذلك ، لأن هذا القانون يصدر لمخاطبة أشخاص القانون الداخلي، ويفترض فيه أنه عرضة للتعديل والإلغاء.<sup>1</sup>

غير أنه وخروجا على هذا الأصل تقر بعض التشريعات و أحكام التحكيم للأطراف سلطة التجميد الزمني لقانون العقد، بإدراج شرط أو بند في العقد ينص صراحة على أن قانون الإرادة لا يسري على العقد المبرم إلا بحالته التي كان عليها وقت إبرام العقد، مع استبعاد كل التعديلات التي يمكن أن تطرأ عليه في المستقبل.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> هدى سليم ، التحكيم بين المستثمر الأجنبي والدولة المضيفة للاستثمار في ضوء اتفاقيات ومراكز التحكيم العربية والأجنبية ، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات القانونية ، القاهرة ، مصر ، 2008، صص 92، 93 .

<sup>2</sup> بشار محمد الأسعد ، عقود الاستثمار في العلاقات الدولية الخاصة، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 162.

كما أن تعديل التشريع في حد ذاته يعتبر أمراً مشروعاً ما دام لا يتعارض مع أساسيات متعارف عليها كالعدالة و المساواة ، لكن المستثمرين الأجانب يفتقدون عنصر الأمان في تعاملهم مع الدول المضيفة لهم ، ويظنون يبحثون عن الاستقرار لاستثماراتهم ، وهذا ما جعل الكثير من الدول تمنحهم ضماناً بأن العقد لن يتغير ، و إنما يبقى ثابتاً عند اللحظة التي أبرم فيها، ويتم تطبيق ذلك إجرائياً بأن تتضمن العديد من عقود الدول شروطاً تعرف باسم شروط أو بنود الثبات التشريعي.<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس فما هي مسوغات شروط الثبات التشريعي وما تأثيرها على عقود الدولة ؟ وهذا ما يمكننا تسليط الضوء عليه من خلال ما يلي:

### المبحث الأول: التكييف الفقهي لشروط الثبات

حاول الفقه المساهمة في تحديد المقصود بشروط الثبات التشريعي (المطلب الأول) وأقامه على العديد من المرتكزات (المطلب الثاني).

**المطلب الأول : تحديد المقصود بشروط الثبات**

لتحديد المقصود بشروط الثبات نأت تعريفها في الفرع الأول و صورها في الفرع الثاني.

### الفرع الأول: تعريف شروط الثبات

يقصد بشروط الثبات التشريعي *Clauses de stabilité législative* تلك الشروط التي يتم بموجبها تجميد القانون واجب التطبيق على العقد ، على الحالة التي كان عليها وقت إبرامه أكثر ذيوماً في العقود التي تبرم بين دولة وأحد الأشخاص الأجنبية.<sup>2</sup>

ويعرف شرط الثبات التشريعي بأنه ذلك الشرط الذي يمنع الدولة من تعديل القانون الذي يحكم العقد لمصلحتها مما يغير من الوضع القانوني بمعنى أن القانون الواجب التطبيق على العقد سيؤثر على النصوص التي تكفل العدالة العقدية بين الطرفين.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> هدى سليم ، مرجع سابق ، ص 93.

<sup>2</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، شروط الثبات التشريعية في عقود الاستثمار والتجارة الدولية ، المجلة المصرية للقانون الدولي ، العدد 43 ، 1987 ، المجلد 43 ، ص 68.

<sup>3</sup> وائل محمد السيد إسماعيل ، المشكلات القانونية التي تثيرها عقود B.O.T وما يمثّلها - دراسة مقارنة - ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 2009 ، ص ص 265 ، 266.

ومن أمثلة ذلك تعديل النصوص التشريعية التي ترفع من قيمة الضرائب أثناء مرحلة تنفيذ العقد لا سيما وأن هذا العقد من العقود طويلة المدة ، فيأتي شرط الثبات التشريعي ليعفي الطرف المتعاقد مع الدولة من الخضوع لهذه التشريعات الضريبية الجديدة.<sup>1</sup>

حيث أن الدولة المتعاقدة تتعهد ، بموجب هذه الشروط ، بوصفها تملك سلطة تشريعية في ذات الوقت بعدم إصدار أية تشريعات جديدة تسري على العقد المبرم بينها وبين الطرف الأجنبي المتعاقد معها على نحو يؤدي إلى الإخلال بالتوازن الاقتصادي للعقد.

ويعد الأستاذ " Prosper Weil " أول من أبرز التفرقة بين شرطي الثبات التشريعي وعدم المساس بالعقد بحيث ينصرف معنى شرط عدم المساس بالعقد إلى تعهد الدولة بعدم تعديل العقد بإرادتها المنفردة باستخدام ما تتمتع به من مزايا حسب قانونها الداخلي بوصفها "سلطة تنفيذية" مما يعطي للطرف المتعاقد معها حصانة ضد ما تتمتع به من سلطان ناجم عن " هذه الصفة الإدارية".

أما شرط الثبات التشريعي فهو يهدف إلى حماية الطرف المتعاقد مع الدولة من " المخاطر التشريعية " أي ما ينجم عنها بوصفها " سلطة تشريعية " على وجه التحديد.<sup>2</sup>

وعلى الرغم من أن شروط الثبات التشريعي تختلف نظريا عن شروط عدم المساس بالعقد، فإن التفرقة بينهما تكاد تتلاشى عمليا، فشروط الثبات التشريعي تهدف في النهاية إلى عدم المساس بالعقد ما دامت تستبعد تطبيق القواعد التشريعية الجديدة على العقد، كما أن شروط الثبات ذاتها لا تحقق الأمان القانوني إلا إذا كان من غير الممكن المساس بها ، لهذا فإن المشاكل التي تثار بالنسبة للنوعين واحدة.<sup>3</sup>

### الفرع الثاني: الصور المختلفة لشروط الثبات

<sup>1</sup> محمد عبد المجيد إسماعيل ، عقود الأشغال الدولية والتحكيم فيها ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص 106.

<sup>2</sup> وفاء مزيد فلهوط ، المشاكل القانونية في عقود نقل التكنولوجيا إلى الدول النامية ، الطبعة الأولى ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، لبنان ، 2008 ، ص ص 760 ، 761.

<sup>3</sup> سراج حسين أبو زيد ، التحكيم في عقود البترول - دراسة متعمقة تتضمن عرضا تفصيليا لموقف الفقه والقوانين الوطنية والاتفاقيات الدولية وأحكام محاكم التحكيم وخاصة الصادرة في مجال البترول وذلك بشأن المسائل المتعلقة بالقانون الواجب التطبيق على إتفاق التحكيم والإجراءات وموضوع النزاع ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص 115.



يميز الفقه طبقاً للمعايير الشكلية التي تركز على المظهر الخارجي لهذه الشروط لأجل تقسيمها من حيث المصدر ومن حيث المضمون ومن حيث الفئات المستفيدة منها.

أولاً: تصنيف شروط الثبات من حيث المصدر  
تصنف شروط الثبات من حيث المصدر إلى تعاقدية و أخرى  
تشريعية.

1- الشروط التعاقدية أو الاتفاقية Les clauses conventionnelles  
وهي تلك الشروط التي ترد ضمن بنود عقد الدولة ذاته و تنص صراحة على القانون الذي يسري على العقد عند المنازعة، بأحكامه وقواعده النافذة فقط وقت إبرام العقد مع استبعاد أي تعديلات لاحقة تطرأ عليها.<sup>1</sup>

2- الشروط التشريعية Les clauses législatives أو بما يسمى بشروط التجديد الزمني ذات الطابع التشريعي: يقصد بالشروط التشريعية للثبات تلك المتعلقة بتشريعات الدولة التي تتعاقد مع أحد الأشخاص الأجنبية، والتي تجعل الدولة تنص في صلب قوانينها نصوصاً تمنع الدولة من تعديل أو إلغاء قوانينها واجبة التطبيق على العقد.<sup>2</sup>

ثانياً: تصنيف شروط الثبات من حيث المضمون.  
ومن حيث المضمون صنف الفقه شروط الثبات إلى مطلقة ونسبية.

<sup>1</sup> الروبي محمد ، عقود التشييد والاستغلال والتسليم B.O.T -دراسة في إطار القانون الدولي الخاص ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص 180. - دراسة في إطار القانون الدولي الخاص ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص ص 115 ، 116.

<sup>2</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 70.

1- شروط عامة تتعهد بموجبها الدولة بعدم تغيير التشريعات الجديدة المتعلقة بالعقد.

2- شروط خاصة تمنع الدولة من تعديل تلك التشريعات المتعلقة ببعض نشاطات الشركة والتي قد تزيد من أعبائها كتشريعات الضرائب أو الجمارك مثلا.<sup>1</sup>

ثالثا: تصنيف شروط الثبات من حيث النطاق الفعلي.

كما يقسم الفقه الشروط من حيث نطاقها الفعلي، من خلال الربط بين اشتراط عدم سريان القانون الجديد و مصلحة المتعاقد إلى شروط تهدف إلى عدم سريان أي قانون جديد تصدره الدولة المتعاقدة، أم أن الحظر في عدم سريان القانون الجديد لا يأخذ به في حالة ما إذا كان القانون الجديد أصلح للمتعاقد من القانون القديم.<sup>2</sup>

حيث يمكن وفقا لهذا التمييز بين " النطاق الفعلي " للشرط ما بين شرط لكل القوانين، و آخر مقيد بالألا يكون القانون الجديد أصلح للمتعاقد.<sup>3</sup>

رابعا: تصنيف شروط الثبات من حيث الأشخاص المستفيدين منها ومن جهة الأشخاص المستفيدين من تلك الشروط، نميز بين:

1-شروط مطلقة لا تحدد الأشخاص المستفيدين منها.

2- شروط نسبية تقتصر على الطرف المتعاقد مع الدولة دون

الأفراد العاملين في المشروع الأجنبي المتعاقد مع الدولة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> قادري عبد العزيز، دراسة في العقود بين الدول ورعايا دول أخرى في مجال الاستثمارات الدولية "عقد الدولة le Contrat d'Etat"، مجلة إدارة، العدد 01، رقم 07، سنة 1997، ص 58. وكذا: دريد محمود السامرائي، الاستثمار الأجنبي - المعوقات والضمانات القانونية -، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ص 241.

<sup>2</sup> حفيفة السيد الحداد، العقود المبرمة بين الدول والأشخاص الأجنبية - تحديد ماهيتها والنظام القانوني لها، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2001، ص 330.

<sup>3</sup> ولعل المثال على ذلك ما ورد في المادة 01/08 من قانون الاستثمار الأجنبي لطاجيكستان والتي قررت إعمال قانون الاستثمار القديم في حالة ما إذا لم يتم تعديله بشكل أسوأ مما كان عليه. أنظر في ذلك: وفاء مزيد فحوط، المشاكل القانونية في عقود نقل التكنولوجيا إلى الدول النامية، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2008، ص 762.

<sup>4</sup> طه أحمد علي قاسم، مرجع سابق، ص 75.

#### خامسا: تصنيف شروط الثبات وفق المعيار الوظيفي<sup>1</sup>.

1- شروط تهدف إلى تجميد القانون دون اندماجه في العقد والتي تهدف إلى تجميد القانون الواجب التطبيق على ما هو عليه لحظة إبرام العقد، وهنا يتضح أن هذا التصنيف يهدف إلى قطع الصلة بين القواعد والأحكام القانونية التي تم تثبيتها والقانون الوطني الذي اشتقت منه، وذلك بعد مرور فترة زمنية معينة، ولا سيما إذا تغير هذا القانون.<sup>2</sup>

#### 2- شروط تهدف إلى التجميد مع اندماج القانون في العقد.

وقد تذهب هذه الشروط إلى إدماجه في ذلك العقد ليصبح شرطا فيه ليس إلا، ومثال ذلك المادة 14 من عقد الامتياز بين دولة قطر وشركة تكساس عام 1964 حيث نصت على إلزام الأطراف بقوانين البترول السارية وقت إبرام العقد وأدمجت هذه النصوص في متن العقد.<sup>3</sup>

وشروط الثبات التي تتخذ شكل تعهد من الدولة المتعاقدة مع الطرف الأجنبي وتحصينه ضد أي تعديلات تشريعية تطرأ مستقبلا، والنص على عدم سريانها على العقد.<sup>4</sup>

ومن بينها ما جاء في العقد المبرم بين الكاميرون و إحدى شركات الأبحاث والاستغلال حيث قضت المادة 15 من العقد " لا يمكن أن تطبق على الشركة بدون موافقتها المسبقة التعديلات التي تطرأ على أحكام النصوص المذكورة فيما بعد خلال مدة الاتفاق."<sup>5</sup>

المطلب الثاني: المرتكزات التي تقوم عليها شروط الثبات التشريعي.

لا بد وأن الغاية من تثبيت القانون واجب التطبيق، على حالته التي كان عليها وقت إبرام العقد، هي استقرار الرابطة التعاقدية و حفظ توقعات الأطراف. فقد تكون الأحكام الجديدة التي تطرأ على قانون العقد،

<sup>1</sup> تهدف شروط الثبات التشريعي إلى تحقيق غاية محددة هي إخضاع عقد الدولة إلى قانون ثابت ومحدد منذ لحظة إبرام العقد وحتى انقضائه، ولتحقيق هذه الغاية فإن الأطراف تلجأ إلى صياغة شروط الثبات التشريعي على نحو من شأنه تجميد القانون الواجب التطبيق على العقد سواء تم إدماج هذا القانون في العقد أم لا، و إما عن طريق النص على عدم سريان التعديلات اللاحقة التي تطرأ على القانون الواجب التطبيق على العقد. أنظر في ذلك: حفيظة السيد الحداد، مرجع سابق، ص 331.

<sup>2</sup> حفيظة السيد الحداد، مرجع سابق، ص 332.

<sup>3</sup> وفاء مزيد فلحوط، مرجع سابق، ص 763.

<sup>4</sup> حفيظة السيد الحداد، مرجع سابق، ص 335.

<sup>5</sup> سراج حسين أبو زيد، مرجع سابق، ص 113.

مؤدية حال تطبيقها إلى قلب التوازن التعاقدية و توجيه اقتصاديات العقد لصالح أحد الطرفين على نحو يلحق الضرر بالطرف الآخر.<sup>1</sup> وهذا ما يجعل هذه الشروط لها مسوغات ومبررات، على اعتبار أنها مجرد إمتداد لقاعدة قانون الإرادة " فرع أول "، وأنها تؤدي إلى الانتقال من إرادة المشرع إلى إرادة الأطراف " فرع ثان "

#### الفرع الأول: شروط الثبات التشريعي: امتداد لقاعدة قانون الإرادة.

إن تثبيت قانون العقد عند لحظة الإبرام يتمشى مع فلسفة قاعدة تنازع القوانين في العقود الدولية، فجوهر تلك القاعدة، أن تطبيق ذلك القانون يجد مصدره وأساسه المباشر في إرادة الأطراف فالقانون المختص هو ذلك الذي يريده الأطراف و يرغبونه.

وهنا يلاحظ أن القواعد التي تطرأ على القانون المذكور، بعد إبرام العقد لم يريدها الأطراف و لم تتصرف إليها نيتهم و تطبيقها عليهم رغم ذلك يعني تطبيق قانون آخر غير قانون الإرادة و هذا يكون غير مقبول في مجال العقود الدولية حيث أن ما يجب اعتباره دائماً هو ما أراده الأطراف و ما أرادوه فقط.<sup>2</sup>

وحيث أن المستقر في إطار القانون الدولي الخاص للعقود أن الأطراف أنفسهم هم الذين يحددون القانون الذي يحكم عقدهم، ويعد هذا الاتفاق مصدر إلزامية تطبيق قواعد هذا القانون على كل النزاعات التي تنشأ؛ حتى ولو طرأ على هذا القانون تعديلات تشريعية وقت نظر النزاع.<sup>3</sup>

وبناء على ذلك يصبح التعديل اللاحق لهذا القانون الواجب التطبيق حتى ولو اعتبرناه رجعياً، ليس له صفة لكي يفرض على المتعاقدين حيث أن اختيارهم قد تم هذه المرة أيضاً ليس طبقاً لاختصاص مجرد لذلك القانون، ولكن طبقاً لمضمونه الملموس كما كان موجوداً لحظة اتفاقهم.

ومن ناحية ثانية يكون من الشائع للمتعاقدين أن يختاروا هذا الجزء من ذلك التشريع الذي يتمنون تطبيقه أو التشريع كما هو موجود في تاريخ محدد.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> بشار محمد الأسعد ، مرجع سابق ، ص 164.

<sup>2</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 76.

<sup>3</sup> بشار محمد الأسعد ، مرجع سابق ، ص 162.

<sup>4</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 76 ، 77.

حيث أن شروط التجميد الزمني لقانون العقد في لحظة إبرامه تؤدي إلى نتيجتين، الأولى أن يفقد في النظام الدولي طبيعته كما حددها القانون الداخلي، بمعنى أن اختصاصه لا يكون إلا اختياريًا، و في ذات السياق يرى الأستاذ "باتيفول" أن "الإعتراف للأطراف بسلطة اختيار القانون واجب التطبيق على عقودهم... يؤدي إلى أن الأطراف يكونون أحرارًا في عدم اختيار قانون إلا تحت شرط، لا سيما استبعاد كل حكم جديد سوف يصدر و يؤثر على العقود السارية". و أما الثانية فإن العقد يصير في الحقيقة كأنه غير خاضع لأي قانون، أي طليق من سلطان القانون، وذلك على الأقل ابتداء من وقت حدوث تعديل في القانون المفروض أن يكون واجب التطبيق عليه.<sup>1</sup>

**الفرع الثاني:** شروط الثبات التشريعي: انتقال من ارادة المشرع إلى ارادة أطراف العقد.

أما المرتكز الثاني فهو أن الأحكام التي طرأت على القانون واجب التطبيق لا تسري على العقد لأن ذلك القانون ذاته فقد صفته باعتباره كذلك فالواقع أن قانون العقد، بمجرد اختياره من قبل الأطراف يفقد صفته كتعبير عن إرادة مشرع معين، أو كقانون قاعدي و يعتبر مجرد شرط تعاقدية فهو يندمج في العقد الذي اختير له.<sup>2</sup>

و في هذا المعنى يقول الأستاذ "جيرو دي لا براديل" G.de la pradelle أن "العقد الدولي يفلت من تعديلات القانون المختار من قبل الأطراف...وهنا يندمج هذا القانون في العقد" وعبارة أخرى فان "كل شيء يتم حينئذ كما لو أن المتعاقدين، داخل إطار استقلال إرادتهم قد أدمجوا في اتفاقهم عددا معينًا من القواعد المستعارة من التشريع الوطني..وغير ذي أهمية كون هذا الإندماج قد تم عن طريق الإحالة إلى القانون الوطني أو طريق تبني القواعد المقصودة".<sup>3</sup>

**المبحث الثاني:** التكييف العملي لشروط الثبات.

<sup>1</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 80.

<sup>2</sup> دريد محمود السامرائي ، مرجع سابق ، ص 244 .

<sup>3</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 77.

في معرض تكييفنا لشروط الثبات إسقاطا على الواقع العملي نجد أن الغاية الأساسية من إدراج شروط الثبات لم تتحقق مما تم الاتفاق بشأنه على قصور شروط الثبات في دعم استقرار العقد "المطلب الأول"، في حين أن المشرع الجزائري قد حاول تكييف هذه الشروط وتقييمها من خلال المعالجة التشريعية الجزائرية لشروط الثبات "المطلب الثاني".

**المطلب الأول:** الاتفاق على قصور شروط الثبات في دعم

استقرار العقد.

يبدو أن التطور المعاصر للعقود الدولية قد أثبت عدم ملاءمة شروط التجسيد الزمني لقانون العقد، فلم تعد تلك العقود أداة لغزو الأسواق، بل أصبحت أداة للتعاون بين المتعاقدين و لنمو التجارة الدولية، و أدى ذلك إلى ظهور عقود ذات مضمون متحرك بفعل شروط المراجعة أو التوافق مع الظروف الاقتصادية، ذلك أن وجود مثل هذه الشروط يؤكد الشك مع عدم الثقة في نوايا الدولة باللجوء إلى تعديل تشريعها، لقلب التوازن العقدي لصالحها، مما قد يعكر مناخ النزاهة وحسن النية المفترض بين المتعاملين على هذا الصعيد.<sup>1</sup>

لذلك عندما تم إعداد العقد النموذجي من قبل جمعية القانون الدولي بشأن الاستثمارات 1980-1981 كانت لا تنص على هذه الشروط، كما أثبتت متابعة العمل الجاري - وعلى الرغم من عدها إجراء لا يرغب فيه المتعاقد الأجنبي - أنها إجراء استثنائي يظل قبوله متوقفا على المصلحة العامة للدولة، مع حفظ حق المتعاقد الآخر في إثارة مسؤوليتها العقدية، على اعتبار أن شرط الثبات هو مجرد شرط عقدي تتوقف فعاليته على القانون الواجب التطبيق، ويمكن عند محاولة تحديد مسؤولية الدولة الاعتماد على النية الحقيقية للدولة.

وكما هو معروف فإن مبدأ حسن النية مفترض إلى أن يثبت العكس، كما لو تستهدف من خلال إخلالها بالشرط تحقيق غرض عام أو تستهدف مركزا تعاقديا خاصا بذاته دون غيره من المراكز القانونية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> وفاء مزيد فلحوط ، مرجع سابق ، ص 776.

<sup>2</sup> وفاء مزيد فلحوط ، مرجع سابق ، ص 776 و أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 95-97.

ويرى الأستاذ أحمد محيو أن شروط الثبات التشريعي لم تعد مؤثرة في العقود المدرجة فيها، ولعلها تبعث الشك وعدم الثقة بين أطرافها، كما تؤدي إلى الاعتقاد بأن الدولة تلجأ إلى تعديل تشريعاتها بما يتفق مع مصالحها، ولو كان ذلك على حساب مصلحة الطرف الأجنبي، وكل هذا من شأنه أن يعكر الجو الملائم لإجراء التحكيم.<sup>1</sup>

وكخلاصة يمكن القول أن شروط الثبات لم تحقق الهدف المنشود منها وهو عدم المساس بالعقد، وهذا في نظر ما يمثل المتعاقد الأجنبي في مواجهة الدول النامية، وهو يلعب في أحسن الأحوال دورا مشابها للدور الذي يلعبه الشرط الجزائري في القانون المدني، له وظيفة مالية يترتب على وجوده قيام ظرف خاص أو عامل من العوامل المحددة لقيمة التعويض المستحق للطرف الأجنبي حيث ترتفع مع وجوده قيمة التعويض على خلاف عدم النص عليه، كأن تشمل ما لحق العاقد من خسارة إضافة إلى ما فاته من كسب، فإن تم العقد في بدايته و قبل تنفيذ المتعاقد لجزء مهم من إلتزاماته، فإن قيمة التعويض ستقل مقارنة بها لو كان الجزء الأعظم من إلتزاماته الاستثمارية قد تم تنفيذها مما يجعل الدولة أكثر حذرا عند محاولة المساس بالعقد وتعويض المتعاقد الأجنبي، الذي سيفضل طبعاً ترتيب ذلك الأثر عوض السير في طريق منع الدولة من اتخاذ تدابير سيادية كتعديل القوانين وإصدار القرارات وفق مقتضيات المصلحة العامة، كما يتفق هذا التكيف مع القواعد التقليدية في إطار المسؤولية العقدية للدولة، خاصة من جهة عدم اعتباره مجرد المساس بالعقد عملاً غير مشروع أو كاف لقيام مسؤوليتها الدولية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> إقلولي محمد ، شروط الاستقرار التشريعي المدرجة في عقود الدولة في مجال الاستثمار ، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية ، كلية الحقوق ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، العدد 01 ، جانفي 2006 ، ص 117.

<sup>2</sup> وفاء مزيد فلحوط ، مرجع سابق ، ص 777.

### المطلب الثاني: المعالجة التشريعية الجزائرية لشروط الثبات

الملاحظ أن الفقه الجزائري جعل أساس التثبيت مساس بسيادة الدولة "الفرع الأول"، كما ساهم القانون الداخلي في حل الخلاف حول مشروعية بنود العقد "الفرع الثاني".

#### الفرع الأول: أساس التثبيت انتهاك لسيادة الدولة.

أما عن موقف القانون الجزائري بشأن شروط الثبات فقد رأى الفقه الجزائري أن الاتفاق على مثل هذه البنود يعتبر مساسا مؤكدا بسيادة الدولة، زيادة على هذا إذا كانت هذه البنود مدرجة في عقود الشركات الوطنية الخاضعة للقانون الخاص فإنها لا تظهر غير شرعية فقط ، بل كأنها لم تكن، ذلك أن الشركات الخاضعة للقانون الخاص لا يمكنها أن تستعمل سلطة لا تملكها، إذ لا يمكن التوفيق بين هذه البنود وسيادة الدولة وعمومية القانون.

ويعبر الأستاذ موحد إسعاد عن رأيه بشأن مدى صحة هذه الشروط بقوله: "مهما يكن من أمر فإن شروط التثبيت تدرج بصورة متواترة في العقود، وسواء قبلنا بها برضانا أو تحملنا وجودها، فإنه لا جدوى من مناقشة شرعيتها القانونية لأنها تتبع مباشرة من الممارسة الواقعية للسلطة الاقتصادية ومن موازين القوى.

ولعله من الممكن الحد من نتائجها عن طريق القول بأنه لا بد من تطبيق الأحكام اللاحقة الآمرة على الرغم من وجود هذه الشروط، غير أنه يجب في هذه الحالة السهر على بقاء توازن المصالح على حاله، لأنه إذا تبين نتيجة لتعديلات تشريعية أو تنظيمية، فإن التزامات أحد المتعاقدين أصبحت مرهقة جدا، فإنه يحق للقاضي إعادة توازن المصالح المتواجدة تطبيقا للمادة 107 من ق م ج<sup>1</sup>.

بل ويذهب الأستاذ علي بن شنب إلى القول بأن التثبيت يشكل تعسفا في استعمال السلطة، لأنه لا يسمح لقواعد تنازع القوانين أن تلعب دورها العادي، إن قواعد تنازع القوانين هي التي تحدد لوحدها متى يكون

<sup>1</sup> موحد إسعاد ، القانون الدولي الخاص ، الجزء الأول " قواعد التنازع" ، ترجمة فائز أنجق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989 ، ص ص 368 ، 369.



القانون الجديد قابل للتطبيق أو غير قابل للتطبيق في العلاقات التعاقدية التجارية ، وبالتالي فإن حرية الأطراف مقيدة بمضمون قاعدة التنازع نفسه.<sup>1</sup> كما لاحظ الأستاذ علي بن شنب أن المادة 29 من قانون الاستثمارات لسنة 1966 أنها نصت على ما يلي: "إن التعديلات التي قد تلحق هذا القانون لا يمكن أن تلزم المؤسسات المرخصة بموجب هذا الأمر بشروط ذات منافع أدنى".<sup>2</sup>

وفي ذات المنحى نص المشرع في المادة 39 من المرسوم التشريعي 12/93 الملغى على أنه: "لا تطبق المراجعات أو الإلغاءات التي قد تطرأ في المستقبل على الاستثمارات المنجزة في إطار هذا المرسوم التشريعي إلا إذا طلب المستثمر ذلك بصراحة".

ولعل مسألة تثبيت عقود الاستثمار مراعاة لمصلحة المستثمر الأجنبي، لم تكن فقط محلا للاتفاقيات الثنائية لحماية الاستثمار، بل جاءت في صلب النصوص الوطنية لتشجيع الاستثمار، لتؤكد وبشكل عام أن هذا المبدأ أضحي مبدأ عاما ليس بحاجة إلى الاتفاق بشأنه ، وصار حقا مكفولا يضمن له على الدوام مصالحه المهددة بهذا التعديل أوداك.<sup>3</sup>

ولقد جاء تأكيد هذا المبدأ في المادة 15 من الأمر 03/01 المتعلق بتطوير الاستثمار، تبين هذه المواد أن الدولة يمكنها أن تقيد نفسها وهي في الحقيقة مرتكزة على سيادتها حتى وإن كانت هذه السيادة منقوصة، من أن تحصل على مقابل، وهو في هذه الحالة جلب المستثمرين الأجانب. غير أنه لا ننسى أنه باسم نفس السيادة يمكن للدولة أن تتملص من هذه الالتزامات.

فيمكن للدولة أن تدرج بندا في اتفاقية الاستثمار ينص على تجميد التشريع من أجل حماية المستثمر الأجنبي من الخطر التشريعي، وفي حالة ما إذا كان هناك إخلال باتفاقية الاستثمار تنجر عن ذلك المسؤولية التعاقدية.

<sup>1</sup> BENCHENEB ALI , les mécanismes juridiques des relations commerciales internationale de l'Algérie ,OPU, Alger, 1984, p 293.

<sup>2</sup> BENCHENEB ALI , Ibid, 290.

<sup>3</sup> Terki Noureddine , La protection conventionnelle de l'investissement étranger en Algérie , Revue algérienne des sciences juridiques économiques et politiques . volume XXXIX , N 02 , 2001, pp 18 ,19.

## الفرع الثاني: مساهمة القانون الداخلي في حل الخلاف حول

مشروعية بنود الاستقرار.

إذا كان هناك جدل فقهي حول مشروعية هذه البنود، فما هو الحل

الذي سيذهب إليه كل من القاضي الجزائري والتحكيم الدولي؟<sup>1</sup>

إذا طرح النزاع على القاضي الجزائري فإنه سيرجع إلى المادة 18

من ق م ج أي القانون الذي اختاره الأطراف، فإذا وجد أن القانون المختص

قد ألغي ومع ذلك فإن الأطراف بسبب وجود بند تثبيت في العقد تطالب

بتطبيقه فإنه يجد نفسه أمام أمرين:

- إما أن يطبق القانون المختص الذي في حقيقة الأمر أصبح غير

موجود بالنسبة له ، لأنه ألغي، وإذا طبقه فإنه يطبق قواعد مادية.

- إما أن لا يطبق القانون الملغى وبالتالي يطبق القانون الساري

المفعول وقت طرح النزاع وليس القانون المختص وقت توقيع العقد. إن

الحكمة في ذلك تكمن في أن القاضي مأمور بتطبيق القانون الساري المفعول

وقت طرح النزاع، وهذا هو الحل السليم. ذلك لأن من يأمر القاضي بتطبيق

القانون هو المشرع، أما المتعاقدان فليست لهما أية سلطة عليه، يحترم

إرادتهما وفقا لما ينص عليه القانون، غير أنه إذا وجد القاضي أن التزامات

العقد قد أصبحت مرهقة بالنسبة لأحد الأطراف بسبب التغييرات التشريعية،

فإن له سلطة النظر في المسألة وفقا لما جاء في المادة 107 من ق م ج.

وتجنباً للإشكال الذي قد يطرح أمام القاضي الجزائري، توصل

المتعاقد الأجنبي إلى إقناع المتعاقد الجزائري بقبول اختصاص التحكيم

الدولي<sup>2</sup>، بالفعل إن المحكم لا يأخذ في الاعتبار مسألة التشريع المجدد أو

الساري المفعول، إنه لا يفصل في النزاع باسم دولة معينة، هو ليس ملزم

باحترام سلطة محددة أو باحترام نظام قانوني معين، هو يحترم نظام قانوني

دولي خاص به، ليس بنظام قانوني داخلي ولا بنظام قانوني دولي، على هذا

الأساس فالمحكم يطبق القانون الذي اختاره الأطراف ولا يبالي إذا كان هذا

القانون وقت الفصل في النزاع ساري المفعول أم لا.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عليوش قريوع كمال ، مرجع سابق، ص 355.

<sup>2</sup> يقول الأستاذ مبروكين أن 50 عقدا ما بين 1987-1990 نصت على تطبيق القانون الجزائري اشتملت على اختصاص التحكيم الدولي ، و 10 % منها تشتمل على اختصاص القانون الجزائري وبند تجميد العقد وشرط تحكيم .

<sup>3</sup> عليوش قريوع كمال ، مرجع سابق ، ص 357.

إن هدف شروط الثبات هو إيجاد نوع من التسوية بين امتيازات السيادة و حاجة الشخص أو الفرد إلى الاستقرار و إقرار الأوضاع الثابتة بالإضافة إلى قضاء عملي مستقر.<sup>1</sup>

### الخاتمة:

استنادا إلى مبدأ سلطان الإرادة ، تستطيع الأطراف المتعاقدة ليس فقط استبعاد بعض القوانين الآمرة الداخلية من التطبيق على العقد الدولي، بل أيضا صهر تلك القوانين في العقد ذاته بحيث لا يكون لها قوة إلا تلك التي يعطيها لها الأطراف أنفسهم، أو كما يجعل البعض قانون الإرادة المستقلة قد أضحى ملكا للمتعاقدين فهو لا يستمد منه لا سلطة إبطال تعهدهم، ولا سلطة تعديله دون رضائهم.<sup>2</sup>

يستند أنصار أعمال شرط الثبات إلى اعتبارات قانونية وعملية تضي على هذا الشرط شرعيته، انطلاقا من مبدأ القوة الملزمة للعقود أو مبدأ قدسية العقود، ومنها ما يستند إلى قواعد الإسناد ذاتها بما تمنحه للأطراف من حرية تحديد اللحظة المناسبة للأخذ بنصوص القانون، وذلك لأنهم يعرفون تلك النصوص على نحو قاطع وقت التعاقد وهكذا يخدم شرط التثبيت توقعاتهم ويعكس رغباتهم في اختيار الجزء الذي يريدونه من التشريع كما هو موجود في تاريخ محدد، وثمة من يعتبر تلك الشروط صحيحة في ذاتها دون الرجوع لأي نظام قانوني للبحث عن مدى صحتها، وذلك إما استنادا إلى نظرية العقد الطليق عندما يتحول القانون إلى شرط عقدي، أو باعتبارها قاعدة من القواعد المادية للقانون الدولي الخاص ذات التطبيق المباشر على غرار القواعد الأخرى المتعارف عليها في إطار العلاقات التجارية الدولية.<sup>3</sup> ويبرر البعض هذا الشرط وصحته استنادا على اعتبارات عملية خاصة مع قدرة الدولة على تغيير تشريعاتها، بحيث يضمن هذا الشرط حدا أدنى من إستقرار الروابط العقدية يحفظ معه توقعات الأطراف<sup>4</sup>، دون أن

<sup>1</sup> سعيد عبد الغفار أمين شكري ، القانون الدولي العام للعقود ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 2007 ، ص 108.

<sup>2</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 78.

<sup>3</sup> وفاء مزيد فلحوط ، مرجع سابق ، ص 766 و أنظر : أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 77.

<sup>4</sup> أحمد عبد الكريم سلامة ، مرجع سابق ، ص 76.

ينطوي ذلك على مساس بسيادة الدولة لما تتمتع به من حرية في هذا المجال.<sup>1</sup>

#### قائمة المراجع:

- أحمد عبد الكريم سلامة، شروط الثبات التشريعية في عقود الاستثمار والتجارة الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد 43، 1987، المجلد 43.
- إقولي محمد، شروط الاستقرار التشريعي المدرجة في عقود الدولة في مجال الاستثمار، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 01، جانفي 2006.
- الروبي محمد، عقود التشييد والاستغلال والتسليم B.O.T - دراسة في إطار القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2004، ص 180. - دراسة في إطار القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2004.
- بشار محمد الأسعد، عقود الاستثمار في العلاقات الدولية الخاصة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2006.
- حفيظة السيد الحداد، العقود المبرمة بين الدول والأشخاص الأجنبية - تحديد ماهيتها والنظام القانوني لها، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2001.
- دريد محمود السامرائي، الاستثمار الأجنبي - المعوقات والضمانات القانونية -، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.
- سراج حسين أبو زيد، التحكيم في عقود البترول - دراسة متعمقة تتضمن عرضاً تفصيلاً لموقف الفقه والقوانين الوطنية والاتفاقيات الدولية وأحكام محاكم التحكيم وخاصة الصادرة في مجال البترول وذلك بشأن المسائل المتعلقة بالقانون الواجب التطبيق على إتفاق التحكيم والإجراءات وموضوع النزاع، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2004.

<sup>1</sup> وفاء مزيد فالحوط، مرجع سابق، ص 767.

- سعيد عبد الغفار أمين شكري، القانون الدولي العام للعقود، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2007.
- عليوش قريوع كمال، القانون الدولي الخاص - تنازع القوانين - الجزء الأول ، الطبعة الثانية، دار هومه ، الجزائر، 2007.
- قادري عبد العزيز، دراسة في العقود بين الدول ورعايا دول أخرى في مجال الاستثمارات الدولية "عقد الدولة le Contrat d'Etat"، مجلة إدارة ، العدد 01، رقم 07 ، سنة 1997.
- محمد عبد المجيد إسماعيل ، عقود الأشغال الدولية والتحكيم فيها ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2003.
- موحند إسماعيل، القانون الدولي الخاص، الجزء الأول " قواعد التنازع"، ترجمة فائز أنجق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.
- هدى سليم، التحكيم بين المستثمر الأجنبي والدولة المضيفة للاستثمار في ضوء اتفاقيات ومراكز التحكيم العربية والأجنبية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات القانونية ، القاهرة ، مصر ، 2008.
- وائل محمد السيد إسماعيل، المشكلات القانونية التي تثيرها عقود B.O.T وما يماثلها - دراسة مقارنة-، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2009.
- وفاء مزيد فلحوط، المشاكل القانونية في عقود نقل التكنولوجيا إلى الدول النامية، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2008.
- Bencheneb ALI, les mécanismes juridiques des relations commerciales internationale de Algérie, OPU, Alger, Algérie, 1984.
- Terki Noureddine , La protection conventionnelle de l'investissement étranger en Algérie, Revue algérienne des sciences juridiques économiques et politiques, volume XXXIX, N 02, 2001.



## الرشوة كمظهر من مظاهر الفساد الإداري وأساليب معالجته

أ. قاشي علال

جامعة سعد دحلب - البليدة

## الملخص:

إنّ الرشوة من الموضوعات الهامة ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي، لأنها في كثير من الأحيان تعطي صورة لما يصيب المجتمع من تفكك وانحلال خاصة إذا تأصلت في أذهان أبنائه لوصفها موردا من الموارد المالية التي يمكن إتباعها من قبل بعض القائمين على الشؤون العامة، وبذلك فإنّ أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها لجديرة بالدراسة الوافية سيما أنها لم تحظ حتى الآن بالاهتمام اللازم من قبل الباحثين، ولا يخفى على أحد أنّ دراسة هذه الظاهرة في المجتمعات المعاصرة تعتمد على عدة أبعاد كالبعد الاجتماعي، التاريخي، السياسي، الاقتصادي التي يكمل بعضها بعضا، وسنركز دراستنا على البعد الاقتصادي والإداري لأنّ الرشوة تشكّل إحدى مظاهر الفساد الإداري التي تسعى الدولة جاهدة إلى محاربتها من أجل تحقيق تنمية اقتصادية منسجمة مع الإصلاح الإداري خصوصا وأنه منذ نهاية القرن الماضي بدأت بعض الأساليب الإدارية الحديثة تعمل على تطوير المنظمات من أجل التصدي للواقع العالمي الجديد وخلق قدرات تنافسية معتبرة على الصعيد المحلي والدولي.

## Résumé :

La corruption constitue de nos jours un important sujet d'ordre social et économique, car la corruption est un indicateur certain du degré de dissolution d'une société donnée, notamment lorsque certaines "élites" qui régissent cette société, considèrent celle-ci comme un moyen presque "légitime" de se faire de l'argent.

Pour cette raison, ce phénomène social mérite une étude approfondie. Il y a lieu de noter que le phénomène de la prévarication dans les sociétés modernes, a des

dimensions aussi bien sociales que politiques, économiques et administratives.

Dans cette étude, nous nous focalisons sur les aspects économiques et administratifs du phénomène, partant du fait que la corruption est favorisée par la mauvaise gestion administrative, et que l'Etat tente de corriger à travers la réforme de l'administration. Sachant qu'à la fin du siècle écoulé, des méthodes d'administration modernes ont été développées afin de réduire les possibilités de prévarication. La réduction voire le bannissement de la corruption est de nature à rendre notre économie plus compétitive à l'échelle régionale et internationale.

#### مقدمة:

إذا كانت المادة تستهوي نفوس البشر وتشكل هدفهم؛ إذ تجعلهم يسلكون طرقاً شتى لكسب ذلك سواء بطرق مشروعة أم غير مشروعة، ومن ضمن هذه الطرق ما يطلق عليه قانوناً بجريمة الإتجار بالوظيفة أو ما يسمى بجريمة الرشوة، وإن لهذه الجريمة مظاهر مختلفة في حياة الأفراد والجماعات والدول إذ مكنت الوظيفة الفرد من الإثراء بشتى الطرق التي يصعب إثباتها، وهنا نشير بأن الإفادة من الوظيفة لا تقتصر على الوظيفة العامة بل تعدت إلى الوظيفة الخاصة والمساس بالخدمات.

والمؤسف من كل ذلك أنّ نظرة المجتمع إلى هذا النوع من الجريمة قد طرأ عليه تغيير كبير إذ كانت مرفوضة على الإطلاق من قبل المجتمع حتى أصبح كثير من الناس لا يتحرج بتاتا عندما يدفع مبلغا معيناً من المال من أجل إنجاز بعض الأعمال أو يسلك مسلكاً من طرق الرشوة، وفي الوقت الحالي أعطيت تسميات مختلفة لهذه الجريمة من أجل إخراجها من دائرة الأعمال غير المشروعة، لكن نتيجة هذه الأفعال يتحملها المجتمع بسبب اختلال القيم الاجتماعية وإضطراب الموازين الاقتصادية لذلك تصدت المجتمعات عبر العصور لهذه الجريمة وقررت لها العقوبات المناسبة، لذا



فإنّ الشرائع السماوية والقوانين الوضعية حرمت هذه الجريمة وحاربتها وشدّدت العقوبة على مرتكبيها.

وبالرغم من الجهود التي تبذلها الحكومات لمكافحة هذه الجريمة والحدّ من انتشارها إلاّ أنها في انتشار واسع ولعلّ مردّ ذلك غياب الرقابة الذاتية عند الأفراد ومن جهة ثانية صعوبة الكشف عنها لأنّ مقترفها يحاول إخفاء معالمها ويرغب في إنجاز المصلحة المنشودة.

وأمام كل ذلك يبقى أن نتساءل عن أسباب هذه الجريمة وطرق معالجتها اعتمادا على البعد الاجتماعي والتاريخي والسياسي والاقتصادي، ونحاول التركيز على البعد الاقتصادي والإداري ولذا ستكون دراستنا وفق العناصر التالية:

**أولاً:** مفهوم الرشوة ومختلف أشكالها وأسبابها.

**ثانياً:** ارتباط طبيعة النظام الاقتصادي بانتشار الرشوة.

**ثالثاً:** آثار الرشوة في العملية التنموية والإدارية.

**رابعاً:** تحديد بعض وسائل العلاج.

**أولاً:** مفهوم الرشوة ومختلف أشكالها وأسبابها

إنّ الرشوة تمثل انحراف الفرد وتشكل نوعاً من أنواع الجرائم إذ تنطوي على اتّجار الموظف العام بوظيفته واستغلالها على نحو يحقق له فائدة خاصة، وهذا يؤدي إلى اختلال في ميزان القيم والعدل وتحوم الشكوك في أعمال موظفي الدولة وهذا يؤثر سلباً على المجتمع ويؤدي إلى خلق اهتزازات فيه وذلك يجعل مصلحة الدول تتأثر في حسن أداء الخدمات والمصالح وهذا يقضي على فكرة الولاء للسلطة لأنّ مؤسسات الدولة تتحول إلى أماكن جالبة للربح للموظفين بصرف النظر عن دور الموظف العام، وفكرة المصلحة والنفع العام وغير ذلك من مبررات السلطة العامة. كما قلنا سابقاً بأنّ جريمة الرشوة ضاربة بجذورها في أعماق الأمم وفي مختلف الحقب الزمنية<sup>1</sup> لكن النزر القليل من جرائم الرشوة هي التي يتم اكتشافها وما خفي أعظم ولا يطال أصحابها العقاب.

<sup>1</sup> - فمثلاً كان الرومان يعاقبون المرتشي بعقوبة الغرامة المساوية للمبلغ الذي تقاضاه أما المشرع الفرنسي فيفرق بين مختلف حالات الرشوة ويشدّد في العقوبة وفقاً لدرجة الضرر الناجم عنها فلو كانت نتيجة الرشوة الإعدام فيعاقب المرتشي بالإعدام .

1- تعريف الرشوة: يقصد بالرشوة شرعا: ما يعطيه الشخص لحاكم أو غيره، ليحكم له، أو يحمله على ما يريد<sup>1</sup>، أما الرشوة من الوجهة القانونية فتعني: إتيان موظف في أعمال وظيفته عن طريق الاتفاق مع صاحب الحاجة والتفاهم معه على قبول ما عرضه الأخير من فائدة أو عطية نظير أداء، أو الامتناع عن أداء عمل يدخل في نطاق وظيفته أو دائرة اختصاصه<sup>2</sup>. يفهم من هذا أنّ الرشوة هي عملية متاجرة من الموظف العام بوظيفته بحيث تحول إلى سلعة لتحقيق منافع شخصية ولذلك فإنّ المشرع الجزائري قد نصّ على هذه الجريمة في قانون العقوبات وتضمنتها القانون رقم 01/06 المؤرخ في 20/02/2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته<sup>4</sup> في مواده من 25 إلى 28 والمادة 40 وجعل العقوبة تتمثل في الحبس، وهذه الجريمة تختلف عن جريمة استغلال النفوذ إذ أنّ المرتشي يختلف عن مستغلّ النفوذ، كما أنّ العمل الواجب القيام به يختلف من حالة إلى أخرى رغم وجود التشابه في الركن المادي والمعنوي للجريمتين ونشير إلى أنّ المشرع الجزائري لم يعرف جريمة الرشوة بل اقتصر على تبيان صفة المرتشي والأفعال التي تؤدي إلى قيام الجريمة وإذا أردنا أن نحدّد أطراف هذه الجريمة فيمكن القول بأنّها ثنائية الأطراف أصلا: (الأول المرتشي- الموظف العام ومن في حكمه-)، والثاني هو الراشي وهو الذي يسعى إلى تحقيق مصلحته من خلال عرض الوعد أو العطية على الموظف ثمنا لما يقوم به من عمل يدخل في وظيفته واختصاصه أو عندما يمتنع عن القيام بعمل كان مقررا أن يقوم به بحكم هذه الوظيفة)، واستثناءا يتدخل شخصا ثالثا وسيطا في هذه الجريمة وقد نصّ المشرع الجزائري في القانون 01/06 على الموظف العمومي في مادته الثانية، وإذا كانت الرشوة تشكل جريمة على النحو السابق فهل تعدّ جريمة واحدة أم جريمتين؟ الأولى تستند إلى الراشي والثانية تستند إلى المرتشي؟ وفي هذا الصدد هناك اختلاف في الرأي

<sup>1</sup> - حاشية ابن عابدين، الجزء الخامس، القاهرة، 321هـ، ص361.

<sup>2</sup> - الدكتور: محمد زكي أبو عامر، قانون العقوبات، القسم الخاص، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص27.

4- يلاحظ بأنّ هذا القانون قد صدر في ظلّ الإصلاحات التي تقوم بها الدولة من أجا الوقاية من الفساد ومكافحته على جميع المستويات ونجد بأنّ مجال التجريم يشمل عدّة أمور محصورة ولكن العقوبة تتمثل في الحبس من سنتين إلى عشر سنوات والغرامة المالية المختلفة من مجال إلى آخر وهذا في القطاع العمومي. أما في القطاع الخاص فالعقوبة تتراوح مئتها ما بين ستة أشهر وخمس سنوات والغرامة المالية ما بين 50000 دج إلى 500000 دج، إنّ المشرع خفض عقوبة هذه الجريمة من الجنابة إلى الجنحة، وفي رأينا أنّه كان يجب تشديد العقوبة.

بهذا الخصوص إذ هناك من يعتبر أنّ هذه الجريمة واحدة الفاعل الأصلي فيها الموظف والراشي هو الشريك وهناك من يتبنى هذا الرأي لكنه لا يفرق بين الفاعل الأصلي والشريك على اعتبار أنّ الرشوة اتفاق غير مشروع بين الراشي والمرتشي، أما الرأي الثاني فيعتبر أنّ هذه الجريمة مزدوجة فيها جريمة الراشي وجريمة المرتشي ويطلق البعض على الأولى (جريمة إيجابية) وعلى الثانية (جريمة سلبية) ومن ثمة لا ضرورة للاتفاق بين الطرفين.

وبخصوص هذا التباين الفقهي حول أحادية هذه الجريمة أم أنها ثنائية فإنّ المشرع الجزائري مثله مثل المشرع الفرنسي أخذ بالرأي الثاني وبذلك فهو لا يعتدّ بفكرة الاتفاق الحاصل بين الراشي والمرتشي إذ أنّ تقديم العرض من الأول يكون كافياً لقيام هذه الجريمة، وبمجرد الطلب من الثاني تقوم جرمته. ونظراً لحدّة هذه الجريمة الخطرة فإنّ الجزائر كانت قد أنشأت مجلساً للمحاسبة يتولى الرقابة المالية.

2- أشكال الرشوة وأسبابها: إذا كان ارتكاب هذه الجريمة دافعه المال العيني أو النقدي فلا يقتصر المقابل على النقد فقد يكون هدية أو نظير خدمة متوقعة في المستقبل (تبادل المنافع) وقد يلجأ بعض المسؤولين لهذا النوع الأخير من العمل بأن يقدم المسؤول خدمات معينة أثناء وظيفته أو بسبب ممارستها لشركة أو جهة معينة لكي يستفيد هو مما قدمه في المستقبل على شكل توظيف له أو لأحد معارفه أو أيّ صورة من النفع والفائدة، وقد تكون الرشوة عن طريق الفساد الخلفي واستعمال النساء والمخدرات وما شابهها<sup>1</sup>. وعلى الرغم من تنوع أشكال الرشوة والصيغ المتخذة في ذلك فإنّ انتشار هذه الجريمة التي تشكل ظاهرة لا يمكن إرجاعها إلى عامل واحد بل تتشكل في الواقع نتيجة لعدة أسباب وعوامل تتحدّد مع بعضها البعض مما يؤدي إلى انتشارها وتفاقم حدّتها. ونرى من جملة أهم أسباب انتشارها ما يلي:

- الفساد الإداري وانتشار المحسوبية والعلاقات الاجتماعية في التوظيف على حساب الكفاءة والحرص الشديد لدى بعض الفئات للوصول إلى الوظائف الهامة في الدولة لسدّ رغباتهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية

<sup>1</sup> - الدكتور: حسن صادق المرصفاوي، قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 27.

مع انعدام الرقابة الإدارية الكافية مما يؤدي إلى أن تصبح أجهزة الدولة مصدرا للفوضى.

- عدم فاعلية العقوبة بالنسبة إلى هذه الجريمة إذ الكثير من المحكوم عليهم بعد استنفاد العقوبة يعاودون الكرة.

- ضعف الوعي وانتشار الأمية لدى الكثير من المواطنين الذين هم على أتم الاستعداد لدفع الرشوة مقابل قضاء مصالحهم ومن جهة ثانية هناك طائفة محدودة من أبناء الشعب وكبار موظفي الدولة التي تسيطر على عملية اتخاذ القرارات وتنفيذها في الدولة؛

- الغلاء الفاحش والتضخم والقحط والمجاعات كلها موجات تعصف لتهدد الحياة الاقتصادية خاصة إذا كانت أجور العمال التي يتقاضونها لا تسد حاجاتهم ولا تفي بالتزاماتهم؛

- المركزية الإدارية المطلقة وانتشار البيروقراطية؛

- ولوج الدولة الكثير من الأنشطة الاقتصادية؛

- ممارسة الأعمال التجارية عن طريق الوكلاء والوسطاء وتخصيص بعض الشركات مبالغ كبيرة للنفقات السرية.

**ثانياً:** ارتباط طبيعة النظام الاقتصادي بانتشار الرشوة

إنّ أيّ مجتمع من المجتمعات محكوم بنظام اقتصادي وسياسي وتعدّ هذه الأنظمة الثلاثة (اجتماعي، اقتصادي، سياسي) مترابطة وتشكل الفلسفة العامة للمجتمع ونجد بأنّ النظام الاقتصادي في بعض المجتمعات هو الموجه المسيطر على هذه الأخيرة فمثلا الغرب ينظر إلى الاقتصاد منذ قرون على أنّه الدعامة الأساسية للحياة الاجتماعية والسياسية وأنّ النظام السياسي ما هو إلّا نتاج لطبيعة النظام الاقتصادي وبذلك فإنّ تدخل الدولة في توجيه الأنشطة الاقتصادية ينعدم في الدول الغربية التي توصف في معظمها بأنها دولا رأسمالية، أما الدول الاشتراكية فإنّ مجال تدخلها في توجيه الحياة الاقتصادية يكون بشكل موفور من أجل ضبط حل نهائي للمشكلة الإنسانية وهناك نظرة إسلامية- وسطية- مميزة توازن بين الجوانب المادية والروحية وتعتبر أنّ المال وسيلة لا غاية ومن شأن ذلك أنّ الوسيلة تتطلب تنظيما بحيث لا يطغى القطاع الخاص والحرية الفردية على المصلحة العامة ولا تستأثر الدولة بالسيطرة على المال.

**1- مذهب الاقتصاد الحر:** إنّ قوام هذا المذهب هو الحرية الفردية سواء في داخل الدولة أو في العلاقات الاقتصادية مع الخارج<sup>1</sup>، ومقتضى ذلك أنّه لا تستطيع الدولة ولا المجتمع أن يقفوا في وجه سعي الفرد للانتفاع والارتقاء بل الفرد متروك على أمره من أجل استعمال قواه وكفاءاته حسب ميوله والتقدم بحسب ما يقدر بل وأن المجتمع لا يمكن أن تسدى له خدمة حقيقية إلاّ بعد أن يتمتع الفرد بحرية غير محدودة، وأنّ كل طرق العمل يجب أن تتحرر من كل قيد من القيود الرسمية والخلفية والدينية والقانونية والاجتماعية<sup>2</sup>. إنّ الفرد والقطاع الخاص في هذا النظام تحكمه قوانين وعلى رأس هذه القوانين مبدأ التنافس على البقاء من خلال المنافسة وتحقيق أقصى ربح في أقصر مدة زمنية وبروز المنافسة غير الشريفة التي تؤدي في نهاية المطاف إلى إفلاس كثير من المنافسين الصغار ومن ثمة إبعادهم من المنافسة ونشوء احتكارات وهيمنتها على السوق وبالتالي فرض أسعار تتناسب مع مصلحة المحتكرين ولنا أن نؤكد على بعض الوسائل المستخدمة من طرف الشركات العالمية الكبرى في سبيل إنجاز صادراتها إلى دول العالم وقتل المنافسين بأحس وسائل الرشوة عندما تلجأ إلى استخدام النساء لترويج تجارتها فمثلا في مصر نشرت إحدى الصحف الصادرة في 26/06/1973 مقالا بعنوان: دور الجنس في عالم المال: ( إنّ كثيرا من الشركات تستعمل فتيات الترفيه للتجسس على شركات أخرى... ومحاولة تسويق أكبر كمية من البضاعة واكتساب أكبر عدد من الزبائن) وهنا نود إيراد ما ورد على لسان إحدى العاملات في هذه العصابة التي تقول معترفة: (فتيات الترفيه خير من يقوم بأعمال التجسس) إذ بالرغم من هذا التشبيه الغريب فإنّ فتاة الترفيه خير سلة مهملات في الدنيا، إنّ المدير أو الرئيس وهو يلقي (بمهملاته) في فراش الغانية وهو في حالة استرخاء تام فهو يقول كل ما في عقله وقلبه من أسرار<sup>3</sup>. إنّ هذه الأمور تحدث وأكثر مثل العملات التي تبلغ الملايين التي تدفع لمن بيدهم مقاليد الأمور في ظل الأنظمة الاقتصادية الوضعية التي تسمح بالحرية المطلقة للفرد وصولا لغاياتها، ومما لا شك فيه أنّ الرشوة تجد

<sup>1</sup> - الدكتور: محمد محروس، مقدمة في الاقتصاد، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص46.

<sup>2</sup> - الأستاذ: أبو الأعلى المودودي، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، الطبعة الثانية، لبنان، 1978، ص30.

<sup>3</sup> - الدكتور: عبد السمیع المصري، التجارة في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص148.

مجالاتها الخصب والوافر في ظل هذا النظام والأبعد من ذلك كله هو أنّ بعض الشركات الكبرى استطاعت بشكل أو بآخر تسخير وإصدار تشريعات قانونية على مقاسها وبذلك أصبحت الدولة ومختلف أجهزتها بيد هذه الشركات التي تعمل ما تريد تحت غطاء من القانون أو النظام، زيادة على ذلك أنّ تحقيق أكبر قدر من الربح في أقل مدة زمنية ممكنة من شأنه أن يدفع صاحب العمل إلى استعمال كل الطرق لتحقيق ذلك ومنها الرشوة والغش والتلاعب بالمواد والنوعية وإلحاق أضرار بالغير) تعارض مصلحة التجار المحتكرين مع المصلحة الوطنية).

## 2- المذهب الاشتراكي: من سمات هذا المذهب هو التدخل الكامل

من طرف الدولة في توجيه الأنشطة الاقتصادية والسيطرة عليها ونجد بأنّ الشيوعيين قد عالجوا الأمراض الناتجة عن الاقتصاد الحرّ المطلق الذي فقدت فيه الأمة القيود الأخلاقية وسيطرت طائفة قليلة على مواردها ومن الحتمي أن تطغى هذه الطائفة وتنتشر في البلاد الفساد ويسود الغش والخداع والرشوة من أجل الحصول على الحاجات الضرورية، إنّ مثل هذه -المظاهر مع إهمال المصلحة العامة جعلت الشيوعية تقوم بشكل عام رغم ما تحمله الشيوعية من أفكار وآثار سلبية-. والظواهر، مثل الفساد الإداري والثراء غير المشروع والارتشاء و سيطرت طبقة على بقية الطبقات هي التي أدت ببعض الحركات العمالية في بولندا وغيرها من البلدان تطالب بالإصلاح ومحاربة الفساد والحصول على بعض الحقوق، وبالرغم من الحديث عن طبيعة النظام الاقتصادي الحرّ ونظام الاقتصاد الموجه وأثر ذلك في انتشار الرشوة نجد أنفسنا مضطرين للحديث عن النظام الاقتصادي الإسلامي وأثره في هذه الظاهرة.

## 3- النظام الإسلامي: إذا كانت الأنظمة الاقتصادية السابقة من

صنع البشر فإنّ النظام الإسلامي على خلاف ذلك قد وازن بين طرفي المعادلة دون طغيان طرف على آخر على اعتبار أنّ الإسلام عندما يربي الأفراد في المجتمع لا ينظر إليهم كمجموعات فقط يعالج فيهم كل نفس إنسانية ويربّيها على قواعد الفضيلة والأخلاق ونبذ الأنانية في النفس بعدم الاعتداء على حقوق الغير وعدم التقصير في الواجبات وبذلك تكون النفس قد ربيت على قيم أخلاقية معينة ترتبط مع القيم الاقتصادية والسياسية وما دامت

المسؤولية أمام الله فردية وعلى هذه المسؤولية الفردية وحدها يتوقف فلاح الإنسان وقيمه الخلقية<sup>1</sup> لهذا وجب بناء إنسان يعتمد على التقوى والسماحة والصدق والأمانة في القول والفعل وكان إدراك أنّ قبول الإسلام ديناً معناه قبول ذلك منهج حياة والمحافظة على عهد مقدس وإنّ مخالفة هذا العهد تعرض الفاعل للعقاب، يقول الله تعالى: ( إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)<sup>2</sup>.

إنّ هذه الأسس كانت وراء نجاح أسلافنا في فتوحاتهم إذ أنّ هناك مجتمع يعيش حوالي نصف قرن دون أن تكون هناك حالة رشوة واحدة ووفقاً لما سبق ذكره فإنّ النظام الاقتصادي في الإسلام لم يمنح للفرد حرية التصرف المطلقة واستخدام الوسائل المختلفة للشراء بل حدّد ذلك بالشرعية وعدم إلحاق الأضرار بالآخرين في أية صورة كانت. أما نظرتة للجماعة فالإسلام لم يبيح للدولة حق السيطرة على المال وتوجيهه بل الدولة تقف موقف المصلح والمقيم للعدل وخدمة الصالح العام ويمكن لها تسيير بعض المرافق الاستراتيجية التي لا يقدر الأفراد على القيام بها وإدارة بعض الموارد ذات الصالح العام ( الثروات النفطية والمعدنية)، فإذا كانت كل حقوق وواجبات الأفراد محدودة ومحفوظة فإنّ ذلك من شأنه أن يخلق نظاماً اقتصادياً متزناً تستبعد فيه الأنانية وتحقق فيه المصالح الجماعية وتحارب فيه ظواهر الفساد على مستوى الجماعات والأفراد.

<sup>1</sup> - الأستاذ: أبو الأعلى المودودي، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، المرجع السابق، ص15.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، الآية 77.

### ثالثاً: آثار الرشوة في العملية التنموية والإدارية

إنّ للنظام الاقتصادي جملة من الوظائف الواجب القيام بها وهي تحديد أنواع السلع الواجب إنتاجها وكيفية استخدام عوامل الإنتاج واستخدام أفضل الطرق لاستغلال الموارد وتوزيع عائد الإنتاج على العمال الذي قد يتخذ شكل أجور وأرباح رؤوس الأموال وريع يدفع لأصحاب الأراضي ( توزيع العائد على مختلف عناصر الإنتاج) وحتى يتم تحقيق هذه الوظائف مع عدالة في التوزيع ينبغي تبني أسس لضبط الأنشطة كلها لأنّ أي اختلال نتيجته طغيان فئة واستفادتها بشكل رئيسي دون الفئات الأخرى. وإذا دخلت الرشوة على النظام الاقتصادي اختل التوازن وانعدمت العدالة في عملية التوزيع، أما الفكرة الثانية في النظام الاقتصادي هو إدارة عملية التنمية سواء في الدول المتقدمة أو الدول المتخلفة وللرشوة باب واسع وآثار سلبية تؤثر في العملية التنموية وهذا ما نتعرض إليه لاحقاً.

#### 1- تعريف التنمية الاقتصادية: إنّ إعطاء تعريف للتنمية

الاقتصادية يثير جدلاً كبيراً حول تحديد مفهوم التنمية وما هو المعيار الملائم لقياس ما يتم تحقيقه من زيادة في الطاقة الإنتاجية خلال فترة زمنية معينة لبلد ما، وفي هذا الصدد نورد أهم التعريفات الشائعة لعملية التنمية الاقتصادية:

- إنها تفاعل مجموعة قوى معينة، خلال فترة طويلة من الزمن ينتج عنها زيادة في الدخل القومي الحقيقي للاقتصاد<sup>1</sup>.

- عملية زيادة النمو بسياسات موضوعية وموجهة لزيادة متوسط الرخاء الاجتماعي<sup>2</sup>.

ومهما قيل عن التنمية الاقتصادية فلا بد من عناصر تقوم عليها ومن هذه العناصر التمويل، وللرشوة آثار سلبية تعيق التنمية كلها إذ أنّ مصادر التكوين الرأسمالي العام في كل الأنظمة الاقتصادية يتشكل مما يلي: الاقتراض الداخلي أو الخارجي، الضرائب والرسوم الجمركية، مساهمات الدولة في القطاع الخاص.

<sup>1</sup> - الدكتور: كامل بكرى، التنمية الاقتصادية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص75.

<sup>2</sup> - الدكتور: محمود سالم شحادة، التنمية الاقتصادية بين الإسلام والمناهج الأخرى، بحث مقدم إلى الندوة الاقتصادية الإسلامية المنعقدة من 21 إلى 24 أوت عام 1983، كلية الشريعة، جامعة الأردن، ص20.



- فالافتراض مثلا يتم التلاعب فيه عن طريق زيادة سعر الفائدة فكثيرا ما يعتمد أطراف عقد القرض إلى زيادة سعر الفائدة مقابل عمولة معينة مما ينعكس سلبا على الجهة المقترضة بشكل زيادة في الديون أو نقص في النقود المأخوذة عاجلا لأغراض التنمية إذا تم خصم سعر الفائدة سلفا، بالإضافة إلى أنّ كثيرا من القروض لا تمنح نقدا بل في شكل آلات ومعدات يتم تقييم ثمنها وتحسب من ضمن القرض وهذا أمر يفتح الباب للتلاعب في أسعار هذه الآلات والمعدات أو حتى في استعمالها لصالح مجموعة من الأفراد وليس لصالح الدولة؛

- أما الضرائب والرسوم فهي الأخرى تشكل مصدرا من مصادر تمويل التنمية كأداة لتعبئة الموارد ووضعها في خدمة التنمية فكل تلاعب في الضريبة أو ارتشاء ينعكس أثره بشكل أزمة مالية أو ضعف الموارد المالية؛

- أما عن مساهمات الدولة في شركات القطاع المختلط فإن طرق الرشوة المتبعة هي لجوء ممثل الدولة في تقريره لرفع التكاليف والنفقات وهذا ينعكس على حصة الدولة من الأرباح الموزعة مما يؤدي إلى إضعاف التكوين الرأسمالي للقطاع العام؛

- أما عن البنية التحتية للاقتصاد (خدمات المياه، الطرقات، الكهرباء...) لا بد من توافرها مسبقا كشرط لعملية التنمية فلو كانت هذه الخدمات متدنية المستوى فذلك يعيق التنمية بشكل مباشر فلا يعقل أن تقوم صناعة في منطقة ما دون توفر هذه الخدمات بالجودة المطلوبة. وإن مثل هذه الخدمات الأساسية في الدول المتخلفة تشكل عائقا للتنمية ثم إنّ كثيرا من القائمين على هذه المشاريع والخدمات يلجأون إلى أخذ الرشوة مقابل التساهل في التنفيذ وهذا التساهل يأخذ أشكالا عدة فمثلا - من الناحية الواقعية- في مشاريع الطرق يكون بواسطة وجود ثغرات في القياسات عند إعداد جداول الكميات وعدم مطابقة قياسات الطرق مع الجداول المعدة مسبقا وإن حصل تطابق بين القياسات فإنّ تربة الأساس وسمك ونوعية الرمل والزفت لا تطابق الشروط والمواصفات الواجب توافرها وقد يكون الغش عند عدم خضوع المواد للفحص واختبار الجودة أو يكون على شكل السماح بالعمل في الأوقات غير المناسبة...، وبحصول هذه الثغرات في تنفيذ المشاريع تتسرب الرشوة خاصة إذا لم يتوافر الجهاز الرقابي المحكم وهذا كله

يؤدي إلى قصر العمر الإنتاجي للمشاريع (تعرية الطرقات، تهدم البنايات...) وتبديد طاقات الأمة وهذا ينعكس سلباً على التنمية وإذا أردنا أن نبين أثر الرشوة في تنفيذ المشاريع العامة والخطط التنموية فيمكن أن نصنفها كما يلي:

2- آثار الرشوة في العملية الإدارية والتنموية وفي المشاريع

الاقتصادية

- آثار الرشوة في العملية الإدارية: تؤثر الرشوة في التنمية وفي كفاءة الجهاز الحكومي ككل إذ أنّ الحكومة التي تتطلع إلى تحقيق تنمية شاملة يتوجب عليها القيام بأعمالها وأنشطتها المنوطة بها لتوفير الخدمات للمجتمع وهذا لا يحصل إلا إذا توافرت الكفاءة والجدارة لدى كل العاملين في الجهاز الحكومي فإذا حصل وأن استخدمت الرشوة في التوظيف فالنتيجة وجود جهاز إداري ضعيف لا يتحمل مسؤولية العملية التنموية وتبعاتها وينتج عن ذلك عدم القدرة على وضع سياسة وخطة عامة تتميز بالفعالية، والأدهى من ذلك عملية الإعاقة الجزئية أو الكلية لتنفيذ المشروعات الأساسية التي يحتاجها المجتمع وبالتالي محاولة إعدام النشاط الاقتصادي بالإضافة إلى انتشار الإهمال واللامبالاة أثناء العمل أو توظيف أقارب ومعارف على حساب الكفاءة ويمكن إجمال أثر الرشوة في العملية الإدارية كما يلي:

أ- حصر اتخاذ القرارات في المراكز العليا بحيث لا يسمح للمستويات الدنيا التصرف إلا بالرجوع للرئيس الإداري وهذا يؤثر ويعرقل ويؤخر سير العمل في التنظيم خصوصاً ونحن نعيش زمن التنظيمات الضخمة المتعددة الوظائف التي تتطلب نوعاً من اللامركزية لتسيير أعمالها.

ب- سوء استخدام السلطة وتسخيرها للمصلحة الخاصة مما يجعل بعض الفئات المعنية ذات المصالح تتسلط وتسيطر على السياسات التنظيمية وتسخيرها للكسب غير المشروع وهذا يولد نفوراً وسخطاً من الجمهور على هؤلاء المرتشين.

ج- غياب الاتصال الفعال بواسطة القنوات الرسمية وإتباع أسلوب الإشاعات مما يؤدي إلى الاختلافات الفردية في فهم مضمون الاتصال وبالتالي حصول الفوضى داخل المؤسسة.

د- ضعف مستوى الإنتاجية كما وكيفا وظهور نوع من التكتلات والشلل مما يحصل معه تضارب في المصالح داخل المؤسسة ومجانبة تحقيق الأهداف التنظيمية إلى الأهداف الخاصة.

هـ- استخدام الرشوة في عمليات التوظيف كما هو حاصل في هذا الميدان يؤدي إلى القضاء على مبدأ الجدارة والكفاءة وإحلال محله المحسوبية والوساطة ويترتب على ذلك وضع الشخص غير المناسب في المكان المناسب ويغيب عنصر الإخلاص عند هذا الموظف وهذا من شأنه يضمن وجود التخلف والفساد الإداري وهذا يؤدي إلى خيانة الأمانة الوظيفية ويؤثر سلبا على سلامة تطبيق القانون وخدمة المصالح المرفقية.

- آثار الرشوة في العملية التنموية: يتمثل في سوء توزيع الدخل وذلك بحصول فئة من الشعب عن مكاسب بطرق غير مشروعة ومع مرّ الزمن يكون هناك فارق كبير في توزيع الدخل والثروات فتمتلك طائفة صغيرة نافذة من أفراد المجتمع الجزء الكبير من الثروة وتحقق دخل عالي وهذا التفاوت الكبير في التوزيع والدخل على المدى البعيد تكون نتيجته حصول أضرار واضطرابات شديدة وكلما حصلت الاضطرابات وكثرت أدى ذلك إلى زيادة تعطيل الجزء الأكبر من رأس مال المجتمع.

- آثار الرشوة في العملية الاقتصادية: التأخير في الوقت المحدد لتسليم المشاريع مما يؤدي تأخير آخر في مشاريع لا تقوم إلا إذا قام المشروع الأول فمثلا تنفيذ طريق (شق) لمنطقة معينة وإقامة صناعة تعتمد على المواصلات البرية في نفس المنطقة إذ لا يعقل قيام الثانية دون توافر الأولى ومن شأن التأخير تبذير جزء من الموارد المالية إضافة إلى سوء الجودة والنوعية مما يترتب عليه ضياع الموارد الاقتصادية للدولة فالرشوة تشكل مقتلا للعملية التنموية ككل والتي تنبذ فيها ثروات الأمة بدون فائدة.

#### رابعا: تحديد بعض وسائل العلاج

إذا كانت الرشوة تعيق التنمية بجميع مشتملاتها وهي- الرشوة- مرض اجتماعي إذا أصيبت به الأمة عاد عليها بالتفكك والدمار في أخلاقها ونظمها فلا بد على المجتمع أن يحارب هذه الجريمة ويبتعد عنها لكي لا تقسد معنوياته ولا تكبح طموحاته ولا تعرقل مسيرته وقبل كل شيء لابد من علاج لهذه المشكلة وهو الإحساس بها والرغبة الجامحة في علاجها وعدم تكريسها

لدى الرئيس أو المرؤوس من أجل تحقيق المبتغى. ونرى بعض وسائل العلاج وقد خفي عنا البعض ومنها نذكر:

- ترسيخ فكرة المسؤولية لدى الجميع تجاه النفس والوطن وغرس الفضائل الحميدة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق في نفوس الناس والتركيز على دور الأسرة في التربية ودور المدرسة ودور المسجد في التوجيه؛  
- تطبيق العقوبة على مرتكبي جريمة الرشوة وإعلان ذلك في مختلف وسائل الإعلام.

- إختيار المسؤولين والقيادات الإدارية بناء على عناصر القوة والأمانة والعزل النهائي من الوظيفة إذا ثبت تعاطي الرشوة من قبلهم؛  
- تفعيل دور مجلس المحاسبة من أجل مكافحة الرشوة والتزوير والاختلاس التي قد تقع في مؤسسات الدولة.

- محاولة التقليل من استخدام الكفاءات الأجنبية وفتح الاستثمار دون أن يكون كل مسؤول يملئ شروط وفق رغباته ووضع عراقيل من جانبه وعدم رهن البلاد مقابل رشاوى خاصة.

- إحكام الرقابة الإدارية على النفقات والإيرادات العامة وتحسين مرتبات شاغلي الوظائف المالية والقطاعات الحساسة ومنح علاوات وامتيازات خاصة سدا للتعرض للإغراءات والمتاجرة بالوظيفة؛

- إتباع نظام معلومات فعال داخل التنظيم وتطوير أساليب الاتصال والعمل على تزويد قادة التنظيم بالمعلومات الدقيقة عما يجري داخل المنظمة والعمل على تكريس الحوار مع جمهور المنظمة؛

- الدعاية الإعلامية وعقد الندوات ومحاضرات لتبنيان مخاطر الرشوة والتنفير منها والعمل على مكافحتها.

إن الفساد بكل مظاهره تسعى الدولة إلى الوقاية منه ومكافحته ولا بد من تفعيل كل الآليات المنصوص عليها في القانون رقم 01/06 وهذا من أجل إحكام الرقابة على كل المستويات ومن ثم يتوجب التطبيق الصارم لهذا القانون الذي مضى على صدوره ثلاث سنوات ولا أحد يمكن له تجاهل هذا القانون أو التغافل عنه لأنه تضمن عدّة تدابير للحيلولة دون الفساد سواء بخصوص التوظيف، التصريح بالامتلاكات عند تقلد الوظائف، الشفافية في التعامل، كيفية إبرام الصفقات العمومية وتسيير الأموال العمومية، وهناك

تدابير على مستوى القطاع الخاص، كما أنّ للمجتمع المدني دور في الوقاية من الفساد، وهناك تدابير بخصوص منع غسيل الأموال.

### الخاتمة:

تعتبر الرشوة من أسباب الفساد الإداري لأنها أداة فعالة في المساعدة على إيجاد التخلف الإداري المتمثل في وجود أجهزة إدارية ضعيفة ليس لديها الكفاءة لتحمل عبء مسؤولية العملية التنموية وتبعاتها، وهي مظهرا من مظاهر الفساد لأنها تدل على تدني المستوى الخلقي في السلوك الإداري والتنظيمي داخل المؤسسة، فإذا عمت الرشوة في مجتمع التنظيم أفسدت أفرادها، أفسدت وظائفه وعصفت بمبررات وجوده فالوظيفة فيه سلعة في سوق سوداء والسلطة فيه مملوكة لا مفوضة والخدمة فيه محتكرة لا مشاعة، وإنّ لطبيعة النظام الاقتصادي السائد في أيّ مجتمع من المجتمعات أثره في مكافحة الرشوة، وأنّ علاج هذه الجريمة لا يتمثل في سنّ قوانين وقائية صارمة على اعتبار أنّ افتراض من يتولى الرقابة أفضل أمانة من غيره من العاملين افتراض خاطئ، وبذلك فإنّ ظاهرة الفساد الإداري في المنظمة في الجزائر ينبغي التصدي لها من قبل الكافة ولا ننصاع وراء الأفكار الغربية المذهلة ونسمة الأسماء بغير مسمياتها كإطلاق القهوة على الرشوة والتشبية وغيرها، وعلى الدولة أن تحرص كل الحرص على مكافحة والقضاء على كل الجرائم التي تهدد كيان المجتمع الجزائري واقتصاده.

ومن هذه الدراسة لهذا الموضوع يمكن أن نورد مجموعة من

التوصيات والمتمثلة فيما يلي:

- التصريح الحقيقي بالممتلكات العقارية والمنقولة للمسؤولين وقيام

الهيئة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته بعملها وتنفيذ إستراتيجيتها.

- إضفاء الشفافية على كل مستويات الإدارة العامة وتطبيق مبدأ

(من أين لك هذا؟) وتعميق الإخلاص والنزاهة في نفس الموظف العام والمواطن.

- ضرورة تعديل عقوبة جريمة الرشوة بالنسبة للراشي والمرتشي

والوسيط.

- ضرورة الحل الديمقراطي من اجل القضاء على الفساد بكل

مظاهره سواء كان اقتصاديا أو إداريا أو سياسيا.

- ضرورة التركيز على الوازع الديني للتخلص من كافة مظاهر الفساد.
- العمل على تحسين مستوى معيشة الجميع و إعطاء كل ذي حق حقه.

#### قائمة المراجع:

1. حاشية ابن عابدين، الجزء الخامس، القاهرة، 321هـ.
2. الدكتور: محمد زكي أبو عامر، قانون العقوبات، القسم الخاص، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1998.
3. الدكتور: حسن صادق المرصفاوي، قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.
4. الدكتور: محمد محروس، مقدمة في الاقتصاد، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1995.
5. الأستاذ: أبو الأعلى المودودي، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، الطبعة الثانية، لبنان، 1978.
6. الدكتور: عبد السميع المصري، التجارة في الإسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1985.
7. الأستاذ: أبو الأعلى المودودي، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، المرجع السابق،
8. الدكتور: كامل بكري، التنمية الاقتصادية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.
9. الدكتور: محمود سالم شحادة، التنمية الاقتصادية بين الإسلام والمناهج الأخرى، بحث مقدم إلى الندوة الاقتصادية الإسلامية المنعقدة من 21 إلى 24 أوت عام 1983، كلية الشريعة، جامعة الأردن.

## التحكيم بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

د. فريجه حسين

الجزائر

## الملخص:

التحكيم هو: "اتفاق بين طرفين أو أكثر على إخراج نزاع أو عدد من النزاعات من اختصاص القضاء العادي وأن يعهد به إلى هيئة تتكون من محكم أو أكثر للفصل فيه بقضاء ملزم.

وتتفق أغلب التشريعات الوضعية على جواز التحكيم في بعض المنازعات، فالمنازعات التي يجوز فيها الصلح يجوز فيها التحكيم وعلى ذلك نظام التحكيم يقوم على مجموعة من العناصر أهمها الإرادة وإقرار المشرع لهذه الإرادة، وهكذا اعتبرت جميع المنازعات المتعلقة بالحالة والأهلية ومسائل الجنسية من النظام العام، وبالتالي لا يجوز التحكيم فيها نظرا لتعلقها بالنظام العام.

واتفق فقهاء المسلمين على جواز التحكيم في الحقوق التي يملك الأفراد التصرف فيها كالحقوق الخالصة للمكلف كالبيع وغيرها، لأن حق المكلف شرع لمصلحته الخاصة وله الخيرة إن شاء استوفاه أو أسقطه فجاز التحكيم. ولا يجوز التحكيم في ما هو حق خالص لله تعالى كالحدود، كما لا يجوز التحكيم في ما اجتمع فيه حق الله وحق العبد، كالقصاص ولو كان يجوز التنازل عن القصاص والدية ولا يجوز فيه التحكيم.

**Abstract:**

Mediation is: "an agreement between two or more on getting the dispute or a number of disputes out of the jurisdiction of ordinary courts, but should be entrusted to a committee consisting of one or more mediators to take decisions.

Most human laws agree that it is possible to resort to mediation in some conflicts; conflicts which may have peaceful issues can receive mediation; this is why the mediation system is based on a set of elements, the most important of which is the will and approval of the legislature of this will. As such, all forms of disputes related to matter of public interest, such as eligibility and nationality were taken into consideration. Therefore they do not ask for mediation because attached to problems concerning public order.

**مقدمة:**

التحكيم عرفته البشرية منذ القدم، لأنها وجدت فيه طريق العدل يحقق بمقتضاه الإنسان الأمن والسلام ويحتاج إليه الإنسان عند غياب السلطة وفي الأماكن البعيدة كما هو الحال في التنظيمات القبلية والعشائرية، كقبائل التوارق بجنوب الجزائر، وقبائل البربر في الشمال.

والحقيقة التاريخية، من خلال دراستنا هذه أن التحكيم ظهر قبل القضاء، وأن الجهاز القضائي ظهر مع ظهور الدولة الحديثة. وقد تطور نظام التحكيم مع تطور العصور حتى أصبح نظاما عالميا تبنته معظم الدول في تشريعاتها المعاصرة.

وصار التحكيم من مظاهر العصر الحديث، لأهميته في حل المنازعات والمزايا التي يتضمنها وسهولته وبساطته وسرعته في حل النزاعات إذا ما قورن بالقضاء، الذي أصبح يبدو أكثر مشقة وتعقيدا وبطأ.

ولهذا أحيط نظام التحكيم بضمانات عديدة تتمثل في رقابة القضاء عليه، من خلال أن المحكم يرد كما يرد القضاة وأن المحكم يتم برضا الأطراف.

وصار نظام التحكيم يتميز بخصائص إجرائية. كما ظهرت الطبيعة الإجرائية للتحكيم في كتب الفقه الإسلامي وفي مدارس المختلفة. واهتمت به القوانين الوضعية وأبرمت من أجله معاهدات دولية ثنائية وجماعية كان أشهرها القواعد الخاصة بالتحكيم التجاري الدولي، المسماة (اليونسترال) الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، واتفاقية نيويورك وانتشار مراكز ومؤسسات التحكيم.

**نطاق الدراسة:**

تمتد هذه الدراسة إلى توضيح نطاق التحكيم في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، وقد اقتصرنا على إعطاء مفهوم للتحكيم وتطوره عبر المجتمعات وكيف أن الحضارات القديمة عرفته وجاءت الشريعة الإسلامية فعرفت نظام التحكيم، وتكلم فيه فقهاء المسلمين بشكل مفصل في أمهات الكتب وفي مختلف المدارس الفقهية.

وقد اقتصرنا هذه الدراسة على تبيان وتحديد المنازعات التي يجوز فيها التحكيم، وتلك التي لا يجوز فيها من خلال نظرة الفقه الإسلامي، وكيف



أن القوانين الوضعية ذهبت إلى أن جميع المنازعات التي تتعلق بالنظام العام لا يجوز التحكيم فيها.

### أهمية الدراسة:

أدرك الباحث بعد مطالعة موضوع التحكيم في الشريعة الإسلامية، أنها موضوع زاخر لبناء النظم القانونية الوضعية وخاصة بعد أن اتخذت الشركات الغربية الكبرى، ومن ورائها حكوماتها التحكيم وسيلة لاستبعاد القوانين العربية في النزاعات القانونية الأكثر أهمية، وهي منازعات النفط واستخراجه وتسويقه وصناعاته، فكان أن نشأ حاجز نفسي بين معظم النظم القانونية العربية والتحكيم، ثم تطورت العلاقات بين الدول في عدد من المجالات الاقتصادية بحيث أصبح من الضروري التعامل مع التحكيم بشكل أو بآخر.

### هدف الدراسة:

هذه الدراسة الهدف منها هو فتح نافذة لدراسة التحكيم في الشريعة الإسلامية ومقارنتها بالقوانين الوضعية، لمعرفة ما يلي:

- 1- هل الأوضاع في الأنظمة القانونية للدول العربية في حالة احتياج شديد دعا بها إلى استيراد قوانين التحكيم من الدول الغربية، مع أن الدلائل تؤكد أن الشريعة الإسلامية قد أقرت مشروعية التحكيم وأنها كنز هائل من القواعد تتناول التحكيم بتفاصيله الدقيقة وبدقة مدهشة تأسر العقول.
- 2- هل التحكيم في الشريعة الإسلامية قواعد متشابهة مع قواعد التحكيم في القانون الوضعي للدول الحديثة، وخاصة فيما يتعلق بنطاق التحكيم في الشريعة الإسلامية ونطاقه في القوانين الوضعية.

### خطة الدراسة:

للإحاطة بموضوعات هذه الدراسة سوف تكون خطة البحث مشتملة، إلى جانب المقدمة والخاتمة، على المحاور الآتية:

**المطلب الأول:** مفهوم التحكيم في الشريعة الإسلامية والقوانين

الوضعية.

**المطلب الثاني:** تطور نظام التحكيم.  
التحكيم بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

**المطلب الثالث:** التمييز بين التحكيم وبعض الأنظمة المشابهة.

**المطلب الرابع:** التحكيم في الشريعة الإسلامية.

المطلب الخامس: نطاق التحكيم في الشريعة الإسلامية والقوانين

الوضعية.

الخاتمة.

النتائج و التوصيات.

المطلب الاول: مفهوم التحكيم في الشريعة والقانون

الفرع الأول: مفهوم التحكيم

إن البحث في التحكيم والمقصود منه يقتضي بيان تعريفه لغة

واصطلاحا.

أولا / التحكيم لغة: التحكيم مصدر ( حكم ) بتشديد الكاف مع

الفتح يقال: حكمت فلانا في مالي تحكيما: إذا فوضت إليه الحكم فيه،

واستحكم فلان في مال فلان: إذا جاز فيه حكمه. (1)

فالتحكيم في المعنى اللغوي يفيد إطلاق اليد في الشيء، أو تفويض

الأمر للغير، يقال حكم زيد عمرا في ماله إذا أطلق يده فيه، وحكم الخصمان

فلانا إذا جعلنا له النظر في منازعاتهما، والمفوض إليه النظر في الخصومة

يسمى حكما أو محكما أو محتكما إليه(2). ويقال " حكمنا فلانا فيما بيننا "

(3)

وفي القرآن الكريم: ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (4). أي

يجعلوك حكما لحل ما وقع بينهم من خلاف ؛ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا... ﴾ (5). والمحكم هو الشيخ المجرب

المنسوب إلى الحكمة، والحكمة هي العدل ورجل حكيم: عدل حكيم، وأحكم

الأمر أي أتقنه(6).

1 - د. محمود علي السرطاوي، التحكيم في الشريعة الإسلامية، دار الفكر، الطبعة الأولى، عمان، 2007، ص 8 .

2 - زيد بن عبد الكريم الزيد، مشروعية التحكيم في الفقه الإسلامي. مقال منشور على الموقع ؛

<http://www.barasy.com/forum/showthread.php?t=8385>

3 - ابن منظور، لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، بدون سنة، ص 31 - 32 .

4 - سورة النساء، الآية 65 .

5 - سورة النساء، الآية 35 .

6 - التحكيم تولية وتقليد من طرفي الخصومة، مقال منشور على الانترنت <http://www.azzahalakhder.com>

والمحكم : بضم الميم وسكون الحاء وفتح الكاف : الذي لا اختلاف ولا اضطراب، ومنه قوله تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾<sup>(1)</sup>.

### ثانيا / التحكيم اصطلاحا :

يقصد بالتعريف الاصطلاحي للتحكيم أنه لا يختلف عن المعنى اللغوي الذي يفيد إطلاق اليد في الشيء ، أو تفويض الغير ، وعرفته مجلة الأحكام العدلية في المادة 1790 بأنه : " اتخاذ الخصمين آخر حاكما برضاها ليفصل في خصومتها ودعواها " <sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: التحكيم عند فقهاء الشريعة الإسلامية

تعرض فقهاء الشريعة الإسلامية لتعريف التحكيم بأنه : " تولية الخصمين حاكما يحكم بينهما " <sup>(3)</sup>. وعرفه صاحب درر الحكام : " بأنه اتخاذ الخصمين أي - المدعي والمدعي عليه- واحدا أهلا للحكم حاكما برضاها لفصل خصومتها ودعواها " <sup>(4)</sup>. كما قال الفقهاء : إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم ، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتها ، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليتجمعا فينظرا في أمرهما ويفعلان ما فيه المصلحة <sup>(5)</sup>.

ومن معاني التحكيم، الدعوة إلى الفصل في الخصومة ، كقولك : حاكمته إلى الحاكم أي دعوته إلى حكمه، وحاكمته إلى الله تعالى دعوته إلى حكمه سبحانه ، ومنه قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(6)</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم: ( واليك حاكمت ) <sup>(7)</sup>.

1 - سورة هود ، الآية رقم 1 .

2 - سليم رستم باز ، شرح المجلة ، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت 1350 هـ ص 1163؛ د . مهند أحمد

الصالوري، دور المحكم في خصومة التحكيم الدولي الخاص، دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى - عمان 2005 ص 34 .

3 - محمد علا الدين الحصكفي الدر المختار بحاشية رد المختار ، طبعة محمد علي صبيح، 428/5 .

4 - د. محمود علي السرطاوي ، المرجع السابق ، ص 10 .

5 - الحافظ عماد الدين الدمشقي، ( المتوفى 774 هـ ) تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مؤسسة الريان، بيروت،

1996، ص 644 .

6- سورة النساء الآية 60 .

7 -صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، الجزء الأول. الطبعة الثانية 1423هـ ، الناشر:

دار الكتب العلمية - بيروت، ص 377 .

- أخرجه البخاري في صحيحه .

كما عرف بأنه: " اتفاق طرفي الخصومة على تولية رجل أو أكثر أهلاً ليفصل فيما تنازعا به بحكم الشرع دون القاضي المولى " (1).

والحقيقة أنه يلاحظ أن فقهاء الإسلام عرفوا التحكيم الإجباري في قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا﴾ تفيد الوجوب والخطاب فيها للحكام، وقيل للأولياء والبعث واجب (2).

### الفرع الثالث: التحكيم عند فقهاء القانون الوضعي

سنحاول أن نلقي الضوء على بعض التعريفات الصادرة من الفقهاء، فقد عرف التحكيم بأنه: " اتفاق بين طرفين أو أكثر على إخراج نزاع أو عدد من النزاعات من اختصاص القضاء العادي وأن يعهد به إلى هيئة تتكون من محكم أو أكثر للفصل فيه بقضاء ملزم " (3).

كما عرف بأنه: " نظام لحل المنازعات المالية بين الأطراف " (4).

غير أن هذا التعريف يظهر بأنه يشوبه نقص باعتبار أن التحكيم لا يكون في المنازعات المالية وإنما يتعداه إلى غيرها من الخصومات كالتحكيم في الأحوال الشخصية، كما عرف بأنه: " الاتفاق على طرح النزاع على شخص معين أو أشخاص معينين ليفصلوا فيه دون المحكمة المختصة به، فبمقتضى التحكيم ينزل الخصوم عن الالتجاء إلى القضاء مع التزامهم بطرح النزاع على محكم أو أكثر ليفصل فيه بحكم ملزم للخصوم " (5). ويلاحظ أن جميع التعريفات التي جاء بها الفقه متقاربة في معناها .

1 - د. إسماعيل الأسطل، التحكيم في الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق سنة 1986، ص 19 .

2 - الشيخ محمد أحمد الخطيب الشربيني، (توفي 977 هـ) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، الجزء الثالث، المطبعة الكبرى، القاهرة، 1955 ص 261 .

3 - د. محمد أبو العينين بحث بعنوان المبادئ القانونية التي يقوم عليها التحكيم في الدول العربية والإفريقية التي تبنت اليونسكروال النموذجي للتحكيم، مجلة التحكيم العربي العدد الأول، 1999 ص 8 .

4 - د. إبراهيم أحمد إبراهيم، التحكيم الدولي الخاص، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000 ص 21.

5 - د. أحمد أبو الوفا، عقد التحكيم وإجراءاته، الطبعة الثانية، القاهرة 1974 ص 15 .

### الفرع الرابع: التحكيم في القانون والقضاء:

نصت مجلة الأحكام العدلية في المادة (1790) على أن: "التحكيم هو عبارة عن اتخاذ الخصمين حاكما برضاها، لفصل خصومتها ودعواها ويقال لذلك حكم بفتححتين، ومحكم بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الكاف المفتوحة".

كما نص قانون التحكيم الجزائري على أن:

1- اتفاق التحكيم هو لجوء طرفين لتسوية المنازعات التي نشأت أو يمكن أن تنشأ بينهما بمناسبة علاقة قانونية معينة سواء كانت عقدية أو غير عقدية .

2- يمكن أن يكون اتفاق التحكيم سابقا على قيام النزاع سواء مستقلا بذاته أو ورد في عقد معين بشأن كل المنازعات التي تنشأ بين الطرفين .

ويجوز اللجوء إلى التحكيم بعد قيام النزاع ولو كانت أقيمت في شأنه دعوى أمام القضاء (1).

وقد ذهب القضاء أن التحكيم: "طريق استثنائي لفض الخصومات قوامه الخروج على طرق التقاضي العادية وما تكلفه من ضمانات ومن ثم فهو مقصور حتما على ما تتصرف إرادة المحكمتين إلى عرضه على هيئة التحكيم" (2). كما ذهبت على نفس الطريقة محكمة التمييز الأردنية بقولها على أن: "التحكيم طريق استثنائي لفض الخصومات ومقصور على ما تتصرف إليه إرادة الفريقين إلى عرضه على المحكم" (3).

ويتبين لنا من خلال استعراض تعريف التحكيم في الشريعة الإسلامية وتعريف فقهاء القانون الوضعي على أن التحكيم يتميز بالعناصر التالية:

- 1- أن التحكيم يكون باتفاق الأطراف المتنازعة.
- 2- أن محل التحكيم هو من أجل فض النزاع بين الخصوم.

1 - تنص المادة 1013 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري على أنه: "يجوز للأطراف الاتفاق على التحكيم، حتى أثناء سريان الخصومة أمام الجهة القضائية".

2 - نقض مندي، الطعن رقم 1004 لسنة 61 قضائية جلسة 1997/12/27 مشار إليه في (د. مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 35 - 36).

3 - تمييز حقوق رقم 1774/94، مجلة النقابة، السنة الثالثة والأربعون، العدد السابع والثامن لعام 1955، ص 1985 (مشار إليه في د. مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 37).

- 3- أن أطراف التحكيم هم الخصوم سواء أكانوا اثنين أم أكثر، وأن هيئة التحكيم قد تكون واحداً أو أكثر<sup>(1)</sup>.
- 4- أن أطراف التحكيم يفضلون اللجوء إلى تسوية منازعاتهم بواسطة التحكيم لما يتميز به من سرعة الفصل في القضايا بدلاً من القضاء، لأن القضاء ولو حقق العدالة، فهي عدالة بطيئة لا يصل صاحب الحق إليها إلا بعد مدة طويلة<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني : تطور نظام التحكيم

كانت القوة هي السمة السائدة في المجتمعات البدائية، بحيث كان يبيت في النزاعات عن طريق عراك يجري بين الخصمين المتنازعين، وتختلف طبيعة هذا العراك بنتائجه. فقد يكون مبارزة بأدوات قاتلة تفضي إلى الموت أو قد يكون مبارزة ملاكمة، يعتبر المغلوب مبطلاً لادعائه<sup>(3)</sup>. وكان اللجوء إلى الانتقام الفردي أو الجماعي سائداً في تلك العصور<sup>(4)</sup>. وستعرض فيما يلي إلى تطور نظام التحكيم عبر العصور.

### الفرع الأول: التحكيم عند البابليين والآشوريين.

اعتمد التحكيم في عهد الآشوريين على الكهنة، وتدل الدراسات الأثرية على وجود لوح حجري كتب عليه باللغة السومرية نصوص معاهدة أبرمت في القرن الحادي والثلاثين قبل الميلاد بين مدينة " الجش " ومدينة " أوما " السومريتين تنص على إلزامية وجوب احترام خندق الحدود وعلى شرط التحكيم لفض أي نزاع ينشأ بينهما يتعلق بالحدود<sup>(5)</sup>.

1 - د . محمود علي السرطاوي، المرجع السابق، ص 11 .

2 - د . عبد الحميد الشاربي، التحكيم والتصالح في ضوء الفقه والقضاء ، الطبعة الثانية ، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1999 ص 21.

3 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود و آخرين، الجزء الأول، جامعة الدول العربية، بدون سنة نشر، ص 115.

4 - د . محمود علي السرطاوي، المرجع السابق، ص 16.

5 - د. قحطان بن عبد الرحمن الدوري، عقد التحكيم في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، بغداد، الطبعة الأولى، 1405هـ، ص38؛ د. محمود علي السرطاوي، المرجع السابق، ص 16 .

### الفرع الثاني: التحكيم في مصر القديمة.

تشهد الوثائق القديمة المصرية على وجود نظام التحكيم، وكان يستخدم من قبل الكهنة في تعاملاتهم مع العامة<sup>(1)</sup>. كما كان للأفراد حق اللجوء إلى التحكيم لفض ما ينشأ بينهم من منازعات، واتفاق التحكيم هو الذي يحدد أعضاء هيئة التحكيم، والإجراءات المتبعة أمامها، وحكم هيئة التحكيم نهائي وقابل للتنفيذ دون حاجة إلى عرضه على القضاء<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: التحكيم عند الإغريق.

استخدم التحكيم عند الإغريق من أجل تنظيم العلاقات المدنية والتجارية بين مواطني أثينا، وكانت المحكمة الشعبية تلزم كل مواطن تسجيل اسمه ضمن قوائم المحكمين. وكانت المحاكم تحيل القضايا إلى هيئة المحكمين للإصلاح فإن أخفق المحكم في ذلك أصدر قراره مشفوعاً بقسم. ويمكن للمتازعين أو أحدهم الطعن في قرار المحكم أمام تلك المحاكم وكان يعرض النزاع على محكم منفرد ويدفع له كل طرف متخاصم أجراً، وهو يختار بالقرعة من سجلات المواطنين، على أن لا يتجاوز الستين عاماً من عمره. وكان على المحكم أن يجري صلحاً بين المتخاصمين، ولكن إذا عجز قام بفصل النزاع بعد تأدية اليمين، والحكم قابل للاستئناف وتنتظر المحكمة وجهة نظر المتخاصمين وحججهم التي يقدمونها خطية ويقدمون الشهود وشهاداتهم خطية ويقسمون على صدقهم بذلك، وتقدم جميع هذه الأقوال خطية وتوضع بصندوق خاص وتختتم ثم يفتح الصندوق ويقدم إلى هيئة مختارة بالقرعة لتصدر حكمها<sup>(3)</sup>.

وقد نقل عن أرسطو أنه ميز بين القاضي والمحكم فقال: "إن المحكم يسعى إلى تحقيق العدالة، وأما القاضي فيسعى لتطبيق القانون". وكان في اليونان مجلس دائم للتحكيم يتولى الفصل في المنازعات بين المدن اليونانية في المعاملات المدنية والتجارية، وكان المحكمون في إسبارطة يحلفون المتخاصمين اليمين على احترام الحكم وإنفاذه، وقد قنن سولون التحكيم وأدخله بالتشريع اليوناني (640 - 558 ق. م)<sup>(4)</sup>.

1 - جوريسبيديا، الموسوعة الحرة، تاريخ التحكيم، منشور على الموقع News-187 <http://WWW.Alassy.net/News?>

2 - د. إسماعيل الأسطل، المرجع السابق، ص 27؛ د. محمود علي السرطاوي، مرجع سابق، ص 16.

3 - د. مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 24.

4 - د. محمود علي السرطاوي، مرجع سابق، ص 17؛ د. قطان بن الرحمان الدوري، مرجع سابق، ص 55.

### الفرع الرابع : التحكيم عند الرومان:

عرف الرومان التحكيم منذ القرنين السابع والسادس قبل الميلاد في مجال القانون الخاص بين الشعب الروماني ، أما في مجال القانون الدولي فلم يعرفوه لإنكارهم المساواة بين الشعوب والشعب الروماني، فقد كان من المقرر أن للروماني الحق في قتل الأجنبي وسلبه واسترقاقه ، ولا يملك الأجنبي حق التقاضي والمخاصمة، ولما اعترفوا للأجانب ببعض الحقوق أنشئ (ARBITRATOR) للأجانب أي المحكم المختص بشؤونهم الذي يرفع النزاع إلى هيئة التحكيم ، وتضمنت الألواح الإثنا عشر في روما (495 - 450 ق .م ) مبدأ تحكيم العائلة والعشيرة .

كما نصت على إمكان الحكم بالإعدام على الحكم الذي يبيع ضميره لأحد المتخاصمين بالإعدام<sup>(1)</sup>.

ورغم ذلك لم يكن لقرارات التحكيم في القانون الروماني التقليدي أية سلطة أو قوة تنفيذية ، إذ لم يكن قرار التحكيم سوى فكرة أو اقتراح وليس له صفة الحكم وكل ما كان يترتب على عدم التنفيذ هو ملاحقة الطرف الذي يمتنع عن تنفيذ قرار التحكيم بدعوى لدفع غرامة أو عقوبة مالية بمقتضى اشتراط في اتفاق التحكيم، ففكرة إلزامية التحكيم وتنفيذه جبرا ظهرت مع تطور النظم الحديثة<sup>(2)</sup>.

### الفرع الخامس: التحكيم عند العرب قبل الإسلام:

عرف العرب في الجاهلية نظام التحكيم في صورته البدائية، وكان يلجأ إليه الأفراد في نزاعاتهم، وتلجأ إليه القبائل وذلك بهدف الوصول إلى حل لتسوية منازعاتهم<sup>(3)</sup>.

وكان شيخ القبيلة مطالباً بحكم رئاسته الفصل في كثير من الخصومات التي تقوم بين أفراد قبيلته، حتى لا يضطرب الأمن وتشيع الفوضى ، وكان شيخ القبيلة، أو المتخاصمون أنفسهم أحيانا ، يفزعون إلى الكهان و (العرافين)، والمنجمين، وربما عرف بعضهم الكاهن بأنه الرجل الذي ينبئ عما سيقع في المستقبل، وأما العراف فهو الذي يخبر عن

1 - د. قطان بن عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 51؛ د. مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 24.

2 - الدكتور فاطمة محمد العوا، عقد التحكيم في الشريعة والقانون ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي ، بيروت 2002 ، ص 278.

3 - الدكتور مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 22.



الماضي، والأرجح أن كلا اللقبين كان يطلق على الذين يخبرون عن الماضي والحاضر والمستقبل، بما يدعون لأنفسهم من الاتصال بالقوى غير المنظورة، هؤلاء الكهان والعرافين كان يأتي إليهم المتخاصمون فيعرفونهم بالحق، وربما أذعنوا إليه، فقام كلام الكاهن فيما بينهم مقام حكم القاضي<sup>(1)</sup>. ولم يكن الحاكم عند عرب الجاهلية قادرا على إلزام الخصمين بالمثل بين يديه والاحتكام إليه، وكانت القاعدة أن التحكيم لا يتم إلا بتراضي المتخاصمين على الحضور لدى الحكم والتماس رأيه. وكان المحكم عند العرب قبل مجيء الإسلام يستمد ولايته من الخصوم الذين اختاروه. وقد أشتهر في الجاهلية عدد كبير من هؤلاء الحكام، كالأقرع بن حابس وجابر بن زرارة وأكثم بن صيفي وعبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجال.

أما النساء فنجد حذام بنت الريان التي قيل فيها:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام .

كما اشتهرت سحر بنت لقمان وهند الأيادية<sup>(2)</sup>.

وكان عرب الجاهلية يلجأون إلى الحكم إذا وقعت خصومة فيفصل بينهم بما أوتي من الحكمة والعقل<sup>(3)</sup>. وبما جرت عليه العادة ولعل الحكومة كانت مجملة عندهم في القول المأثور عن قس بن ساعدة الأيادي: "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر"<sup>(4)</sup>.

وقد تداعت قريش قبل الإسلام إلى عقد حلف سمي " حلف الفضول " في دار عبد الله بن جدعان في مكة ، فتحالفت قبائل قريش على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرها إلا قاموا معه حتى ترد مظلمته. وقد شهد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صغيرا . وقال بعد بعثته: ( لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت )<sup>(5)</sup>.

1 - الدكتور منير العجلاني، المرجع السابق، ص 334.

2 - د.منير العجلاني، المرجع السابق ، ص 333.

3 -د. أحمد سعيد المومني، التحكيم في التشريع الأردني و المقارن، الجزء الأول، مطبعة التوفيق الطبعة الأولى ، عمان، 1983 ،ص 18.

4 -د. مهذب أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 23.

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، بدون سنة نشر، ص 26.

كما أن التحكيم عرفته قبائل قريش أثناء بناء الكعبة ، حيث اختلفت في وضع الحجر الأسود ، وأرادت كل قبيلة أن تستأثر برفع الحجر وتضعه في مكانه ، فمكثوا على هذه الحال أربع ليال ثم تشاوروا فقال أبو أمية بن المغيرة : "اجعلوا بينكم حكماً أول من يدخل يقضي بينكم" ، فكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قالوا : هذا الأمين قد رضينا به فأخبروه الخبر وكان ذلك قبل بعثته فقال : هلموا إلي ثوبا فأتي به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه. ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه ففعلوا، فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه<sup>(1)</sup>. وكان الرسول هنا هو المحكم ورضت القبائل بحكمه .

- أخرجه الحافظ الإمام ابن الملقن - رحمه الله - في ( البدر المنير ) 325/7:

هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ ، رَوَاهُ الْحَمِيدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ حَلْفًا ، لَوْ دَعَيْتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ ..."

1 - قال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجاره فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل إزارك على عاتقك من الحجاره ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال إزارى فشد عليه إزاره أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق وأخرجاه أيضا من حديث روح بن عباد عن زكرياء بن أبي إسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

- ابن الأثير، المرجع السابق، ص 27؛ د. محمود علي السرطاوي، المرجع السابق، ص 18؛ التحكيم في الإسلام، مقال منشور على

الموقع [http://www.b.7thonline.com/lesson\\_114-1.html](http://www.b.7thonline.com/lesson_114-1.html)

**المطلب الثالث: التمييز بين التحكيم وبعض الأنظمة المشابهة:**

رغم أن للتحكيم ذاتية متميزة، إلا أنه قد يشتبه ويختلط مع بعض المفاهيم مثل القضاء والخبرة والصلح والوكالة ونعرض لكل منها على نحو ما يلي:

**الفرع الأول: التمييز بين التحكيم والقضاء:**

**في اللغة:** يستعمل القضاء والحكم في معنى واحد، والحكم بالضم، القضاء جمعه أحكام، وقد حكم عليه بالأمر حكماً.

في الاصطلاح: قال ابن خلدون: "القضاء، منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية، المتلقاة من الكتاب والسنة" (1).

وقال ابن فرحون في (تبصرة الحكام): "حقيقة القضاء، الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، ومعنى قولهم: (حكم القاضي)، أي ألزم الحق أهله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ (2). أي ألزمناه وحثّمناه عليه.

والحكم، بمعنى المنع، ومنه (حكمت السفينة)، إذا أخذت على يده ومنعته من التصرف، ومنه سمي الحاكم حاكماً لمنعه الظالم من ظلمه، ومعنى قولهم (حكم الحاكم) أي وضع الحق في أهله ومنع من ليس له بأهل (3).

ويختلف القضاء عن التحكيم من حيث أن:

1- أن القاضي عينته الدولة أو الحاكم للقضاء بين الناس، وليس له أن يرفض النظر في خصوماتهم، أما المحكم فهو واحد من عامة الناس يختاره المتخاصمين بإرادتهما، فإن شاء نظر فيها وأن شاء رفض نظرها، والخيار له، فهو غير ملزم بالنظر في الخصومة (4).

1- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، الطبعة الأولى، 2004، ص 132.

2 - سورة سبأ - الآية - 14.

3 - الإمام برهان الدين أبي الوفا إبراهيم بن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون البصري المالكي (توفي 779 هـ) تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1301 هـ، ص 44.

4 - الدكتور منير العجلاني، عبقريّة الإسلام في أصول الحكم، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بدون تاريخ، ص 331.

2- أن صاحب الحق، أو المدعي، متى رفع دعواه إلى القاضي، أصبح المدعي عليه ملزماً بمخاضته والحضور إلى مجلس القاضي، فإن لم يفعل، حكم عليه القاضي غيابياً (1).

أما في حالة التحكيم - فلا يستطيع أحد الخصمين أن يلزم خصمه الآخر بالخصومة والحضور إلى مجلس الحكم - ولا عبرة للتحكيم إلا إذا تراضى الفريقان على القبول به وحضرا إلى الحكم طائعين مختارين (2).

3- قضاء القاضي ملزم للمتخاصمين، فإذا أنكره أحدهما أكرهته الدولة على تنفيذه بالقوة (3). أما حكم المحكم فلا يصح إلا برضا الطرفين، أما القضاء فلا يشترط رضا الخصمين ولو رفعت إليه قضية حكم فيها ولو بغير رضاهما، وليس لأي فرد أن يرفض أحكام القضاء لأنه من الولايات العامة، والقضاء يمثل الأصل والتحكيم يمثل الفرع (4).

4- المحكم هو الشخص الذي ينيط به المتخاصمان مهمة فصل النزاع القائم أو المحتمل الوقوع بينهما، ويتم تعيين المحكم برضا الطرفين (5). ويكون في قضية معينة وتنتهي مهمة المحكم بالفصل في النزاع المعروف أمامه برضا الأطراف، أما سلطة القضاء فتتناول النظر في جميع القضايا التي تعرض على القاضي (6).

5- المحكم لا يتقيد ببلد التحكيم، فله الحكم في كامل البلاد، لأن الذي يحدد له الزمان والمكان أطراف النزاع، على عكس القاضي فإنه مقيد بالحكم في حدود ولايته التي يحددها القانون.

ولا تنتهي مهمة القاضي حتى يعزله ولي الأمر، كما أن شروط القضاة يضعها ولي الأمر، بينما يضع المتخاصمون شروط المحكم. وحجية التحكيم مقصورة على أطراف النزاع، ولا تتعداها إلى الآخرين (7).

1 - د. محمود علي السرتاوي، المرجع السابق، ص 12 .

2 - الدكتور مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 36 .

3 - الدكتور منير العجلاني، المرجع السابق، ص 332 .

4 - د. زيد بن عبد الكريم الزيد، المرجع السابق، ص 4 ؛ د. محمود علي السرتاوي المرجع السابق ص 12 .

5 - د. مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 57 .

6 - د. قطان الدوري، عقد التحكيم في الفقه الإسلامي والقانون، الطبعة الأولى، مطبعة الخلود، بغداد ( 1985 )، ص 42 -

43 .

7 - د. إسماعيل الأسطل، التحكيم في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص 30؛ المادة 1038 من قانون الإجراءات المدنية

والإدارية الجزائري .

### الفرع الثاني: التمييز بين التحكيم والخبرة:

تتميز مهمة الخبير عن مهمة المحكم، من حيث أن الخبير ينتدب لإبداء الرأي والمشورة في مسألة فنية، بخصوص الموضوع المتنازع عليه دون أن يكون رأيه ملزماً للمحتكمين أو لهيئة التحكيم، فهو لا يفصل في النزاع وإنما يعين لتوضيح جانب غامض<sup>(1)</sup>. من النزاع بناء على خبرته في الموضوع، ورأي الخبير لا يكون ملزماً لأحد فللمحكم أن يأخذ به وله أن يطرحه جانبا<sup>(2)</sup>.

ففي الخبرة يقوم الخبير بإبداء رأيه، وينحصر دوره في تقديم تقرير يساعد المحكم ويعرض تقريره على المحتكمين لإبداء رأيهم فيه، احتراماً لمبدأ المواجهة<sup>(3)</sup>.

ومعيار التفرقة بين الخبرة والتحكيم، هو النظر في مدى الصلاحيات الممنوحة للشخص المطروح عليه النزاع، فإن كان الصلاحيات المخولة له، الفصل في النزاع وإصدار قرار ملزم للطرفين فهو حكم والمسألة تحكيم، وإن كانت تلك الصلاحيات لا تتجاوز إبداء الرأي في مسألة فنية فهي خبرة فنية<sup>(4)</sup>.

ويمكننا القول أن التحكيم يتميز عن الخبرة من حيث:

- 1- أن المحكم يقوم بوظيفة تتمثل في حسم النزاع بين الخصوم بالتحكيم.
- 2- رأي المحكم يفرض على الخصوم وهو يكون باتفاق الأطراف.
- 3- الخبير يكلف من المحكم بإبداء الرأي فيما يطرح عليه من مسائل.
- 4- رأي الخبير لا يلزم الخصوم ولا يلزم المحكم<sup>(5)</sup>.
- 5- الخبير يكتب تقريره ولا ينتقيد إلا بالإجراءات والمواعيد المقررة في قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

1 - أحمد أبو الوفا، عقد التحكيم وإجراءاته، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1974، ص 6 - 7 .

2 - محمود علي السرطاوي، المرجع السابق، ص 15 .

3 - الدكتور مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 15 .

4 - محمد بن ناصر البجاد، التحكيم في المملكة العربية السعودية، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1420 هـ، ص 44 .

5 - الدكتور محمد فتح الله حسين، شرح قانون التحكيم والتحكيم الإداري، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، مصر، 2005، ص

### الفرع الثالث: التمييز بين التحكيم والصلح:

**الصلح في اللغة:** قطع النزاع، وأصلح الشيء: أزال فسادَه، وأصلح

بين الرجلين: أزال ما بينهما من عداوة.

**والصلح في الاصطلاح:** هو عقد لرفع النزاع وقطع الخصومة بين

المتصالحين بتراضييهما، فهو عقد اختياري يقوم على التراضي وإنهاء النزاع بين المتخاصمين بالمودة<sup>(1)</sup>.

ويهدف الصلح إلى إنهاء النزاع، عن طريق نزول كل طرف عن

جزء من ادعاءاته، بما يسمح بالتوصل إلى حل للنزاع بينهما<sup>(2)</sup>. وتحقيق

فوائد السلم الاجتماعي وتحقيق المودة.

والصلح مشروع لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>(3)</sup>. ولقوله تعالى ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ

إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾<sup>(4)</sup>.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: (الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا

حرم حلالا أو أحل حراما)<sup>(5)</sup>.

ومشروعية الصلح ظاهرة من قوله تعالى فأمر بالصلح بين

المسلمين يعني الفتنتين المقتلتين<sup>(6)</sup>.

كما أخبرنا تبارك وتعالى أنه يجوز الصلح في حال نفور الرجل عن

المرأة، وتارة في حال اتفاقه معها أو فراقه لها. فإذا خافت المرأة من زوجها

أن ينفّر عنها أو يعرض عنها، فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة

أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقها عليه وله أن يصالحها على ذلك

لأن الوفاق أحب إلى الله من الفراق<sup>(7)</sup>.

1 - د . محمود علي السرطاوي ، المرجع السابق، ص 14 .

2 - الدكتور خالد ممدوح إبراهيم ، التحكيم الإلكتروني في عقود التجارة الدولية، دار الفكر الجامعي الإسكندرية، 2008، ص 44 .

3 - سورة الحجرات الآية 9 .

4 - سورة النساء الآية 128 .

5 - رواه : أبو داود وابن ماجه ، والترمذي في الأحكام مشار إليه ابن رشد أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد ( 520 - 595 هـ )

بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ، دار الجبل، بيروت ، 1986 ، ص 475 .

- وأخرجه ابن ماجه وأبو داود وأئتهت روايته عند قوله شروطهم . وفي تصحيح الترمذي هذا الحديث نظر فإن في إسناده كثير بن

عبد الله بن عمرو بن عوف .

6 الحافظ عماد الدين الدمشقي ( المتوفى 774 ) ، ( تفسير القرآن العظيم ) المجلد الرابع ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ،

1996 ، ص 268 .

7 - الحافظ عماد الدين الدمشقي، المرجع السابق، تفسير القرآن الكريم، المجلد الأول، ص 738 .

وتوجد نقاط تشابه بين الصلح والتحكيم ونقاط اختلاف ونبدأ بنقاط

الاختلاف:

1- أن محل عقد التحكيم هو التزام الخصوم بسلب الاختصاص من المحاكم المعنية وطرحه على محكم أو هيئة تحكيم، بحيث تصدر حكماً فيه ينهي النزاع، أما في حالة الصلح فهناك تنازل متبادل بين الخصوم فيما يتعلق بادعاءات كل واحد منهما (1).

2- ينتهي نظام التحكيم بحكم حاسم للنزاع، يكون قابلاً للتنفيذ مباشرة بعد وضع الصيغة التنفيذية عليه واستكمال باقي الإجراءات القانونية المطلوبة في القواعد العامة، أما في نظام الصلح فإنه لا يقبل التنفيذ إلا بعد تصديق القضاء في الدولة والذي يجعله قابلاً لإمكانية وضع الصيغة التنفيذية عليه (2).

3- لا يجوز للأطراف في المصالحة وعند لجوئهم إلى التحكيم أن يقدموا كدليل إثبات الآراء التي أبدوها الأطراف والاقتراحات التي تمت بصدد التسوية المحتملة للنزاع إلى المحكم (3). كما أن عقد الصلح ملزم للطرفين إذا انعقد صحيحاً. أما عقد التحكيم فيجوز لكل طرفيه الرجوع عنه ما لم يصدر المحكم حكمه (4). أما نقاط التشابه بين التحكيم والصلح فهي:

1- أنهما من طرق حسم المنازعات البديلة للقضاء، وكل منهما رضائي يستند إلى إرادة طرفي النزاع، كما أنهما يتفقان في إنهاء النزاع بين الطرفين (5).

2- يتفق الصلح مع التحكيم من حيث أن قوامهما الإرادة، وأن مثل هذه الإرادة، يمكن أن تكون سابقة على نشأة النزاع (شرط التحكيم) أو لاحقه عليه (مشاركة التحكيم) فإن أُنعم الاتفاق بين الطرفين فلا تحكيم ولا صلح، كما أن الهدف من النظامين هو حسم النزاع بين طرفي الاتفاق (6).

1 - د. مصطفى محمد الجمال، د. عكاشة محمد عبد العال، التحكيم في العلاقات الخاصة الدولية والداخلية، الجزء الأول،

الطبعة الأولى، 1998، ص 44 - 45.

2 - د. مختار بري، التحكيم التجاري الدولي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، 1999، ص 53.

3 - د. أحمد عبد الكريم سلامة، قانون التحكيم التجاري الدولي والداخلي تنظيم وتطبيق مقارن، بدون ناشر، 2003، ص 49.

4 - د. محمود علي السرطاوي، المرجع السابق، ص 15.

5 - د. مصطفى الجمال، د. عكاشة عبد العال، المرجع السابق، ص 24.

6 - د. محمود علي السرطاوي، المرجع السابق ص 15؛ د. خالد ممدوح إبراهيم، المرجع السابق، ص 45.

الفرع الرابع: التمييز بين التحكيم والوكالة<sup>(1)</sup>.

الوكيل يعمل لصالح موكله، وينوب عنه فيما وكل فيه، ولا يجوز له أن يعمل عملاً بمقتضى الوكالة الممنوحة له إلا بما فيه مصلحة الموكل، وهو مؤتمن على النصح لمن وكله، وإذا خرج عن صلاحيته وسلطته التي فوضت إليه فالوكيل هو المسئول عن هذا التصرف<sup>(2)</sup>. فالوكيل لا يقوم إلا بما يمكن أن يقوم به الموكل فلا يملك أكثر مما يملك الموكل ولا يسري في حق الموكل ما هو خارج عن حدود وكالته، فالوكيل لا يستقل عن الموكل وإنما يأتمر بأوامره، فإن خرج عنها كان للموكل أن يتصل من العمل الذي أجره لحسابه، لأن الوكيل ملزم بعدم تجاوز الحدود المرسومة له في الوكالة<sup>(3)</sup>.

أما المحكم فهو مستقل تماماً عن الخصوم (المحتكمين) ويكتسب المحكم صفة من اتفاق المحتكمين، ولا يملك المحتكمين التدخل في المهمة التي أسندت إلى المحكم فهو لا يعمل باسم أحد الخصوم أو لصالحه حتى ولو كان إختياره تم برضاهم<sup>(4)</sup>. كما أنه لا يجوز عزله إلا باتفاق الأطراف<sup>(5)</sup>. وواجب المحكم الفصل في النزاع بالعدل بين الطرفين لأنه تم تعيينه باتفاق الخصوم، ويمارس عمله وفق المقتضى الشرعي والقانوني وليس وفق رغبة من حكمه.

ويعتمد نظام التحكيم على إرادة الأطراف، وهذا ما تعتمد عليه أيضاً الوكالة إذ كلا من التحكيم والوكالة يعتمدان في وجودهما على عقد، وطرفا عقد الوكالة هما الموكل والوكيل، وموضوعه هو تخويل الوكيل سلطة النيابة عن الموكل في القيام بعمل من الأعمال القانونية، أما عقد التحكيم فطرفاه، هما طرفا النزاع وموضوعه اختيار شخص أجنبي عنهما وهو المحكم للفصل في النزاع الدائر بينهما<sup>(6)</sup>. ويمكن تمييز المحكم عن الوكيل من حيث:

1 - تنص المادة 571 من القانون المدني الجزائري أن: "الوكالة أو الإنبابة هو عقد بمقتضاه يفوض شخص شخصاً آخر للقيام بعمل شيء لحساب الموكل وباسمه".

2 - د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مرجع سابق، ص 5.

3 - تنص المادة 575/1 من القانون المدني على أن: "الوكيل ملزم بتنفيذ الوكالة دون أن يجاوز الحدود المرسومة".

4 - محمد بن ناصر البجار، المرجع السابق، ص 128.

5 - تنص المادة 1018/فقرة 3 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري على أنه: (لا يجوز عزل المحكمين إلا باتفاق جميع الأطراف).

6 - د. مصطفى الجمال، د. عكاشة عبد العال، المرجع السابق، ص 31.



- 1- القاعدة العامة أن الوكيل يستمد سلطاته من الموكل، بينما المحكم مستقلاً تمام الاستقلال عن الخصوم.
- 2- الموكل يملك الاتصال عن عمل الوكيل إذا خرج عن حدود وكالته، بينما المحكم بمجرد الاتفاق عليه تصبح له صفة الفصل في الخصومة.
- 3- لا يقوم الوكيل إلا بما يمكن أن يقوم به الموكل، بينما المحكم لا يمكن للخصوم التدخل في عمله.

### الفرع الخامس: التمييز بين التحكيم والتوفيق:

التوفيق هو أسلوب من أساليب تسوية المنازعات بين الخصوم بطريقة ودية، ويتميز ببساطة إجراءاته، ويحاول الموفق تقريب وجهات النظر بين طرفي النزاع للوصول إلى حل مرض بينهما، والموفق في أدائه لمهمته لا يلتزم بقواعد إجرائية أو قانونية. وتتفق مهمة الموفق مع المحكم في أن كلاهما يهدف إلى حل النزاع<sup>(1)</sup>.

وتتمثل مهمة الموفق في إقناع الطرفين بتقديم تنازلات للتوصل إلى حل وسط، بينما المحكم وإن كان من صلاحياته إصدار حكم وسط إلا أنه يصدر حكماً قد يلبي فيه كل طلبات أحد المتحكماين، ويرفض طلبات المحتكم الآخر فهو لا يبحث من حل وسط أو توفيقاً ويتعين عليه مواصلة مهمته وإصدار حكم حاسم للنزاع، بينما الموفق لا يملك في حالة فشله من تقريب وجهات النظر وإقناع الأطراف بها إلا إنهاء الإجراءات ويحق للأطراف اللجوء إلى القضاء<sup>(2)</sup>.

وقد أخذت العديد من المراكز الدولية بأنظمة التوفيق ومنها غرفة التجارة بباريس، والمركز الدولي لتسوية المنازعات الناشئة عن الاستثمار بين الدول ورعايا الدول الأخرى، وغرفة تجارة وصناعة دبي<sup>(3)</sup>.

فالتوفيق هو نظام بمقتضاه يقوم شخص أو هيئة يتم إختياره من قبل الأطراف بمهمة بحث ودراسة موضوع النزاع بالتشاور المستمر مع الأطراف، والتعرف على وجهات النظر المختلفة، واقتراح أفضل الحلول

1 - د. مهدي أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 61.

2 - د. محمود مختار بريوي، المرجع السابق، ص 16 و 17.

3 - د. مهدي أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 62.

الودية لتسوية الخلاف<sup>(1)</sup>. وكما عرفنا، فإن اللجوء إلى التحكيم اختياري، والحكم الصادر عن هيئة التحكيم يكون ملزماً لأطراف المنازعة. أما التوصية الصادرة عن لجنة التوفيق فإنها غير ملزمة إلا إذا وافق عليها كل من الجهة الإدارية والطرف الآخر في النزاع، كما أن التوفيق أوسع نطاقاً من التحكيم، حيث يشمل التوفيق جميع المنازعات التي تكون الإدارة طرفاً فيها حتى ولو كانت خاصة بمسائل تتعلق بالنظام العام، أما التحكيم فلا يجوز في المسائل التي تتعلق بالنظام العام<sup>(2)</sup>.

### المطلب الرابع: التحكيم في الشريعة الإسلامية

لما جاء الإسلام اعترف بشرعية التحكيم وجوازه وهو ما جرى به العمل في القرآن والسنة والإجماع.

#### الفرع الأول: التحكيم في القرآن الكريم:

أجاز الله سبحانه وتعالى الإلتجاء إلى التحكيم فيما ينشأ بين الزوجين من شجار ونزاع، فإن تفاقماً أمرهما وطالت خصومتها أمر الله أن يبعثوا حكماً من أهل الرجل، وحكما مثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء فإن كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه إمرأته وقصروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة، قصروها على زوجها ومنعوا النفقة، فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز<sup>(3)</sup>. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ سورة النساء الآية 35، إن يريدان إصلاحاً وقد سماهما الله عز وجل، حكيمين ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه، وهذا ظاهر الآية<sup>(4)</sup>. وما دام قد أجاز التحكيم في الخلاف الناشئ بين الزوجين فهذا الجواز يدل على جواز التحكيم في سائر الحقوق والدعاوى المالية التي تنشأ بين الأفراد<sup>(5)</sup>. وكذلك قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

1 - د. خالد ممدوح إبراهيم، المرجع السابق، ص 38-39

2 - استحدث المشرع المصري، بموجب القانون رقم 07 لسنة 2000 نظام التوفيق في المنازعات الإدارية التي تكون الدولة أو أحد الأشخاص الاعتبارية العامة طرفاً فيها بدون اللجوء إلى القضاء ( انظر خالد ممدوح إبراهيم، المرجع السابق، ص 39).

3 - الإمام الحافظ عماد الدين النمشقي ( المتوفى 774 هجرية) تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، المرجع السابق، ص 644 .

4 - الإمام الحافظ عمار الدين، المرجع السابق، ص 645.

5 - د. مهند أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 27.

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»<sup>(1)</sup>. وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا ؛ فهو حكم الحق ، فما حكم به يجب الانقياد له ويجب التسليم به من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة<sup>(2)</sup>. وسبب نزول هذه الآية هو: "أن الزبير كان يحدث أنه كان يخاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة كان يسقيان بها كلاهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير: اسقِ ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ جَارِكَ، فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ ، فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: اسقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيَّ الْجَدْرُ فَاسْتَوَعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له ولأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم"<sup>(3)</sup> . ومعناه أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بينهما في أول الأمر بشيء من التسامح ، فلما كان من الأنصاري ما كان ، حكم للزبير بأن يأخذ حقه كاملا ثم يرسل الماء إلى جاره<sup>(4)</sup>.

وفي رواية أخرى: "إن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففضى للمحق على المبطل، فقال المقضي عليه : لا أرضى، فقال صاحبه: فما تريد ؟ قال: أن نذهب إلى أبي بكر الصديق، فذهبا إليه فقال الذي قضى له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففضى لي، فقال أبو بكر: أنتما على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى صاحبه أن يرضى، فقال: نأتي عمر بن الخطاب، فقال المقضي له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ففضى لي عليه، فأبى أن يرضى،

1 - الآية 65 من سورة النساء .

2 - الإمام الحافظ عماد الدين، المرجع السابق، ص 679.

3 - قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلَتْ إِلَّا فِي ذَلِكَ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمَ سَوْرَةَ النَّسَاءِ آيَةَ 65 الْآيَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ فَتَيْبَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ.

- الإمام الحافظ عماد الدمشقي، المرجع السابق، ص 680.

4 - محمود السرطاوي، المرجع السابق، ص 21.

فسأله عمر بن الخطاب فقال كذلك، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني : موقف السنة المطهرة من التحكيم :

إن كان القرآن الكريم قد نص على جواز التحكيم ، فقد جاءت السنة النبوية مؤكدة مشروعية التحكيم، فقد قدم وفد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم رجل يكنى أبا الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكني أبا الحكم " ؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أحسن هذا " ؟ وهكذا فإن دلالة هذا الإقرار يعبر عن مشروعية التحكيم في الإسلام<sup>(2)</sup>. كما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكيم بني قريظة له لما نزلت على حكمه ثم جعل الحكم منهم إلى سعد بن معاذ، ولو لم يكن التحكيم مشروعاً لما صح حكم سعد بن معاذ ولما وجب تنفيذه<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثالث: مشروعية التحكيم بالإجماع:

التحكيم جائز بالإجماع ، فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على جوازه ومن ذلك :

#### أولاً / تحكيم زيد بن ثابت:

كان بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورجل خصومة فاحتكما عند زيد بن ثابت، فقال عمر رضي الله عنه أتيناك لتحكم بيننا، وهنا نجد عمر تحاكم مع خصمه إلى زيد بن ثابت، ولم يكن زيد قاضياً<sup>(4)</sup>. مما يؤكد مشروعية التحكيم عند الصحابة رضي الله عنهم.

#### ثانياً / تحكيم عمر بن الخطاب على فرس:

1 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (توفي 852 هـ ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية، 1390 هـ ص 35 ، الإمام الحافظ عماد الدين، المرجع السابق، ص 681.

2 - حدثنا الربيع بن نافع عن يزيد يعني ابن المقدم بن شريح عن أبيه عن جده شريح عن أبيه هانئ أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكتونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكني أبا الحكم فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن هذا فما لك من الولد قال لي شريح ومسلم وعبد الله قال فمن أكبرهم قلت شريح قال فأنت أبو شريح. أخرجه النسائي.  
- الدكتور فاطمة محمد العوا ، المرجع السابق ، ص 224.

3 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، التحكيم في القوانين العربية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2006، ص 29.

4 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق، ص 30.

أن عمر بن الخطاب أخذ فرسا على سوم، فحمل عليه رجلا ليشاوره، فعطب الفرس، فقال الرجل بيني وبينك شريحا، فأتياه فقال: يا أمير المؤمنين أخذته صحيحا على سوم، فعليك أن ترده كما أخذته (1).

ثالثا / تحكيم الصحابة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي

سفيان رضي الله عنهما:

إن أشهر واقعة للتحكيم في الإسلام، والتي لم ينكر أحد من الصحابة خلالها مشروعية التحكيم، هي أنه بعد وفاة عثمان رضي الله عنه مقتولا ببيع علي رضي الله عنه بالخلافة، وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واليا على الشام، فاعترض على بيعة علي رضي الله عنه، اعتبارا أن القصاص أولى من اختيار الخليفة الجديد، فخرج كلا الرجلين معاوية وعلي رضي الله عنهم على رأس جنودهما والتقى الجيشان في صفين، وكادت الغلبة أن تكون لفرقة علي رضي الله عنه لولا أن رفع جند معاوية رضي الله عنه المصاحف على أسنة الرماح مطالبين بتحكيم كتاب الله فيما بينهما من خلاف، وقبل سيدنا علي رضي الله عنه التحكيم وعين كل منهما حكما عنه، فكان الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه حكما عن الإمام علي والصحابي الجليل عمر بن العاص رضي الله عنه حكما عن معاوية رضي الله عنه (2).

غير أن البعض من الباحثين يرى أن عيوب هذا التحكيم هو أن عدد المحكمين كان زوجيا وليس وترا. وبالتالي فإنه عندما اجتمع الحكمان وأصدر حكمهما واتفقا على خلع كل من علي ومعاوية رضي الله عنهم، وجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من أرادوا، أو من أحبوا، وأعلن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه اتفاه على هذا الحكم ثم نزل فصعد عمر بن العاص رضي الله عنه ليعلن خلع علي ويثبت معاوية بخدعته لأبي موسى بتقديمه في إعلان الحكم أولا، وهكذا فإن التحكيم لم ينتج شيئا، وبقي الخلاف قائما بين الطرفين (3). وما نريد الوصول إليه من وراء هذا هو أن التحكيم أجازة الصحابة رضي الله عنهم ولا يتناقض أو

1 - الدكتور نجيب: حمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق، ص 31.

2 - الدكتورة فاطمة محمد العوا، المرجع السابق، ص 224؛ الدكتور مهدي أحمد الصانوري، المرجع السابق، ص 28.

3 - الدكتور أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق، ص 30.

يختلف مع القوانين الوضعية والتحكيم مشروع بالقرآن والسنة وبه عمل الصحابة رضي الله عنهم وعليه إجماع الأمة.

**الفرع الرابع: موقف المذاهب السنية من التحكيم:**

**أولا / التحكيم في المذهب الحنفي:**

أجاز فقهاء المذهب الحنفي التحكيم إجمالاً في كل أمر عدا الحدود والقصاص، فلا يجوز التحكيم في الحدود والقصاص والدية على العاقلة بخلاف القضاء. وقد تعرض الفقهاء إلى نظام التحكيم<sup>(1)</sup>. ولا يجوز التحكيم في الحدود الواجبة لله تعالى مثل الزنا وحد السرقة وحد شرب الخمر.

1 - ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، الجزء السابع، القاهرة، ص 24.

**ثانيا/ التحكيم في المذهب المالكي:**

أجاز فقهاء المالكية التحكيم في الخصومات وجعلوا ذلك قيد رغبة الخصوم وتراضيهم ولا يجوز التحكيم في أمر الحدود.

**ثالثا/ التحكيم في المذهب الشافعي:** على غرار المذهبين الحنفي والمالكي، أجاز المذهب الشافعي التحكيم كأحد وسائل حسم المنازعات وجعل لصحته مجموعة قواعد.

**رابعا/ التحكيم في المذهب الحنبلي:**

على غرار المذاهب الأخرى وضع قواعد نظم بها عملية التحكيم. ويرى أصحاب هذا المذهب أنه ينفذ حكم المحكم في جميع الأحكام إلا في أربعة أشياء: الزواج، واللعان، والقذف والقصاص، وقال أبو الخطاب من فقهاء الحنابلة ظاهر كلام أحد أنه ينفذ حكمه في هذه الأربعة، وصرح البهوتي من فقهاء الحنابلة بأن حكمه ينفذ في كل الأمور من مال أو قصاص أو حد أو زواج أو لعان<sup>(1)</sup>.

و كما نرى فإن فقهاء الشريعة الإسلامية اتفقوا على أن جرائم الحدود حق خالص لله تعالى، وبالتالي لا يجوز أن يتولى الحكم فيها إلا القضاء وليس للتحكيم أي أثر لأنها تعتبر من النظام العام المتعلقة بالمجتمع لا يجوز التحكيم فيها<sup>(2)</sup>.

**الفرع الخامس: الموازنة بين آراء المذاهب الفقهية السنية بشأن****التحكيم:****أولا / اتفاق مذاهب أهل السنة**

1- اعتبر التحكيم إحدى وسائل حل النزاع إلى جانب القضاء و الصلح.

2- عولج التحكيم من جانب فقهاء مذاهب أهل السنة بأنه عقد، وطبقوا عليه قواعد العقود، ففي البداية يتفق طرفا التحكيم على اللجوء إلى المحكم، فاتفقهما هذا عقد هو ما يعرف اليوم بشرط التحكيم أو اتفاق التحكيم، ثم يختاران محكما ويتفقان معه فيصير اتفاقهما عقدا آخر.

1- مصطفى عطية، وضع التحكيم في التشريع الإسلامي، منشور على الموقع ،

http://WWW.Alassy.net/News? News-187

2- الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق، ص 149-150.

3- يجب أن يكون اللجوء إلى التحكيم صراحة دون القضاء، فلا يتفق عليه ضمناً.

4- اشترطوا في الخصوم توافر أهلية الأداء، كما اشترطوا في المحكم توافر أهلية الشهادة.

5- جعلوا انتهاء التحكيم وذلك عن طريق إصدار الحكم، ترك المحكم التحكيم أو عزل الخصوم له أو سقوط أهلية أحد طرفي عقد التحكيم أو المحكم نفسه قبل صدور الحكم.

6- ألزموا الخصوم بما انتهى إليه حكم المحكم، وجعلوا الأصل في الحكم الصحة، وقصروا انصراف آثار الحكم على الخصوم.

7- اشترطوا لصحة الحكم التحكيمي عند تعدد المحكمين أن يصدر عن إجماعهم<sup>(1)</sup>.

وقد جرى الفقه الإسلامي على جواز التحكيم حتى في حال وجود قاض في البلد، وذهب موقف بعض المذاهب إلى جعل عقد التحكيم يعلو على إرادة طرفيه، بعد مباشرة المحكم لمهمته، كما أوضح فقهاء الشريعة الإسلامية إعلاء شأن حرية الإرادة في عقد التحكيم.<sup>(2)</sup>

#### ثانياً / اختلاف مذاهب أهل السنة :

يجوز للخصوم الاستمرار على اتفاق التحكيم أو العدول عنه وذلك

كما يلي:

1- أن يكون حقهم في التحكيم سواء بالإمضاء أو العدول عنه في

أي مرحلة.

2- أن يكون حق الخصوم مقيداً بصدور حكم التحكيم، فمتى صدر

ليس من حقهم النكوص عنه.

3- حق الخصوم مقيد بالبداية في مباشرة المحكم لعمله، فمتى بدأ

في نظر الخصومة أصبح اتفاق التحكيم ملزماً لهم.

4- اختلفت مذاهب الفقه الأربعة لأهل السنة في المنازعات

الخاضعة للتحكيم واعتبروا أن حقوق الله تعالى يختص بنظرها القاضي دون

1 الدكتور فاطمة محمد العوا، المرجع السابق، ص 244.

2 -الدكتور فاطمة محمد العوا، المرجع السابق، ص 248.



غيره لأنها تخرج من ولاية الخصوم كالحدود والقصاص لأن الخصوم لا يملكون التصرف في الدماء والأرواح إذ هي حقوق الله تعالى وبالتالي لا يملك الخصوم فيها التحكيم. (1)

#### المطلب الخامس: نطاق التحكيم:

أجمعت أغلب التشريعات على جواز التحكيم. (2) غير أنها استثنت منه بعض المنازعات نظراً لخطورتها وأهميتها في المجتمع. (3) ومن هذا المنطق يقال أن التحكيم من الوسائل البديلة لحل المنازعات. ونقسم هذا المطلب إلى فرعين، نتناول في الفرع الأول نطاق التحكيم في الفقه الإسلامي أما الفرع الثاني فسنعرض فيه إلى نطاق التحكيم في القوانين الوضعية.

#### الفرع الأول: نطاق التحكيم في الفقه الإسلامي:

ذهب بعض الشافعية، أنه يجوز التحكيم مع وجود قاضي في البلد، فالتحكيم يكون إلى القاضي المعين من الإمام، ومن كانت له حاجة أو خصومة عليه أن يرفع أمره إلى القاضي، ولا يجوز التحكيم مع وجود القاضي لأنه يعد تعدياً على سلطات القاضي. بل ذهبوا إلى القول بأن الاتفاق على التحكيم يعتبر عزلاً له ممن لا يملك عزله وعلى ذلك إذا وجد القاضي في البلد يمتنع التحكيم فيه، وهذا الرأي مبني على أن القضاء هو الأصل والتحكيم لم يشرع إلا لضرورة. وإذا كان الأمر كذلك إذا خلا البلد من القاضي جاء التحكيم للضرورة (4).

ويوجد رأي في الفقه الإسلامي لا يجيز التحكيم وهو رأي الخوارج عندما انشقوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وذلك بسبب التحكيم

1 - بن نجيم الحنفي، البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، الجزء السابع، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 24.

2 - الدكتور عزمي عبد الفتاح، قواعد التنفيذ الجبري في قانون المرافعات، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984 ص 12.

3 - نصت المادة 1006 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري: "لا يجوز التحكيم في المسائل المتعلقة بالنظام العام أو حالة الأشخاص وأهليتهم ولا يجوز للأشخاص المعنوية العامة أن تطلب التحكيم ما عدا في علاقاتها الاقتصادية الدولية أو في إطار الصفقات العمومية".

كما نصت المادة 2060 من القانون المدني الفرنسي المعدلة بموجب القانون رقم 72 - 626 الصادر في 5 جويلية 1982 والتي تنص على أنه لا يجوز التحكيم في المواد المتعلقة بالهبات العامة والمؤسسات العامة، وبصفة عامة لا يجوز التحكيم في المواد المتعلقة بالنظام العام.

4 - الشيخ محمد أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (توفي 977 هـ) الجزء الرابع، المطبعة الكبرى القاهرة 1374 هـ - 1955 م، ص 280.

الذي نشأ بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قالوا كيف حكمت الرجال في دين الله ولا حكم الله<sup>(1)</sup>.

---

1 - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (توفي 261 هـ) الجزء الخامس ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1327 هـ ، ص 92

**الحقوق التي لا يجوز فيها التحكيم:**

احتوت كتب الفقه الإسلامي على المنازعات التي يجوز فيها التحكيم وتلك التي لا يجوز فيها . وقد قسمها الفقه إلى ثلاثة أقسام وهي: (1)  
**1- حقوق الله تعالى:** مثل حدود الزنا والعبادات الخاصة كالإيمان بالله والصلاة والصوم، وهذه الحقوق تشبه في القانون الوضعي الحقوق المتعلقة بالنظام العام.

**2- حقوق العباد:** وهي الحقوق التي شرعت لمصلحة دنيوية خالصة بالفرد دون الجماعة وهي كثيرة.

**3- وما اجتمع فيه الحقان** وحق الله يكون فيها الغالب كحد القذف، أو كان فيه الحقان وحق العبد غالب كالقصاص.

وتظهر أهمية التقسيمات السابقة، من حيث أن حقوق الله تعالى لا يجوز فيها الصلح، وإنما الصلح بين العبد وربه في إقامتها، ولا تسقط ولا تقبل المعاوضة بالمال، ولا يجري فيها الإرث، فلا يملك الفرد ولا الجماعة إسقاط حق من حقوق الله تعالى، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن جاء يشفع في حد من حدود الله " إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتم يدها، فقطع يد المخزومية " (2).

أما حقوق العباد فيجوز الصلح وتسقط ويقبل المعاوضة عليها بالمال ويجري فيها الإرث، ففي القصاص يجوز لولي الدم التصالح عليه وقبول الدية وله أن يعفو عن القاتل بلا مقابل، ولورثة المقذوف الذين تضرروا بالقذف المطالبة بحد القذف عند من يرى أن حق العبد فيه غالب، وقد اختلف فقهاء المسلمين فيها يجوز فيه التحكيم ومالا يجوز واختلفت آراؤهم.

1 - الدكتور محمد يوسف موسى ، الفقه الإسلامي مدخل لدراسة نظام المعاملات، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، 1958، ص 210 .

2- الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني ( توفي 1250 هجرية )، نيل الأوطار، شرح منتنقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، الجزء السابع، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ،ص 137 .  
 - أخرجه **ابن ماجه والحاكم** وصححه أبو الشيخ وعلقه أبو داود والترمذي ، ووقع في مرسل **حبيب بن أبي ثابت** ، كذا قال **الخطابي** وتبعه **البيهقي** والنووي وغيرهما.

**الرأي الأول:** يجوز التحكيم في جميع المنازعات سواء في الحدود أو القصاص في الأموال أو اللعان. ذهب الحنابلة إلى ذلك<sup>(1)</sup>. وقال به بعض الشافعية<sup>(2)</sup>. بحيث رأوا بجواز التحكيم في الحدود والقصاص والنكاح لأن من صح حكمه في مال صح في غيره، وهذا الرأي معتمد عند الحنابلة وقالوا: "أنه يصح أن يحكم الخصمان رجلاً يرتضيانه ليحكم بينهما في كل ما ينفذ فيه حكم القاضي"<sup>(3)</sup>.

**الرأي الثاني:** ويرى المالكية والشافعية والحنفية أنه لا يجوز التحكيم في الحدود واستدلوا على ذلك بما يلي:

1- الحدود حق من حقوق الله تعالى، وحقوق الله تعالى عندهم لا يجوز التحكيم فيها، والإمام هو المعين لاستيفائها، وحكم المحكم بمنزلة الصلح، والحدود لا يجوز فيها الصلح، وحقوق الله تعالى لا يجوز فيها التصالح وبالتالي لا يجوز فيها التحكيم<sup>(4)</sup>.

2- التحكيم تفويض، ولا يصح التفويض إلا فيما يملك المفوض فعله بنفسه كالتوكيل، فمن لا يملك بإقامة الحد على نفسه لا يملك تفويض إقامته على غيره، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه<sup>(5)</sup>.

3- حكم المحكم ليس بحجة على غير المحكمين، فكانت فيه شبهة والحدود لا تستوفي بالشبهات لقوله صلى الله عليه وسلم: "أدرعوا الحدود بالشبهات" فمنع التحكيم في الحدود معناه جواز التحكيم في حقوق العباد كالطلاق، والشفعة، والنفقة، والكفالة، والديون، والبيوع<sup>(6)</sup>.

**الرأي الثالث:** لا يجوز التحكيم في القصاص والنكاح واللعان، وهذا الرأي ذهب إليه بعض الحنفية<sup>(7)</sup>. والمالكية<sup>(1)</sup>.

1 - أبو محمد عبد الله بن أحمد محمد بن قدامة (توفي 650 هـ) المغني، مكتبة القاهرة، 1968، ص 484 .

2 - أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي الشيرازي (توفي 476 هـ) المهذب في فقه الإمام الشافعي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 291 .

3 - أبو محمد عبد الله بن أحمد محمد بن قدامة، المرجع السابق، ص 484 .

4 - الإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (توفي 743 هـ) تبيين الحقائق وشرح كنز الدقائق، الجزء الرابع، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1314 هـ، ص 193 .

5 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق، ص 62 .

6 - الإمام كمال الدين بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي (توفي 681 هـ) شرح فتح القدير، الجزء الخامس، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة سنة 1315 هـ، ص 499 - 500 .

- إدعوا الحدود بالشبهات: من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه الترمذي برقم 1424 والحاكم(384/4).

7 - عبد الله محمود بن مودود الموصلية الحنفي (توفي 683 هـ) الاختيار لتعليل المختار، الجزء الثاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975، ص 92 .

وبعض الشافعية واحتجوا على النحو التالي:

-حكم المحكم بمنزلة الصلح، والقاعدة عندهم بأنه لا يجوز التصالح أو التسامح أو التحكيم بحقوق الله، والقصاص اختلط به حق الله وحق العبد، وبالتالي لا يجوز استيفاءه لا بالصلح ولا بالتحكيم. وعلى هذا فالمذهب المالكي، يرى أن الطلاق واللعان والنسب يتعلق به حق الله ولا يجوز أن تبقى المطلقة في العصمة، واللعان بين الزوجين وتعلق به حق الولد في نفي النسب ولا يجوز للمحكم الفصل فيه (2).

ليس للمحكمين ولاية على دماءهم ولهذا لا يملكان الإباحة، والقاعدة عندهم إن ما يجوز فيه الصلح جاز فيه التحكيم والقصاص كالحدود لا يجوز فيها الصلح أو التنازل.

**الرأي الرابع:** يرى أن منع التحكيم في الحدود والقصاص فيه دلالة على جواز التحكيم في سائر المجتهديات أي الحقوق التي يجوز فيها الاجتهاد ومن حقوق العباد مثل الكفالة والبيع والشراء والشفعة والنفقة والديون. أما حقوق الله تعالى فلا يجوز فيها التحكيم كالحدود التي توجب حقا الله كحد السرقة وحد الشرب وحد الزنا فإن المتعين لاستيفاء هذه الحقوق هو الإمام أو نائبه (3).

والخلاصة أن فقهاء أقوال المسلمين اتفقوا على جواز التحكيم في الحقوق التي يملك الأفراد التصرف فيها كالحقوق الخالصة للمكلف كالبيع وغيرها، لأن حق المكلف شرع لمصلحته الخاصة وله الخيرة إن شاء استوفاه أو أسقطه فجاز التحكيم. ولا يجوز التحكيم في ما هو حق خالص لله تعالى كالحدود، كما لا يجوز التحكيم في ما اجتمع فيه حق الله وحق العبد، كالقصاص ولو كان يجوز التنازل عن القصاص والدية ولا يجوز فيه التحكيم (4).

1 - شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي (توفي 776 هـ) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الجزء الرابع، مطابع عيسى الحلبي، القاهرة ص 635.

2 - أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان الطرابلسي المصري المعروف بالحطاب (توفي 954 هـ)، مواهب الجليل شرح مختصر الخليل، الجزء السادس، مطبعة مكتبة النجاح، القاهرة 1329 هـ، ص 112.

3 - الشيخ محمد أحمد الخطيب الشربيني (توفي 977 هـ) المرجع السابق، ص 378.

4 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق، ص 65.

**الفرع الثاني: نطاق التحكيم في القانون الوضعي:**

تتفق أغلب التشريعات الوضعية على جواز التحكيم في بعض المنازعات، فالمنازعات التي يجوز فيها الصلح يجوز فيها التحكيم<sup>(1)</sup>. وعلى ذلك نظام التحكيم يقوم على مجموعة من العناصر، أهمها الإرادة وإقرار المشرع لهذه الإرادة. وبالتالي لا يجوز للأطراف الاتفاق على حل نزاع معين بواسطة التحكيم إذا كان هذا النزاع يتعلق بسيادة الدولة.

**ما لا يجوز فيه التحكيم:**

تكاد تجمع أنظمة القانون المقارن على أن المسائل التي لا يجوز فيها الصلح هي المسائل المتعلقة بالحالة الشخصية والجنسية والمتعلقة بالنظام العام<sup>(2)</sup>. ويجوز الصلح على المصالح المالية<sup>(3)</sup>. التي تترتب على الحالة الشخصية أو التي تنشأ عن ارتكاب أحد الجرائم<sup>(4)</sup>. وهكذا اعتبرت جميع المنازعات المتعلقة بالحالة والأهلية ومسائل الجنسية من النظام العام وبالتالي لا يجوز التحكيم فيها نظراً لتعلقها بالنظام العام.

ومن ثم فقد حرص المشرع الجزائري كغيره من التشريعات في الدول العربية على أن تخضع هذه المسائل لرقابة وإشراف السلطة العامة.

وسنعرض فيما يلي المنازعات المتعلقة بالنظام العام التي لا يجوز

التحكيم فيها :

1 - نصت المادة 1006 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري على أنه: " يمكن لكل شخص اللجوء إلى التحكيم في الحقوق التي له مطلق التصرف فيها. لا يجوز التحكيم في المسائل المتعلقة بالنظام العام أو حالة الأشخاص وأهليتهم ". كما نصت المادة 11 من قانون التحكيم المصري على أنه: " لا يجوز التحكيم في المسائل التي لا يجوز فيها الصلح ". كما نصت المادة 173 من قانون المرافعات الكويتي على أنه: " لا يجوز التحكيم في المسائل التي لا يجوز فيها الصلح " والمادة الثانية من نظام التحكيم السعودي رقم 46 الصادر بتاريخ 1403/3/12 هـ على أنه: " لا يقبل التحكيم في المسائل التي لا يجوز فيها الصلح " والمادة 507 من قانون أصول المحاكمات السوري رقم 84 لسنة 1953 والتي تنص على أنه: " لا يصح التحكيم في نزاع متعلق بالأحوال الشخصية أو بالجنسية أو بالمسائل التي لا يجوز فيها الصلح " .

2 - أورد الفقهاء المسلمون في باب الصلح أنه لا يجوز الصلح عن حد من الحدود، كحد الزنا وشرب الخمر، فلا يجوز أن يصلح شخص آخر على حد الزنا أو السرقة أو شرب الخمر على مبلغ من المال لكي لا يبلغ عنه الجهات المختصة، والصلح هو حق من حقوق الله سبحانه وتعالى يقع باطلاً ( علي حيدر، درر الحكام، شرح -مجلة الأحكام العدلية - الجزء الرابع ص 27 ) .

3 - د . محمود السيد التحيوي، الصلح والتحكيم في المواد المدنية والتجارية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2006، ص 146 .

4 - دكتور محمد فتح الله حسين، المرجع السابق 127 .

**1- مسائل الحالة والأهلية: تعد الحالة الشخصية للإنسان من**

النظام العام، وكذا الأهلية وبالتالي فلا تخضع للتحكيم<sup>(1)</sup>. المسائل الخاصة بالحالة الشخصية، كالبنوة والجنسية، والزواج، والطلاق، والوصاية، والقوامة، فلا يجوز لشخص أن يتفق مع آخر أن يحكما محكما على إثبات البنوة أو نفيها، أو على تغيير الجنسية، أو على تعديل أحكام الزواج والطلاق، والولاية، والوصاية، والقوامة. لأن كل هذه المسائل من النظام العام وبالتالي لا يجوز التحكيم فيها<sup>(2)</sup>.

كذلك الحال بالنسبة للأهلية فإنها من النظام العام فلا يجوز أن تكون محلا للتحكيم، وهذه الأحكام مقررة في التشريع الفرنسي باعتبارها من القواعد العامة ومنصوص عليها ضمن المادة 2060 من القانون المدني الفرنسي<sup>(3)</sup>.

أما المسائل المالية الناتجة على مسائل الأحوال الشخصية فيجوز التحكيم فيها، فيجوز للمطلقة أن تطلب التحكيم عن نفقة العدة، كما يجوز التحكيم على مبلغ النفقة المحكوم به. ويجوز التحكيم عن الحقوق المالية التي تترتب على الأهلية<sup>(4)</sup>.

1 - الحالة الشخصية للإنسان، تتمثل في حالة الشخص وأهليته وجنسيته وكونه وطنيا أو أجنبيا ذكرا أو أنثى أو ناقص الأهلية أو كاملها .

2 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي ، المرجع السابق ص 69 .

3 - المادة 260 من القانون المدني الفرنسي .

4 - الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، الجزء الخامس ، إحياء التراث العربي ، بيروت ص 556 .

## 2- مسائل الجنسية:

الجنسية هي رابطة بين الفرد والدولة فهي من روابط القانون العام ولذلك تنظم وفق قواعد عامة أمره لا يجوز للأفراد مخالفتها، وبالتالي لا يمكن أن تكون محلا للتحكيم.<sup>(1)</sup>

ومع ذلك يجوز التحكيم في مسائل مالية مترتبة على الجنسية كتعويض عن قرار إداري بشأنها مخالف للقانون.

## 3- التحكيم في المسائل الجنائية والحقوق المالية الناشئة عنها:

لا يمكن أن تكون الجرائم والعقوبات ونسبتها إلى شخص معين، أي المسؤولية عنها، محلا للتحكيم بين الفرد والنيابة العامة، ولا يؤثر التحكيم بين الجاني والمجني عليه على سير الدعوى الجنائية، لأنه من المقرر في الفقه الجنائي أن الدعوى الجنائية الناشئة عن ارتكاب الجريمة هي من حق المجتمع<sup>(2)</sup>. وبالتالي لا يجوز للمتهم التحكيم مع النيابة العامة في الجرائم أيا كان نوعها. غير أن بعض التشريعات الخاصة تجيز الصلح عن المخالفات في قوانين الجمارك والضرائب<sup>(3)</sup>. بحيث إذا أجريت المصالحة بعد التحكيم يحفظ الملف<sup>(4)</sup>. كما يجوز التحكيم بين الضحية والمتهم عن الدعوى المدنية الناشئة عن الجريمة، لأن الحق الناشيء عن هذه الدعوى هو حق الجاني وليس حق المجتمع<sup>(5)</sup>. وبالتالي يحق للضحية أن يطلب من المتهم أو يتنازل عن حقوقه أو يحكم فيها الغير، وتوجد بعض الجرائم علق المشرع فيها حق النيابة العامة في تحريك الدعوى العمومية على تقديم شكوى من المجني عليه كالقانون الجزائري، في جرائم القذف والسب والزنا والسرقة بين الأصول والفروع والأزواج<sup>(6)</sup>. وبعض الجرائم لا يحق للنيابة العامة أن تحرك الدعوى الجنائية بشأنها إلا بناء على شكوى أو طلب. ولا تملك النيابة العامة قبل الشكوى أو الطلب أن تتخذ أي إجراء من إجراءات التحقيق أو مباشرة الدعوى

1 - قانون الجنسية الجزائري الصادر بموجب الأمر رقم 86/70 بتاريخ 15/12/1970 المعدل والمتمم بالأمر 01/05 المؤرخ في 2005/02/27 .

2 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق ص 70 .

3 - د . يس محمد يحيى، عقد الصلح، دار الفكر العربي، القاهرة 1989 ص 425 .

4 - أجاز قانون الجمارك الجزائري إجراء الصلح بين المخالف وإدارة الجمارك .

5 - د . محمود هاشم، النظرية العامة للتحكيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990 ص 261 .

6 - تنص المادة 339 /4 من قانون العقوبات على أنه: " لا تتخذ الإجراءات إلا بناء شكوى الزوج المضرور، وإن صفح هذا الأخير يضع حدا للمتابعة .



أو جمع الاستدلالات وإلا كان تصرفها باطلا، وأن لا تمس شخص المتهم كالقبض عليه أو استجوابه أو تكليفه بالحضور أو تفتيش منزله<sup>(1)</sup>. وعلى هذا إذا حصل تحكيم بين الجاني والمجني عليه قبل تقديم الشكوى أو طلب فإنه يكون جائزا وتعطل الدعوى الجنائية في هذه الحالة، لأن القانون أجاز ذلك في بعض الحالات كالزنا، والسرقعة بين الأصول، كما لا يجوز التحكيم في المنازعات المتعلقة بأموال تمنع الأنظمة التعامل فيها كديون القمار، أو المراهنات والمنازعات الناشئة عن ممارسة الدعارة والمخدرات والأسلحة. بمعنى أن لا يكون محل التحكيم مخالفا للنظام العام والآداب العامة<sup>(2)</sup>.

#### 4- التحكيم في المنازعات المتعلقة بإجراءات التقاضي والتنفيذ

##### والمسائل المستعجلة:

التحكيم وسيلة قانونية لحل المنازعات وهو من الوسائل البديلة للنظام القضائي في الدولة. وعلى هذا فإن نظام التحكيم أحيط بضمانات لكي يكون وسيلة فعالة، ومن ضمنها السهر على تنفيذ حكم المحكمين من قبل جهات رسمية.

والتحكيم لا يجوز التوسع في تفسيره، وهكذا لا يجوز التحكيم في المسائل التي تثور أمام القضاء من إجراءات وخصومة ورد القضاء ومخاصمتهم<sup>(3)</sup>. باعتبار أن الإجراءات وضعت لخدمة العدالة، فلا يستطيع الأفراد الاتفاق على مخالفتها وفرض إجراءات غير تلك المقررة بالتشريع أو تعديل إجراءات غير تلك الواردة في القانون<sup>(4)</sup>. فالقوانين الإجرائية لها أهمية ووضعها المشرع ولا يجوز الاتفاق على مخالفتها، كما لا يجوز للقضاة التنازل عنها وتركها لمطلق تقديرهم لأنها تتعلق بالنظام العام وبالتالي لا يجوز التحكيم من أجل مخالفتها.

#### 5- لا يجوز التحكيم في المنازعات المتعلقة بالتنفيذ الجبري: وهذه

المنازعات تثور بصدد تنفيذ جبري، وتتعلق بتوافر الشروط اللازمة لإجرائه<sup>(5)</sup>. ومن هنا فمنازعات التنفيذ الجبري تتعلق بالتنفيذ جبرا وبالتالي فإن

1 - د. رؤوف عبيد، مبادئ الإجراءات الجنائية في القانون المصري، الطبعة الثانية، مطبعة النهضة مصر، 1956، ص 51.

2 - الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، المرجع السابق ص 203.

3 - نصت المادة 241 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري على أنه يجوز رد القضاة، كما نصت المادة 1016 من نفس القانون على رد المحكم.

4 - د. أحمد أبو الوفا، التحكيم الاختياري والإجباري، منشأة المعارف الإسكندرية، 1988، ص 80.

5 - د. أمينة النمر، أحكام التنفيذ الجبري وطرقه، الطبعة الثانية، الإسكندرية، 1971، ص 214.

الاختصاص بها متعلق بالنظام العام ولا يجوز رفع المنازعة إلى جهة أخرى، ومنها هيئات التحكيم<sup>(1)</sup>.

### الخاتمة:

عرفت المجتمعات القديمة التحكيم، ولا تستطيع المجتمعات الحديثة الاستغناء عنه، فقد عرفت المجتمعات العربية التحكيم قبل مجيء الإسلام فجعلوه وسيلة هامة لفض منازعاتهم فكانوا يلجأون إلى تحكيم الشخص الذي اشتهر بالفصاحة والبلاغة والعدل ولأن التحكيم كان الطريق الوحيد لحل المنازعات في تلك الفترة فقد اتسعت مهمة المحكم لتشمل كافة أنواع المنازعات.

وقد وجدنا أن الشريعة الإسلامية عرفت التحكيم ومشروعيتها في الكتاب والسنة والإجماع وليس هناك تعارضا بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية. بل إن التقنيات الوضعية هي تفسير لأحكام الشريعة الإسلامية وتقنين لمبادئها العامة في أن التحكيم يحقق منفعة للأفراد ويؤدي إلى الفصل في المنازعات بأسرع وقت ممكن.

والتفاصيل المدهشة، والتي تتطلب من الباحث أن ينطلق من وسط هذه الجنة الفيحاء ليقارنها بالتشريعات الوضعية.

و توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

### النتائج:

1- إن الشريعة الإسلامية هي مدرسة للتحكيم وقد سبقت القانون الوضعي في كثير من قواعد التحكيم، ووضعت له إطارا مميزا، يتمثل في تحديد صفات أطراف التحكيم بدقة.

2- تختلف قواعد التحكيم عن قواعد الوكالة في أحكام الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، كما تختلف قواعد التحكيم عن الخبرة.

3- اختلف فقهاء الشريعة الإسلامية في تحديد التحكيم وهو في أحسن الأحوال أدنى مرتبة من القضاء، بينما نظر إليه المالكية من أنه ولاية خاصة يجوز في أمور دون أمور. وبدا فقهاء الحنابلة أكثر قبولا لطبيعة التحكيم عندما ساووا بينه وبين القضاء، فجعلوا حكم المحكم بمرتبة حكم القضاء.

1 - د . فتحي والي ، التنفيذ الجبري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1987 ، ص 613 .

4- اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن نطاق مشروعية التحكيم يمتد إلى كل الخصومات التي هي حق للناس، بينما اتفق هؤلاء على عدم جواز التحكيم في كل ما هو حق لله من حدود وعبادات وأموال الزكاة وغيرها ما هو حق لله سبحانه تعالى.

5- التحكيم يشمل الكثير من المميزات التي تجذب المتخاصمين إليه نظراً لما يتميز به من سرعة الفصل في الخصومات، وبهذا يعد من الوسائل البديلة عن القضاء الرسمي.

6- التحكيم يشترط رضا الأطراف كنظام لحل خصوماتهم والرضا هو أهم مميزات التحكيم، كما أنه يمثل الركيزة الأساسية له.

7- أخذت الكثير من التقنيات بالنص في قواعد قوانينها الخاصة بالتحكيم على استبعاد المواضيع المتعلقة بالنظام العام خارج نطاق التحكيم، وهذا ما ذهبت إليه الشريعة الإسلامية بحيث اعتبرت حقوق الله تعالى كحدود الزنا والعبادات الخاصة خارج نطاق التحكيم.

#### التوصيات:

1- يوصي الباحث الهيئات والمؤسسات العربية الكبرى باللجوء إلى التحكيم لحل النزاعات التي تنشأ بينهم وذلك باللجوء إلى مراكز التحكيم في الدول العربية بدلاً من الدول الأجنبية، وأن تعمل هذه المراكز على التعريف بالتحكيم ومزاياه وما يحققه من جهد ومال.

2- إن التحكيم علم قائم بذاته، غير أنه غير معروف بين طلبة الكليات وعلى هذا الأساس فإني أوصي بعقد ندوات تتعلق بكيفية تدريسه في كليات الحقوق وكليات علم الاقتصاد والعمل على تطوير مناهج البحث العلمي لمسايرة التطور، كما اقترح أن يدرس التحكيم كمادة ضمن مناهج الدراسة بالجامعات العربية.

وفي ختام هذه الدراسة أود أن أكون قد وقفت بالتعرض إلى مفهوم التحكيم وتمييزه عن غيره من الأنظمة المشابهة له والنطاق الذي يمتد إليه آملاً أن تتخذ منه أساس لتطوير نظمنا القانونية استجابة لتطورات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتقنية، وخاصة وأن هذا العصر أصبح يتميز بالسرعة ودخل فيه التحكيم الإلكتروني كوسيلة سريعة تفصل في

المنازعات التي تقوم بين المتعاملين؛ وهذا ليس بغريب عن الشريعة الإسلامية لأنها صالحة لكل زمان ومكان وحكمتها تحقيق العدالة .

وعلى الله قصد السبيل وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

قائمة المراجع

I/القرآن الكريم.

II/الكتب الفقهية الإسلامية.

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الأول، دار صادر،

بيروت.

2 - ابن منظور، لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والنشر، القاهرة .

3 -ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، دار

الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، الجزء السابع، القاهرة.

4-أبو محمد عبد الله بن أحمد محمد بن قدامة المغني ( توفي

650 هـ ) ، مكتبة القاهرة، 1968.

5 - أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي الشيرازي

( توفي 476 هـ ) المهذب في فقه الإمام الشافعي ، مطبعة عيسى الحلبي ،

القاهرة، بدون تاريخ.

6- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان الطرابلسي

المصري المعروف بالحطاب ( توفي 954 هـ)، مواهب الجليل شرح مختصر

الخليل، الجزء السادس، مطبعة مكتبة النجاح، القاهرة 1329 هـ.

7 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح

البخاري، المطبعة السلفية، 1390 هـ .

8- الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)،

صحيح البخاري، الجزء الأو. الطبعة الثانية 1423 هـ، دار الكتب العلمية -

بيروت.

9 - الإمام كمال الدين بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام

الحنفي ( توفي 681 هـ ) شرح فتح القدير، الجزء الخامس، المطبعة الأميرية

الكبرى ، القاهرة سنة 1315 هـ .

- 10- الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني ( توفي 1250 هجرية )، نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، الجزء السابع، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة. الحافظ عماد الدين دمشقي، المرجع السابق، تفسير القرآن الكريم، المجلد الأول.
- 11- الإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ( توفي 743 هـ ) تبين الحقائق وشرح كنز الدقائق، الجزء الرابع، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1314 هـ .
- 12 - الحافظ عماد الدين دمشقي، ( المتوفي 774 هـ ) تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، مؤسسة الريان، بيروت، 1996.
- 13 - الشيخ محمد أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ( توفي 977 هـ ) الجزء الرابع، المطبعة الكبرى القاهرة 1374 هـ - 1955 م.
- 14- بن نجيم الحنفي، البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، الجزء السابع، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- 15- محمد علا الدين الحصكفي الدر المختار بحاشية رد المختار ، طبعة محمد علي صبيح، 428/5.
- 16 - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ( توفي 261 هـ ) الجزء الخامس، مطبعة السعادة ، القاهرة 1327 هـ.
- 17- عبد الله محمود بن مودود الموصلي الحنفي ( توفي 683 هـ ) الاختيار لتعليل المختار، الجزء الثاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975 .
- 18 - شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي ( توفي 776 هـ ) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الجزء الرابع، مطابع عيسى الحلبي، القاهرة.

**III الكتب القانونية**

- 1- الدكتور إبراهيم أحمد إبراهيم، التحكيم الدولي الخاص، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000.
- 2- الدكتور أحمد أبو الوفا: - عقد التحكيم وإجراءاته، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1974.
- التحكيم الاختياري والإجباري، منشأة المعارف الإسكندرية، 1988.
- 3- الدكتور أحمد عبد الكريم سلامة، قانون التحكيم التجاري الدولي والداخلي تنظيم وتطبيق مقارن، بدون ناشر، 2003.
- 4- الدكتور أحمد سعيد المومني، التحكيم في التشريع الأردني و المقارن، الجزء الأول، مطبعة التوفيق الطبعة الأولى، عمان، 1983.
- 5- الدكتورة أمينة النمر، أحكام التنفيذ الجبري وطرقه، الطبعة الثانية، الإسكندرية، 1971.
- 6- الدكتور إسماعيل الأسطل، التحكيم في الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق سنة 1986.
- 7- الدكتور ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود و آخرين، الجزء الأول، جامعة الدول العربية.
- 8 - الدكتور يس محمد يحي، عقد الصلح، دار الفكر العربي، القاهرة 1989.
- 9- الدكتور مهند أحمد الصانوري، دور المحكم في خصومة التحكيم الدولي الخاص، دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى - عمان 2005.
- 10- الدكتور محمد يوسف موسى، الفقه الإسلامي مدخل لدراسة نظام المعاملات، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، 1958.
- 11 - الدكتور محمد بن ناصر البجاد، التحكيم في المملكة العربية السعودية، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1420 هـ .
- 12- الدكتور محمد فتح الله حسين، شرح قانون التحكيم والتحكيم الإداري، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، مصر، 2005.

- 13- الدكتور محمود السيد التحيوي، الصلح والتحكيم في المواد المدنية والتجارية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية، 2006.
- 14-الدكتور محمود هاشم ، النظرية العامة للتحكيم، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1990.
- 15 - الدكتو محمود علي السرطاوي، التحكيم في الشريعة الإسلامية، دار الفكر، الطبعة الأولى، عمان، 2007.
- 16-الدكتور منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بدون تاريخ.
- 17 - الدكتور مصطفى محمد الجمال، د. عكاشة محمد عبد العال ، التحكيم في العلاقات الخاصة الدولية والداخلية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1998.
- 18 - الدكتور مختار بريري، التحكيم التجاري الدولي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، 1999.
- 19-الدكتور نجيب أحمد عبد الله ثابت الجبلي، التحكيم في القوانين العربية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2006.
- 20-الدكتور سليم رستم باز، شرح المجلة، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1350 هـ
- 21- الدكتور عبد الحميد الشواربي، التحكيم والتصالح في ضوء الفقه والقضاء، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.
- 22- الدكتور عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الخامس، إحياء التراث العربي، بيروت.
- 23- الدكتور عزمي عبد الفتاح، قواعد التنفيذ الجبري في قانون المرافعات، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984.
- 24 - الدكتور فاطمة محمد العوا، عقد التحكيم في الشريعة والقانون، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت 2002 .
- 25- الدكتور فتحي والي، التنفيذ الجبري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987.

26- الدكتور قحطان بن عبد الرحمن الدوري، عقد التحكيم في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي، الطبعة الأولى، مطبعة الخلود، بغداد، 1985.

27- الدكتور رؤوف عبيد، مبادئ الإجراءات الجنائية في القانون المصري، الطبعة الثانية، مطبعة النهضة مصر، 1956.

28-الدكتور خالد ممدوح إبراهيم، التحكيم الإلكتروني في عقود التجارة الدولية، دار الفكر الجامعي الإسكندرية، 2008.

29- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، الطبعة الأولى، 2004.

#### IV/القوانين

1-قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري

2- قانون العقوبات الجزائري.

3-القانون المدني الجزائري

4- القانون المدني المصري.

5-القانون المدني الفرنسي.

#### V/المقالات والبحوث:

- 1- الدكتور محمد أبو العينين، بحث بعنوان المبادئ القانونية التي يقوم عليها التحكيم في الدول العربية والإفريقية التي تبنت اليونسترال النموذجي للتحكيم، مجلة التحكيم العربي العدد الأول، 1999.
- 2- تمييز حقوق رقم 1774/94، مجلة النقابة، السنة الثالثة والأربعون، العدد السابع والثامن لعام 1955.

#### VI/مواقع الأنترنت

- 1 - التحكيم تولية وتقليد من طرفي الخصومة، مقال منشور على الانترنت : <http://www.azzahalakhder.com>
- 2 - جوريسبيديا، الموسوعة الحرة، تاريخ التحكيم، منشور على الموقع: <http://WWW.Alassy.net/News>
- 3- زيد بن عبد الكريم الزيد، مشروعية التحكيم في الفقه الإسلامي مقال منشور على الموقع:

<http://www.barasy.com/forum/showthread.php?t=8385>



4- مصطفى عطية، وضع التحكيم في التشريع الإسلامي، منشور

على الموقع: <http://WWW.Alassy.net/News>

محور التاريخ وعلم الاجتماع

## الدين، التاريخ، الثقافة: أي علاقة؟

### نحو مقارنة سوسولوجية للمعطي الجزائري.

د. خواجه عبد العزيز

أ. داود عمر

المركز الجامعي غرداية

#### الملخص:

يشكل موضوع الهوية الثقافية محور اهتمام العديد من التخصصات العلمية والفلسفية وحتى السياسية منها، منذ أن بات زخم الحديث يشتد عن الثقافة العالمية التي تتجه نحو تعميم نموذجها. يتمتع المجتمع الجزائري بخاصية التنوع والتعدد الثقافي، ويضم فسيفساء ثقافية بين أحضانه، مشكلة هوية ثقافية مشتركة، ظهرت بصورة واضحة حينما تعرضت للتناقف "العنيف" إبان الاحتلال الفرنسي، ما حول العناصر الثقافية الأصلية للجزائريين، والمتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية والأمازيغية والتاريخ المشترك والعادات والتقاليد، إلى رموز استقطبت الاتجاهات الثورية.

غير أن تناول هذه المقومات تميز بمقاربات مختلفة -والتي سنتناولها في هذا البحث- تعكس وجهات نظر متعددة، ومتضاربة أحياناً، وتُشَمَّ في بعضها رائحة التأثير الإيديولوجي، وما من شك أن تأثير هذه المقاربات لا يزال واضح المعالم إلى يومنا هذا على الفرد الجزائري، والدليل على ذلك ما شهدته الجزائر من أحداث مرتبطة بمقومات الهوية الثقافية الجزائرية بصفة عامة منذ الاستقلال. ولا تزال بعض المسائل المتعلقة بمقومات الهوية الوطنية محل نقاش واسع سواء في أوساط الأنتلجنسيا الجزائرية أو في الأوساط السياسية والعامية، منها على وجه الخصوص: مسألة التعريب، والمسألة الأمازيغية، ومسألة التطبيقات السياسية للإسلام.

#### الكلمات المفتاحية:

الجزائر، الهوية الثقافية، الدين، اللغة، العربية، الأمازيغية، العادات

والتقاليد.

**"Abstract:**

The issue of Cultural Identity has been a focus of interest for many scientific, philosophical, and even political disciplines since the intensity of talks about The Global Culture, heading towards generalization of its model, started rising to high momentums. The Algerian society enjoys cultural diversity and plurality, and embraces a mosaic culture that yields one common cultural identity which emerged clearly when it was subjected to "violent" acculturation during the French occupation, something that transformed the Islamic religion, the Arabic and Berber languages, common history and common customs and traditions, as the Algerians' original elements of culture, to symbols that attracted revolutionary trends .

However, these essential elements have been dealt with through a variety of approaches -as we will discuss in this research- reflecting various and sometimes conflicting views, some of which betraying ideological influence. There is no doubt that the influence of these approaches is still very visible to this date on the Algerian individual, evidence of which is present in the events related in general to the elements of the Algerian cultural identity, which Algeria has experienced since the independence. Some issues related to the elements of national identity are still widely discussed as much amongst the Algerian intelligentsia as amongst the political or public circles, more in particular the issues of Arabisation, Berber language and Political applications of Islam.

Key words: Algeria, cultural identity, religion, language, Arabic , Berber language, customs and traditions"

**مقدمة:**

قدرة الإنسان على إنتاج الثقافة، خاصية تميزه عن باقي المخلوقات، فالدين الممارس، واللغة المستخدمة، والعادات والتقاليد، والأفكار والقيم والمثل التي يشترك فيها أفراد المجتمع، تستقر في "أعماق" وعيهم الجمعي، فينقلها المجتمع جيلاً بعد جيل، مكونةً بذلك هويتهم الثقافية.

يشكل موضوع الهوية الثقافية محور اهتمام العديد من التخصصات العلمية والفلسفية وحتى السياسية منها، خاصة في الحقول المعرفية الإنسانية كالأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس؛ إذ أنّ الاشتغال بشأن ماهية الإنسان قد احتل مكانة مرموقة في أفكار الفلاسفة خلال قرون عدّة، وأصبح هذا المفهوم حالياً موضوعاً استراتيجياً، كما تتبأ بذلك "إيريك إريكسون" E.Ericksson في سنوات الستينيات، لاسيما تحت وطأة ما يشهده العالم المعاصر من حراك كبير للجماعات الاجتماعية، ناهيك عن التطور السريع

لتكنولوجية الإعلام والاتصال، وما نتج عنها من تداخل في السمات والأنماط الثقافية المختلفة، ما جعل إشكالية الهوية الثقافية تُطرح بحدّة على أصعدة جمّة، منذ أن بات زخم الحديث يشتدّ عن الثقافة العالمية التي تتّجه نحو تعميم نموذجها.

والمجتمع الجزائري لا يعيش بمعزلٍ عن العالم، فهو يتمتّع بخاصية التّوَع والتعدّد الثقافيّين، ويضمّ فسيفساء ثقافية بين أحضانه، انصهرت في بوتقة الدين الإسلاميّ مشكلةً هويةً ثقافيةً مشتركةً، ظهرت بصورة واضحة حينما تعرضت للتثاقف "العنيف" إبّان الاحتلال الفرنسي، الذي عمل على محاولة طمس خصوصيات الفرد الجزائري، بالاستيلاء على أراضيه، وتعطيل العمل بالتشريع الإسلامي، وتشجيع الحملات التبشيرية الواسعة، ناهيك عن تغيير نظامه التعليمي، ومحاولة إحياء التاريخ الروماني وتمجيده بغيّة "تشويه" تاريخه الأصلي، وغير ذلك من الممارسات الثقافية.

لقد عاش حينها المجتمع الجزائري وضعية "تثاقف" هدّدت هويّته الثقافية، فالقنّة المسيطرة حاولت فرض عناصرها الثقافية باستخدام أساليب القهر، ما حوّل العناصر الثقافية الأصلية للجزائريين، والمتمثّلة في الدين الإسلامي واللغة العربية والأمازيغية والتاريخ المشترك والعادات والتقاليد، إلى رموز استقطبت الاتجاهات الثورية، فالمقاربات الثقافية عمومًا تعتقد بأن العدوان الثقافي من شأنه أن يستنهض كلّ أشكال المقاومة الممكنة.

ولقد أدرك "المحتلّ" أهمية التعليم في تنقيف الهوية الجزائرية، وترسيخ سماته، وأنماطه لدى المتعلّمين، فجعل ينتهج سياسة تعليمية واضحة المعالم منذ أن وطأت قدماه أرض الجزائر، تهدف إلى إدماجه بالعنصر الفرنسي قصد فرض هيمنته الثقافية، متخذاً وسيلتي "الفرنسة"، و"التتصير".

تجلّت وسيلة "الفرنسة" في محاولة إحلال اللغة الفرنسية، والثقافة الأوروبية محلّ اللغتين العربية والأمازيغية، والثقافة الجزائرية، فلم تقتصر على النظام التعليمي في مختلف مراحلها فحسب، بل شملت كلّ مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية، والإدارية، عملاً بتوصيات الكثير من العسكريين الذين تداولوا على السلطة منذ بداية الاحتلال، منهم: الدوق "دو روفيقو" De

le duc Rovigo الذي صرّح سنة 1832م، بما يلي: «أرى أنّ نشر لغتنا هي الوسيلة الأكثر فعالية لفرض سيطرتنا الثقافية على هذا البلد.»<sup>1</sup>  
أمّا وسيلة التنصير فقد ظهرت بشكل علني بعد تصريح الكثير من المستعمرين أنفسهم بذلك، فعلى سبيل المثال عبّر وزير الحربية "كليمون تونير" Tonner للملك شارل العاشر، عن آماله في تنصير الجزائريين بما يلي: «يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدّن الأهالي ونجعلهم مسيحيين»<sup>2</sup>.

وقد اتضحت آثار الطابع الديني الذي اكتسبه هذه الحملة بالسماح لنشاط الآباء البيض، عن طريق الإرساليات التبشيرية التي بدأت تصل الجزائر بعد احتلالها، وتنتشر تدريجياً في بعض المناطق، متجنباً القيام بالتبشير بطريقة مكشوفة، فانكبت الإرساليات على "العمل الخيري" كفتح المستوصفات لمعالجة المرضى، والملاجئ للأطفال الأيتام، والمراكز الثقافية التعليمية لتدريس "الأهالي"، إلا أنّ الآباء البيض وجدوا صعوبات كثيرة بادئ الأمر لنخوف السكان منهم، ونفورهم عنهم، إذ بقيت بعض المدارس خالية من الأطفال مدة زمنية طويلة<sup>3</sup>.

### أولاً: الهوية الثقافية ومقوماتها

إنّ الدارس لمفهوم الهوية يجد حضوراً قوياً للجانب الثقافي الذي يفسّر مقومات الهوية وأبعادها، فالهوية والثقافة عنصران غير منفصلين عن بعضهما البعض، فالواقع أنهما متفاعلان تفاعلاً تاماً؛ فإنّ ما يُسمى بالهوية الثقافية، إنّما هي نتاج للمقومات الثقافية وآثارها، كما أنّ الثقافة نتاج نشاط الأفراد وحصيلة تفاعلهم مع بعضهم البعض من جهة، وتفاعلهم مع بيئتهم من جهة أخرى، ومن ثمّ تتضح أهمية الثقافة والهوية كمفهومين متلازمين من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، إذ بهما تتبلور وتُصاغ الهوية الاجتماعية للأفراد الذين يعيشون ويمارسون أنماطهم.

<sup>1</sup> – Yvonne Turin, *Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles, médecine, religion 1830-1880*, ENAL, Alger, 1983, p 40.

<sup>2</sup> – خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، الجزائر، 1977، ص 17-18.

<sup>3</sup> – Anthony Philipe, *mission des pères blancs en Tunisie, Algérie, Kabylie*, paris, 1923, p 39

**1- تعريف الهوية الثقافية وتعددها:**

الهوية الثقافية صورة تكونها جماعة ما عن نفسها، و يستبطنها أفرادها بإدماج التشابهات الدالة على الانتماء، وإظهار خصوصيات تميزهم عن باقي الجماعات في «حركات انخراط (adhésion) للداخل، وحركات تأكيد الاختلاف نحو الخارج»<sup>1</sup>.

ويرتبط مفهوم الثقافة ارتباطاً وثيقاً بمجتمع معين ومحدد الهوية<sup>2</sup>، فمسألة الهويات الجماعية في غالب الأحوال مردودة إلى بعدها الثقافي، والهوية الثقافية هي أكثر الهويات استقراراً وجموداً<sup>3</sup>.

يعتبر إيريك إريكسون E.Erikson من الأوائل في استعمال هذا المفهوم منذ سنوات الخمسينيات ضمن العديد من أعماله التي اهتمت بالمشاكل الناجمة عن الهجرة والاختلاط الثقافي، ثم أخذ المفهوم في الاتساع والرواج بعد ذلك، وطالما أنّ الهوية الثقافية نتاج البناء الاجتماعي، فإنها تكتسب طابع التعقيد، فإذا أردنا اختزال الهوية الثقافية في بُعد واحد، فهذا يعني أننا لا نأبه بتنوع المجموعة الاجتماعية وتفاعلها فيما بينها، لذا لا يمكن للأفراد والجماعات أن يكونوا حبيسي هوية ثقافية ثابتة ومحصورة في قالب واحد.

إذا شئنا اعتبار الهوية الثقافية بمثابة كتلة واحدة، فإنّ هذا ينفي ظهور الهوية "المختلطة الشائعة"، فبعض شباب المهجر مثلاً يحملون هوية مختلطة، ويتبنون خطاباً يشيد بمنزل هذه الهويات باعتبارها إغناءً للهوية الأصلية، في حين يرى فريق آخر أنّ هؤلاء الشباب يحملون هويتين تتواجهان فيما بينهما، فيشعر حاملهما بالتمزق، وهو الأمر الذي يفسر "تذمر واضطراب" هؤلاء الشباب، وعدم استقرارهم النفسي والاجتماعي.

إنّ التصوّر الإقصائي الواضح يعود إلى عدم القدرة على التفكير في الاختلاط الثقافي، كما يمكننا تفسير ذلك بالخوف من الولاء المزدوج لهويتين مختلفتين أو أكثر، والواقع أنّ الفرد يصنع ويشكل هويته انطلاقاً من

<sup>1</sup> - Tap pierre, *Identités collectives et changements sociaux*, Privat, Toulouse, 1985, p 480.

<sup>2</sup> - عبد الغاني عماد، سوسولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص35.

<sup>3</sup> - عظمة عزيز وآخرون، الهوية: من أجل حوار بين الثقافات، تر:قنيني عبد القادر، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2005، ص156.

انتماءاته الاجتماعية، كالجنس، والعمر، والطبقة الاجتماعية، والجماعة الثقافية... الخ، من خلال إجراء عملية تركيب ذكية بين مختلف الانتماءات والتصورات، فإن تأثر بهويّة ثقافية مختلفة، واستبطن بعض سماتها، فإنه سيحصل بذلك على "هويّة تلفيقية"، بمعنى أنّه يحمل هويّة ثقافية ذات هندسة مركبة ومتغيرة باستمرار<sup>1</sup>، حتى أنّ الفرد يُعرّف نفسه تبعاً لأبعاد المجموعة التي يرجع إليها، فعلى سبيل المثال، قد يُعرّف الفرد ذاته بأنه "مزابي" أو جزائري أو عربي أو إفريقي أو مسلم... مع أنه يجمل جميع هذه الخصوصيات، ويمكننا القول أنّ الهويّات الثقافية تتداخل الواحدة منها في الأخرى، مُشكّلةً أبعاداً متوافقة فيما بينها، فتعدد تلك الأبعاد لا يُفقد الهويّة الثقافية انسجامها ولا وحدتها<sup>2</sup>.

و اللجوء إلى استعمال مفهوم "الهويّة التلفيقية" يندرج ضمن جهود تصنيف الهويّات الثقافية للمجتمعات، إلّا أنّ استعمال المفهوم "السليبي" لهويّة ثقافية ما، يُقلل من شأن بعض الجماعات من الناحية الاجتماعية، لاسيما السكان المنحدرين من الهجرة، فيلجأ من يرغب في ردّ الاعتبار لهذه الجماعات إلى بناء خطاب يشيد فيه بالهويّة "التلفيقية" باعتبارها تُغني وتُثري ثقافة وهويّة الجماعة الحاملة لها، فمهما كان التصرّو إيجابياً أم سلبياً فإنّ الهجرات العالمية والاحتكاك بين الشعوب ضاعف من مظاهر "التناقف"، وأنتج انتشاراً للهويّات "التلفيقية". وبرغم تميز الهويّة الثقافية بالمرونة والدينامكية، إلّا أنّها تتخذ من أجل الحفاظ على نفسها مجموعة من الاستراتيجيات<sup>3</sup>.

## 2 - استراتيجيات الهويّة الثقافية:

منذ مطلع الثمانينيات بدأت النظريات تتوجّه نحو دراسة السياقات النفسية الاجتماعية للهويّة في وضعيات معينة، وهو ما جعل الباحثون يتحدثون عن الاستراتيجيات الهويّية (Les stratégies identitaires) واضطراباتهما بدل الحديث عن الهويّة، وأضحى تطوّر الدراسات الخاصة بالهويّة يتمّ بشكل مواز مع دراسة سياقات التغيّر الاجتماعي<sup>4</sup>، فشهدت هذه

<sup>1</sup> - Denis couche, *La notion de la culture dans les sciences sociales*, édition Casbah, Alger, 1999, p93.

<sup>2</sup> - Ibid, p95.

<sup>3</sup> - Grawitz madleine, *Méthodes des sciences sociales*, 11ème édition Dalloz, paris, 2001, p212.

<sup>4</sup> - Taalbi B, *l'identité au maghreb*, édition Casbah, Alger, 2000, p19.



الدراسات رواجًا كبيرًا، لاسيما في الآونة الأخيرة مع عودة الاهتمام بالأقليات، والثقافات المحلية، تحت وطأة ما شهده العالم من تغيرات في نهاية القرن العشرين. ومع بداية الألفية الثالثة أصبح زخم الحديث عن الهوية يزداد تزامناً مع اشتداد الحديث عن العولمة<sup>1</sup>.

وبما أنّ الهوية الثقافية للمجتمع تتميز بطابعها المتقلب الذي يضيف عليها نوعاً من المرونة بسبب وضعيات الثقافة، يلجأ الأفراد والجماعات بصفة لاواعية إلى استعمال استراتيجيات تُعرّف بأنها «أساليب يوظفها الأفراد والجماعات بصفة شعورية أو لاشعورية لتحقيق غاية ما، وهي أساليب تتوقف على وضعية التفاعل، أي وفقاً لمختلف المحددات الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، والنفسية لهذه الوضعية»<sup>2</sup>.

ولفظ استراتيجية يعني مجموعة من العمليات والمناورات المنسقة التي تهدف إلى الانسجام الثقافي وتفادي حالات الصراع، فيلجأ بعض المفكرين إلى استخدامه للإشارة إلى البعد المتغير للهوية طالما أنّها تشكل رهاناً لصراعات التصنيف الاجتماعي الهادفة إلى إعادة إنتاج علاقات السيطرة أو قلب موازينها، لذا فالهوية الثقافية التي تعيش في وضعية صراع تتشكّل من خلال استراتيجيات الممثلين الاجتماعيين<sup>3</sup>.

ولا يعني هذا أنّ هؤلاء الممثلين الاجتماعيين يتمتعون بحرية كاملة في تحديد هويتهم الثقافية بما يتفق مع مصالحهم المادية والرمزية، بل يستعملون استراتيجيات تأخذ بعين الاعتبار الحالة الاجتماعية، وعلاقات القوة القائمة بين الجماعات ومناورات الآخرين، فلا يمكن للأفراد والجماعات فعل ما يحلو لهم فيما يتعلّق بهويتهم الثقافية؛ لأنها عبارة عن حلّ وسط، فهي نتاج تفاوض بين هوية ذاتية تتحدّد بذاتها، وهوية خارجية يُحددها الآخرون، كما أنّ ذلك لا يعني وعي الأفراد والجماعات وعياً كاملاً بالغايات التي يسعون إليها، ما يجعل الهويات تختفي حيناً وتظهر أحياناً أخرى.

وبشكل عام يمكن لمفهوم الإستراتيجية أن يفسر ظواهر الاختفاء المؤقت لهويات ثقافية ثمّ ظهورها من جديد، ما دفع بعض المفكرين لتسميتها

<sup>1</sup> - سعيد إسماعيل علي، الهوية والتعليم، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2005، ص12.

<sup>2</sup> - Lipiansky, *identité et communication*, PUF, Paris, 1992, p24.

<sup>3</sup> - Couche, Op.cit, p97.

بظاهرة "سبات واستيقاظ الهويات"<sup>1</sup>، فالهوية تبنى وتُفكك ويُعاد بناؤها تبعاً للحالات الإستراتيجية.

### 3- الهوية الثقافية و التثاقف:

تُعتبر الهوية الثقافية أكثر الهويات تحجراً، وأحياناً يؤول الدفاع عن الثقافة إلى انغلاقها داخل مجال ما، إلا أنها ليست بالكيان المغلق الذي لا يمكن أن يؤثر ويتأثر، بل بالعكس من ذلك فالهويات الثقافية دائمة التداول في قنوات من التواصل<sup>2</sup>، إلا أن العلاقات التي تستمر فترة طويلة بين المجموعات الثقافية المختلفة، لا تؤدي بالضرورة إلى التثاقف، بل أحياناً تنتظم هذه العلاقات بشكل تحافظ معه على الاختلاف الثقافي، وأحياناً أخرى إلى تعميق الاختلاف عن طريق الدفاع الرمزي عن حدود الهوية الثقافية، كما حصل للجزائريين إبّان الاحتلال الفرنسي، كما يمكن أن تقود المطالبات بالهوية الثقافية "الأصلية" إلى أشكال من الإنكار الجذري لقيم جماعات إنسانية أخرى، ونستشهد بذلك بالحركات العنصرية العالمية، التي تكره الأجانب وتدعو إلى الدفاع والمحافظة على هويتها "الأصلية".

ومن المؤكّد أنّ صراعات عديدة يشهدها العالم اليوم ترقى إلى ماضيٍ سحيق، إذ يمكن أن تؤول بالنظر إلى الماضي كما لو كانت صراعات من أجل الاعتراف بالهوية الثقافية، فبعض هذه الصراعات تهدف إلى نُصرة الحقيقة الدينية في حال الحروب. وحتى تكون الهوية الثقافية شيئاً محدّداً يمكن المطالبة به، ينبغي أن تصبح مُشكلة، كما أشار إلى ذلك سارتر Sartre بقوله: «ليس اليهودي هو الذي يخلق النزعة المعادية للسامية، وإنما النزعة المعادية للسامية هي التي تخلق اليهودي»<sup>3</sup>.

وقد تتعرّض الهوية الثقافية للأفراد والمجتمعات لوضعيّات التثاقف بفعل العوامل الاجتماعية والثقافية، التي تُخلّ بشعور الانتماء لدى الأفراد، فيسعى هؤلاء لتجاوز الوضعية بتوظيف استراتيجيات متنوعة حسب طبيعة الوضعية، ويشير كاميليري Camilleri إلى أنّ التحديين الكبيرين اللذان يواجهان الأفراد في هذه الوضعية هما: إصابات وحدة الدلالة (unité de

<sup>1</sup> - Ibid, p99.

<sup>2</sup> - عظمة عزيز وآخرون، مرجع سابق، ص157.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص145.

(sens) من جهة وتعرض القيمة التي يسندون عليها للخطر من جهة أخرى. فنتج عن هذا الوضع مواقف متباينة، منها:

- الهوية الثقافية السلبية: وذلك بتبني هوية الطرف المسيطر.
- الهوية الثقافية السلبية المحولة: وذلك بنزول كلي للهوية الأصلية وإنكارها، والبحث عن هوية بديلة غير هوية الطرف المسيطر.
- الهوية الثقافية المعترفة: وذلك بالاعتراف بالاختلاف الثقافي دون تقبل التقدير السلبي للذات.

- الهوية البسيطة: وذلك باستيعاب بعض عناصر الثقافة واستبعاد العناصر الأخرى مع استبطان العناصر الأصلية والتنميين المفرط للوظيفة المعنوية، ويهدف هذا الانسجام إلى إظهار التكيف مع الوسط بالتعاقب على الموقفين.

- الهوية المركبة: ويقوم على بناء متوازن بين مختلف العناصر بشكل يحفظ وظيفة الهوية، من أجل إبعاد الصراع، بحيث يأخذ الأفراد ما يفيدهم من عناصر ويتم استبعاد العناصر الأخرى المتبقية، بعد بذل الجهد للربط بين العناصر المتصارعة، فنستبطن بعض العناصر الدخيلة، ويتم بذلك تشكيل الهوية المركبة<sup>1</sup>.

#### 4- مقومات الهوية الثقافية:

ترتكز الهوية الثقافية للمجتمعات على مقومات أساسية، تضمن لها إيجاد نوع من التجانس والانسجام الفكري والعاطفي بين أفراد المجتمع الواحد، فتجعل منهم أفراداً شبه متشابهين في التفكير والسلوك، فتكون بمثابة المؤشر لعمليات التعرف والتفرقة والمقارنة بين الأنساق الاجتماعية المختلفة، إلا أن عمق تأثير هذه المقومات على الفاعلين الاجتماعيين يختلف حسب طبيعة البناء الاجتماعي وتركيبه وصيرورته التاريخية، إذ يتم الرجوع إليها في حالة الأزمات المختلفة كشكل من أشكال التعبير الثقافي المشترك، فالشعوب التي تفتقد إلى مقومات أساسية لهويتها كثيراً ما تعاني من الصراعات المختلفة كالصراعات العرقية، فالمستعمر مثلاً غذى هذه الصراعات بتحريك النزعات العرقية في إفريقيا وفي غيرها من القارات ليحكم سيطرته عليها، وبما أن

<sup>1</sup> - Camilleri-C, *La culture et l'identité : concepts et enjeux pratiques de l'interculturels*, L'harmattan, Paris, 1989, p111-114.

الثقافة تمثل نسفاً كلياً شاملاً غير قابلٍ للتجزئة تتفاعل ضمنه كلُّ المؤسسات الاجتماعية التي ترسي قواعد الاندماج والانسجام في المجتمع. إنَّ الدين، واللغة، والعادات والتقاليد، والتاريخ المشترك، باعتبارهم المقومات الأساسية للهوية الثقافية، شديدة الارتباط فيما بينها إذ أنَّ قوّة أو ضعف تأثير إحداها على الأفراد ينعكس مباشرة على فعالية المقومات الأخرى، إلّا أنّها تبقى كلّها مجتمعةً تمثل المرجعية الحقيقية للهوية الثقافية للأفراد والمجتمعات على حدٍ سواء، إذ تُعزز مواقع الأفراد في شبكة العلاقات داخل المجتمع وتمدّه بشعورٍ داخلي يدرك من خلاله ماهيته، كما ترسم خصوصيات المجتمع المنتسب له وتحدّد معالمه الأساسية التي تميزه عن سائر المجتمعات الأخرى.

#### أ- الدين:

ورد في قاموس "لسان العرب" أنّ «الدين: هو الذلُّ، ودانته ديناً: أي أدلّه واستعبده، دان نفسه أي أدلّها واستعبدها، والمدين: العبد»<sup>1</sup>، أمّا الكلمة باللغة الفرنسية "Religion" فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Religens التي تشير إلى الإيمان بوجود قوة مُسيطرّة<sup>2</sup>. الدين مقوم من مقومات الهوية الثقافية، إذ يرى بعض مُنظري الظاهرة الدينية في مطلع القرن العشرين (دوركاي، مالفينوفسكي، فيبر) أنّ الدين ظاهرةٌ مميزةٌ لكلِّ المجتمعات البشرية الماضية، والحاضرة، والمقبلة<sup>3</sup>، ليس لكونه مجموعة من النصوص والتعاليم والقيم فحسب، بل كونه كياناً رمزياً يُجسّد اجتماعياً، ويتبلور في شكل أنماطٍ من الممارسات، فضلاً عن أنّه نظام من التصورات، وإن اختلف الأفراد في استيعابه، وتعدّدت طرق التعبير عنه، فالممارسة الدينية تساهم في إعطاء تلك التصورات معنى معيناً في نسيج الفعل الاجتماعي.

ويعبّر الدين عن رؤيةٍ للعالم، وللطبيعة، وللوجود الإنساني، فهو يقدّم تصوراً لبناء الاجتماع البشري<sup>4</sup>، ويرسم تعاليم الجائز والمحظور للمنتسبين إليه، وينمي وعيهم الجمعي بفضل تلك المبادئ التي تتحوّل إلى قواعد صارمة للفكر والسلوك، وعقائد راسخة لا تقبل المراجعة في جانبها

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد الرابع، بيروت، 1996، ص366. (مادة دان).

<sup>2</sup> - عاطف محمد غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص351.

<sup>3</sup> - ر. بودون وف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر حداد سليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1986، 316.

<sup>4</sup> - عبد الغاني عماد، مرجع سابق، ص138.

اللاهوتي، حتى قيل عن الدين أنه يشكّل مصدر كلّ الأفكار والمعتقدات الأساسية لدى الإنسان<sup>1</sup>.

ويفرض الدين على المؤمنين به، سلسلة من المعتقدات ذات الطابع الروحاني، ويلعب دور الموجه لأعمالهم وسلوكاتهم الاجتماعية والإنسانية، فهو ينطلق من فرضيات مسبقة تبني سلسلة من الفرائض والواجبات التي تقيد مسلك الفاعل الاجتماعي.

فالدين جزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية للفرد، إذ يعبر به عن انتمائه ممارسة واعتقاداً، وتتجلى هذه الممارسات في تلك التعبئة التي يقوم بها لمجموع المضامين والرموز والقيم، ويشكل بها حقلاً خاصاً داخل الاجتماع المدني، ويزيد من صفة التجميعية حسب دوركايم Durkheim، الذي يصف الدين بأنه «النظام المتضمن للمعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدسات، إن هذه المعتقدات والممارسات توحد جميع من يعتنقها»<sup>2</sup>.

ناهيك عما يحمل الدين من ضغوطات وتحديات واستجابات تفضي إلى تعبئة "المخيل الشعبي" بمجموعة من الرموز والقيم والعادات والتقاليد، يتم استثمارها في الحقل الثقافي وتكريس هوية الأفراد لأجل إعادة التوازن إلى الذات، وشحنها على الأداء الأفضل والأنسب، وربما هذا ما يفسر الدور المحوري للدين في الأزمات الكبرى، وكيف يتم الاحتفاء به في التحديات التي تهدد التوازنات. ففي كلّ الحالات يمثل الدين المقوم الأساسي بكونه يحمل طاقةً تعبويةً هائلةً لشحن الهوية الثقافية والوعي الجمعي، ويضمن النموذج الفعّال للمناعة والصبر والصمود من جهة، ويكشف عن البنية الاجتماعية للفاعلين من جهة أخرى<sup>3</sup>.

مما سبق ذكره نستنتج أنّ الدين يتدخل بشدة في بلورة وتشكّلات الهوية الثقافية للأفراد والجماعات التي تحدد وتعيّن الفاعلين الاجتماعيين، إنّ ذلك لا يلتزم بصيرورة ثابتة إذ تتدخل وضعيات المثاقفة في رسم منحنيات الانتعاش والنشاط والتجدد من جهة ومنحنيات التسيب والتكسر والرضوخ من جهة أخرى، فالصيرورة التاريخية أثبتت أنّ الرمزية الدينية حينما تكون مطابقة

<sup>1</sup> - جان بول ويليم، الأديان في علم الاجتماع، تر: بسمة بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2001، ص13.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 26

<sup>3</sup> - عبد الغاني عماد، مرجع سابق، ص139.

للواقع الثقافي قد تتوب الرمزية العقلانية والعلموية حينما تشهد هذه الأخيرة أزمت حقيقتية، بينما قد تتغير الأدوار إذا ما عانت الرمزية الدينية من المثاقفة فيترجع بذلك الدور المعياري للدين، كما قد يلجأ بعض الفاعلين الاجتماعيين إلى سبل متطرفة وعنيفة أحياناً، في حالة حصول التثاقف بالإكراه والإرغام بالقوة والعنف، هذا الطابع هو الذي يؤدي بأصحاب الديانات الخاضعة إلى ردات فعل غالباً ما تتميز بالأصولية الحادة والعنيفة في آن واحد.

### ب- اللغة:

يعرف القاموس المحيط اللّغة: بأنها «الأصوات التي يُعبّرُ بها كل قومٍ عن أغراضهم»<sup>1</sup>، فالعالم الإنساني عالم رمزي، وصانع للرموز<sup>2</sup>، تُسمى مجموعة منها "اللغة"، وليس العالم سوى فيضاً من الصور المختلفة في أشكالها وألوانها، يلتقطها دماغ الإنسان وينظمها بفضل بنية النظام اللغوي الذي يتكلم به، «فاللغة ظاهرة اجتماعية، تقوم بدور هام في نشر الوعي، إذ تعتبر بمثابة النظام الإشاري الذي يحقق الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني»<sup>3</sup>.

واللغة كما يقول بعض علماء اللسانيات « هي نظام المنظمة الرمزية في الحياة البشرية (...)، فهي التحقيق والتعبير الصوتي لميول الإنسان، وقيمتها ليست في طبيعتها ولا في مكوناتها الداخلية، إنّما لكونها تفسّر وتحلّل رؤية الأفراد للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرّون بها، بطريقة إبداعية رمزية»<sup>4</sup>.

فهي إذن نسقٌ من الإشارات والأصوات المتعارف والمتمفق على معانيها، للتعبير عن الفكر والوجدان والإرادة، تتجلى مهاراتها في تأدية وظائف التفكير والتعبير والتواصل، بمعنى أنّها أداة التفاهم واكتساب المعرفة وإنماء الفكر، فكلّ التقويمات والأحكام والإدراكات تتعلّق باللغة.

فهي بذلك خاصية إنسانية أصيلة، يتميز بها دون سائر المخلوقات، إذ يوصف الإنسان بالحيوان الناطق لدلالة العقل، ودلالة الكلام، وهما متكاملتان لا تكاد تنتشأ واحدة منهما بصورتها السليمة الوافية من دون الأخرى، فوجود اللغة

<sup>1</sup> - أباضي الفيروز، القاموس المحيط، ج1، دار الملايين، بيروت، (د)، ص1715. (فصل اللام).

<sup>2</sup> - خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995، ص161.

<sup>3</sup> - م. روزنتال وب. بادين، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981، ص410.

<sup>4</sup> - بنّام بركة، اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002، ص 82

إذن مرتبط بوجود الإنسان، وحيث يتواجد هذا الأخير يصاحبه التاريخ، تبعاً لذلك، فإنه حيث كانت اللغة يكون التاريخ، وتكون المشاركة في فهم الوجود، وإدراك الشعور المشترك، ومحاولة التواصل مع الغير وفهمه، من منطلق معرفة الذات، كما يقول هايديجر<sup>1</sup>. إذ لا يمكن الحديث عن اللغة، دون الحديث عن الهوية، فاللغة تحمل هموم متكلميها، وتنظم سلوكياتهم وتفاعلاتهم، وتوحد انتماءاتهم. وهوية المرء تقوم على قاعدتين أساسيتين، تكمل الواحدة الأخرى، وتعمل على بنائها، هما الذات والجماعة، فالهوية الفردية صفة للشخص، واللغة ذات بشرية، إذ ليست مجرد كلمات وألفاظ وعبارات تُتَظَنق وتُسمع فحسب، بل هي نسقٌ فكريٌّ ووجدانيٌّ تنتظم فيه ارتباطات الكائن البشري بهويته الذاتية، وبمجتمعه وثقافته وعلاقته مع الآخر<sup>2</sup>.

فالهوية بناءٌ، يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته، من خلال علاقته بذاته وبالآخرين، وهذا ما يعرف بالأنا الاجتماعي، الذي هو حاصل احتكاك الفرد بالجماعة، ولا يتم هذا الاحتكاك والاتصال إلا بفضل اللغة، التي تضمن عملية التواصل والاندماج والتفاعل. فهي سبيل المرء إلى معرفه ذاته ومحيطه، ولا بد من أن يقودنا الاعتراف بأهمية اللغة في تكوين المفاهيم العقلية والتصورات الذهنية عند الإنسان إلى التأكيد على أن معرفة اللغة كبنية فكرية هي السبيل لمعرفة القوالب الفكرية الأخرى عند البشر، مثل الفكر الأسطوري، والديني، والعلمي، والفني... من ناحية أخرى، فاللغة التي تتشكل لحاجة اجتماعية وضمن إطار المجتمع الواحد، تؤثر وبشكل مباشر على إدراك هذا المجتمع لمحيطه وواقعه، وهي تتمتع بدور رئيس وفعال في عملية المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد والجماعة في عملية "استكشاف" العالم الخارجي، بالتأثير والتأثر المباشر في التجربة الفردية والاجتماعية على حد سواء.

فالإنسان لم يصنع الحضارة، ولم يتمكن من تسخير الطبيعة، ولا السيطرة عليها، إلا باليد أداة عملية، وباللغة أداة فكرية وقولية<sup>3</sup>، واللغة من المبتكرات التي أظهرها التطور الإنساني باعتبارها أداة تفكيرٍ تُمكنه من الشعور بالذات، وهي تحمل إحساساً وعاطفةً مشتركة مع المتحدثين بنفس اللغة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد المنعم الحنفي، المعجم الفلسفي، دار ابن زيدون، لبنان، ط1، 1992، ص239.

<sup>2</sup> - محمد عزيز الحبابي، الإنسان حيوان يتكلم، مجلة الأصالة، العدد16، سبتمبر-أكتوبر 1973، ص79.

<sup>3</sup> - ج فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1951، ط1، القاهرة، ص10.

<sup>4</sup> - علي خذري، اللغة وشخصية الأمة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد2، جامعة باتنة، ديسمبر 1994، ص80.

وشعوراً بالهوية الثقافية المشتركة مع أفراد مجتمعه، والاتصال والاحتكاك بهم وبغيرهم، فبفضل اللغة تكوّنت الجماعات الإنسانية<sup>1</sup>.

مما سبق نخلص إلى أنّ اللغة تُعتبر إحدى مقومات الهوية الثقافية للأفراد والمجتمعات، إذ هي بمثابة الحبل المتين الذي يشدّ الأفراد بعضهم ببعض، ويكوّن من مجموعهم أمة مميزة قادرة على البقاء والنمو والإبداع، فهي رمز التعايش المشترك، بها يتمّ توثيق روابط الوحدة الجماعية، وتدوين سجل الأمة، وحماية تاريخها، وحفظ ذاكرتها. إن اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقوم السابق الذكر، أي الدين، فهي ملتزمة أشدّ الالتحام بالعقيدة الدينية، فالكثير ممن يُثيرون مشكل اللغة، إنّما يخافون التأثيرات الدينية، حتى وإن لم يصرّحون بها علانية، وعلماء اللسان يدركون تداخل موضوع اللغة والدين، وذهب بعضهم إلى أنّ تعلم أيّة لغة ما هو في النهاية إلاّ تعلم لعقيدة الناطقين بتلك اللغة، لأنّ اللغة كما جاء في تعريفها: «أداة للتخاطب والتأثير، يمكن بفضلها تحليل التجارب البشرية التي تختلف من مجموعة إلى أخرى»<sup>2</sup>.

"إدوار سابير" E.Sapir أول فيلسوف استطاع أن يدرج اللسانيات وفلسفة اللغة والحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية عند الفرد كما عند الجماعة، وهو بذلك يكون قد وضع الأسس التي تربط علم الأنثروبولوجيا بدراسة اللغة، فقد حدّد اللغة وعلاقتها بالمجتمع بما يلي: «إنّ اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلّمها أبناؤه ويفكّرون بواسطتها، هي التي تنظّم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي عالمه وواقعه الحقيقي"، فكلّ لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم، (...) إنّ اللغة تتحكّم كثيراً في أفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية، ومن الخطأ تصور أن الإنسان يتكيف مع واقعه دون استخدام اللغة، أو أنّها مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال والتفكير، إن العالم في الواقع مبني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية وعلى أساس استعمالاتهم للغتهم الأم»<sup>3</sup>. واللغة من منظور أنثروبولوجية اللغة، وعاء الجماعة، بها تدرك ذاتها الجماعية التي تتطور من خلال أشكال التعبير عن هوية ثقافية متميزة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ج فندريس، مرجع سابق، ص 5.

<sup>2</sup> - سمون حمادي وآخرون، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص 76.

<sup>3</sup> - بتمام بركة، مرجع سابق، ص 84.

<sup>4</sup> - محمد الطيبي، العرب: الأصول والهوية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، 2002، ص 81.



فالحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن الفكر الإنساني، لأن اللغة تمثل السبيل لاستكشاف حوافل الأمم، فمن خلال ألفاظها تتجلى كوامن الإحساس بالموطنة والشعور بالصلة والانتماء، والتوافق في المشاعر، وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة، فهي التي تحوّل الإنسان إلى كائن اجتماعي يتحسّس الواقع، ويستشرف الخصائص المميزة له. فقد وصفها "موس Mosse" بروح الشعب: «إن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسيطر على الجماعة فتفرض الترابط وتتحدى الأحداث وتنتظر اللحظة المناسبة لتنفجر حقيقة واقعة، فإذا بها أمة ودولة، بل وظيفة حضارية وقيادة إنسانية. إنّها محور التطور، وما روح الشعب؟ وما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقدس الأقداس»<sup>1</sup>.

واللغة المتداولة تنتقل من جيل إلى جيل آخر، ومن عصر إلى آخر، أو عبر مسالك خفية غير واضحة، ولكنها ثابتة، هي وحدها التي تحمي كنوز المعرفة، وصلابة الإيمان بالهوية الثقافية المشتركة، وقوة الحفاظ على الانتماء، وهي التي تُمكن المجتمع من الحفاظ على طقوسه وأساطيره ورموزه وتقاليد، ويقول هردز في هذا المعنى: «اللغة هي تعبير عن تلقائية روح الشعب، إنها عصير حياة الأمة، والضمير القومي لها، الذي لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال الأدب، الذي تخلقه قريحة كلّ الأمة»<sup>2</sup>، فهي التعبير الحقيقي عن "نكاه الشعب". والطابع الفكري لكلّ شعب إنّما يتجسد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها لغته.

إنها بهذا المعنى إحدى المقومات الأساسية التي بدونها لا مجال للحديث عن مفهوم الهوية والمجتمع القومي. يقول ساطع الحصري: «إن اللغة سواء قلنا أنها خلقت دفعة واحدة من قبل الله، أم ذهبنا إلى أنها تكوّنت تدريجياً بعمل العقل، فلا يمكن أن نشك في أنها - في الحالة الراهنة - هي التي تخلق العقل أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيراً عميقاً، وتسدده، وتوجهه توجيهاً خاصاً (...)

من ثمة فاللغة القومية تعتبر بمثابة الوعاء الذي تتشكّل به وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب، إنّ لغة الآباء والأجداد مخزن لكلّ ما للشعب من ذخائر

<sup>1</sup> - سمدون حمادي وآخرون، مرجع سابق، ص 259.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 265.

الفكر، والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين فقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه تكمن في بقاء هذه اللغة»<sup>1</sup>.

ويقول العلامة بن خلدون في مقدمته: «اعلم أنّ لغات أهل الأمصار، إنّما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها، أو المختطين لها»<sup>2</sup>.

فاللغة جزء من الإرث الحضاري لأي أمة، لكنها في وضعيات المتأقفة تصبح في مواجهة شتى أنواع التحديات باعتبارها أداة التعبير والتواصل بين أفراد المجتمع الواحد وبين غيرهم، وترجمانًا ينقل الأفكار والقناعات، فقد يترسخ عند بعض الأفراد الذين تعيش هويتهم وضعية متأقفة، عجز لغتهم عن مواكبة ومسايرة حركة العلم والتكنولوجيا والتطور، فيشعر حينها هؤلاء بالدونية والنقص أمام اللغات الأخرى، فيصبح النطق باللغات الأجنبية دليل تفوق فكري وحضاري، فتتأثر بذلك لغتهم، ما ينعكس سلباً على هويتهم الثقافية باعتبار اللغة مقومًا من مقوماتها الأساسية.

### ج - العادات والتقاليد:

تشير العادات في الاصطلاح إلى «أشكال التفكير والسلوك المستقرّ الذي يقوم به الفرد في المجتمع»<sup>3</sup>، فمفهوم العادة الاجتماعية يتعلّق بمسألة التكرار لعملية معينة، أو نشاط محدّد بالطريقة الواعية أو اللاواعية.

فقد عبّر بيار بورديو Pierre Bourdieu عنها بمفهوم Habitus وعرفها بـ «النزوع الشخصي الاجتماعي»<sup>4</sup>، فهذا المفهوم يشير إلى عملية إنتاج الأفكار الاجتماعية، ثمّ إعادة إنتاجها مع تغيير الظروف الاجتماعية طبعًا، واستمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطوّر النسق الاجتماعي، وتنقسم العادات التي يكتسبها الفرد إلى عادات فردية وأخرى اجتماعية.

يمكن أن تتكوّن وتُمارس في حالات العزلة عن المجتمع، ويكاد الإنسان أن يكون مجموع عادات تمشي على الأرض<sup>5</sup>، بل إنّ قيمته ومكانته الاجتماعية تُقاس في أحيان كثيرة بعاداته ومدى تمسّكه بها؛ فطريقة لبسه

<sup>1</sup> - ساطع الحصري، ما هي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ص 56

<sup>2</sup> - ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تج: حامد أحمد طاهر، دار الفجر لتراث، القاهرة، ط1، 2004، ص 458.

<sup>3</sup> - دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 1982، ص 70.

<sup>4</sup> - عبد الغاني عماد، مرجع سابق، ص 152.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 153.

ونظافته وكلامه ومشيته وأكله وشربه وحتى عنايته بحاجاته الجسمية من رياضة واستحمام، وتهذيب وتربية، وما شابه ذلك، كلها عادات فردية تسهم في نجاح الفرد وانسجامه في مجتمعه، بما في ذلك الغريزة الإنسانية التي تُعتبر أصلاً من أصول العادة، وقاعدة من قواعدها؛ فحين يتكرر الفعل الغريزي ويتواتر تتجم عنه عادة وتصبح الحاكمة في السلوك والموجهة له، ولقد تحدث ابن خلدون عن أهمية العادات، وكيف أنّ الإنسان ابن عوائده، لا ابن طبيعته إذ يقول: «إنّ أهل البداوة أقرب إلى الشجاعة من الحضرة، وأصله أنّ الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً ومملكة وعادة، تنزل منزلة الطبيعة والجبلة»<sup>1</sup>، إذن فالجماعة تنقش عاداتها عن طريق التعليم في عقول ناشئتها، إلا أنّ العادة تتميز بالتكوين والتشكل التدريجي، والإقلاع عنها يتم بنفس الكيفية، فهي تستمر وتدوم ما دامت تقوم بوظيفة معينة، فإذا زالت الوظيفة زالت العادة، فطبيعة الإنسان تحتم إقامة صرح من العادات والمعتقدات، وهو بذلك يرسى دعائم المجتمع. فإذا نشأت عادة تبعاً لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير من الأفراد، فمن الممكن أن تصبح عادة جماعية، فالعادة الجماعية «مجموعة من الأفعال، والأعمال، وألوان السلوك، التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها، فتمثل بذلك ضرورة اجتماعية»<sup>2</sup>، لذلك فمن الصعب على الأفراد الخروج عن ممارستها، فهي تفرض نوعاً من القهرية على الأفراد.

تُعتبر بعض العادات عن الانتماء المشترك لممارسيها فتصبح بذلك جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية للمجتمع، وتؤدي إلى تعزيز وحدته وتقوية الروابط بين أفرادهم وتشعرهم بالانتماء المشترك، مثل آداب السلوك العام، وآداب الحديث، والطعام، وصلات ذوي القربى، والبعض الآخر سلبي يشيع الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد مثل العادات الخرافية، وعادات تعاطي المسكرات والمخدرات... الخ.

<sup>1</sup> - ابن خلدون عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 167

<sup>2</sup> - عبد الغاني عماد، مرجع سابق، ص 154

أمّا مفهوم التقاليد فيبدو أنّه لغويًا ينحدر من الجذر "قَلَدَ" و"قَلَدْتُهُ قِلَادَةً، أي جعلتها في عنقه"<sup>1</sup> وكانّ المعنى يفيد المحافظة على الأمانة وذلك بوضعها في العنق، ونحن ندرك ما للعنق من دلالة سوسيو- رمزية في المجتمعات العربية. وسوسولوجيًا اكتسب هذا المفهوم بُعدًا جديدًا يعبر عن مدى ارتباط الحاضر بالماضي وارتباط الإنسان الاجتماعي بترائه المادي والروحي الذي يشكّل أساس مستقبله، عن طريق إعادة إنتاجه ماديًا وروحيًا بإقامة الاحتفالات وبعض الطقوس المعبرة عن انتمائه وهويته الثقافية، فغالب الطقوس ذات الطابع الرمزي تكون غير مفهومة وغير منطقية في أدائها والتمسك بها، إلاّ أنها كثيرًا ما تنال رضا الفاعلين الاجتماعيين والاتفاق الجمعي، حيث تستمد التقاليد قوتها، فتأخذ هذه الاحتفالات طابعًا شعبيًا ومنحى فولكلوريًا، وينتهي بانتهاء الحفلة، إلاّ أنّه يبقى راسخًا في وعي ولاوعي الجماعة التي تنقله جيلًا بعد جيل، ويشعر الأفراد نحوه بقدر كبير من التقديس، فمن الصعوبة العدول عنه وهذا ما يميز التقاليد عن العادات، وعبر عن ذلك هابرماس Habermas بوصف تقليد السلف على أنّها «غريزة المجتمع»<sup>2</sup>، فالتقاليد إذن ما هي إلاّ عادات انتقلت عبر الأجيال حتى فقدت مضمونها، ولم يعد من الممكن أحيانًا التعرف على معناها الأصلي، إنّما يمارسها الإنسان لمجرد المحافظة عليها معتقدًا أنّ التمسك بها يضمن له المحافظة على هويته الثقافية، وتبقى في الأخير شكل من أشكال الرواسب الثقافية في المجتمع، لها السلطان على نفوس الأفراد.

فالعادات أكثر عمومية وقابلية للتغير من المقومات الأخرى؛ لاستجابتها لحاجة اجتماعية ثابتة نسبيًا إلاّ أنّ العادة قد تتغير بتغير الزمان والمكان؛ فإذا كان الطعام حاجة اجتماعية ثابتة، فإن تحضيره وكيفية صنعه وطريقة تقديمه وأسلوب تناوله خاضعة جميعها لعادات متغيرة، وفق الزمان والمكان، أمّا التقاليد فهي أكثر ثباتًا وجمودًا، إذ تحفظ الهوية الثقافية للجماعة، وقد تتعرض للتغيير بفعل التناقض المستمر مع الثقافات الأخرى، غير أنّ كلّ تغيير جوهري يمسّ التقليد يُعتبر كسرًا للبنية الاجتماعية، ويثير

<sup>1</sup> - أبادي الفيروز، مرجع سابق، ج1، ص398.

<sup>2</sup> - عبد الغاني عماد، مرجع سابق، ص156.

الاستنكار والمحاربة، إلا أن ذلك لا يرقى إلى حدّ محاربة تغيير المقوم الديني، أو المقوم اللغوي .

يؤكد بعض الانثروبولوجيين أن العادات والتقاليد تتقوى بعوامل عديدة منها صغر حجم المجتمع، وسيادة النظام الطبقي الهرمي، وربما أهم عامل يرجع إلى انعزال المجتمع عن مظاهر التثاقف المختلفة، فالتقاليد تتميز بطابعها الجمودي، إذ تقف في كثير من الأحيان بعض التقاليد حائلاً أمام التجديد، لذا اعتبر البعض هذه الخاصية من عوامل الاستقرار الاجتماعي، وبالرغم من ذلك تبقى العادات والتقاليد قابلة للتطور والخروج من قوالبها الجامدة والقديمة، مع انتقال الأشكال الاجتماعية من البساطة إلى التعقيد.

#### د - التاريخ المشترك:

إنّ تمسك الأفراد بتقاليدهم يبيّن حضور ورسوخ التاريخ في أذهانهم وتصوراتهم ووعيهم، كما يبيّن مدى حضور الذاكرة الشعبية في ممارسة وطرائق التدوّق والانفعال عند الأفراد في حياتهم العملية واليومية، ويُعتبر التاريخ محصلة لتجارب البشر وخبراتهم، فتنوع مصادر التقليد يجعل مصادر التأثير التاريخي مختلفة التجلي في وعي الأفراد، وغالباً ما يلجأ الأفراد إلى تبجيل تاريخ أجدادهم وتكريس وجودهم الذي تطاولت به الآماد، وتعاقبت عليهم الأمم والحضارات كنوع من إقرار وجودهم العتيد وانتسابهم العتيق، وتعبيراً عن هُويتهم الثقافية، وإبرازاً لمظهر من مظاهر التمايز الاجتماعي.

فتاريخ المجتمعات الإنسانية بأفراحه وأتراحه، وبآماله وآلامه، بحقائقه وأساطيره، يُكوّن في كلّ نسق اجتماعي جزءاً مهماً من تفكيره وشعوره، إذ تُعتبر بمثابة مجموعة من التجارب التي مرّ بها وتفاعل معها، فَوَحَدَتُهُ وَجَمَعَت تصوراتهِ للحياة، لذلك تهتم الأمم بدراسة تاريخها للتعرف على ذاتها، وعليه فإنّ الاعتزاز بالتاريخ اعتزازٌ بالذات والهوية، والتاريخ المشترك هو الذي يميّز الشعوب بعضها عن بعض، ويقسمها إلى أمم مختلفة متباينة، فالأفراد الحاملين لهوية ثقافية متأصلة في جذور الماضي، نتاج عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وسيكولوجية، انبثقت عبر القرون تدريجياً واتخذت سمات مشتركة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1976، ص32.

فالتاريخ المشترك لا يعني الوحدة المطلقة للوقائع التاريخية، فقد تمرّ مراحل وحوادث على بعض أجزاء الأمة الواحدة دون غيرها، وقد تنقسم الأمة في عهود تاريخية إلى أقسام لكلّ منها تاريخها الخاص من الوجهة السياسية، ولكن غالباً ما يكون النظام الاجتماعي مشترك في مثل هذه الحالات في أهمّ صفحات تاريخها وفي الخطوط العريضة منه، وكلّما كان الاشتراك أطول زمناً وأغنى أحداثاً، كان التجانس والتعاون والتآلف بين أفراد المجتمع الواحد أشدّ وأمتن وأقوى، وساهم هذا التاريخ في تعزيز هويّتهم الثقافية باعتباره مقوماً من مقوماتها الأساسية<sup>1</sup>.

والمثاقفة بكلّ أنواعها تشكّل تهديداً لتاريخ الهويّات المهيمن عليها، إذ قد يتعرض للترتيب أو النكران من طرف الثقافة المهيمنة، والمغالاة في تمجيد وتقديس التاريخ إلى حدّ العصبية هو د. خواجه عبد العزيز أ. داود عمر المثاقفة الدين، التاريخ، الثقافة: أي علاقة؟ نحو مقارنة سوسولوجية للمعنى الجزائري. الحادّة والعنيفة، ويمكننا الاستشهاد بما قامت به الدول المستعمرة، فقد حاولت بكلّ الأساليب أن تُنسي الشعوب المستعمرة تاريخها ثم تُحرفه، لتتسلخ ذاتياً وتُسَهّل تبعيتها لها، وحين تحررت تلك الشعوب من الاستعمار أقبلت على تاريخها لإيقاظ نفوس ناشئتها وإشعارهم بهويّتهم الثقافية، إلا أنّ البعض بلغ حدّ المغالاة في الاعتزاز بتاريخه، فقلبت السيئ حسنات، والأخطاء أمجاداً ومفاخرًا، فمعرفة التاريخ على حقيقته من شأنه أن يرفع اللبس عن الأحكام الموجّهة للذات، وشرط لتفادي عُقدة "العظمة" وعُقدة "النقص" في طريق صناعة المستقبل، وبناء هويّة ترتبط بماضيها بكلّ ما يحمله من مظاهر القوة والضعف.

### ثانياً: مقومات الهويّة الثقافية الجزائرية:

لقد تحدثنا سابقاً عن المقومات الأساسية للهويّة الثقافية بصفة عامة، إلا أنّ هذا التحديد لا يتفق عليه كلّ الباحثين، فمنهم من لا يجعل من الدين مثلاً مقوماً من مقومات الهويّة الثقافية للمجتمعات، ويستشهد عن ذلك بالوحدة الأوروبية، هذه المنطقة التي تتضمن عدة ديانات ومعتقدات، إلا أنّها استطاعت أن تتوحد وتتسجم فيما بينها حالياً، ومهما تعدّدت الآراء إلا أنّنا نرى أنّ الوحدة الدينية عامل مهم لتحقيق التماسك الاجتماعي بين الأفراد.

<sup>1</sup> - المبارك محمد، الأمة: والعوامل المكونة لها، دار الفكر، بيروت، 1988، ص 49.

فالهوية الثقافية للمجتمعات نتاج صيرورة تاريخية، تتولد عنها خبرات مشتركة يتبناها أفراد المجتمع على شكل مقومات لهويتهم الثقافية، التي تضمن لهم الاستمرارية، وهذا ما ينطبق تمامًا على المجتمع الجزائري، إذ أن أول ما يمكن استنتاجه عند تصفح المراجع التاريخية أن للجزائر ماضيًا عريقًا يضرب في جذور التاريخ، غير أن مقومات الهوية الثقافية الجزائرية بطابعها الديناميكي قد تأقلمت مع كل وضع جديد، فبعد دخول الإسلام أخذت بُعدًا حضاريًا وثقافيًا جديدين، يختلفان اختلافاً جذريًا عن البعدين السابقين عن الإسلام، إذ مسّ هذا التغيير جميع مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، فالمجتمع الجزائري حينها لم يبلغ كل مقومات هويته الثقافية، بل جعلها تتأقلم مع دينه الإسلامي وتعاليمه السمحة.

إلا أن الباحث في مختلف المراجع ذات الطابع الأثنوغرافي أو الإثنولوجي والسوسولوجي التي حاولت الاقتراب من مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، ماضيًا وحاضرًا، يلاحظ اختلافًا واضحًا في مقارباتها، وهي لا تخلو من التحيز الإيديولوجي، إذ تتباين بين مقارنةٍ مُرجحةٍ لكفة إحدى المقومات على حساب الأخرى، وبين مقارنةٍ أخرى لها من التصورات ما يختلف كليًا عن المقاربات الأخرى، لذلك حاولنا تصنيف هذه المقاربات إلى: مقارنة دينية إسلامية، وأخرى قومية عربية، وثالثة كولونيالية، بغية التقرب أكثر من الواقع الجزائري ومحاولة فهم تأثيره على الأفراد.

## 1- الدين الإسلامي:

كان المغرب العربي بصفة عامة والجزائر على الخصوص، فضاءً مفتوحاً لعهود زمنية طويلة على الحملات والغارات والهجرات، إلا أن سكانه لم يرضخوا للمحاولات الاندماجية سواء كانت مع الرومان أو الوندال أو البيزنطيين، إلى أن أصبحت هذه البلاد قبلة للفتح الإسلامي، الحامل للرسالة السماوية وللمشروع الديني والثقافي، وملاذاً للهجرات الإسلامية التي ظلت تقصده وتطرق رحابه منذ عهود الفتح الأول.

لقد كان الفتح الإسلامي يكتسي طابعاً دينياً، بينما كان قدوم الفنيقيين قبلهم، يمتاز بطابعه الاقتصادي التجاري، كما كان استيطان الروم ومن خلفهم من الوندال والبيزنطيين يحمل طابعاً عسكرياً واستعماريّاً، بمعنى آخر فالمسلمون حينما قرروا فتح بلاد المغرب، كانوا يهدفون إلى نشر الإسلام بالدرجة الأولى، فلم يحاربون إلا من كان كافراً أو رفض الدخول في الإسلام برفع السيف عليه، فكان قادة الجند الإسلامي أثناء الفتح يصطحبون معهم بعض العلماء، وبعض من كان لهم إمام بالدين، لتعليم الناس مبادئ الإسلام وقواعده الأساسية، غير أن هذا التعليم كان محدوداً لعدم إلمام المعلمين بلغة الأمازيغ من جهة، وعدم مقدرة السكان على فهم اللغة العربية في المراحل الأولى من الفتح من جهة أخرى، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً فسرعان ما تعلم الأمازيغ تعاليم الدين الجديد.

ومن بين العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام بين الأمازيغ، بساطة العقيدة الإسلامية، وملاءمة كثير من القيم التي يدعو إليها المناخ الأخلاقي السائد بين الأمازيغ وخاصة البدو منهم، لأنهم كانوا يعيشون حياة شبيهة بحياة العرب آنذاك، إلى حد بعيد سواء في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي<sup>1</sup>، فلا غرابة إذن أن يعتنق الكثير منهم الإسلام لأول اتصال به، فكانت معرفتهم به في بادئ الأمر سطحية، غير أن الشعور الديني ما فتى أن ازداد قوة وعمقاً كلما تعددت فرص الاحتكاك بالمسلمين، فمبدأ التساوي العرقي الذي تم تكريسه منذ منطلق الدعوة الإسلامية، ألغى النظرة الامتيازية للعرق، إذ سادت روح الأخوة بين المسلمين، ولم تظهر بينهم النعرات العرقية إلا حين ضعف الوازع الديني.

<sup>1</sup> - بوربيبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص57.



أمّا سكان المدن فكانوا يتشكّلون من تركيبة اجتماعية متنوعة، من أمازيغ وعجم وأفارقة انخرط بعضهم في المشروع الإسلامي، وتمسك بعضهم بديانته السابقة، إلا أنّ التمسك بالنصرانية كان أشدّ عند الروم والعجم، الذين كانوا يشكّلون الطبقة الراقية من المجتمع الحضري بالمغرب.

ومن أهمّ عوامل انتشار الإسلام كذلك، ما عرفته المسيحية من فتن وحروب دينية واضطهاد لبعض السكان من طرف الحكّام، الأمر الذي جعل الكثير من الأمازيغ يعرضون عن الديانة المسيحية، أو يكتفون بالانتماء الرمزي لها، من دون أن يمارسوا طقوسها بصفة منتظمة، ثمّ أنّ الإسلام لم يبلغ ما ورد في الديانات السماوية السابقة، بل جاء مُتممًا لها، حتى أنّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تضمن كثيرا من قصص الأنبياء والرسل، كما تناول الإسلام الكثير من المسائل العقديّة، فناقشها بطريقة منطقية سليمة، ممّا ساعد في إقناع الأمازيغ بالدين الجديد وسهّل الانتقال من النصرانية إلى الإسلام، فأهل الجزائر لم يعتنقوا الدين الإسلامي كرهاً، وإنما أسلموا طوعاً، أمّا النصارى واليهود فقد حافظوا على ديانتهم، فلم يصيبهم الأذى، بل كانوا يتمتّعون بحماية المسلمين، مقابل أدائهم لضريبة الجزية والخراج، وقد بقيت هذه الفئات متواجدة في الجزائر على غرار البلدان الإسلامية الأخرى قرونًا عديدة، ممّا يدلّ على روح التسامح التي سادت إبان الحكم الإسلامي<sup>1</sup>.

ما من شكّ أنّ سلاح الإيمان بالقضية التي حملها الفاتحون كان أمضى سلاحًا، فقد كانوا يسيرون ولواء الإسلام معقود على رؤوسهم، يتحرّكون بنخوة يستمدونها من روح الجهاد والشعور بأنّهم يوصلون رسالة الله إلى الناس جميعًا، بينما كان الأمازيغ ينافحون عن الحمى من منطلق الدفاع عن الوطن وقداسيته، لكن الغلبة كانت للفاتحين، لأنّ إيمانهم بالرسالة كان أمضى من سلاح الحمية والذود عن الأرض، فحماسة الأمازيغ وحميتهم سرعان ما خمدت عندما عرفوا حقيقة الإسلام، واكتشفوا روحانية الفاتحين حيث تنتظمهم صفوف الصلاة في أكثر أوقات اليوم، وتسود بينهم أخوة لا مرأى فيها، وربما كانت سيرتهم تثير الدهشة والإعجاب، ما جعل الكثير من القبائل الأمازيغية تميل إلى مصالحتهم، وعدم مواجهتهم، حتّى انعقد التواصل

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص58.

بين الطرفين، وتوطدت العلاقات، كما توسّعت المعاملات بينهما بمرور السنين.

ولم تلبث الدعوة من خلال الاحتكاك عن قرب أن نفذت إلى نفوس الأمازيغ وقلوبهم، فانخرطوا في صفوف المسلمين رافعين لواء الجهاد. فلم تكذ تمضي مرحلة الفتح حتى نسخ الإسلام ما سبقه من أديان، إلّا بعض معتقدات أهل الذمة ممّن قبل العيش في كنف الإسلام، فلقد استهوتهم روحانية الإسلام، وطابعه الحياتي الجماعي، فضلاً عن جوهره الديمقراطي الذي تجسّد في التشارك الفعلي اليومي في المراكز والأعمال، من خلال وقفة الصلاة، والتكافل العملي المادي والمعنوي، ناهيك عن الاعتبارات الإنسانية في مبادئه، فتفاعلت معها النفسية الأمازيغية بعمق؛ إذ وجدت في تلك المبادئ ما كان يطبعها من نزوعٍ إلى الحرية وعدم الخضوع للتسلّط المستبد، المحلي منه أو الأجنبي.

لقد اكتشف الأمازيغي في الإسلام هُويّته، إذ ساعدته العقيدة الجديدة على الوعي بالذات، فكان المدد الروحي والمعنوي ينسجم مع حاجاته النفسية ونزواتها الفطرية والاجتماعية، فتلك مبادئ مترسخة في الوجدان الجمعي الأمازيغي، تكتسب أصالتها من خلال مطابقتها لخصوصيات عموم المجتمع<sup>1</sup>.

ومن الطبيعي أن تصاحب عملية استتباب الدين الإسلامي في ديار المغرب على العموم والجزائر على الأخصّ، حركة "تمصير" مهمة شهدت ميلاد حضائر ومدن عديدة، منها: تيهرت، المدية، تلمسان، الجزائر، المسيلة، ورجلان... الخ، وهي دليل توسع حركة المغول عبد الغضناري في عملتها أحدثها الدين، التاريخ، الثقافة: أي علاقة؟ نحو مقارنة سوسولوجية للمعطي الجزائري.

لقد شهدت هذه الحواضر حركة إشعاع واسعة، ممّا جعلها مقصد الناس من مختلف البلاد الإسلامية ومن خارجها، كما لمعت حواضر أخرى لم تكن إلّا قرى معزولة لا شأن لها قبل مجيء الإسلام، وذلك بفضل الدور الذي أعطاه لها الإسلام في إطار التحوّل المدني والسياسي والاجتماعي الذي شمل البلاد.

<sup>1</sup> - عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002،

فأصبح الدين الإسلامي يمثّل القاسم المشترك بين الجزائريين جميعاً، ويُعتبر اليوم أهمّ مقومٍ من مقومات الهوية الثقافية للجزائريين، فحتّى الحركات والأحزاب الوطنية والديمقراطية المختلفة جعلت من الإسلام المرتكز الأساسي للهوية الجزائرية، لمدى صلته بروحية المجتمع، إذ يلعب دوراً مهماً في التماسك والضبط الاجتماعيين، ولما تمّت ممارسة عمليات المثاقفة على الهوية الثقافية الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي، لم يعزف عنه ولم يستبدله بمقوم ديني آخر، بل ازداد تمسكاً به، لتأثيره البالغ على الفرد والمجتمع على حدّ سواء.

## 2- اللغة العربية والأمازيغية:

استخدم الأمازيغ اللسان الفينيقي على نطاق وظيفي واسع، حتى بعد انتهاء الوجود الفينيقي، وهذا ما لم يتحقق مع الرومان مثلاً، إذ ظلّ استعمال اللغة الرومانية مظهرًا من مظاهر انسلاخ الهوية الأمازيغية، ولم يتجاوز انتشارها القلة المرتبطة بالظاهرة الإحتلالية<sup>1</sup>.

فالامتزاج العرقي الذي أحدثته الهجرات والنزوحات الجماعية المتتالية، يفند الكثير من فرضيات صفاء النسب، إذ أنّ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا قد دشّن مرحلة عارمة من التداخل العرقي ليس بين الأمازيغ والعرب الفاتحين فقط ولكن بينهما وأعراق أخرى مشرقية وإفريقية وأوروبية مختلفة، وشكّلت من الجميع محصلة بشرية تنتمي إلى دين واحد، وإلى حضارة تتمازج مقوماتها الدينية واللسانية والثقافية.

كان الأمازيغ من المرابطين والموحدين الذين نشروا الإسلام، يكتبون نصوصهم الفقهية باللغة الأمازيغية، وبحروف عربية، كما فعل ابن تومرت في رسالته، وهذا ما سهّل عملية التمازج بين ~~الموحدين والأمازيغ~~ <sup>الموحدين والأمازيغ</sup> ~~عمر~~ <sup>عمر</sup> كما أنّ الهجرات الهلالية ساهمت في هذا التفاعل، بفضل نشرهم للغة العربية في نطاق واسع من بلاد المغرب، ويقول بهذا الصدد الشيخ البشير الإبراهيمي: «أنّ بني هلال خربوا ولكتهم عربوا»<sup>2</sup>

ورغم أنّ قبائل بني هلال أرسلوا من طرف الفاطميين للتدمير والتخريب، فقد واجههم أمراء بني زيري وبني حمّاد بأسلوب حكيم، وتمكّنوا من

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

<sup>2</sup> - سعدي عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 87.

استيعابهم داخل المجتمع، ورغم ما قاموا به من تخريب في مدن إمارتيهما، إلا أنهم لم يصدروا أي رد فعل ضد العرب كعرب، إنما فسروا ظاهرة بني هلال بتفسيرها الصحيح وهو التفسير البدوي<sup>1</sup>، فلم تمض عدد من السنين حتى انصهر الهلالي داخل المجتمع الأمازيغي، فكان نتيجة ذلك إفراز دولتين أمازيغيتي القيادة هما: دولة المرابطين ودولة الموحدين، اللتان لعبتا دوراً كبيراً في نشر الإسلام والذود عنه، وتطوير الحضارة العربية الإسلامية.

### 3- العادات والتقاليد الجزائرية:

تعتبر العادات والتقاليد نوعاً من أنواع الحسّ المشترك العفوي الذي يوافق الوضع الاجتماعي والثقافي للمجتمع، والذي يعبر عن فلسفته في الحياة، كما تُمثل جانباً مهماً من تاريخ الشعوب وتراثها الثقافي، وتُصوّر نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان.

إنّ الحديث عن العادات والتقاليد الجزائرية، باعتبارها مقوماً من مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، يجرنا حتماً إلى أزمنة ساحقة، لما لها من عراقة ممتدة في جذور تاريخ المنطقة، إلا أننا أردنا الإيجاز قدر المستطاع، والإشارة إلى ذلك دون الدخول في التفاصيل الجزئية.

وعموماً تتميز عادات وتقاليد المجتمعات بالثبات النسبي، لأنها مرتبطة بالقيم العامة المشتركة للمجتمع، فالمجتمعات الشعبية شديدة التمسك بقيمها ومبادئها، فضلاً عن تراثها، لأنها تراه بمثابة المخزون الذي تلجأ إليه لنتماسك ولتحافظ على هويتها الثقافية باعتبار العادات والتقاليد جزءاً لا يتجزأ منها، وبالتالي الحفاظ على خصوصياتها الاجتماعية والثقافية في مواجهة عوامل التغيير، إلا أنّ العادات والتقاليد بالرغم من ذلك قد عرفت الانفتاح على ثقافات أخرى متنوعة، بفضل عملية التثاقف، فتأثرت بها اجتماعياً وثقافياً.

ففي الشمال الجزائري تأثرت بعض العادات والتقاليد الأمازيغية المعبرة عن الموضوعات المحلية المتوارثة، بالعادات الفينيقية، وما حملته معها من تأثيرات هي الأخرى من عادات بابل وآشور وكنعان، كما تأثرت بعادات الحضارة الرومانية واليونانية والبيزنطية، ومختلف حضارات البحر الأبيض المتوسط.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 88.

أمّا المناطق الجنوبية والصحراوية فقد كان تأثير عادات تلك الحضارات محدودًا نوعًا ما، إلا أنّ عادات سكانها تأثرت بعادات الحضارات الزنجية والصحراوية، إذ يبدو ذلك واضحًا وملفتًا للنظر في مختلف الفنون الشعبية لتلك المناطق من مشغولات يدوية، وحرف ومهارات، ومنجزات فنية، ناهيك عن بعض التقاليد الممارسة في مختلف المناسبات<sup>1</sup>.

إلا أنّ التأثير العميق للعادات والتقاليد الجزائرية قد تحقّق خلال احتكاكها بما حملته الحضارة العربية الإسلامية من عادات وتقاليد، وتمّ تنقية العادات الأمازيغية من شوائب الشرك ومن كلّ القيم المنافية للدين الإسلامي بطريقة تدريجية، ومزجها بالعادات العربية والإسلامية، وإشاعتها في المناطق الجزائرية والمناطق المجاورة لها، إلا أنّ بعض المناطق المعزولة قد حافظت بعاداتها الأمازيغية بعد تنقيتها من المظاهر المنافية للدين الإسلامي، من خرافات ووثنيات وعصبيات ومظالم، فأصبحت بذلك طريقًا إلي إيقاظ الوعي الجمعي، وتغذيته بمثل أخلاقية جديدة وبفلسفة الحياة والاجتماع.

لقد هدّب الإسلام العادات والتقاليد القديمة، فشكّلت فسيفساء حقيقية توزّعت على كلّ المناطق الجزائرية، مع بعض الاختلافات البسيطة نظرًا لمساحتها الشاسعة، وتعاقب الحضارات الإنسانية عليها، بما فيها العهد الإسلامي الذي تميّز بتعاقب الدول الإسلامية التي تركت بصماتها واضحة على عادات وتقاليد الجزائريين، لذلك تميّزت بعض المناطق الجزائرية بخصائصها المحلية التي تنهل من منبع واحد، هو الثقافة الإسلامية العربية الأمازيغية.

والجدير بالذكر أنّ المجتمع الجزائري يتميز بطابعه المحافظ، إذ تلعب فيه العادات والتقاليد والأعراف دورًا بارزًا في استمرارية العلاقات الاجتماعية، فالأمثال الشعبية التي تُعتبر بمثابة المرآة العاكسة لخبرات وتجارب المجتمعات وفلسفتها للحياة والوجود معًا، تتناول مفهوم الأخلاق ونظام المسموح والمحظور، وتتجلّى من خلالها الكثير من الظواهر، كتقسيم الوظائف بين الرجل والمرأة، والذي يعكس طبيعة سلطة الرجل الجزائري على المرأة، من ذلك بعض الطقوس التي تمارس في إحدى مناطق الجزائر، إذ

<sup>1</sup> - محمد عيلان، الفنون الشعبية الجزائرية: واقع وآفاق، التواصل: مقاربات سوسولوجية للمجتمع الجزائري، عدد6، عنابة، الجزائر، جوان2000، ص213.

عندما يولد المولود الجديد، تقوم إحدى النساء بلف بيضة فوق رأسه، ثم تُكسر بيضة الذكر خارج البيت، بينما تُكسر بيضة الأنثى وراء نول النسيج داخل البيت. وهكذا يتمّ التقاسم الوظيفي بين الرجل والمرأة، فنتحدّد وظيفة المرأة داخل البيت منذ ولادتها، كما تتحدّد وظيفة الرجل بالأعمال المنجزة خارجه، وتُعتبر المرأة في بعض الأمثال الشعبية سبب الخير والشر "الخير امرة، والشر امرة" فهي السبب أيضاً في تفكيك الأسرة الممتدة، وظهور الأسرة النووية "كلمة الوسادة تفرّق بلدة"... الخ.

لقد كانت سيكولوجية المجتمع الأمازيغي محكومة بقيم لا تبعد عما كان المجتمع العربي يعرفه، بالنظر إلى التماثل الديني والمعاشي والحضاري بينهما، الأمر الذي صبغ الذهنية والقيم الثقافية والأخلاقية بصبغة واحدة، قوامها الغيرة على العرض، وصون المرأة، وحمايتها، والذود عن الشرف الذي يجسّد قوامة الذكر على الأنثى، إلاّ أنّه يجب أن نشير إلى أنّ الجهل قد أضر كثيراً بمبدأ القوامة الشرعية، وانحرف به إلى وجهة عبودية مطلقة، بعد أن عززت العقيدة الإسلامية من مكانة الصون التي ظفرت بها المرأة. إنّ التراتب الاجتماعي الذي عرفته البيئة الجزائرية عبر صيرورتها التاريخية، اتخذ من الممايزة بين الرجل والمرأة أهم ارتكازاته المبدئية والأخلاقية والعرفية.

كما يتميز المجتمع الجزائري بعادات وتقاليد تعود إلى ما يملكه من تعدّد وتنوع ثقافي نتيجة تداخل نسيجه الاجتماعي، إلاّ أنّ هذا التنوع يزخمه يجد له روابط وثيقة بين الجزائريين من جهة، ومع باقي الشعوب العربية والإسلامية من جهة أخرى، وتتجلى هذه الروابط في عادات وتقاليد شبه موحّدة يمارسها الأفراد خلال بعض المناسبات الاحتفالية، كعادات وتقاليد شهر رمضان، الذي يعني لدى الجزائريين شهر الصيام والعبادة والتزاور، والتراحم والصدقات وسائر أعمال البر، فلا يكاد يخلو بيت جزائري من القيام بمثل هذه الأعمال، حتى قبل قدومه إذ يبدأ الأفراد في التحضير له، فيعيد بعضهم طلاء منزله ترحيباً بقدومه، وتنشغل ربات البيوت بتوفير كلّ المستلزمات الواجبة لهذا الضيف العزيز، كما يشرعن في تحضير مختلف أنواع التوابل لمائدة رمضانية تليق بالعائلة وبالضيوف الذين سيشاركون العائلة الإفطار، وتتنوع المأكولات والحلويات.

كما تعمر المساجد في رمضان الكريم بالمصلين لتأدية الصلوات الخمس، وصلاة التراويح، وتلاوة القرآن، فنُقام مسابقات لحفظ القرآن واحتفالات دينية بالمناسبة تمتد إلى ليلة القدر المباركة التي تحظى بالاهتمام الأكبر وينتظرها كلّ الجزائريين بشوق وشغف، وتجدها الأسر والجمعيات الخيرية مناسبةً، لتقيم ختانا جماعيا للأطفال في جو أسري احتفالي بهيج .

أما الأطفال الذين يصومون لأول مرة، فنُقام لهم احتفالات خاصة، وتمنح لهم هدايا، تشجيعاً لهم على الصوم وترغيباً في الشهر الكريم ويحظون بالتميز من أجل دفعهم للمواظبة على أداء فريضة الصيام، وسط جوّ أسري يحفزهم على المحافظة على فريضة الصوم، وتجتمع الأسر بعد الإفطار في حركة تزاور وتراحم بين الأهل والأصدقاء، فبعد أداء صلاة التراويح، تلتقي النساء والفتيات في أجواء عائلية للسهر والسمر، وتنتشر في العاصمة وضواحيها لعبة "البوقالة"، وهي تقليد جزائري قديم يقوم على الحكم والأمثال الشعبية، التي تتفنن النساء في حفظها والمحافظة على نقلها للأجيال الناشئة كنوع من التنشئة الاجتماعية.

كما تتجسد خلاله مظاهر التكافل والتضامن اللتان تعبران عن تقاليد جزائرية عريقة، شجعها الدين الإسلامي، ودعا إلى ضرورة الحفاظ عليها، إذ تتكفل بعض الجمعيات بإقامة موائد "الرحمة" لإفطار الفقراء والمساكين وعابري السبيل، كما تتكفل الجمعيات الخيرية طيلة الشهر بتوزيع "قفة رمضان" على الأسر المعوزة، وللمجتمع الجزائري تقاليد وعادات عريقة في مناسبات احتفالية أخرى كمناسبات الزواج، والختان، والعيد، وأول محرم، وعاشوراء، وعيد يناير، والمولد النبوي الشريف... الخ.

ومن العادات الجزائرية، عادة "تويزة" وهي حملات تعاونية تطوعية تشترك فيها مجموعة من السكان لإنجاز مشروع ما، ومن أمثلتها خروج الفلاحين بآلاتهم إلى موقع السدّ، الذي ترتوي منه المدينة لإعادة إقامته كلما داهمته السيول العارمة وأزالت حاجزه من أجل تنظيف مجاري مياه السيول، وتكرّر العملية ربّما عدّة مرّات في السنة، وكذا اشتراك السكان في إنجاز المباني سواء كانت عامة كالمساجد أو المدارس الحرة أو خاصة كمساكن المواطنين والأشغال الفلاحية الموسمية لضخامتها واستعمالها كجني الثمر وتقليب الأرض وبزرها والحصاد، وتتم "التويزة" في أجواء من الحماس

والإنتشاد، فلا تقتصر "التويذة" على الرجال فحسب، بل تشمل النساء أيضا في أعمال النسيج.

وإذا ما عرجنا في عجالة على اللباس التقليدي الجزائري فإننا نجد أنواعا كثيرة منه فقد تخصّ بعض الألبسة التقليدية منطقة دون أخرى، ويمكن تسمية البعض منها كـ "البرنوس"، و"القشابية أو الجلابية"، و"القندورة"، و"السروال أعرب"، و"البدعية أو الصدرية"، و"القميص، والعمامة، التي تختلف أحجامها من منطقة إلى أخرى، أمّا ما يمكن ذكره بخصوص لباس المرأة فهناك ما يسمى "بالقنبوز" و"أحولي" وهما نوعان من الحجاب الذي لا يُبرز إلا عينا واحدة، وكذا "حجاب الفتاشة" و"حجاب الملايا"، والوقاية والخمري... الخ.

#### 4- التاريخ المشترك:

لم يكتسب القطر الجزائري اسمه: "الجزائر"، إلا في عصر متأخر، فبعض الروايات التاريخية ترجح أن تكون التسمية لحقت البلاد في العهد الإسلامي، وربما بعد العهد الموحيدي تحديداً، وتعددت الآراء حول أصل التسمية، إلا أنّ البعض يربط بين بلكين بني زيري (القبيلة الزيرية) وأصل تسمية (الجزائر = دزاير)، فيرى أنّ الكلمة قد حوّرت نتيجة كثرة الاستخدام<sup>1</sup>، بينما يرى البعض الآخر أنّ لفظ الجزائر عربي الأصل فقد كان من اليسير ربطه بالجزر الموجودة حيال ميناء المدينة<sup>2</sup>، وتوجد آراء أخرى، لا نرى ضرورة ذكرها لأن الذي يهمننا في هذه الدراسة هنا هو الاقتراب من مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، فالثابت أنّ هذا الوطن قد تلاحقت عليه التسميات عبر العصور، فقد أُطلقت عليه تسمية "توميديا" في العصر الروماني، وسُمّي "موريطنيا"، وبأسماء عواصم ومدن كان لها شأن في فترات متلاحقة، لكن التسمية التي قرت واسترسلت في الزمن هي تسمية "الجزائر".

عمّرت الجزائر قديماً سلالات عديدة، لكن الجنس الذي ارتبط بهذا الوطن هم "الأمازيغ"، ومعناه الرجال الأحرار<sup>3</sup>، فكان نظامهم الاجتماعي نظاماً عشائرياً، مترابط الأواصر بعامل القرابة الدموية، ومن أعرق البطون

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص169.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص169.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص170.



الأمازيغية في الجزائر قبيلة "زناتة" التي أدركت الإسلام ولعبت مع البطون الأخرى "صنهاجة" و"كتامة" وغيرهما دوراً في بناء حضارة تمخضت عنها انجازات كبرى في المجال السياسي والثقافي والمدني، فقد تعلم الأمازيغ من الفينيقيين فنون الملاحة والزراعة والتعمير والتعامل التجاري باستخدام العملة، بل اكتسبوا أساليب في الاجتماع والمدنية، لأنّ فينيقيا يومئذ كانت طرفاً في الحضارة المشرقية واستمرراً للحضارات البابلية والآشورية والمصرية والفارسية...الخ.

فقبل مقدّم العرب ساد الوندال، والرومان، والبيزنطيون، لكن تلك السيادة ظلت عرضة للانتفاضات، حيث تمكن الصمود الأمازيغي من التحرر من براثن المحتلّ مهما استغرق الزمن في منازلته. ومع وصول العرب محمّلين برسالة الإسلام، استحكمت صلة هؤلاء النازلين بالأرض، واسترسل وجودهم فيها عبر العصور، وتحوّل مقامهم بها إلى توطين نهائي، لقد كان للتشابه بين القبائل الأمازيغية والعربية من حيث وحدة الشرائع ومن حيث الطبيعة البدوية الصميّة والتماثل القيمي في مجال المعاش والاجتماع، لاسيما بعد أن سوى الإسلام بينهما، أثر إيجابي في تكييف المناطق الأمازيغية وخاصة الريفية منها، وجعلها تتقبل الوجود العربي في صورته البدوية، ويذكر الدكتور عثمان سعدي أنّ أصول الأمازيغ عربية، لذا فقد تقبلوا إخوانهم وانسجموا معهم بتلقائية<sup>1</sup>.

واستطاع المغاربة تأسيس دول مستقلة عن الخلافة العباسية، فحققوا قفزات نوعية في مختلف الميادين، فكانت بعض الدول كالدولة الرستمية متفتحة على العالم في جوّ من التسامح الديني والمذهبي<sup>2</sup>، إلا أنّ الحضور اليهودي والمسيحي كان قوياً ومؤثراً في بعضها الآخر، فقد انعقدت صلات بين الخلفاء الحماديين والزيريين وبين البابوية، كما أسست بعض المرافق الكنسية في بعض الجهات، وستأخذ مع مرور الزمن هذه الصورة الانفتاحية على الأجناس والبضائع والأفكار، أشكالاً من التأثير الأجنبي مع الانشغال

<sup>1</sup> - سعدي عثمان، الأمازيغ "البربر": عرب عاربة وعروية الشمال الإفريقي عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1996، ص65.

<sup>2</sup> - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: ناصر محمد ويحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص31-36.

بمظاهر البذخ والترف، حتى أصبح الأسطول النورماندي يتدخّل لنجدة حلفائه  
ولفرض إرادته في قضايا التجارة.

واستمرت الحملات التوطينية التي باشرها العرب المسلمين خلال  
فترات متلاحقة، واشتدّت في العهد الفاطمي، عندما أفاضت الخلافة على  
بلاد الأمازيغ الآلاف من البدو الهلاليين وغيرهم من القبائل العربية، لتعمير  
البلاد بهم، ولتطويعها للسيادة الفاطمية بواسطتهم، وتسبّب دخول الهلاليين  
إلى بلاد المغرب في انتكاس عام، أعاد الناس إلى وضع من التحلّل الإداري  
والنظامي، وهزّ في نفوسهم ما استقر من مكانة للدولة والسلطان ولأجهزة  
الحكم، إذ أضرّ بمشاعر الهوية التي عملت العهود والدول السابقة على  
تكريسها في نفسية المجتمع<sup>1</sup>.

ونتيجة لتلك الفوضى العارمة التي انتشرت في البلاد، وانغماس  
البعض في الترف والمجون ظهرت الدولة المرابطية، كحركة سياسية ودينية  
من مقاصدها استنقاذ المجتمع من وحل الانغماس الذي لحقه بسبب توغله  
في المدنية والرجوع به إلى دوره التبليغي الجهادي الأول الذي أناطه به  
الإسلام، والعودة إلى الأصل الأول، أي إلى الروحية الإسلامية كما تقمّمها  
الأمازيغ زمن طارق بن زياد والرواد الأوائل.

وظلت الدولة المرابطية تعتبر نفسها ولاية تابعة للخلافة العباسية،  
وهذا على الأقل في عهد مؤسسها ابن تاشفين الذي أرسل بموثق البيعة إلى  
ال خليفة العباسي في بغداد<sup>2</sup>، وإنها لخطوة معبرة لا تعكس إلاّ ذلك الارتباط  
الروحي الذي ظلّ يشدّ المغرب العربي بمشرقه.

ولقد كان عبد المؤمن ومن خلفه من أبنائه الموحدين امتداداً  
عضوياً لِماسينيسا، إذ أنّ البلاد في كلا العهدين انخرطت في خطة رشيدة  
من التعمير وتوطين الرحل، فسعى الموحدون بذلك إلى دمج البوادي في  
أجواء التمدن من منطلق تهنّيب، حيث تطلّعوا إلى تحويل الفرد الأمازيغي  
وأخيه الهلالي إلى الحضارة وكفّ العدوان، حتى أنهم استثمروا البعد السكاني  
بعقلانية، إذ سمحت برحيل الكثير من القبائل العربية والأمازيغية إلى  
الأندلس، وأدمجتهم في الآلية النظامية والمدنية.

<sup>1</sup> - عشراتي سليمان، مرجع سابق، ص 118.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 138.

وقد لمس ابن تومرت القواسم المشتركة والخصائص الموحدّة بين سكان بلاد المغرب الذين يكتنفهم الإسلام، ما زاده قناعة أنّ الأمة واحدة، وأنّ التشرذم من أعراض ضعفها وتآكلها، فركز جهوده على مستوى ترسيخ بنية الدولة، كما عمل على تعريب المجتمع الأمازيغي الإسلامي، الذي مال إلى ذلك وانعكست رغبته تلك في الاستجابة التعريبية التي أبداه<sup>1</sup>.

وما إن سقط لواء الموحدين حتّى انقسمت أقطار بلاد المغرب إلى دويلات، ودخلت في صراعات دامية لتوسيع النفوذ، فشاع بذلك التمرد على المدنية، وتجسّد في صور نهبٍ وسلبٍ تتعاطاها القبائل والعشائر، وتحترفها ارتزاقاً.

وبالرغم من ذلك لم نجد جهة واحدة شاقّت على ملك من خارج الحجة الشرعية، كما يذكر ابن خلدون: «أنّ العرب لا يحصل لهم الملك إلّا بصيغة دينية، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحّش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض؛ للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلّما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم»<sup>2</sup>، فالإمامة التي عاشها الأمازيغ في كنف دول شملتهم بسيادتها، وأدعّوا لها بطواعية، قد وطنتهم على التطلع وتشدّان الكمال، وكان من نتائج ذلك أن أضحو تواقين إلى الانقلاب والتجديد وتجاوز الانحسارات التي كانت النظم تقع فيها ما إن يمرّ عليها وقت قصير على تسلم زمام السلطة.

ونتيجة لذلك توسّعت مطامع الغرب في الاستيلاء على بلاد المغرب، حتى تمّ شراء الولاءات والاحتماء بأهل الذمة والنصارى، فمظاهر الهدنة والمصالحات التي كانت تقع بين الدول الإسلامية وبين دول الغرب الصليبي، تضع في مقدمة همومها ومطالبها دعم الوجود الكنسي وحماية السلك المترهب، بل ورد في بعض المعاهدات ضمان حرية التوسّع الكنسي، حتى أصبحت الكنيسة تطمع في تمسيح كلّ المغاربة، بعد أن هيات لهم المجال النفسي والروحي للتنصير، فكان الضعف السياسي والعقائدي يدفع ببعض أمرائهم إلى التنصير<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص135.

<sup>2</sup> - ابن خلدون عبد الرحمان، مرجع سابق، ص196.

<sup>3</sup> - عشراي سليمان، مرجع سابق، ص196.

لقد حركت الاختراقات الصليبية المتكررة على بلاد المغرب الإسلامي نفوس السكان للمقاومة، فانتظم الأفراد في سلك جهادي بعد أن مدوا يدهم لعروج وإخوته يسندونهم ويقودون الحملات والغارات على شواطئ العدو نفسها، حماية لدار الإسلام، فكانت هذه العمليات مثالا للتناقضية الأمازيغية والعربية الدفاعية التي حركها الإسلام في أفئدة أبنائه بعدما أدركوا الخطر المحقق بهم.

على الرغم من بعض المآخذ على العهد العثماني، فإنه من الإنصاف أن نذكر أن استعادة الوحدة الترابية للجزائر التي أوشكت على أن تكون قطعاً من السيفساء المنتثرة، كان على يد بابا عروج وخير الدين والدائيات الآخرين، الذين أعطوا للجزائر وضعيتها الجغرافية الراهنة<sup>1</sup>، فقد وجدوا البلاد على الصورة التي رسمها صاحب المقدمة.

لقد أثبتت بعض الدراسات الأوروبية أنّ البنية الاجتماعية الجزائرية قبيل الاستعمار الفرنسي كانت تتميز بالطبقية حيث تُشكل الكتلة الفلاحية التركية نوعاً من التميز الاجتماعي، إلى جانب ملاك العقار، كما تميزت تلك البنية بنمو القوى الإنتاجية، واحتكار البايك للقطاعات المنتجة<sup>2</sup>.

واصطدم المجتمع الجزائري بقوة أحدث من قوته تمثل في الجيش الفرنسي، فما كان عليه إلا أن يُقاوم من أجل حرّيته، غير أنّ الدولة سرعان ما تلاش بناؤها، وتبددت صفوف الجيش، وواصلت جيوش الاحتلال غاراتها على القرى والمدن الجزائرية رغم المقاومة التي أبداهها السكان إلا أنهم هُزموا وولوا الأدبار، فتعالت صيحات الاستغاثة وطلب العون من إخوانهم، غير أنّ الجزائريين ظلوا يتألمون في صمت لسكوت إخوانهم<sup>3</sup>، ممّا أيقظ فيهم الشعور الحاد بهويتهم الثقافية واقتناعهم بأن لا يعولوا إلا على أنفسهم، وهكذا فإنّ الضمير الجمعي تحرك في وجدانهم، فشنوا ثورات متتالية في كلّ مناطق الاحتلال، لكن المستعمر واصل عملياته الإجرامية من تحريق وإبادة، وتحطيم للبنى الاجتماعية، وتشكيك في الانتماء العربي الإسلامي، ومحاولة إدماج أرض الجزائر في التراب الفرنسي.

<sup>1</sup> - ولد خليفة محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 297.

<sup>2</sup> - جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر: دراسة سوسولوجية، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، ط3، 1983، ص 27-52.

<sup>3</sup> - سماتي محفوظ، الأمة الجزائرية: نشأتها وتطورها، تر: بناني محمد الصغير، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 129.

هكذا إن أراد الاستعمار الفرنسي مسّ كلّ مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، فجعلها تعيش وضعية صراع، بعرضها على كلّ أساليب الثقافة، إلا أنّ الهويات الثقافية في مثل هذه الوضعيات اتخذ لنفسها استراتيجيات عدّة، وعليه فقد اتخذت الهوية الثقافية الجزائرية حينها إستراتيجية الحفاظ على ذاتها، والدفاع الرمزي عن كلّ مقوماتها، رغم محاولات المستعمر طمسها، كما فعل الرومان من قبلهم، فقد استولى الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلامية، وتمت مصادرّة معظم المدارس والمعاهد، وفرض التعليم باللغة الفرنسية في جميع المدارس، ومحاربة الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وهكذا كان الإكراه والإرغام والقوة مميزات الطابع الثقافي حينها، وتبعاً لذلك كانت ردّات الفعل قوية، إذ تجلت بصورة عفوية في المقاومة الثقافية منذ أول اتصال بالغزاة الفرنسيين، على شكل حركة وطنية مسالمة، إلا أنّ المستعمر ظلّ يصعدّ عملية الثقافة، وأخذت ردّات الفعل أسلوباً أعنف تمثل قي المقاومة المسلحة، إلى أن تمّ تحرير البلاد.

هذه صورة مصغرة لتاريخ الجزائر المشترك، الذي يُعتبر مقوماً من مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، إذ يعتز به الجزائري، وبكل ما يحمل من آمال وآلام، باعتباره الذاكرة الجماعية، وقيم على أساسه حقيقته الاجتماعية.

### ثالثاً: مقاربات الهوية الثقافية الجزائرية

#### 1- المقاربة القومية العربية:

القومية في حقيقتها حركة سياسية تنادي بحقّ كلّ أمّة في أن تكون وحدة سياسية مستقلة، وقد نمت هذه الحركة في أوروبا، وفضلها تمكّنت كلّ من ألمانيا، وإيطاليا، من تحقيق وحدتها واستقلالها، كما انفصلت دول البلقان عن الإمبراطورية العثمانية نتيجة ذلك<sup>1</sup>.

اعتماداً على هذا المدلول فإنّ القومية العربية عبارة عن حركة سياسية تسعى إلى جعل العرب وحدة سياسية مستقلة، وقد ظهرت هذه الحركة بثورة العرب على الحكم العثماني سنة 1916م، أي أثناء الحرب العالمية الأولى، ثمّ حققت أولى نتائجها العملية بقيام جامعة الدول العربية سنة 1945م.

<sup>1</sup> - العشاوي محمد سعيد، الإسلام السياسي، موقف للنشر، الجزائر، 1990، ص 172.

إلا أن سعيد الدين إبراهيم يرى أنّ الأمة العربية تواجدت موضوعياً منذ أواخر القرن الثامن الميلادي بفعل انتشار الدين الإسلامي، واللغة العربية وهجرة واستيطان عدد كبير من القبائل العربية في الرقعة التي تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، واندماجهم وتزاوجهم مع أهل البلاد التي دخل إليها الإسلام، فقد كانت القرون الثلاثة التالية تكريساً لهذه العملية التاريخية الحضارية، وبحلول القرن الحادي عشر لم تكن الأمة العربية قد تشكلت فحسب، بل قد تبلورت ثقافياً واجتماعياً ووجدانياً، واستمر هذا التكامل إلى أن تم فصلت الهوية العربية المشتركة<sup>1</sup>، ولكن من الناحية المفهومية نجد فارقاً بين الوجود الموضوعي للأمة من ناحية، والدعوة القومية من ناحية أخرى، فالقومية تعني إدراك أبناء الأمة لهويتهم الثقافية المشتركة، ولتمييزهم الحضاري والثقافي عن غيرهم من الأمم، وتتطوي على الإحساس بوحدة المصير، والأهداف<sup>2</sup>، فالقومية العربية بهذا المعنى، هي مفهوم حديث يعود إلى القرن التاسع عشر، فقبل ذلك كانت الهوية الدينية الممثلة في الإسلام تجمع العرب بالأمم المسلمة الأخرى، وتجعلهم يعيشون في كنف الخلافة الإسلامية.

لبروز القومية العربية عوامل كثيرة، فقد كان النفوذ في بداية الخلافة الإسلامية للعرب، ثم انتقل للفرس، ثم الأتراك، وحين ظهرت الدعوة القومية العربية كان الأتراك الممثلين في سلاطين آل عثمان يحكمون أغلب البلاد العربية، في حين سقط غرب هذه البلاد ووسطها تحت الاحتلال الغربي، ولم تستطع الإمبراطورية العثمانية دفع هذه الهجمات عن أطراف ووسط الوطن العربي، أمّا مشرقه الذي كان تحت الحكم العثماني، فقد تعرّض بتصاعد مستمر لمزيد من الاضطهاد وسوء الإدارة.

وظهرت حينها على أجزاء الوطن العربي اتجاهات ثقافية، وتيارات فكرية جديدة، تحمل في طياتها مفاهيم مستحدثة كالليبرالية، والديمقراطية، والقومية... الخ، فتفاعلت هذه العوامل مع ضعف الإمبراطورية العثمانية،

<sup>1</sup> - سعيد الدين إبراهيم، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1998، ص332-333.

<sup>2</sup> - عاطف محمد غيث، مرجع سابق، ص274.

لنكون المناخ الملائم لدعوة القومية العربية، التي تمحورت حول استقلال الوطن العربي وتجميع أجزائه في دولة واحدة.

يقول سمير أمين: «إننا نؤيد فكرة الوحدة العربية لأنها نتاج تاريخي بسبب ما تمّ فيه من إدماج شعوب مختلفة الهويّات في هويّة ثقافية موحّدة، وقد قام طبقة التجار المحاربين بهذا التوحيد»<sup>1</sup>. فهو يفسّر هذه المقاربة تفسيراً اقتصادياً، كما يبحث الماركسيون عن التفسير الاقتصادي لكلّ فعل اجتماعي، فمن المعلوم أنّ عرب قریش على الخصوص كانوا تجّاراً منذ أمد بعيد، واحتكر المكيّون عبور البضائع الواردة من الهند أو من الإمبراطورية البيزنطية، إلّا أنّ هؤلاء التجّار لم يتمكّنوا من توحيد شبه الجزيرة العربية، فكان تأمين الطرق يتمّ بفضل التحالف بين مختلف القبائل، وحسب نظرة هؤلاء الماركسيين، فقد شعر التجّار العرب بروح الجهاد عند ظهور الإسلام، فراحوا يغزون العالم لضمان الاستثمار الواسع لتجارتهم، وفتح أسواق جديدة لترويج منتجاتهم المختلفة، فساهموا بذلك في توحيد هذه الشعوب، وإنشاء الأمة العربية.

فالمقاربة القومية العربية للهويّة الثقافية ترتكز على اللغة العربية، إذ تُعرّف العربي تعريفاً ثقافياً في المقام الأول، لا بالتعريف الديني، فالعربي هو كلّ من يتحدّث العربية لساناً، ويتبناها ثقافةً، ويستشعرها وجداناً، وبالتالي يحسّ بالانتماء إلى الكيان العربي، فمن زعماء هذه المقاربة غير مسلمين، أي أنّ الدين الإسلامي ليس شرطاً للعروبة والانتماء إليها، فقد حاولت الحركة القومية العربية في فجر بعثها أن تكون هويّة ثقافية علمانية، حيث رأوا في ذلك الضرورة الوظيفية لمواجهة الأتراك، الذين كانوا مسلمين متسلطين على العرب باسم الخلافة الإسلامية، إلّا أنّ ذلك استمر مع بعض قادة الفكر القومي العربي<sup>2</sup>.

أمّا في الجزائر، فلم تكن للأمازيغ لغةً مشتركة، وكان أدباؤهم يكتبون بلغات الدول المستعمرة، فالقديس أوغسطين، ويوبا الثاني مثلاً كانا يكتبان بالإغريقية واللاتينية<sup>3</sup> فلقد وجد العرب الفاتحون استجابة واسعة

<sup>1</sup> – Samir Amin, *La nation Arabe*, éd de minuit, Paris, France, 1976, p 07

<sup>2</sup> – سعيد الدين إبراهيم، مرجع سابق، ص336-339.

<sup>3</sup> – المناصرة عزالدين، الهويّات والتعددية اللغوية، دار مجدلاوي للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2004، ص172.

لرسالتهم الإسلامية ولثقافتهم العربية، إذ لم تمر إلا فترة وجيزة حتى أصبح الأمازيغ مسلمين يتحدثون العربية ويكتبونها ويخطبون بها بفصاحة قد لا نجدها حتى عند خطباء الجزيرة العربية، فسرعة انتشار الإسلام راجع لعدالة رسالته وسماحتها، أما سرعة انتشار لغة الضاد بين الأمازيغ فمرده حسب عثمان سعدي إلى انتماء الأمازيغية إلى اللغات السامية، أي إلى العربية القديمة<sup>1</sup>، فحتى الدول التي أسسها الأمازيغ فيما بعد في شمال إفريقيا عامة، وفي الجزائر على وجه الخصوص، كان أساسها إسلامية الدين، ولم تشذ واحدة منها عن ذلك، بل لم يحدث أن طلب زعيم من زعمائها الأمازيغ باستبدال الثقافة واللغة العربية بثقافة أخرى ولا بلغة أخرى، بل كان الفضل لهذه الدول في نشر اللغة العربية في أنحاء أخرى<sup>2</sup>، فكانت مرجعية الهوية الثقافية الجزائرية تعمد على قطبين متلازمين، الإسلام عقيدة، وأداته الحضارية المتمثلة في اللغة العربية.

وبمجرد احتلال فرنسا للجزائر اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية فيها، فمنعت بذلك استعمالها في جلّ المرافق العمومية، واستبدلتها باللغة الفرنسية، وتشجيع اللهجات المحلية، لمنافسة اللغة العربية، التي لم يبق لها سوى المساجد والمقابر، ودفاتر قضاة المسلمين والكتاتيب القرآنية التي كانت في الواقع تحت الرقابة المشددة، ما جعل محمد العربي ولد خليفة يصف تعليم اللغة العربية حينها بـ"حرب العصابات"<sup>3</sup>، وبمجرد ظهور التوجه القومي العربي في بلدان المشرق العربي، شعر الجزائريون بضرورة مسايرة هذا التوجه، فلم يكن علي خوجة من أوائل المدافعين عن انتساب الجزائر للقومية فحسب بل وضع تعريفاً حديثاً للهوية القومية العربية الجزائرية المؤسسة على اللغة العربية والعادات والتقاليد المختلفة عن عادات وتقاليد فرنسا، لذلك حُق للجزائر أن تعيش حرةً مستقلةً<sup>4</sup>، وقد اختلف الأمير عبد القادر مع علي خوجة الذي كان يؤمن بفكرة القومية الحديثة بمعناها اللاديني، وكان الأمير تقليدياً في تفكيره، فالقومية في نظره تقوم أولاً على الدين والبطولة والاقتصاد

<sup>1</sup> - سعدي عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 83.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 84-85.

<sup>3</sup> - ولد خليفة محمد العربي، مرجع سابق، ص 186.

<sup>4</sup> - سماتي محفوظ، مرجع سابق، ص 71.



والعاطفة وتتحقّق عن طريق القوة العسكرية<sup>1</sup>، ورغم اختلافهما في التفكير ووسائل مقاومة الاحتلال، إلاّ أنّهما كانا زعيمين قوميين، وكلاهما مات في المنفى.

ورغم مرور قرن وثلاث على التواجد الفرنسي على الأرض الجزائرية وممارسته كلّ الوسائل لمحاربة الثقافة العربية، واستطاعته نشر اللغة الفرنسية في الأوساط الجزائرية الواسعة، إلاّ أنّ ذلك لم يبلغ اللغة العربية والانتماء العربي للجزائريين، وبعد تضحيات جسام نالت البلاد استقلالها وعادت إلى حظيرة الدول العربية.

## 2- المقاربة الدينية الإسلامية:

ترى هذه المقاربة التي تجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مرجعيتها الأساسية، أنّ بإمكان الإسلام توحيد الأمة الإسلامية رغم تنوعها، كما يقول أحد مُنظري هذه المقاربة، رشيد رضا: «إنّ الأمة الإسلامية أمة واحدة، وإن اختلفت ديارها وتعدّدت أجناسها، ولا يمكن أن تُعرف حقيقتها إلاّ بعد معرفة تاريخها الماضي، فلا بد من تتبّع السواقي والجداول إلى ينبوع الأول الذي هو الأصل»<sup>2</sup>، فهو يؤسّس هذه الوحدة على العقيدة الإسلامية، كما يؤسّسها على التاريخ الذي يعتبره عاملاً أساسياً في تكوين الأمم، فالحملات التي شنت على الأمة، لم تكن لتقع لو لم تكن أمة إسلامية؛ فالإسلام كان حجّة كافية لينطلق التتار والصليبيون في الماضي، والمستعمرون في الحاضر لمحاربة الإسلام، وواد أية محاولة للوحدة الإسلامية، فالأحداث المتتالية التي مرّت بالمسلمين منذ تأسيس دار الإسلام نسجت علاقات متينة بين أعضاء الأمة وصنعت وحدتهم الوجدانية قبل وحدتهم الواقعية، هذه الوحدة التي وردت في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، 92]، على أساسها تُبنى هوية المجتمع الإسلامي باعتباره أمة واحدة، سواء تعلّق الأمر بالحياة الاجتماعية أو الجانب الروحي والنفسي، فالمشاعر العميقة تربطهم وهم يعيشون على بُعد آلاف الأميال من بعضهم البعض، حتّى قال فيهم لويس جادري L.Gardet: «قبل كلّ شيء لا بد من اعتبار العلاقة المتينة جدّاً والتي

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص72-73.

<sup>2</sup> - رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، ج1، ط2، بيروت، دت، ص310.

تربط المسلمين بعضهم ببعض وتجعلهم أمة حقيقة، إنها أمة تتمتع بصفة جماعة لها شعور حادّ بذاتها، وكلّ مسلم له وعي بالقيمة العالية لحياة هذه الأمة الإسلامية، وحتى عندما يكون وعيه غامضاً، والمسلم في خاصة نفسه قد يكون جاهلاً أو متطوّراً جداً، بل قد يكون شاكاً نوعاً ما بالنسبة للعقائد التقليدية، إلا أنّ هذا الشعور الذي يجمعه بمسلم آخر وبكافة المسلمين، لا يكون فاتراً بسبب ذلك»<sup>1</sup>.

فعلاقة الانتماء قائمة على الشعور على حسب لويس جادري L.Gardet، فهو إحساس مشترك يجمع الأفراد في بوتقة مقوم واحدٍ من مقومات الهوية الثقافية، هو الدين، حيث يقول هشام جعيط في كتابه "الفتنة": «ولا شك أنّ العرب ما كان يمكنهم أن يتوحدوا ولا أن ينتظموا ويرتفعوا إلى درجة أخلاقية أرفع، لولا الحركة النبوية، وبالتالي ما كان يمكنهم الدخول في التاريخ، وعلى هذا النحو كانت النبوة تطرح نفسها كأمرٍ يمد يده بأخلاقية، وبوحدة، وبمصير»<sup>2</sup>. هذه الوحدة التي حتّ عليها الدين الإسلامي في مواضع كثيرة، مبيّناً أنّ كلّ العوامل التي تفرق الأفراد عادةً، تزول عندما يتوقّف الأمر على علاقة الانتماء إلى الأمة الإسلامية؛ فاللغة واللون والجنس والعادات والتقاليد والمكانة الاجتماعية لا يُحسب لها أي حساب حينما يأخذ المسلم مكانه بين إخوانه المسلمين، فعندما يحدث أي مكروه لهم يتسارعون لمساعدة إخوانهم المصابين، كما يشاركونهم في مسرّاتهم، وبعُدونها فخراً لكامل الأمة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات، 10]، كما جاءت السنة الشريفة مستقيضة في دعوتها للتآزر والتعاون إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (رواه مسلم).

إذا كانت المجتمعات الإسلامية قائمة على الشعور بالانتماء المشترك، فإنّ علاقة هذا الانتماء قائمة على الشعور على حسب لويس جادري L.Gardet، وأمّا رضوان السيد، فيرجع ذلك لكون الإسلام «يمثل

<sup>1</sup> - سماتي محفوظ، مرجع سابق، ص 106.

<sup>2</sup> - جعيط هشام، الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1991، ص 13.

المشروع العالمي لإدماج كلّ البشر في نظام السلام والتعاون»<sup>1</sup>، ففي رأيه يمثل النظام الإسلامي النظام الذي تطمح إليه البشرية، لأنّ التجربة أثبتت أنّ النظم القائمة على العرقية والتي توسعت إلى القومية آلت إلى الفشل، لأنّ التمسك بالعرق يمنع الناس من التقارب، أمّا الأخوة في أحضان الأمة مع الاعتراف بالآخر، فإنها تشكل النموذج الاجتماعي الذي يتحقق في الإسلام.

أمّا المجتمع الجزائري فقد تمسك بالإسلام تدريجياً، وأصبحت الشريعة الإسلامية تشمل جميع الميادين، وتُطبق في الغالب على جميع العقود والمنازعات التي تطرأ، ولا يحقّ لأحد أن يستبدلها بقانون آخر، لذلك فإنّ المقوم الديني يتدخل أكثر من أي مقوم آخر في تبلورات وتشكلات الهوية الثقافية للجزائريين، والتي تحدّد الفاعلين الاجتماعيين، وبالمقارنة مع الستينيات، نجد انتعاشاً ونشاطاً متجدداً للمقوم الديني على حساب المقومات الأخرى داخل الحركة الاجتماعية<sup>2</sup>، فاحتواها بذلك فأصبح يُنظر إلى التاريخ المشترك على أساس التاريخ الإسلامي باعتبار المجتمع الجزائري يشكّل الامتداد الطبيعي للمجتمع الإسلامي الأوّل الذي يستمد شرعيته من الجماهير، نتيجة الخطاب الديني الواسع الانتشار الذي يميل إلى الهيمنة على كلّ الفئات الاجتماعية، فيسعى من أجل ذلك إلى تقديم أجوبة على كلّ الأسئلة سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية<sup>3</sup>.

ويُنظر إلى العربية باعتبارها لغة القرآن، وبواسطتها يتمّ فهم هذا النصّ، والتمكّن من تأويله. كما يتم اعتبار بعض العادات والتقاليد التي تتفق مع القواعد الشرعية عبادات دينية، كونها تحكّم سلوك الأفراد في المجتمع، أمّا العادات التي تعارض القيم الدينية فهي محلّ استنكار ورفض<sup>4</sup> ويوصف بعضها "بالبدع الضالة".

وقد لاحظ علي الكنز في دراسته حول الواقع الجزائري، من خلال الملاحظة الدقيقة، أنّ تأثير العنصر الديني على الجزائريين يختلف باختلاف فئات المجتمع، فيقترن هذا التأثير بالخطوط الكبرى للتركيبية الأفقية للمجتمع،

<sup>1</sup> - السيد رضوان، الأمة والجماعة والسلطة، دار إقرأ، ط2، بيروت، 1986، ص115.

<sup>2</sup> - الكنز علي، حول الأزمة: خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي، دار بوشان، الجزائر، 1990، ص61.

<sup>3</sup> - البنا حسن، مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي: مجموعة رسائل الإمام الشهيد: حسن البنا، ج2، مكتبة الرحاب،

الجزائر، د.ت، ص88-127.

<sup>4</sup> - يسري عبد الغني عبد الله، القواعد الاجتماعية في الشريعة الإسلامية ودورها في أمن المجتمع واستقراره، التسامح، العدد5، وزارة

الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، عُمان، 2006، ص196.

فهناك: الإسلام الشعبي ووصفه بالتدّين التوفيقي والاسترضائي فعلاقته ضعيفة بالتأويل النصي المكتوب وهو الأكثر تفتّحاً من الأنواع الأخرى، حيث يتكيف مع دعاة التغيير الاجتماعي. والإسلام التقليدي وهو تاريخياً نتاج جمعية العلماء المسلمين، يتميّز بانتشاره الواسع بين فئات الطبقة المتوسطة وبخاصة بين المُدرّسين والمربين والموظفين، ويختلف عن النوع الأوّل كونه يرتبط أكثر بالممارسة المعرفية للنصوص المقدّسة<sup>1</sup>، ويعتبر امتداداً لجهود مدرسة الإصلاح في المشرق الإسلامي التي ركزت على التربية والتعليم، والتي زاد انتشارها بعد زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903م ولقائه ببعض علمائها، وكان لمجلة "العروة الوثقى" ثمّ "المنار" تأثير كبير على الجزائريين<sup>2</sup>. وأخيراً الإسلام غير المرئي بسبب طقوسه الدينية التي تحميه، فهو منغلق على ذاته ومتفتّح فقط على أتباعه، إنه إسلام المجموعات الطُرقية القريبة من الصوفية، فإذا كان النوع الأوّل يبحث عن فهم وتنظيم العالم فالثاني يسعى لجعل الإسلام يتأقلم مع الوقائع العالمية، أمّا الثالث فيحاول الابتعاد عن العالم والحياة اليومية والاعتزال داخل الحياة الروحية<sup>3</sup>.

أصبحت الرمزية الدّينية تتوب الرمزية العقلانية والعلمانية التي تعرف اليوم أزمة عميقة، ليس في البلدان الإسلامية فحسب بل حتى في بلدانها الأصلية، فالرمزية الدينية مطابقة للوسط الثقافي المحلي، كما أنّها موافقة للمرجع التاريخي والحضاري للجزائر، ممّا ساهم في انتشار ظاهرة الإسلام السياسي، فوجهت بذلك الأحزاب الإسلامية اهتماماتها لمسألة شرعية السلطة السياسية، مغتنمةً نظرة الجزائريين التقديسية للإسلام وفشل التجربة القومية في البلدان العربية، فتّم الخلط بين الديناميكية السياسية للإيديولوجية الدّينية والدّين كممارسة اجتماعية، وكتجربة جماعية للإعداد الروحي<sup>4</sup>.

وقد تتحول الهويّة الثقافية الدينية من مفهوم اجتماعي مقبول لدى الجزائريين، إلى تطرف يهدّد التفاعل والتواصل مع الآخر، فيتمّ بذلك وضع الحدود معه، فتبرز صورة العدو التي لا تخلو من الخيال والأسطورة فهو الكافر والجاهلي والمرتد والزنديق... الخ، وهكذا يشكّل سيد قطب صورة

<sup>1</sup> - الكنز علي، مرجع سابق، ص 62.

<sup>2</sup> - قلاتي بشير، دراسات في مسار وواقع الدعوة الإسلامية في الجزائر، مكتبة إقرأ، الجزائر، ط1، 2007، ص 28-29.

<sup>3</sup> - الكنز علي، مرجع سابق، ص 63-64.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

الأخر المختلف من خلال افتراضه بأن الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات: مجتمع إسلامي ومجتمع جاهلي، فتمّ بذلك تقسيم العالم إلى "دار سلام" و"دار حرب"، ولم يكتف بعض أتباعه بذلك بل تبناوا ما سميّ "بجاهلية القرن العشرين"، فازدهرت فكرة التكفير، وأصبحت تُهمّة، قد تصل عواقبها إلى درجة القتل<sup>1</sup>، فاستلهمت بذلك بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة الجزائرية من هذا الخطاب "المخيالي"، تصوّرها لإعادة تشكيل المجتمع الجزائري، فتطوّرت بذلك "ثقافة الموت" إن على مستوى الفكر والتنظير وإن على مستوى الممارسة والفعل.

### 3- المقاربة الكولونيالية:

المقصود بالمقاربة الكولونيالية تلك الدراسات والأعمال التي أُجريت خلال الفترة الاستعمارية، والتي عملت على دراسة المجتمع الجزائري، والتنقيب في بنياته الاجتماعية والثقافية، فهي أعمال قام بها أفراد سواء من ذوي الاختصاص السوسولوجي، أو الأنثروبولوجي من جهة، أو من ذوي الاختصاصات الأخرى.

في واقع الأمر لا يمكننا تحديد بداية الاهتمام الكولونيالي الفرنسي بالمجتمع الجزائري وثقافته، إلا أنه قد نمت وتطوّرت بتطوّر التسلط الاستعماري، فقد عرفت الكتابات الإثنوغرافية والإثنولوجية بمفهومها الحديث غزارة ووفرة طوال الفترة الاستعمارية، فإنّ «الاكتشاف العلمي للجزائر ارتبط بعملية الاحتلال ويتقدم الجيش على الساحة»<sup>2</sup>، وبذلك نستطيع أن نقول بأنّ تلك الكتابات قد مرّت بمرحلتين أساسيتين منذ دخول الفرنسيين أرض الجزائر.

فقد اتسمت كتابات المرحلة الأولى التي قام بها بعض الرحالة المغامرون، ورجال التبشير، ثم الإداريون والضباط العسكريون، بطابعها الوصفي الإثنوغرافي، وذلك بوصف عادات التغذية واللباس والأعراس والطقوس الدينية والعادات الفلاحية إضافةً للمأثورات الشعبية... الخ، كما تميزت بطابعها الاستكشافي، فكانت عبارة عن انطباعات، وملاحظات عابرة

<sup>1</sup> - سموك علي، إشكالية العنف في المجتمع الجزائري: من أجل مقارنة سوسولوجية، مخبر التربية والانحراف والجريمة في المجتمع، جامعة عنابة، الجزائر، 2006، ص 262-265.

<sup>2</sup> - P. Lucas et J.C. Valtin, *L'Algérie des Anthropologues*, Maspero, Paris, 2 éd, 1982, p13.

عن الثقافة الجزائرية، وبعض الظواهر الاجتماعية المختلفة، حتى أن بعض الكُتاب قد أعطوا مغالطة عن الواقع، حيث وصفوا الجزائر بالعالم السحري، الذي لا يوجد إلا في الخيال، فكانت كتابتهم بذلك لا تخرج عن إطار الحملة الدعائية التي تهدف إلى جلب أكبر عدد ممكن من المعمرين<sup>1</sup>، ويبدو أن القاسم المشترك بين جلّ تلك الكتابات هو تصنيف المعلومات الإثنوغرافية حسب المناطق الجغرافية (التلّ، منطقة القبائل، الصحراء)، وحسب العنصر (قبائلي، عربي)<sup>2</sup>، فاخترلت بذلك الإثنولوجيا الكولونيالية منذ بدايتها الجزائر إلى مجرد فسيفساء من المجموعات الإثنية المتجاورة من العرب، والقبائليين، والمزابيين، والشاوية، واليهود...<sup>3</sup>، فيقول بهذا الصدد دumas في كتابه "العادات والتقاليد الجزائرية": «ينقسم سكان الجزائر إلى عنصرين متميزين، العنصر القبائلي، والعنصر العربي، وبالرغم من كونهما مسلمين، إلا أن الاختلاف في عاداتهما وتكوين مجتمعيهما وأصليهما ولغتيهما يشكل قسامين كبيرين مختلفين تماماً»<sup>4</sup>.

وهكذا شكلت تلك الكتابات فيما بعد رصيذاً مهماً من المعلومات المتراكمة التي غدت الأبحاث الأنثروبولوجية والسوسولوجية الكولونيالية وغيرها فيما بعد.

أمّا المرحلة الثانية التي تتمثل في الكتابات الإثنولوجية والسوسولوجية، فكانت أكثر وضوحاً لتناولها لمقومات الهوية الثقافية الجزائرية، بمقاربة تختلف عن المقاربتين السابقتين، فالأبحاث الإثنولوجية التي تناولت المجتمع الجزائري، قد حرصت على إظهار المقوم التاريخي المختلف بين النسقين المختلفين، إذ سعت إلى إبراز المراحل التاريخية التي مرّت بهما التركيبيتين البشريتين العربية والأمازيغية، مع التركيز على المرحلة التي سبقت دخول الإسلام إلى هذه المنطقة، بحثاً عن الخصائص العرقية للمجتمع الأمازيغي وعن الرواسب الثقافية القديمة، لإثبات الأصل الأوروبي للأمازيغ، أو ما أسماها Ageron بـ"الأسطورة القبائلية"، حيث كان القس رينال Raynal أول من تحدث عنها، فسجل بذلك السمات الأساسية للشخصية

<sup>1</sup> - معتوق جمال، علم الاجتماع في الجزائر: من النشأة إلى يومنا هذا، بدون دار نشر، الجزائر، ط1، 2006، ص40.

<sup>2</sup> - P. Lucas et J.C. Valtin , Op.cit, p14-16.

<sup>3</sup> - سموك علي، مرجع سابق، ص171.

<sup>4</sup> - E.Dumas, *Mœurs et coutumes de l'algérie*, Sindabad, Paris, 1988, p 29

الأمازيغية المتمتلة في لغته الأصيلة، وميله للعيش في الجبال والمناطق الوعرة وشغفه بالحرية وحبه للعمل وقابليته للتطور، مما يؤكد أصله الشمالي، أي الانحدار من السلالة الوندالية والجرمانية، وبضيف ماسكوري Masqueray أنّ المهمة الحقيقية المنوطة بفرنسا هي تحرير الأمازيغ الذين احتلهم العرب واضطهدوهم فطاردهم ثم حاصروهم في الجبال والمناطق الوعرة، ليحين دور الأتراك الذين استغلّوهم أبشع استغلال، لذلك نجد انعدام التجانس، والأحقاد الكامنة بين العنصر العربي والعنصر الأمازيغي، وهذا ما يدفعنا لإدماج هذا الأخير، ومحو العرب<sup>1</sup>، وهكذا كانت المقاربة الكولونيالية لمقوم التاريخ تهدف إلى معاداة الانتماء العربي، واعتبار العرب غزاة، بتشجيع المدّعين باختلاف العنصر العربي عن العنصر الأمازيغي، وانحدار هذا الأخير عن الأصل الأوروبي.

وتواصل هذه المقاربة في تناولها لمقومات الهوية الثقافية الجزائرية، حتى أنّ الاهتمام الكولونيالي كان مُنصباً أيضاً على العادات والتقليد الجزائرية بشكل ملفت للانتباه، كما يشير إلى ذلك جمال معتوق بقوله: «لم يتركوا أي صغيرة أو كبيرة إلاّ ودرسوها، كالسحر والوشم والنشاط الحرفي والبقالة، والأساطير والحكايات الشعبية...»<sup>2</sup>، غير أنّها لم تختلف في التركيز على إبراز التباين الواضح بين العنصرين العربي والأمازيغي في عاداتهما وتقاليدهما، ويمكننا في هذا الصدد الإشارة إلى كتاب "بيار بورديو" P. Bourdieu (سوسولوجية الجزائر Sociologie de l'Algérie) والذي طُبِع لأول مرة سنة 1958، وباعتباره عالماً متخصصاً اهتم كثيراً بالمجتمع الجزائري، ففي هذا الكتاب ينطلق المؤلف من مُسَلِّمة أساسية، هي أنّ الشعوب القاطنة في شمال إفريقيا عامة، والجزائر خاصة، تتكون من قبائل ذات أصول عرقية مختلفة كلّ الاختلاف (Groupes ethniques) لا يجمع بينهما إلاّ التجاور في المكان والتواجد في الزمان، لذلك ينبغي أن تُدرس باعتبارها وحدات وأنساق منفصلة ومختلفة. ويزعم أنّ هذا التباين لا يرجع إلى الأصول العرقية المتباعدة فحسب، بل يظهر جلياً في الثقافات والعادات السائدة في كلّ

<sup>1</sup> - أجرون.ش.ر، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية، تر: ولد خليفة محمد العربي، منشورات ثالة، الجزائر، 2002، ص 24-46.

<sup>2</sup> - معتوق جمال، مرجع سابق، ص 70.

مجموعة سكانية ( القبائلية، الشاوية، المزابية، العربية) <sup>1</sup>، وبناءً على هذا الوصف صمّم لكل مجموعة بناءها الاجتماعي، ونسقها الثقافي، ونمط الحياة السائدة من عادات وتقاليد، مركزاً على السمات المميزة لكل مجموعة إثنية، كي يحرضها على طلب هويتها الثقافية المتميزة عن غيرها<sup>2</sup>.

لقد كانت مادة معظم الأعمال تركز على محاور أساسية منها: العنصر، اللغة، أنماط الحياة، وأساليب الإنتاج... الخ، مع الاهتمام المبالغ فيه على منطقة القبائل، مثل عمل "مونييه" Mounier التلميذ المخلص لـ"مارسيل موس" M.Mauss مستعملاً بعض المفاهيم العامة التي قدمها "موس" كاهتمامه بمبدأ التبادل والزام رد الهدية، في تناوله لعادة "توزيع" الموجودة في منطقة القبائل، دون غيرها من المناطق<sup>3</sup>، إلا أنّ هذا النظام من التعاون، معروف ومطبّق في الكثير من المناطق الجزائرية خصوصاً المناطق الريفية، كما مرّ سابقاً.

ويمكننا في هذا الصدد الإشارة إلى كتابات "وارنيي" Warnier الذي يعتقد في مواضع كثيرة أنّ الأمازيغ يمثلون الأغلبية بينما العرب هم الأقلية، والأمازيغ هم الجزائريون الحقيقيون، وهم الأقرب إلى الثقافة الأوروبية، فعاداتهم وتقاليدهم مرنة، ولتنظيماتهم الطابع المدني والديمقراطي، فمؤسساتهم سلبية القانون الروماني، وهم ميّالون إلى التملك، مع الإشارة إلى التفوق الحضاري القبائلي على بقية الأمازيغ، ممّا سيُسهل حُسه تشريبيهم بالقيم الحضارية الفرنسية، بالمقابل يتنكر لوجود العنصر العربي في الواقع الجزائري، إذ أنّ المستعربين هناك ما هم إلاّ تجميع لقبائل متناثرة ومتناحرة، لا عادات ولا تقاليد لها، وراح يقابل النزعة الشيوعية المنحلة للعرب بالتنظيم المدني للأمازيغ، كما قارن بين تعامل الأمازيغي مع المرأة حيث لا يعدد الزوجات على العموم ويحترمها، باتخاذها أختاً وأماً وربة بيت ويوسع من مجال حريتها، بينما العربي يتعامل معها كالأثاث أو "البهيمة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> – Bourdieu Pierre, *Sociologie de l'Algérie*, presses universitaires de France, Paris, 2éd,1963, p5-8.

<sup>2</sup> – ولد خليفة محمد العربي، نقد كتاب: سوسيولوجية الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 05، الجزائر، 1972، ص154.

<sup>3</sup> – بوراكي محمد، واقع وأفاق البحث السوسيولوجي في الجزائر، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جامعة الجزائر، العدد1، الجزائر، 2000، ص177-178.

<sup>4</sup> – أجرون.ش.ر، مرجع سابق، ص30-34.



أما بالنسبة لمقوم الدين فقد أخذ حصة الأسد في جانب الاهتمام بتناوله، إلا أن ذلك لم يخرج عن الإطار العام لهذه المقاربة حيث تم تقسيم الهوية الثقافية الجزائرية إلى ثنائية عرب/ أمازيغ، فالعقيد دumas والنقيب فابر Fabar يعتقدان أن الدين الإسلامي قد فرض فرضاً على الجنس الأمازيغي من قبل الجنس العربي الغازي، فالشعب الأمازيغي الأوروبي الأصل قد عرف المسيحية ولم يطرأ عليه تغيير رغم الدين الجديد، وإن قبل القرآن لكنه لم يعتنقه قط، فهذا المجتمع لا يتميز بفتور في التدين الإسلامي فحسب، بل إن أعرافه تشتم منها رائحة المساواة ورحمة المسيحية<sup>1</sup>.

وكان الأسقف لافيغري Lavigerie مقتنعاً بأن للفرنسيين والأمازيغ دم واحد، وأصل روماني واحد، وانتماءً مسيحي قديم واحد، لذلك حاول القيام بربط صلات ربانية جديدة بغية إعادة تصيرهم، ما جعله يُكون جمعياته الجديدة "الآباء البيض" (les pères blancs)، وتم إنشاء خمس (5) مراكز في القبائل الكبرى في ظرف سنتين، ثم مركز غرداية، إلا أنه أوصى الآباء البيض بعدم الخوض في المسائل الدينية مع السكان، ما لم يتحدثوا هم عنها لأنه استنتج أن الأمازيغ يحترمون رجال الدين المسيحيين إلا أنهم سرعان ما يثورون إذا تمّ المساس بمعتقدهم الإسلامي وبنبيهم<sup>2</sup>، ممّا يدل على تمسكهم بدينهم الإسلامي، وأن ما كان يعتنقه دumas، وفابر، ولافيغري، وغيرهم، ما هي إلا تخمينات وتكهنات، سرعان ما تكشف الأحداث عدم صحتها فيما بعد، وتفشل مخططات لافيغري خاصة بعد أن استقبل زمن حدوث المجاعة سنتي 1868-1869 نحو 1750 طفلاً تتراوح أعمارهم بين 08 و14 سنة، ولكن سرعان ما طالبت واحتجت أسرهم و"داويرهم" الأصلية على ذلك، ولاسيما عند انتشار شائعة تعمد مسيحيهم، فتارت نائرة المسلمين، حتى رُفعت القضية إلى باريس، وبعد جهدٍ جهيد تمّ إرجاع نسبة معتبرة منهم لأسرهم<sup>3</sup>.

كما اهتمت المقاربة الكولونيالية بمقوم اللغة، حيث اعتبرت العربية لغة دخيلة على المجتمع وتحمل في طياتها بذور التخلف، لذا يجب محاربتها

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص29.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص39-40.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص122.

واستئصالها من عقول وألسنة الجزائريين، ولن يتأتى ذلك إلاّ بنشر اللغة الفرنسية لغة التقدّم والرقي الحضاري من جهة، وتشجيع استعمال اللغة الأمازيغية ولهجاتها المحلية، واهتم بها بعض الفرنسيين منهم: هانوتو Hanouteau الذي اهتم بلهجة الطوارق، ماسكوري Masqueray بلهجة الشاوية، موتيلانسي Moutilansi باللهجة الميزابية، أمّا بروسلاّر Brouslard فقد ألف قاموساً عن اللهجة القبائلية، وأصدرت نشرة (المراسل الإفريقي) التي كانت تصدر عن مدرسة الآداب في الجزائر، مؤلفات كاملة عن اللهجات الأمازيغية في بعض مناطق المغرب العربي، فلم يبق من الإنجاز إلاّ إصدار مؤلفات عن النحو، والألفاظ المقارنة بين مختلف اللهجات الأمازيغية<sup>1</sup>.

### الخاتمة:

يمكننا في الختام أن نستنتج أن مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، تستند إلى قواسم مشتركة بين الجزائريين هي: الإسلام دين المجتمع، والعروبة والأمازيغية لغتاه، والعادات والتقاليد بتنوعها رصيد مشترك بين كلّ الجزائريين، وثراء لتراثه، والتاريخ الجزائري بجميع مراحلها كلّ متكامل وحلقات منسجمة لا تميز بينها.

وهذه القواسم المشتركة تمثل العناصر الأساسية في الهوية الجزائرية، فلا يمكن بذلك اختزال المشروع الثقافي التعددي، في بعد واحد ووحيد، كما أنّ تاريخ ما قبل الإسلام، لا يتناقض مع التاريخ الإسلامي للجزائر.

غير أنّ تناول هذه المقومات قد تميّز بمقاربات مختلفة، تعكس وجهات نظر متعددة، ومتضاربة أحياناً، وتُشم في بعضها رائحة التأثير الإيديولوجي، وما من شك أنّ تأثير هذه المقاربات لا يزال واضح المعالم إلى يومنا هذا على الفرد الجزائري، والدليل على ذلك ما شهدته الجزائر من أحداث، مرتبطة بمقومات الهوية الثقافية الجزائرية بصفة عامة، وبمقومين أساسيين هما: اللغة، والدين بصفة خاصة منذ الاستقلال. ولا تزال بعض المسائل المتعلقة بمقومات الهوية الوطنية محلّ نقاش واسع سواء في أوساط الأنتلجنسيا الجزائرية، أو في الأوساط السياسية والعامية، منها على وجه الخصوص، مسألة التعريب، والمسألة الأمازيغية، ومسألة التطبيقات السياسية

<sup>1</sup> - معنوق جمال، مرجع سابق، ص 44-45.

للإسلام، ما جعل المجتمع الجزائري يعيش بين مؤيد لمسألة ما ومعارضٍ لها، على حسب تأثير جاذبية المقاربات السابقة الذكر عليه، ووضعيات المثاقفة التي يعيشها، بفعل احتكاكه بالثقافات الأخرى سواءً كانت عن طريق الإعلام أو عن طريق المؤسسات التعليمية التي يسيرها فاعلون اجتماعيون ذوو ثقافة مختلفة عن الثقافة الجزائرية الأصل.

### المراجع:

1. ابن الصغير (1986). أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق: ناصر محمد وبحاز إبراهيم. الجزائر: المطبوعات الجميلة.
2. ابن منظور (د.ت). لسان العرب. دار بيروت للطباعة والنشر. المجلد 9.
3. أجرون ش.ر. (2002). المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية. ترجمة: ولد خليفة محمد العربي. الجزائر: منشورات ثالثة.
4. أحمد بن نعمان (1988). السمات الشخصية الجزائرية: من منظور الانتروبولوجيا النفسية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
5. برهان غليون (1990). اغتيال العقل. الجزائر: موفم للنشر.
6. بسّام بركة (نوفمبر 2002). اللغة العربية القيمة والهوية. مجلة العربي. العدد. 528.
7. بن نبي مالك (2000). مشكلة الثقافة. ترجمة: شاهين عبد الصبور. دمشق: دار الفكر.
8. البنا حسن (د.ت). مجموعة رسائل الإمام الشهيد: مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي. ج2. الجزائر: مكتبة الرحاب.
9. بورويبة رشيد وآخرون (1984). الجزائر في التاريخ: العهد الإسلامي. ج3. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
10. جان بول ويليم (2001). الأديان في علم الاجتماع. ترجمة: بسمة بدران. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
11. جمال معتوق (2006). علم الاجتماع في الجزائر: من النشأة إلى يومنا هذا. الجزائر: بدون دار نشر.

12. حجازي سمير سعيد(2005). معجم المصطلحات الحديثة:  
في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة. بيروت: دار الكتب العلمية.
13. حمادي سمون وآخرون(1984). اللغة العربية والوعي القومي.  
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
14. خليل أحمد خليل (1995). معجم المصطلحات الاجتماعية.  
بيروت: دار الفكر اللبناني.
15. داريوس شايفان (1993). أوهام الهوية. ترجمة: محمد علي  
مقاد. بيروت: دار الساقى.
16. دينكن ميتشيل(1982). معجم علم الاجتماع. ترجمة:  
إحسان محمد الحسن. ط3. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
17. ر. بودون وف. بوريكو(1982). المعجم النقدي لعلم  
الاجتماع. ترجمة: سليم حداد. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ..
18. رايح تركي (1976). التعليم القومي والشخصية الوطنية.  
الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
19. رشيد رضا (د.ت). تفسير المنار. ج1. ط2. بيروت: دار  
المعرفة.
20. رضوان السيد (1986). الأمة والجماعة والسلطة. ط2.  
بيروت: دار إقرأ.
21. زكي الميلاد (2005). المسألة الثقافية: من أجل بناء نظرية  
في الثقافة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
22. ساطع الحصري (د.ت). ما هي القومية. بيروت: دار العلم  
للملايين.
23. سامية حسن الساعاتي (2008). الثقافة والشخصية. ط4.  
القاهرة: دار الفكر العربي.
24. سعدي عثمان (1982). عروبة الجزائر: عبر التاريخ.  
الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
25. سعدي عثمان (1996). الأمازيغ "البربر": عرب عارية  
وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ. ط2. الجزائر: المؤسسة الوطنية  
للكتاب.

26. سعيد إسماعيل علي (2005). الهوية والتعليم. القاهرة: عالم الكتاب.
27. سعيد الدين إبراهيم (د.ت). اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
28. سليمان عشارتي (2002). الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
29. عاطف محمد غيث (2006). قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
30. عبد الرحمان ابن خلدون (2004). مقدمة بن خلدون. تحقيق: حامد أحمد الطاهر. القاهرة: دار الفجر للتراث.
31. عبد الرحمان بدوي (1984). موسوعة الفلسفة. ج2. ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
32. عبد الغاني عماد (2006). سوسولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
33. عبد القادر جغلول (1983). تاريخ الجزائر: دراسة سوسولوجية. تر: فيصل عباس. ط3. بيروت: دار الحداثة.
34. عبد المنعم الحنفي (1992). المعجم الفلسفي. لبنان: دار ابن زيدون.
35. عز الدين المناصرة (2004). الهويات والتعددية اللغوية. عمان. الأردن: دار مجدلاوي للنشر.
36. عظمة عزيز وآخرون (2005). الهوية: من أجل حوار بين الثقافات. ترجمة: قنيني عبد القادر. بيروت: المركز الثقافي العربي.
37. علي الكنز (1990). حول الأزمة: خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي. الجزائر: دار بوشان.
38. علي خذري (ديسمبر 1994). اللغة وشخصية الأمة. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. العدد2. جامعة باتنة.

39. علي سموك (2006). إشكالية العنف في المجتمع الجزائري: من أجل مقارنة سوسولوجية. الجزائر: مخبر التربية والانحراف والجريمة في المجتمع. جامعة عنابة.
40. علي عزت بيجوفيتش (1994). الإسلام بين الشرق والغرب. ترجمة: عدس محمد يوسف. بيروت: مؤسسة العلم الحديث.
41. فريديريك معتوق (1998). معجم العلوم الاجتماعية. بيروت: أكاديميا.
42. فنديريس. ج (1951). اللغة. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
43. قلاتي بشير (2007). دراسات في مسار وواقع الدعوة الإسلامية في الجزائر. الجزائر: مكتبة إقرأ.
44. لبيب الطاهر (1988). سوسولوجية الثقافة. ط5. تونس. صفاقس: دار محمد علي للنشر.
45. م. روزنتال وب. يادين (1981). الموسوعة الفلسفية. ترجمة: سمير كرم. ط3. بيروت: دار الطليعة.
46. محفوظ سماتي (2007). الأمة الجزائرية: نشأتها وتطورها. ترجمة: بناني محمد الصغير. الجزائر: منشورات دحلب.
47. محمد السويدي (1991). مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
48. محمد الطيبي (2002). العرب: الأصول والهوية. الجزائر: دار الغرب.
49. محمد العربي ولد خليفة (1972). نقد كتاب: سوسولوجية الجزائر: . الجزائر: مجلة الأصالة. العدد 05.
50. محمد العربي ولد خليفة (2003). المسألة الثقافية: قضايا اللسان والهوية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
51. محمد المبارك (1988). الأمة تارة والجزائر دالة. دال المعكونة لها. الدين، التاريخ، الثقافة: أي علاقة؟ نحو مقارنة سوسولوجية للمعنى الجزائري. بيروت: دار الفكر.
52. محمد بوراكي (2000). واقع وآفاق البحث السوسولوجي في الجزائر: الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع. العدد 1. الجزائر: جامعة الجزائر.

53. محمد سعيد العشماوي (1990). الإسلام السياسي. الجزائر: موفم للنشر.
54. محمد عزيز الحبابي. الإنسان حيوان يتكلم. مجلة الأصالة. العدد 16. سبتمبر-أكتوبر 1973
55. محمد عمارة (2004). معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام. ط2. القاهرة: نهضة مصر.
56. محمد عيلان. الفنون الشعبية الجزائرية: واقع وآفاق. دورية التواصل. عدد 6. عنابة. الجزائر: جوان 2000
57. محمد مسلم (2007). مقدمة في علم النفس الاجتماعي. الجزائر: دار قرطبة.
58. هشام جعيط (1991). الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر. ترجمة: خليل أحمد خليل. بيروت: دار الطليعة..
59. يسري عبد الغني عبد الله (2006). القواعد الاجتماعية في الشريعة الإسلامية ودورها في أمن المجتمع واستقراره. التسامح. العدد 5. مسقط. عُمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية...
60. Dumas, E . (1988). Mœurs et coutumes de l'Algérie. Sindabad. Paris.
61. Bourdieu Pierre . (1963). Sociologie de l'Algérie. presses universitaires de France. Paris. 2éd.
62. Camilleri, C. (1989). La culture et l'identité: concepts et enjeux pratiques de l'interculturels. L'harmattan. Paris.
63. Denis couche .(1999). La notion de la culture dans les sciences sociales. édition Casbah, Alger.
64. Erikson, E. (1972). Adolescence et crise: la quête de l'identité. Flammarion. Paris.
65. Grawitz madeleine .(2004). Lexique des sciences sociales. Dalloz. Paris. 8e éd.
66. Larousse en couleur. (1990). Paris (éd).
67. Lecuyer, R. (1978). Le concept de soi. PUF. Paris,.
68. Lipiansky .(1992). identité et communication. PUF. Paris.
69. Noël Baraquini et al. (2005), Dictionnaire de la philosophie, Armand Colin. Paris. 3e (Ed).
70. Lucas, P. et J,C, Valtin. (1982). L'Algérie des Anthropologues, Maspero. Paris. 2 éd.
71. Petit Robert 1 .(1978). Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Paris éd.
72. Samir Amin. (1976). La nation Arabe, éd de minuit. Paris. France.

73. Tap pierre .(1985). Identités collectives et changements sociaux. Privat. Toulouse.
74. Zavalloni, M. (1986). identité et changements sociaux. identité sociale et éco égologie. vers une science empirique de la subjectivité. Privat. Toulouse.
75. Taalbi, B. (2000). l'identité au Maghreb. édition Casbah, Alger.



## الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية

(1830-مطلع القرن 20م)

الطريقة الشيخية أنموذجاً

د. خير الدين شترة

جامعة أدرار

### الملخص:

ما دمنا نتحدث عن تاريخ الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية فلا بد أن نسجل ذلك الانخراط الروحي الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م إذ ظهر وكأن وطأة الركود التي بلغت ذروتها آنذاك كانت تحدى المسلمين إلى الحركة وكان حتماً أن تأتي الحركة ورد الفعل متجانسة مع ظروف المرحلة وشروطها الثقافية ولما كان الغالب على العقلية الإسلامية يوم ذاك هو التمثل الروحاني للكون وأسواره فقد رأيناها تستجيب إلى ذلك الضرب من الفقه الصوفي الطرقي الذي ينشره أفراد سعوا يُبددون عوامل الانسداد المتفاقمة من حول الأمة على شاكلة الخلوتي الأزهري بوقبرين وأحمد بن موسى بوحمار والتجاني الابن والدرقاوي، وبومعزة ...

إن الطرق الصوفية آنذاك نجحت في خلق تفاعل بين الدين والواقع المعيش وهو ما أدى إلى تولد الأفكار الحية القادرة على مواجهة التحديات المستجدة، وهو أيضاً ما ينبغي على رجال الطرق الصوفية الحية الآن أن تنتبه إليه بكل جدية، سنتناول في هذه الدراسة الأدوار الثورية التي قامت بها الطرق الصوفية إبان المرحلة الاستعمارية، ونتخذ لها الطريقة الشيخية أنموذجاً، وفق الرؤية التالية:

- البعد الثوري للطرق الصوفية خلال مرحلة الصدمة الاستعمارية

- الطريقة الشيخية "النشأة والتطور":

- الطريقة الشيخية ودورها خلال مرحلة المقاومة الشعبية: وبعد أن ناقش الأثر الروحي ودوره في المقاومة الشعبية سنتناول ثورتين لتأكيد هذا الأثر خلال الفترة 1832-1908؛ كانتفاضة أولاد سيدي الشيخ، وثورة الشيخ بوعمامة.

### The abstract:

As long as we're talking about the history of Algeria during the colonial period must be put on record that engage in religious century ever known since the 18<sup>th</sup> century . and it appeared as if the recession that was then up to the Muslims to lead the movement and it is necessary that the movement is consistent with the reaction to the circumstances of the stage and cultural conditions and the was often on the Islamic mentality that assimilation is the spiritual secrets of the universe and was seen to respond to that kind of Sufi doctrine published by the members of the road sought wasting obstructive factors on the growing of the nation like the way El Shaykhia roles which had a religious, educational, and written a revolutionary can not be denied.

### المقدمة:

ما دمنا نتحدث عن تاريخ الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية فلا بد أن نسجل ذلك الانخراط الروحي الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م، إذ ظهر وكأن وطأة الركود التي بلغت ذروتها آنذاك كانت تحدو المسلمين إلى الحركة وكان حتماً أن تأتي الحركة ورد الفعل متجانسة مع ظروف المرحلة وشروطها الثقافية، ولما كان الغالب على العقلية الإسلامية يوم ذاك هو التمثل الروحاني للكون وأسراره فقد رأيناها تستجيب إلى ذلك الضرب من الفقه الصوفي الطرقي الذي ينشره أفراد سعوا يبددون عوامل الانسداد المتفاقمة من حول الأمة على شاكلة الخلوتي الأزهرى بوقبرين، وأحمد بن موسى بوحمار، والتجاني الابن والدرقاوي، وبومعزة ...

لقد كانت الطرق الصوفية في العهد الاستعماري أهم مؤسسة واجهت الاستعمار وحافظت على الشخصية الوطنية وبخاصة في الجزائر التي طال فيها ليل الاستعمار الهادف إلى قطع كل صلة للشعب الجزائري بأصوله الحضارية لقد تجدد بها الإسلام ومقوماته فكان الجهاد، باعتباره رد فعل طبيعي على واقع الاحتلال الصليبي للجزائر وأداة لرفع الإحباط الناجم عن الهزائم الممهدة لترسيم الاستعمار في البلاد الإسلامية وهكذا غدا الموضوع

الأكثر نجاعة لتوطيد أواصر الوحدة والالتحام هو إيقاظ وعيهم بضرورة مقاومة الاستعمار ومناهضة أساليبه.

لقد كان الاستعمار قبل كل شيء اعتداء على الدين ومساس بعزة الإسلام، والطرق الصوفية هي حامية الدين الذائدة عنه في كل وقت وحين، ولأن المجابهة كانت بين عقيدتين مختلفتين وتراثين ثقافيين متناقضين كانت العزيمة صلبة والمواجهة ذات حدة. وكان هذا هو المناخ الفكري والنفسي الذي وسم شعور المسلمين عامة وطبع وجدانهم وهم يتلقون حدث الاستعمار ويعايشون نتائجه فكيف لا يستمر هذا الشعور وهذا الإحساس بين وحدات لها من مقومات التلاقي أكثر من وسائل التنافر، بل لا زال في مقدور القوى الواعية للطرق الصوفية أن تستمر قائدةً للمسيرة نحو التوحد وقوة للبشرية ومراراً لحضارتها.

إن الطرق الصوفية آنذاك نجحت في خلق تفاعل بين الدين والواقع المعيش وهو ما أدى إلى تولد الأفكار الحية القادرة على مواجهة التحديات المستجدة وهو أيضاً ما ينبغي على رجال الطرق الصوفية الحية الآن أن تنتبه إليه بكل جدية، إذ لا مجال لحياة كريمة لأمتنا بغير الصلة الحية بين تفاعل الدين والواقع على أرضية فهم مقاصد الشريعة وإدراك طبيعة هذا الدين وخصوصياته التي ترفض الجمود والكهنوت كما أنها ترفض في الحين نفسه قطع الطريق على تواصلها الحضاري.

### 1- البعد الثوري للطرق الصوفية خلال مرحلة الصدمة

الاستعمارية:.

لقد ذكر العلماء والمختصون تعريفات كثيرة للطريقة وكلها تصب في معنى واحد وهو أن الطريقة هي ذلك المنهج الروحي والطريق السلوكي التربوي الذي يُتوصل به إلى معرفة الله تعالى أي إلى مقام الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، يقول الإمام أحمد الرفاعي في كتابه "البرهان المؤيد": «الطريقة- الشريعة والشريعة - الطريقة والفرق بينهما لفظي والمادة والمعنى والنتيجة واحد»، ويعرفها الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه لطائف المنن والأخلاق ج1/ص2: «إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون»، ونقل السلمي في كتابه طبقات الصوفية عن الجنيد

رحمه الله تعالى قوله: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، واتبع سنته ولزم طريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه»، كما ذكر الحافظ محمد صديق الغماري في كتابه الانتصار لطريق الصوفي: «أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هب بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بينها واحداً. واحداً ديناً بقوله: ﴿فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم﴾، في الحديث الصحيح المشهور الذي أخرجه مسلم في صحيحه وهي الإسلام والإيمان والإحسان. فالإسلام طاعة وعبادة والإيمان نور وعقيدة والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة: ﴿أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك﴾. ثم قال رحمه الله تعالى: فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان».

وفي رأي السنين: «إن الطريقة هي التي تأسست على صفتي انقطاع القلب عن الأغيار وخلو اليد من الدنيا الغادرة»، وأن أول طريقة كانت على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولهذا كان للتصوف طرق كثيرة ونذكر منها التي كانت في البداية مثل المحاسبية والقصارية والطيفورية... أما في الجزائر فقد عددها البعض بـ 17 طريقة، إذن فالطريقة هي: «حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية التي هي المنطلق إلى الحقيقة الإلهية»، وعلى هذا الأساس قال المتصوفة المسلمون: «لا حقيقة من دون شريعة، ولا شريعة من دون حقيقة» والمتعارف عليه أن كل الطرق التي انتشرت في شمال أفريقيا كانت من طريقتين هما الشاذلية والقادرية؛ فالأولى كانت بشكل موسع في المغرب الأقصى، والثانية كانت بشكل واسع في الجزائر ويستنتج من الدراسة التي قدمها بوسكيتي عام 1954م أن الحقبة الاستعمارية الطرق الصوفية في الجزائر عام 1930م بلغ 250 ألف<sup>1</sup>.

وللطريقة الصوفية عدة تعاريف مختلفة تبعاً لمكوناتها ووسائلها التربوية والروحية وللأهداف التي تبتغي الوصول إليها وتحقيقها، فهي:

<sup>1</sup> - Bousquet, G.H , Introduction a L'étude générale de l'islam, 4è édition, Alger, 1954, p21

«أسلوب عملي لرعاية سلوك المريـد وتوجيهه عن طريق اقتفاء أثر طريقة معينة في التفكير والشعور والذكر والتعلم والعمل تُؤدَى من خلال تعاقب مراحل المقامات وتصاعدها في ارتباط متكامل مع التجارب السيـكولوجية أو النفسية المسمّاة أحوال»<sup>1</sup>، أو سلطة قوية بما تملك من أتباع وأموال مختلفة، وسلطة روحية معنوية على الناس من خلال مشايخها<sup>2</sup>.

وكما نلاحظ أن الطريقة الصوفية سلطة حاكمة تأمر وتنهاي، وتتسع صلاحيات هذه السلطة وتقوى بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية، كما تقوى بحسب ما تملك من مؤيدين وأتباع وأموال وبحسب شخصية الشيخ أو المؤسس وأعماله وأثاره ونلاحظ في التعريف الثالث أنه يحكي واقع الحال لما وصل إليه التصوف خلال العهدين العثماني والاستعماري من تصوّر وجوب وقوع الكرامات وخوارق العادات على أيدي زعماء التصوف ليكونوا أهلاً للمشيخة.

ونحن هنا لا نبحث في الطرق الصوفية في حد ذاتها ولكن في الأثر الناشئ بينها وبين الفرنسيين خلال مرحلة استعمارهم للبلاد، وإذا كان الاستعمار الفرنسي قد توصل حتى إلى تدجين بعض الطرق وجعلها في خدمته فإنه اكتفى بالنسبة للقادرية مثلا بالسيطرة على فروعها ومراقبة نشاط من يأتي باسمها من المشرق، وكذلك فعل مع السنوسية والشيخية... التي صوّرها في أحيان كثيرة على أنها مصدر خطر عليهم، وكان الفرنسيون أيضاً ينظرون إلى هذه الطرق (الأجنبية من وجهة نظرهم)، على أنها جمعيات سرية تعمل مع السلطنة العثمانية من أجل تحطيم الوجود الفرنسي في الجزائر وغيرها، وقد ربطوا بينها وبين حركة الجامعة الإسلامية، فالطرق الصوفية من وجهة نظرهم كانت معادية لهم وعميلة للجامعة الإسلامية.

يقول "لويس رين" سنة 1884م: «لقد حاول رؤساء الدين الإسلامي (يقصد رؤساء الطرق الصوفية والمرابطين) إثارة المشاعر الدينية لمكافحة ما يرونه خطراً كما حاولوا توحيد الروابط الروحية بين الأمة الإسلامية وإذا كانت مقاومتهم في البداية محتشمة وغير منظمة فإنها سرعان

<sup>1</sup> - سبنسر برمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر. عبد القادر الجراوي، بيروت: دار العربية للنهضة، 1997م ص26

<sup>2</sup> - محمد الأمين بلغيث، "السلطة في الجزائر وتونس في القرن 17م من خلال تاريخ العدواني" الندوة الفكرية الخامسة للشيخ العدواني، الوادي (1.2.3 / 2000/10)، ص6 - فيلاي مختار، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني،

باتقة: دار الفن، ص64

ما أصبحت في غاية التنظيم والتطور وشملت جميع البلدان الإسلامية وقد توصلت اليوم إلى إنشاء جامعة إسلامية أصبحت خطراً يهدد جميع الشعوب الأوروبية التي لها مصالح في كل من أفريقية وآسيا، وهذه الجامعة الإسلامية تتمثل قوتها ووسيلة تحريكها وتنفيذها في الجمعيات السرية أو الطرق الصوفية التي تمارس تأثيراً عظيماً على الجماهير»<sup>1</sup>.

حقاً أن الطرق الصوفية كانت نشيطة عندئذ ولكن علاقتها بالجامعة الإسلامية مبالغ فيها فالأكيد أن حركة الجامعة الإسلامية كانت تتجاوب إلى حد كبير مع رجال من أمثال بوعمامة الجزائري وعرابي المصري والمهدي السوداني وكان الثلاثة متعاصرين ومعاصرين لنشاط جمعية العروة الوثقى التي لها خيوط سرية ولكن ليس بالدقة والضخامة التي يريد لويس رين تقديمها لها، أما الحركة الصوفية فقد كان لها وسائل اتصالاتها هناك طريق الحج رغم القيود عليه، وهناك الرسائل المرموزة والشخصيات المتكثرة، وكان هناك أيضاً المهاجرون الذين لا ينقطع سيلهم، ومنهم من خاض الحرب ضد الفرنسيين وهو يمثل طريقته الصوفية.

وعن طبيعة العلاقات الروحية (الصوفية والمذهبية) بين الأخوان في الجزائر فقد تعددت مظاهرها وتنوّعت أشكالها<sup>2</sup>، ومهما كان الأمر فإن هذه الطرق الصوفية كانت قد أحدثت صلات ولو ضعيفة بين الجزائريين في مجال التصوف والسياسة والحضارة، فلقد نمت الطرق الصوفية في آخر القرن التاسع عشر ميلادي بالجزائر نتيجة عدة عوامل:

- ❖ ظهور فكرة الخلاص الروحي على يد الشيخ.
- ❖ التعسف الاستعماري باستيطانه وإدارته وقوانينه الاستثنائية بحيث لم يعد للجزائريين من طريق للخلاص إلا العقيدة في الشيوخ.
- ❖ انعدام التحرك السياسي والدعم الخارجي وفشل الثورات الداخلية.

وبناءً على ذلك شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن (19م) نمواً سريعاً في عدد الزوايا والمقدمين والأتباع فكان عدد الشيوخ حينها 57 شيخاً و2149 مقدماً و349 زاوية، و2000 طالب و224141 من

<sup>1</sup> - Rinne (LOUIS), Histoire de l'insurrection en Algérie de 1871, Alger : 1891. P65

<sup>2</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 307.

الأخوان، حيث كان المجموع 300000 من الأخوان المنتمين للطرق، وهو رقم في نظر الفرنسيين دون الحقيقة.<sup>1</sup> ورغم الادعاء بوجود ملايين من الأتباع عشية الحرب العالمية الثانية، فإن الإحصاءات المعقولة تثبت أن عدد الأتباع سنة 1937م هو حوالي 190 ألف/ن بينما كان عددهم سنة 1910م حسب إحصاء آخر هو 295000/ن ومعنى ذلك أن الأتباع كانوا في تناقص كبير، ولكن مكانة شيوخ الطرق الصوفية ظلت مؤثرة على الأتباع المعتقدين فيهم.<sup>2</sup> عموماً فإنه خلال الحرب العالمية الأولى بحسب تحقيقات "دبون Dupont" و"كوبولاني Coppolani" سجلت الجزائر: 29 طريقة صوفية لها: 295185 مرید وعليها 57 شيخاً و6000 مقدم وعندها 49 زاوية وتجبي من الأخوان 07 ملايين فرنك فرنسي...» إلى أن قالوا: « وللمشايع والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لاسيما البربر، وان العلماء والمدرسين وأئمة المساجد... لا يكادون يكونون شيئاً بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق»<sup>3</sup>، ولعل ما اتسمت به هذه الجمعيات الدينية من فعالية في ميدان الحياة الوطنية خلال القرن (19م) أكسبها سمعة ذائعة الصيت وأحلها من الأمة محلاً مقدساً مما جعل الغالبية تتشبت بها فلبعض الطرق الصوفية مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها أحد. وعن حظوتها داخل المجتمع الجزائري يذكر المدني ما يلي «...كانت للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبيرة ونفوذ عظيم وقد كان لها مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، فالزوايا الكبرى أمثال: معهد الهامل ومعهد اليلولي ومعهد سيدي منصور... هي التي كانت دائماً تُكوّن في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء وحفظة القرآن الكريم...»<sup>4</sup> ومن أهم هذه الطرق الصوفية بحسب أهميتها لموضوعنا المدروس:

<sup>1</sup> - نفسه، ص 300.

<sup>2</sup> - Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 1, NP (1-2-3-4-5).

مراسلات إخوانية بين الطرق الصوفية في القطرين.

<sup>3</sup> - Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 2, NP26.

مذكورة تتضمن إرشادات استخبارية عن أحمد بن عباس الجزائري المقيم بتونس والمتمهم بإحداث خلافات بين الطرق الصوفية.

<sup>4</sup> - المدني (أحمد)، كتاب الجزائر (ط1-1931)، الجزائر: دار الكتاب 1963 ص. ص (350-351). وللتوسع يرجع:

محمد ناصر، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978، ص 107.

أ- **الطريقة القادرية:** (أسسها محي الدين بن عبد القادر الجبالي (1079 - 1166م) المولود بجيلان في بلاد فارس وأدخلها إلى المنطقة رجل يدعى الحاج بوزلفة عام 1784م<sup>1</sup>)، فالطريقة القادرية هي أساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر، فالمدينية (نسبة إلى أبا مدين شعيب بن الحسين (1104-1198م) تفرعت عن القادرية) والجنيدية (نسبة إلى الجنيد البغدادي ت 297هـ)، وتفرعت عن المدينية، الطريقة الشاذلية وعن هذه الأخيرة تفرعت طرق أخرى كثيرة كالدرقاوية والجزولية واليوسيفية والعيساوية والشيخية والطيبية والحنصالية وغيرها وإن كانت الشاذلية قد تفرعت أصلاً عن القادرية، ولكنها أخذت منحى صوفياً يختلف عن المنحى الصوفي القادري<sup>2</sup>.

ب- **الطريقة الرحمانية:** (أسسها محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري (1720-1794م) من قبيلة آيت إسماعيل بالجرجرة "المدعو عبد الرحمان بوقبرين"...)، لقد كان للرحمانية وجود قوي في الجزائر «67139 مريد بنسبة 45,6% من عدد سكان المنطقة»<sup>3</sup>، ويعتبر محمد بن عزوز البرجي شيخ الطريقة الرحمانية (برج طولقة) - الذي ورث بركة الطريقة عن شيخه مصطفى بن محمد باش تارزي - وكأنه مؤسس لطريقة جديدة تسمى العزوزية - الرحمانية، كما كان احتلال فرنسا لبسكرة وتطور أحداث الجزائر سبباً آخر في تفرعات الطريقة الرحمانية<sup>4</sup>. ولقد أعطى "هنري قارو" الذي درس الحركة الإسلامية في أوائل هذا القرن إحصاء للطريقة الرحمانية سنة 1906م، فكان مجموع الأخوان الرحمانيين بناءً على رأيه هو 133500 من بينهم أكثر من 13000 من النساء ومنهم أيضاً 13000 إخواني و15 زاوية في نفطة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- Archives Nationales(Tunis), Serie D, C156, Dossier 13, C163, Dossier 2, C167, Dossier1, C168, Dossier1, C172, Dossier 1, C178, Dossier1

مراسلات، مواسم زيارات، تنقلات تتعلق بالروابط الروحية والصوفية بين القطرين الجزائري والتونسي  
- يراجع أيضاً: - علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983، ص 37

<sup>2</sup>- عميراي (أحميدة)، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، الجزائر: دار الهدى، 2003م، ص 27. راجع أيضاً: - هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962) م. ص 120 يراجع أيضاً :

• Rey (G.Z), *Le Royaume Arabe*, Alger: S.N.E.D.1977.

<sup>3</sup> - Cour(A), "Recherche Sur l'état des Confrères Religieux Musulmans in *Revue Africaine*, 1862. P115.

<sup>4</sup>- Archives Nationales ( Tunis ), *Série D, C550, Dossier 30/15, F 886.*

ملف خاص بابن عزوز ضمن ملفات سلسلة المشتبه فيهم ( Gents suspects ) ويتضمن 120 وثيقة. - راجع أيضاً: ابن أبي ضياف (أحمد)، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 3، مطبع أحمد الطويلي، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1979م، ص 132.

<sup>5</sup>- نفسه، ص 179.



وبعد ثورة 1871م أظهدت الطريقة الرحمانية، وهُدمت زواياها الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت إلى فروع وفقدت مركزيتها بعد هدم زاوية "صدوق" بزعامه الشيخ الحداد، ونُفي زعمائها إلى خارج الجزائر، وجزء منها نُفي إلى تونس (فرع المقرانيين)، ولكنها كانت أكثر الطرق انتشارًا، فعدد زواياها 177 وطلبته أكثر من 676، ولها 140596 من الأخوان إضافة إلى 13186 امرأة، والإحصاء العام يذكر أن حوالي 165214 تابعًا ولكن هذا الرقم دون الواقع بكثير<sup>1</sup>.

**ج- الطريقة الشابية:** (أسسها أحمد بن مخلوف أحد أتباع الشيخ محمد بن ناصر الدرعي)، وفي كتاب العدوانى معلومات هامة عن نشاط الشابية من جهة وعن نمط حياة أهل سوف قبل العهد الفرنسي.. والذي يعود إلى وثائق الطرق الصوفية المتواجدة في وادي سوف سيجد لا محالة أسماء العلماء الذين كانوا يقومون بنشر التعليم ومبادئ الدين والمذاهب<sup>2</sup>. لقد كان للشابية نفوذ ديني واسع امتد إلى كل من القالة وسوق أهراس وتبسة والأوراس، إذ كانت القبائل والأسر الثائرة بالأوراس مدعمة بقوة الشابية على الحنانشة والنمامشة المتحالفتين اللتين كانتا من القبائل القوية بالشرق الجزائري حيث امتد نفوذهما إلى "نقرين" في تونس... وكان الهدف من التحالف هذا هو محاربة بايات قسنطينة مثلما حدث ضد الحاج أحمد باي عام 1828م<sup>3</sup>. وذكرت تقارير فرنسية عام 1896م أن الشابية في الجزائر كانت ما تزال قوية في سوف لأن أهل الوادي ما يزالون على احترامهم لأجداد الشابية، وللشابية 2500 من الخدام في نواحي عنابة وقالمة ووادي سوف وقسنطينة.

**د- الطريقة العليوية:** تأسست بمدينة مستغانم سنة 1910م<sup>4</sup>، وهي الفرع الأخير للشاذلية والدرقاوية، وهي تُنسب إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة الذي ولد في مستغانم حوالي 1867م وتوفي سنة 1934م، أخذ

<sup>1</sup> - نفسه، ص 294.

<sup>2</sup> - العدوانى محمد بن محمد بن عمر، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، المصدر السابق، وللتوسع أكثر يراجع: - سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامعة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص (170-185).

<sup>3</sup> - Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 02, F (2-3-4).

وللتوسع يراجع: - عميراي احمدية، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني، قسنطينة، دار البعث 2002، ص 28.

<sup>4</sup> - المدني، كتاب الجزائر، ص 353. للتوسع يراجع:

العربي (إسماعيل)، حاضر الدولة الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: م. و. ك، 1984م، ص 86.

المبادئ العلمية في مستغانم والتصوف عن "محمد البوزيدي" وتصدر بعده عمارة زاوية شيخه، ثم استقل واستمد زاوية خاصة به في مستغانم عام 1910م وأخريات في معسكر وغليزان والجزائر، وقد اشترى بن عليوة مطبعة للزاوية وأسس صحفاً كانت تنشر نشاطه كما كانت تُرافع عن الزاوية ضد مخالفيها ومن أشهر صحفه أسبوعية "لسان الدين" و"البلاغ الجزائري"، حيث كان لهما آراء صريحة لتأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية وقد وقفت ضد الاندماج وأنصاره وضد التجنيس ودافعت بشدة عن اللغة العربية، ومن الوسائل العصرية التي لجأ إليها الشيخ، نشر آرائه في كتيبات ومطبوعات، فقد نُسب إلى الشيخ تأليف حوالي 14 كتابا وهي في الواقع وسائل وكتيبات صغيرة تشبه النقايد ومعظمها في التصوف والشعر ومنها (مفتاح الشهود في مظاهر الوجود) و(المنح القدوسية)<sup>1</sup>، وعلق "ماسينيون" على الطريقة فقال أنها "فرع جديد للدراوية والبوزيدية، وكانت نشيطة، وهي تقول أن لها أتباعاً يمتدون من "مليلة إلى تونس" ويصلون إلى 300000/ن (!! ) وهو رقم مبالغ فيه بدون شك".<sup>2</sup>

**ه- الطريقة السنوسية :** أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي (1792-1859)م المولود بمدينة "ليل" قرب مستغانم<sup>3</sup> وتسمى الطريقة السنوسية بالطريقة المحمدية وأتباعها يُدعون بالأخوان مثل معظم الطرق الأخرى ولكن تستوعب عدد كبير من الأتباع نظراً لعدم كثرة قيودها أو شروطها، وقد ذكر بعضهم أن حوالي عشر طرق منتشرة في الجزائر لها أتباع للسنوسية وتخضع لتعاليمها، وقد اتهمت حتى التيجانية بأنها ضالعة في هذا التيار، أما الشاذلية والدراوية والمدينية فبال تأكيد أنها مستوعبة في السنوسية وقد ذكر " فينيون" أن أتباع السنوسية مستعدون لتنفيذ الاغتيالات والقيام بالثورات، ثم عدّ ما واجهه الفرنسيون من أتباع السنوسية منذ 1852م تاريخ الهجوم على الأغواط من قبل الشريف محمد بن عبد الله صديق السنوسي، وكذلك مبعوثي السنوسي (1879-1880-1881)، ووجود شخصيات منها في ثورات أولاد سيدي الشيخ واغتيال بعثة " فلاترز" عام

<sup>1</sup> - نفسه، ص (126-132)

<sup>2</sup> - Berque (A) "Un mystique moderniste, *Revue Africaine* 79/1936, n°761-776.

<sup>3</sup> - لوثرروب (ستودراد)، *حاضر العالم الإسلامي*، ج2، مترجم: شكيب (أرسلان)، سوريا: الفكر العربي، 351هـ، ص (398-407).

1881م<sup>1</sup>، حيث اعتبر الفرنسيون السنوسية خطراً عليهم، ابتداءً من "دوفريية" إلى "لاجاتو" عام 1911م، ولكن درجات الخطر تختلف من كاتب إلى آخر ويقول "زين": «أن الفرنسيين أخذوا يهتمون بالسنوسية فعدد أتباعها في الجزائر حوالي 4800 فرد، ولهم زاوية واحدة هي زاوية طكوك و30 مقدمًا في سنة 1897م»، وذكر "ديون" و"كوبولاني" أن السنوسية تعد 950 أخوانياً وعشرون مقدمًا وشيخاً واحداً وزاوية واحدة<sup>2</sup>.

و- **الطريقة التيجانية**: أسسها سنة 1778م بمدينة فاس الجزائري الشيخ أحمد بن محمد المختار التيجاني المولود بعين ماضي (ت 1815م)<sup>3</sup>، الذي أخذ التصوف عن العديد من الشيوخ في الجزائر والمغرب والمشرق، ومن عدة طرق: قادرية، شاذلية طيبية... وبالتالي فطريقته تختلف تمامًا عن غيرها في التعاليم والأوراد<sup>4</sup>، ويكاد ينعدم أثر الخلوتية في التيجانية وآثار الطرق الأخرى فهي نتاج لعدد من الطرق التي أخذ عنها الشيخ المؤسس، وكذلك تعتبر التيجانية المدرسة الجزائرية الوحيدة في التصوف والتي لم تأتي إلى الجزائر من الخارج.

وهناك طرق صوفية ذات نفوذ قليل في الجزائر أما أصولها فتوجد في دول المشرق ومعظمها ترجع إلى طرق معروفة كالقادرية والشاذلية مثل: البوعلية التي ترجع إلى بوعلي السني دفين نفطة (ت 610 هـ) وقد اشتهر بالنفطي وهو من تلامذة أبي مدين دفين تلمسان 594هـ<sup>5</sup>، والطيبية التي أسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم ونظمها الشيخ مولاي الطيب توفي (1668) وهي طريقة متفرعة عن الشاذلية وأتباعها من المهاجرين من المناطق الصحراوية وخصوصاً من منطقة توات في الجنوب الجزائري<sup>6</sup> والعيساوية التي أسسها الشيخ محمد بن عيسى الإدريسي (ت 1524م) المولود بمدينة مكناس. والعلوية التي أسست في القرن السابع للهجرة (7هـ). والحشاشية الخاصة بأهل "تقرت" من الجزائريين القاطنين في تونس<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - نفسه، ص 262.

<sup>2</sup> - للتوسع راجع، شكري (محمد فواد)، السنوسية دين ودولة، دمشق دار الفكر، 1948م.

<sup>3</sup> - نفسه. ص.ص (396-397).

<sup>4</sup> - الحقاوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، الجزائر: مطبعة بيبير فونتانة، 1907م، ص 38.

<sup>5</sup> - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 275.

<sup>6</sup> - إسماعيل (العربي)، حاضر الدول الإسلامية، ص 87.

<sup>7</sup> - إسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية. ص 86.

وعموماً لقد لعبت الطرق الصوفية في المغرب العربي دوراً هاماً وخطيراً، هذا الدور له اتجاهان :

- اتجاه إيجابي ضخم بعيد المدى في نشر الإسلام بالقارة الأفريقية على نحو أذهل المستعمرين وأقضى مضاجعهم .

- اتجاه سلبي أو مضاد في الالتقاء بالاستعمار الفرنسي وتأثيره وتأثيره على العامة للإذعان له، ولقد ظهر هذا الاتجاه في بعض الطرق الصوفية التي قدمت تنازلات مادية ومعنوية تحت ضغط الاستعمار وتهديده خلال الفترة المتأخرة من القرن السابق .

ولا شك أن الحركات الفكرية في الجزائر كان مبعثها إسلامياً، وعلى الجملة فقد كانت هذه الطرق مراكز وجماعات للدعوة الإسلامية، فقد أخرجت العشرات من الدعاة الفاقهين الفاهمين الذين إنبثوا في أفريقيا وكان لها دورها الواضح في نشر الدعوة ومواجهة جماعات التبشير المسيحية ومقاومتها، وكان دورها البالغ في مقاومة النفوذ الفرنسي والاطالبي والاسباني المتسلط على المغرب العربي كله، «إن هذه الطرق استطاعت أن تحفظ الإسلام في هذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا (الرباطات)، ويرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئة وبتبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثراً للعربية ولا لعلوم الدين»<sup>1</sup>.

ولعله من المفيد التذكير ببعض العناصر المتعلقة تعلقاً مباشراً بالموضوع، إن الحملة الفرنسية ضد الجزائر قد قررها شارل العاشر اليسوعي المتحمس، وباركها البابا وأيدتها الكنيسة في فرنسا وفي غيرها من ممالك أوروبا، وبعد نجاح الحملة تهاطل على الجزائر المبشرون وأخذت السلطات العسكرية تهدم المساجد وتحول بعضها إلى كنائس وتستولي على الأوقاف الدينية ... وكل هذا يُعطي للغزو الفرنسي طابعاً صليبياً واضحاً، لا يختلف كثيراً عن الطابع الصليبي الذي ميز الحروب الصليبية القديمة المعروفة، ثم إن القوانين الاستثنائية التي أصدرتها السلطات الاستعمارية بشأن الجزائريين كانت كلها تقوم على الحروب الصليبية، ولو أنها كانت في ظاهرها تخفي ذلك، ويدخل في ذلك قانون إلغاء القضاء الإسلامي وقانون الجنسية الصادر

<sup>1</sup> - الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965، ص 51

سنة 1865م، وإهمال التعليم الإسلامي وإطلاق الحرية للمبشرين ولا سيما منظمة الآباء البيض والأخوات البيض، وعدم تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة للإسلام... كل ذلك وغيره من القوانين الاستثنائية تجعل من الوجود الفرنسي ليس مجرد سلطة احتلال سياسي واستغلال اقتصادي ولكن قوة صليبية تحمل معها أضغان الماضي بكل بشاعته.

وبالمقابل فإن المقاومة التي أعلنها الجزائريون في المدن والأرياف كانت بالأساس دينية أيضاً، أي أنها كانت من جنس الفعل فالغزو الصليبي قابلوه بإعلان الجهاد الذي كان يحتوي عندئذ على المعنى الديني المحض أي الحرب في سبيل الله وحده وطلب الشهادة أملاً في دخول الجنة ويحتوي أيضاً المعنى السياسي الصافي وهو الحرب في سبيل تحرير الوطن من الغازي المغتصب أملاً في العيش الكريم وابتغاءً للحرية، وهذا المفهوم للجهاد هو عين الوطنية أو هو الوطنية السياسية، كما سماها بعض الباحثين، ونحسب أن الجهاد بالمفهوم الإسلامي لا يخرج أيضاً عن الدين والسياسة خلافاً لما نعت به أعداء الإسلام، وهو الحرب المقدسة، فالجهاد الحقيقي يعني طلب الشهادة وطلب الحرية معاً.

لقد لاحظ الاستعمار الفرنسي أثناء اتصاله بالشعب الجزائري مدى التلاحم والارتباط العضوي بين أجزائه في السراء والضراء، ولاحظ أيضاً أن مادة التلاحم والارتباط هي الدين، فعملوا على تفتيت تلك المادة بإثارة النعرات القبلية والجهوية والعائلية وقد ظهرت آثار هذه السياسة بالخصوص في ميدان التعليم وميدان التشريع، فلم يعد الجزائريون يتلقون تعليماً واحداً، ومن الواضح أن هذه السياسة تتماشى تماماً مع الأهداف الصليبية (الدينية) من جهة والرومانية (السياسية) من جهة أخرى.

## 2 - الطريقة الشيخية " النشأة والتطور " :

وتنسب الشيخية إلى الولي الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة الملقب بسيدي الشيخ<sup>1</sup> دفين الأبييض سيدي الشيخ (ولاية البيض حالياً) ولد حوالي عام 940هـ - 1533م<sup>2</sup> وكانت وفاته سنة 1023هـ -

<sup>1</sup> - Houari Touati: Entre Dieu et Les Hommes, lettres, Saints et Sorciers au Maghreb au 17s, Paris, p204

<sup>2</sup> - حسبما يستخلص من مخطوط " مناقب الشيخ سيدي عبد القادر.. " لمؤلفه الفقيه أحمد بن أبي بكر السكوني الذي جمع فيه أخبار

الشيخ عبد القادر سيدي الشيخ وكراماته. راجع:

- Rinne Louis, Marabouts et Khouans. Etude sur l islam en Algérie, Alger, Librairie éditeur ,1884 P350

1616م، وأصولها الصوفية على الأرجح ترجع إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية والبكرية وكان مؤسسها قادري الطريقة إلا أنه أصبح مقدماً للشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن يوسف <sup>د. خير الدين شنرة</sup> (1830-مطلع القرن 20م) عن هذا الأخير أنه قد أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني إلى آخر السلسلة المعروفة بسلسلة البركة<sup>1</sup>. تعلم عبد القادر بن محمد على يد أبناء عمومته الذين اشتهروا بشرقي المغرب وبالجنوب الغربي الجزائري كمرابطين بوبكريين، يكن لهم سكان المنطقتين كل الاحترام والتقدير، لما تميزوا به من مكانة اجتماعية منذ استقرارهم هناك<sup>2</sup> حيث تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي صاحب زاوية السهول<sup>3</sup> وأخذ كذلك عن الشيخ أحمد بن موسى السملالي السوسي الشهير، واستقر بفجيج وأنشأ بها زاوية بقصر الحمام الفوقي فكثرت أتباعه وذاع صيته في المنطقة وجاءه الطلاب والمريدون من كل مكان قصد نيل البركة وأخذ الأوراد وصقل مداركهم الصوفية، ونخص بالذكر منهم أحمد بن أبي محلى الساوري من بني عباس الذي لازمه لمدة وصاهره ثم انقلب ضده لأسباب لم يصرح بها، وألف فيه مجموعة من التأليف ملاًها قدحاً وتشهيراً<sup>4</sup> فرد عليه شيخه المترجم له بقصيدته التائية المسماة الياقوتة في التصوف<sup>5</sup> وهي عبارة عن قصيدة منظومة تتكون من 178 بيتاً، أبرز فيها تجربته الصوفية ومعراجه الروحي. في حين دافع عنه وأخلص له فقهاء فجيجيون آخرون مبالغون لعلم الباطن، كما أخذه الشيخ سيدي عبد القادر. منهم على سبيل المثال أحمد بن بكر السكوني صاحب تأليف المناقب السالف الذكر.

وماعدا قصيدة "الياقوتة" وقصيدة ثانية ترتل في الحضرة أثناء اجتماع مريدي هذه الطريقة لم يسجل للشيخ عبد القادر أي تأليف آخر عدا رسالة جوابية مطولة تنسب إليه أرسلها إلى السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي تتعلق بالسؤال عن "تفصيل الأصل والفصل والكيفية والحال والوفاء والعهد بالمقال والفعال" وهي هموم تندرج في مدارج العلم

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، الجزائر: دار البصائر، 2007، ص103

<sup>2</sup> - أحمد بن عثمان حاكمي، الطريقة الشيخية في ميزان السنة، مطبعة مكاتب القدس، وجدة 1996، ص15

<sup>3</sup> - توجد على مقربة من بوذنيب.

<sup>4</sup> - منها منجنيق الصخور، والأصلية الخريت... الخ

<sup>5</sup> - J. Berque, les Oulémas Fondateurs, insuges du Maghreb, Sindibad, Paris, 1981,

وقد أوردها أحمد بن أبي بكر السكوني في مناقبه.

الصوفي هل هي انشغالات صادقة يقصد بها السلطان ملاً فراغه الروحي في وقت بدأت فيه بوادر الأزمة السياسية تلوح في الأفق بعد وفاة المنصور الذهبي؟ أم أن السلطان زيدان كان يرمي من وراء رسالته هاته إلى امتحان الشيخ عبد القادر واختبار طريقته، بعد أن شاع أمره في الآفاق وبالأخص في منطقة المغرب الشرقي والغرب الجزائري بكامله. إذ يصفه أحدهم في تقييد " بالشيخ الأجل القطب الأكمل تاج الأصفياء وسلطان الأولياء وإمام أهل التمكين<sup>1</sup>. ويذكر كتاب المناقب أن الشيخ عبد القادر كان أيضاً رجلاً محارباً. فقد شارك بجانب المجاهدين الجزائريين في الحرب ضد الأسبان لتحرير وهران<sup>2</sup>.

وكان الشيخ عبد القادر كثير الترحال انطلاقاً من مستقره بفجيج إلى غيره من قصور الجنوب وزاوية شيخه السهلي ثم إلى نواحي البيض جنوباً. ومنه إلى الشمال بدءاً ببلاد يزناسن ووجدة إلى تلمسان ووهران ونواحيها<sup>3</sup>، كما زار فاس وفقيق وتلمسان ووهران، وزار قبائل بني عامر في منطقة سيدي بلعباس، وزار عين ماضي بالقرب من جبل العمور، وزار قورارة حيث الحاج بلقاسم مؤسس الزاوية، التي تحمل الاسم نفسه، وزار توات وتافيلالت والجزائر<sup>4</sup> وقد غادر فجيج بصفة نهائية ليستقر في الشلالة الظهرانية إلى أن وفاه الأجل بين كراكدة وروبا شرق جبال القصور يوم الجمعة ثاني جمادى الثانية عام 1025هـ/1616م. عن عمر يناهز 83 سنة ودفن بالبيض الذي سمي بعد ذلك بالبيض سيدي الشيخ. وفي بلدة فجيج اهتم سيدي الشيخ بتكوين المريدين، بعد أن أنشأ زاوية تدعى "العباد" تيمناً بعباد سيدي بومدين بتلمسان، ولم ينس شيخه محمد بن عبد الرحمن، بل داوم على زيارته حياً وزيارة ضريحه بعد مماته، وتقديم الزيارات له ولخلفه من بعده واستمر على ذلك خلفه من بعده إلى اليوم يقدمون "الزيارة" خلف شيخ جدهم. لقد كان سيدي الشيخ ذا صيت ونفوذ واسعين، شملا مناطق عديدة وتبعته معظم القبائل في الجنوب الغربي الجزائري وجنوب شرقي المغرب ويعترف أبو محلي الفيلاي صاحب زاوية بني عباس 1593 م (وأحد تلاميذ الزاوية الشيخية ومن أنجح خريجيها،

<sup>1</sup> - تقييد خاص غير مؤرخ لم يرد فيه اسم صاحبه.

<sup>2</sup> - Houari Touati: Op.Cit.p198

<sup>3</sup> - Houari Touati:IBid,p205

<sup>4</sup> - Ahmed ben naoum, Uled-sidi-esh-sheikh, thèse de doctorat d'état, université de Provence, centre AIX, département de sociologie, 1993, TOME/ 01, P/42

والذي أصبح فقيهاً متمكناً وأديباً بارعاً ومن دهاء السياسة) « أن صيت الشيخ عبد القادر بن محمد قد بلغ الآفاق إلى قبائل بني يزناسن وإلى الأغواط وغيرها، وتبعاً لهذا النفوذ كان السعديون بالمغرب يسالمونه وربما كان بينهما تراض ضمنى». <sup>1</sup>

والطريقة الشيخية بحسب مؤسسها هي من أقوم الطرق الصوفية وأقربها إلى الله، فمن تمسك بها وصل إلى ربه جلّ وعلا مصحوباً بالسلامة والعافية والكرامة والأنوار، قال الشيخ:  
والي تابعني اغشاه الله بالنور \*\*\* طريقي أبيض ممرور للهادي  
وقال أيضاً في الياقوتة :  
وحال لها حوى الأصول بأسرها \*\*\* طريقة أسلاف بيضاء نقية  
فهذي فصولها وشرط كمالها \*\*\* منوط بعلم ثم حلم وحكمة  
وقال تلميذه العلامة الولي الصالح سيدي محمد عبد الله الجراري رحمه الله:  
طريقي إلى الرحمان حاوي المذاهب \*\*\* وحائز قصب السبق أعلى المراتب  
تسمى بعبد القادر بن محمد \*\*\* لديه يروم المرء كل المواهب  
جواب جرابي قد جرى بي ما جرى \*\*\* جراب ملاه الشيخ ليس بسائب  
والطريقة الشيخية في رأيه هي جامعة بين الشريعة والحقيقة كقوله في الياقوتة:

فبالإتباع نلنا المراتب والعلی \*\*\* فبالله ما حدنا عن شرع وسنة  
ومنذ عقلنا سدد الله سعينا \*\*\* وما زلنا مقتفين نهج الشريعة<sup>2</sup>.

ويعتق الطريقة الشيخية عدد كبير من المريدين بالمغرب العربي وأوربا، أين ينتشر أولاد سيدي الشيخ والقبائل التابعة لها: كالشرفاء، المهابة، العكارمة، احميان، العمور، أولاد جرير، بني مطهر، بني كيل، القرارشة الشعانية الأغواط، البرابر، أولاد سيدي أحمد المجدوب، وغيرهم من القبائل<sup>3</sup>. ولفت الأنظار بورعه وتقواه ويشير المخطوط بأنه كان يملك ثروة واسعة كبيرة أرسل

<sup>1</sup> - André .p. j. contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, Editions la maison des livres, Alger, 1956, P/237

<sup>2</sup> - أحمد بن عثمان حاكمي، المرجع السابق، صص (15-16)

<sup>3</sup> - راجع التوزيع الجغرافي لها في ختام هذه الدراسة.



ثلثها في حياته إلى مكة المكرمة، وأسس بثلاث آخر زاوية بوبكرية لتعليم الدين والسنة والتصوف البوبكري الأصيل الذي أسسه أسلافه رحمهم الله<sup>1</sup>.  
لقد اتسعت شهرة سيدي عبد القادر بن محمد اتساعا عريضا وبلغت شهرته آفاق الدنيا. وفي هذا الصدد يذكر الباحث بن علي بوزيان<sup>2</sup>: «في نصوص السكوني وابن أبي محلي مؤشرات ومثيرات تؤكد أن زاوية الشيخ عبد القادر السماحي قامت على قاعدة بشرية عريضة جدا، غطت جميع الشرائح الاجتماعية المتفاعلة في فجيج وامتداداتها بل إن شهرتها تجاوزت هذه الحدود إلى تافيلالت وتادلا، وأقصى جنوب المغرب، وتعدتها إلى خارجه. والأهم. أيضا. أنها كانت أكثر تنظيما من أي زاوية في المنطقة كما سنرى.» وذات الحقيقة يؤكدها خصمه اللدود بقوله: «..ثم استمر الحال على هذا الظن الجميل به، والثناء الجليل لظاهر صلاحه في عيني، في كل قبيل حتى انتشر وذاع صيته وامتألت به البقاع».

وقد خلف سيدي عبد القادر بن محمد من الذكور ثمانية عشرة ولدا لم يخلف منهم سبعة، كما خلف مجموعة من البنات وتتكون قبيلة أولاد سيدي الشيخ الكبرى التي تنتشر في أقطار المغرب العربي عموما وبالمغرب والجزائر خصوصا من خلف هؤلاء الأبناء<sup>11</sup>. وعندما أحس سيدي عبد القادر بن محمد باقتراب أجله عهد بالمشيخة بعد وفاته لابنه الثالث في الترتيب سيدي الحاج أبو حفص، مشيخة تقلدها قرابة 46 سنة بعد والده، إذ كانت وفاته سنة 1671م كما أكد ذلك العياشي الذي كانت له به صلة قوية. ولما مات هذا الأخير عهد بها إلى أخيه سيدي الحاج عبد الحاكم، الذي كان يراه أهلا للمشيخة من بعده، رغم أنه خلف تسعة أولاد. أما سيدي الحاج عبد الحاكم فعهد بها إلى ابنه سيدي أبي حفص الحاج الذي كان مشهودا له بالفضل والصلاح. إلا أن أبناء عمه، حفدة سيدي الحاج أبي حفص الابن طالبوه بها بالحاح باعتبارها كانت عند أبيهم مما اضطره إلى إرجاعها لهم والهجرة بنفسه إلى الديار المصرية حيث استقر هناك إلى أن وافته المنية هناك. وبقيت المشيخة في أولاد سيدي الحاج بحوص إلى أن وصلت إلى

1-Si Hamza Boubakeur, Un soufi Algérien Sidi Cheikh : sa vie, son ouvre, son rôle historique, ses descendants (Ouled sidi-cheikh), éd. Maisonneuve et larose, Paris 1990. P249.

<sup>2</sup> - فجيج في عهد السعديين، المصدر السابق، ص 237

سيدي حمزة بالصبيعات الذي سلمها إلى الشيخ المجاهد سيدي محمد بن العربي الملقب بالشيخ بوعمامة.

«ومهما قيل في التناقضات التي تجاذبت شخصية هذا المتصوف المتألق، ومهما نسبوا له من نقائص، فإن ذلك كله يبقى برهانا على شخصية مدهشة في كل شيء: في طريقة عيشه وملبسه وكسبه وأسلوبه البارع في استقطاب المريدين، ولعله السر في نجاح زاويته وفشل عدوه ابن أبي محلي»<sup>1</sup>. هذا عن السلسلة الذهبية أو النسبية غير أن الكاتب الفرنسي هنري دوفرييه في دراسته العميقة في أصول هذه الطريقة<sup>2</sup> أرجع نسبهم إلى نسل فاطمة والإمام علي-كرمه الله وجهه- لكن الشائع كما سبق الذكر إنهم صديقيون نزحوا من مكة بعد طردهم من الجزيرة العربية في وقت غير معروف لأسباب دينية- سياسية<sup>3</sup>. ومن السلسلتين والوضع السياسي والاجتماعي يظهر أن عائلة سيدي الشيخ كانت وارثة لمجد ديني ومجد نسبي، وقد جلب إليها ذلك مكانة مرموقة وزادها وضعها الجغرافي المفتوح على الطرق الصحراوية والتلية شمالاً أهمية خاصة فاستغنت بالدين والتصوف وتحكمت بالسياسة والجاه، ولذلك اختلط أمرها على كثير من الدارسين، فمنهم من يدرس الشيخية على أنها طريقة دينية (دراسة رين) فإذا به يكتشف أنها في مرحلة تاريخية سابقة من عمرها أنها إقطاعية اقتصادية- سياسية، واتحادية كبرى من الأعراش والقبائل والنفوذ السياسي (دراسة كل من بيزي 1864 وتروملي 1884.....)، ومنهم من يدرسها على أنها إمارة وسلطة حاكمة فإذا به يجد نفسه أمام قوة روحية وشخصيات من طراز المرابطين الأوائل. مما يزيد في مكانة الطريقة الشيخية كونها نشأت في ظروف غير ملائمة تماما كما سنرى، ظروف يمكن إيجازها في ما يلي:

1- كونها نشأت في الوسط الفجيجي الذي كان يزخر بالزوايا والطرق الصوفية المحلية ذات المستوى الرفيع؛ طرق كانت تكتسح الساحة وتحول دون أي طريقة وافدة أن تثبت ذاتها في ذلك الوسط. ومن هذه الطرق نذكر: الزاوية البروزية أو الجبارية التي أسسها في نهاية القرن الثامن

<sup>1</sup> - بن علي بوربان، فجيج في عهد السعديين، ص 245

<sup>2</sup> - اكتشاف الصحراء، باريس: 1864، ص 315

<sup>3</sup> - عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، الجزائر: دار الأديب، 2006، ص 20

الشيخ سيدي أحمد بن موسى البرزوزي وقد عرفت هذه الطريقة أوج نشاطها في عهد ابنه الولي الصالح الشهير سيدي عبد الجبار الفجيجي، الزاوية السكونية التي يرجع إنشاؤها إلى القرن التاسع الهجري على يد القاضي العالم الورع سيدي عبد الحق السكوني. إضافة إلى جانب الزاوية الونشريسية.

وإلى جانب هذه الزوايا المحلية كانت هناك طرق سابقة أخرى منتشرة بين أهالي فجيج نذكر منها القادرية والزبانية والطيبية وغيرها. وكان من المفروض إذن أن يمثل وجود هذه الطرق العريقة بهذا الشكل عائقا كبيرا وسدا منيعا أمام ظهور أي طريقة جديدة حتى ولو كانت محلية المنبع، ناهيك عن أن تكون وافدة. ومع ذلك فقد استطاعت الطريقة الشيخية أن تثبت ذاتها في ظل هذه الظروف، بل وتكتسح الساحة بشكل غير مسبق.

2- الموقف العدائي الخطير الذي فجره من الداخل القاضي أحمد بن أبي محلى، موقف كان بإمكانه لوحده أن يشتت صف الزاوية ويشل حركتها نهائيا لو أنها لم تكن قائمة على أساس متين.

3- الحدة التي كانت معروفة آنذاك بين أهالي فجيج سواء فيما بينهم أو تجاه غيرهم. خصوصا ذلك الصراع الشديد الذي كان ناشبا بين مختلف قصور فجيج التي يرجع معظمها إلى قبيلتي زناتة وصنهاجة وبعضها من آل البيت.

5) التدهور السياسي وغياب السلطة المركزية الموحدة حيث كانت الحقبة التي عاش فيها سيدي عبد القادر بن محمد بفجيج مسرحا لمجموعة من الأحداث السياسية الخطيرة على مختلف الأصعدة نذكر منها: استمرار الحروب الصليبية بالشرق العربي، وسقوط الأندلس في يد الأسبان وتوسع أطماع المستعمر الذي أصبح يستولي تباعا على الشواطئ المغاربية ويزحف إلى ما وراء ذلك. إضافة إلى استمرار الحروب الداخلية بين أبناء المنصور الذهبي السعدي على السلطة هذا التوتر السياسي المتعدد الجوانب أدى إلى غياب السلطة الواقعية التي تحمي البيضة وتبسط الأمن وتوحد الصف. لقد كانت كل هذه العوامل متجمعة تتكامل وتتآزر مبدئيا لتحدها من مد الزاوية الشيخية وتوسيع دائرة نفوذها وامتدادها على ساكنة المنطقة.

وقد نشروا طريقتهم الدينية على طريق سلطتهم الروحية وكذا السياسية في بعض المراحل التاريخية فهم بحكم وظائفهم الإدارية أو الزمنية

جلبوا العبيد والخدم، ثم حرروهم وجعلوهم يقومون بشؤون الدين والسياسة- بحسب رأي الباحث أبو القاسم سعد الله<sup>1</sup> - ويقول بعض الباحثين إن دورهم الديني يتضاءل كلما سكنوا المدن وكذلك يضعف وزينهم السياسي، ولذلك فإن مكانتهم الحقيقية تكمن في عزلتهم واحتفاءهم بالطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية<sup>2</sup> كما عبر عنه البعض "إن قوتهم تكمن في بداوتهم" وقد اختار بعضهم طرقاً صوفية أخرى، مثل سليمان بن قدور الذي دخل في الطيبية وأصبح تابعاً لزاوية وزان.

ومن فروع أولاد سيدي الشيخ الدينية ما سماه بعضهم بالعمامية نسبة إلى الشيخ بوعمامة الثائر المشهور، وهو محمد بن العربي من ذرية سيدي التاج، أحد أبناء عبد القادر بوسماحة (سيدي الشيخ)، والده العربي مدفون بفجيج بالقصر المعروف بالحمام الفوقاني<sup>2</sup>. ويعتبر الشيخ بوعمامة المجدد الحقيقي للطريقة في العصر الحديث، فقد أخذ الطريقة عن شيخه محمد بن عبد الرحمن، أحد مقامي الشيخية في بلدة بني ونيف، وهو الذي أشار عليه بالاستقرار في بلدة مغرار وتأسيس زاوية شيخية هناك، وذلك حوالي سنة 1875 إحياء لزاوية "سيدي الشيخ" في بلدة مغرار التحتاني حيث حاول الشيخ بوعمامة أن يوحد كلمة أولاد سيدي الشيخ بعد أن تفرقت كلمتهم عقوداً طويلاً، يقول أحد الرواة الشيخيين: إن الشيخ بوعمامة كان يدعو إلى الخير وإلى نبذ الخصام والفرقة، ولكن بقية زعماء أولاد سيدي الشيخ كانت لهم أطماع كبيرة في الجاه والسلطة، وقد عمل الشيخ بوعمامة على تجديد الطريقة وإحيائها، بعد أن كادت تنمحي بسبب الصراع بين طوائف أولاد سيدي الشيخ حول الزعامة ومختلف الأمور المادية. كما بنى الشيخ زاوية هناك بمساعدة سكان البلدة، وأعلن أنه مرتبط دائماً بالشيخية أي أنه لم يبدع طريقة جديدة، كما لم يعلن عن انفصاله عنها بل أعلن أنها "شيخية عمامية" متفتحة لكل المسلمين بدون تحفظ ولا تمييز لمواجهة الخطر الخارجي ويمكن لأي كان الانتساب إلى طريقة أخرى، وعلى الطرق جميعها أن تجابه المحتل موحدة.

وكان للطريقة الشيخية مهمة نبيلة، وعمل شريف يتمثل في تحفيظ كتاب الله تعالى، وتعليم أصول الدين وعلومه على ضوء العقيدة الأشعرية

<sup>1</sup> - تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص107

<sup>2</sup> - خليفي، المرجع السابق، صص (25-26)

والفقه المالكي والتصوف السني المغاربي الأصيل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والمحافظة على الطهارة وصلاة الجماعة إن أمكن، وذكر الله مع الفقراء، والنصح لكل مسلم، كما كانت تقوم بمحاربة البدع والانحرافات والشعوذة، والدعوي الباطلة بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتالي هي أحسن.

● **زوايا "الطريقة الشيخية" بالجزائر:** ومنها على سبيل المثال:

- الزاوية المركزية الأم التي بها ضريح سيدي الشيخ المؤسس "بلدية الأبيض سيدي الشيخ"، يخدمها عبيد الزاوية وحفدة سيدي الشيخ.  
- زاوية سيدي الحاج الدين ببلدية بريزينة كان لها السبق في عقد لواء الجهاد لثورات أولاد سيدي الشيخ بقيادة سيدي سليمان بن حمزة سنة 1864م، وكذلك قادة ثورة التحرير المباركة بناحية البيض والقائمون عليها هم سيدي فتاتي بوبكر بن الحاج أحمد، وسيدي فتاتي الطيب بن الحاج الدين، وسيدي فتاتي حمزة بن محمد فهي مأوى للفقراء وإطعام الطعام وعابري السبيل، وبها مدرسة لتعليم القرآن الكريم.

- زاوية متليلي الشعانبية لمؤسسها سيدي الحاج أحمد بن بحوص دفين متليلي بالهضبة المطلة على زاويته بشعبة سيدي الشيخ وله قبة تزار هناك والقائم عليها نجله سيدي عبد القادر بن الحاج .

- زاوية عين سخونة ولاية سعيدة مؤسسها هو الولي الصالح الشهير سيدي الحاج محمد بن سيدي الحاج بحوص يتأسس الزاوية حاليا الشيخ سيدي الحاج محمد الطيب بوصية من والده المرحوم سيدي الحاج المختار كما أسس هذا الشيخ مدرسة قرآنية بنواحي البيض .

- زاوية عسلة لمؤسسها الولي الصالح سيدي محمد بن يمينة بدائرة شروين ولاية أدرار بالمكان المسمى "تبو" أين أسس هذه الزاوية ثم انتقل بها إلى بلدة عسلة بولاية النعامة التي توفي بها حيث دفن بمقبرة سيدي أحمد المجذوب<sup>1</sup>

● **أشهر الزوايا بالمملكة المغربية:** لقد كان لتواجد العديد من

أولاد سيدي الشيخ ومن مريدي الطريقة بالمغرب أثر إيجابي في توسيع نشاط الطريقة، ذلك أن الكثير من هؤلاء كانوا متواجدين بالمغرب الأقصى منذ ما قبل هجرة الشيخ بوعمامة سواء في عهد سيدي الشيخ أو على إثر المصادمات وسوء

<sup>1</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص110

التفاهم الذي كان سائدا بين مختلف طوائف أولاد سيدي الشيخ. وقد جاءت معاهدة سنة 1845 بين السلطات المغربية والسلطات الفرنسية لتثبت تبعية أولاد سيدي الشيخ الغرابة للمغرب وتجنسهم بالجنسية المغربية<sup>1</sup> ومن زوايا الشيخية بالمغرب الأقصى:- **الزاوية البوعمامية الشيخية** التي أسسها الشيخ بوعمامة وبها مسجد كبير ومدرسة قرآنية وهي الآن تحت إشراف الشيخ الحاج حمزة. و**زاوية سيدي الحاج عبد الحاكم** التي أسسها حفيده سيدي أحمد بن الشيخ وهو من أخص تلاميذ الشيخ بوعمامة، وهي تحت إشراف ابنه الأصغر المقدم محمد المزوزي بن أحمد. و**زاوية سيدي الحاج إبراهيم** التي أسسها أحد حفدته، والقائم عليها المقدم سيدي محمد بن طلحة البرهمي. و**زاوية سيدي أحمد عبد الله**: التي أسسها أحد حفدته، والقائم عليها سيدي الشيخ معزوزي. و**زاوية سيدي بحوص الحاج بن الحاج عبد الحاكم**: القائمون عليها أولاد بن الطيب. و**زاوية مدينة الدار البيضاء** التي أسسها المقدم محمد حنيفة، وكانت تقوم بدور مهم جدا في الدعوة إلى الله تعالى ونشر الطريقة الشيخية.

فالشيخية المتواجدة مقرها بعين بني مطهر يشرف على تسييرها شيوخ شيخيون بالنسب. توالى عليها خلف الشيخ بوعمامة منذ استقرار هذا الأخير هناك في مطلع القرن العشرين وبخاصة منذ سنة 1904، حين كانت عبارة عن زاوية متنقلة تحت الخيام خلال تنقل صاحبها الشيخ بوعمامة في هجرته إلى المغرب، ثم استقراره ببلدة عيون سيدي ملوك غربي وجدة. وفي سنة 1911 نقل سيد الطيب بن بوعمامة الزاوية إلى المكان الحالي المتواجد بالقرب من بلدة عين بني مطهر<sup>2</sup> وقد تواصل الاتصال بين مريدي الطريقة في الجزائر والمغرب ذهابا وإيابا، إما نحو زاوية الأبييض سيدي الشيخ بجوار ضريح سيدي الشيخ أو زاوية ماجنطة بولاية سيدي بلعباس حيث أسس سيدي التاج بن المنور (المتوفى سنة 1944) زاوية شيخية في عهد سيدي الطيب بن بوعمامة<sup>3</sup>، كما أسس الشيخ محمد بن الحاج بحوص (المتوفى سنة 1954) زاوية الموحدين بدائرة الرقاصة بولاية البيض في الفترة التاريخية نفسها، أي في حياة سيدي الطيب بن بوعمامة.

<sup>1</sup> - De lamartinière et Lacroix, Document pour servir à l'histoire du nord africain, Gouvernement général de : X l'Algérie, tome/2. Alger 1897. P/439.

<sup>2</sup> - عبد القادر خليفي، الشيخية والقادرية بين الجنوب الغربي الجزائري وشرقي المغرب، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار، 2008م، ص10.

<sup>3</sup> - خليفي عبد القادر، الطريقة الشيخية، ص30.

ومن الجزائر كانت تتجه وفود الزوار نحو الزاوية المقامة بعيون سيدي ملوك أو نحو زاوية عين بني مطهر بالمغرب الأقصى.

وللشيخين المغاربة إخوان لهم وبني عمومة جزائريين لهم علاقة وطيدة معهم. وقد فرضت الأوضاع السياسية المختلفة على العديد من مواطني هذا البلد أو ذاك من أن يقوموا بدور نضالي مزدوج، مرة مع هذا وأخرى مع ذاك. لذلك كثيرا ما وجدنا مواطنين كانوا من رواد الحركات التحريرية في كلا البلدين،<sup>1</sup> كما دعم الشيخ عبد الحاكم بن سيد الطيب، زعيم الشيخية بعين بني مطهر الثورة التحريرية الجزائرية بتسليمها فرعا من الزاوية بالمكان المسمى غفورية بالقرب من بلدة عين بني مطهر كمركز للمجاهدين في الفترة ما بين 1958 و1962، وبجوار المكان سمح للثورة باستغلال أراضي مسقية (13 هكتارا)، وسلمها تسعة وثلاثين بيتا لاستغلالها وفق حاجات المجاهدين<sup>2</sup>، أما عدد الأتباع فهو بالنسبة للطرق الأخرى كثير، وقد عرفنا أن سلطة أولاد سيدي الشيخ في الزمن الأول-الأربعينات والخمسينيات- كانت تمتد من حدود المغرب الأقصى إلى المنيعه وورقلة، ولكن منذ الستينيات التقليل والتحجيم والتقسيم... ونحن هنا يهمننا الآن عدد(الأخوان) التابعين لهذه الطريقة، حيث يذكر إحصاء سنة 1882م أن لهم 2780 من الأتباع، و39 مقدماً، وخمس زوايا بينما ذكر لهم إحصاء سنة 1897م عدداً أكثر من الأتباع وعدداً أقل من الزوايا. فالأتباع 10216 إخوانياً ولهم أربع زوايا و45 مقدماً، وقد أكد إحصاء 1906م، هذا الإحصاء الأخير<sup>3</sup>

### 3 - الطريقة الشيخية ودورها خلال مرحلة المقاومة الشعبية:

#### 3- 1 الأثر الروحي ودوره في المقاومة الشعبية:

إن عنصر الصوفي بات هو نفسه ضمن مجتمعه ومحيطه حالة طراً عليها التغيير، فهو لذلك أضحى ينشد التغيير عن شعور ومسؤولية لأنه أدرك الفوارق القائمة بين حال الما- قبل وحال الما-بعد فهو من ثمة يدعو عن وعي إلى التجدد كما أن البيئة الإسلامية هي الأخرى مجبولة على الأصالة فالفلسفات والأفكار التي جاء بها الاستعمار وواقع الحال كانت سبباً

<sup>1</sup> - نفسه،

<sup>2</sup> - نفسه، ص11

<sup>3</sup> - Rinne (LOUIS), *Histoire de l'insurrection en Algérie de 1871*; p368-

في تحوّل المتصوفة إلى جبهة الإصلاح والتغيير، وأهم مظاهر التغيير التي سوّقت لفكرة الإصلاح هو عدم تساوق العلاقة بين المسلم والرومي المستعمر في الجزائر، الأمر الذي غيّب العلاقة الودية... وعمّق الفجوة بينهما.. وزاد في غربة مفهوم الحرية السياسية والسيادة الوطنية عند الأهالي مع ارتباطه بمعاني البطش والجور... وهو الظرف الذي فسح المجال لبروز فئة المثقفين المتدينين (الزوايا)، التي حملت على عاتقها مسؤولية النهوض والتهيّز بين أوساط الفئات المسحوقة هذه الأخيرة التي أضحت تلقى في هذه الفئة المتتورة الأمل الدنيوي والرجاء الأخروي ومن دوافع يقظة طبقة المتصوفة أيضاً تأثر روادها في القرن 19م بمجريات العالم الخارجي ولتواصلهم مع الآخر حدث لهم إدراك جديد وبواعث مستجدة غيرت من أحوالهم كالتوسع الغربي في البلاد الإسلامية، مثل الجسد يسارع إلى خلق دفاعيته ضد كل ما يخترق مناعته ويهدد عافيته.

فمن الواضح أن ظهور شخصية الدرقاوي، وبومعزة، وبوعمامة وغيرهم على الساحة السياسية والوطنية قد صادف تهيّز ظروف أفرزتها تلك المرحلة وأعطت قابلية أكبر للعمل السياسي والوطني في البلاد، ذلك لأن أحداث الجزائر (جهاد الأمير) كانت لها سلسلة من الأصداء المتتالية التي لا يمكن إلا أن تهيّز للعمل التغييرى فقوافل المهاجرين كانت تحمل إلى مسلمي المشرق أخبار الغزو الفرنسي وتشيع فيهم أصداء من الانتصارات المبالغة فيها، كما كانت تُنهي إليهم إندحارات وترديات لمقاومات عسكرية وسياسية وثورية... كانت جسامة خسائرها تزيد من قلقهم ومن توجساتهم، زاده سقوط عدن 1839م ومنطقة الخليج 1853م فجاعةً وتأثيراً على الحالة المليّة مما زاد من هيئة التيقّظ وعلى هذا النحو تمهدت الأرضية لظهور جيل من الصوفيين أعقبوا الجيل الأول الذي كان رمزه الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ بوعمامة.

ومن عوامل اليقظة أيضاً النشاط السلبي للقوى السكونية (الطرقية الضالة) المضادة لأي تحول وحركة.. هذه القوى التي مارست التسلط الفكري والتفكك العقلي والتفسخ العقدي، مما أدى إلى انحلال الروابط الداخلية للأجيال الغارقة في مآهات الشعوذة والسحر والزندقة المغيبة عن الطموح والإرادة مما أدى إلى انتشار شتى العلل الفكرية وغياب ملامح الإبداع



والصراحة مع الذات ونقدها وبالتالي أدت إلى غياب العالم الإسلامي عن المشاركة في الفعل الحضاري..ولهذا أصبحت هذه الظواهر أكبر رهان للمتصوف المصلح الذي تحوّل من مرحلة القناعة الفكرية إلى مرحلة المشروع، فقد قام المتصوف المصلح بمواجهة قضية التخلف الداخلي المتميّزة بفقدان الفضائل الفردية والاجتماعية التي تكوّنت في تراثنا الخاص وعزوفنا عن الفضائل والبحث عنها في مصادر أخرى.

فالنشاط الاستعماري وما أقامه من مؤسسات استعمارية (مدارس فرنسية للأهالي، دُور للإرساليات التبشيرية وجامعات ومعاهد غربية المنهج..) مغلفة بغلاف مدني أو إنساني، قد بدأت تُحدث في الجزائر حالة من الرواج الخطير للأفكار والفلسفات التغريبية وهذا ما اقتضى من الطرق الصوفية الفاعلة ضرورة دعم مناعة الأمة ودفاعيتها وبذل الجهود الكبرى في صرف هذا الخطر أو التقليل من أضراره وكشف زيفه، ومن أهم علل اليقظة عند الجزائريين في مرحلة المداهمة الاستعمارية، هو عامل الانخراط الروحي المتزايد الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م بظهور القادرية والرحمانية والخلوتية والشيخية والسنوسية والذي أضحى مع دخول الاستعمار عامل تجنيد يحرض الجماهير على التغيير والتجدد<sup>1</sup>.

فالعالم الإسلامي شهد في القرنين 18م و19م انخراطاً روحياً يدعو إلى تبني فكرة التمثل الروحي للكون وأسراره وتأخذ بالفقه الصوفي، فالخلوتية أعادت إلى مفهوم التبعية والإتباع رجاعته وتبعتها في ذلك السنوسية والتيجانية فبتعاليمها البسيطة ذات الطابع الجماعي استقطبت عديد الفئات والجماعات وأحييت فيهم عقيدة الإسلام الصحيحة..، فالطرق الصوفية الصحيحة ظلت مادة ثقافية تكيف الجماهير على الواقع والرضا به واحتماله بالصبر الجميل، ومع الوطأة الأوروبية على العالم الإسلامي أضحت أغلب هذه الطرق عامل تجنيد يُحرض الجماهير على وجوب تغيير الواقع ومادة تُنفّر من شروط ذلك الواقع وتزرع في القلوب إرادة التجدد والتجاوز - رغم العيوب التي انتابت طرقها وأساليبها في التغيير والإصلاح - وهو ما كان له أثره على الإنسان ومداركه وعلاقته مع الأشياء والقيم، فشبكة الطرق الصوفية

- عشارتي، المرجع السابق، صص (13-14) - للتوسع يُنظر: هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، بيروت: دار الفكر 1998م،<sup>1</sup> صص (33-60) - ينظر أيضاً: ندوات الفكر المعاصر، التغيير مفهومه وطرائقه؛ بيروت: دار الفكر، 1998م.

وفروعها كانت تهيكّل وبالكاد كل المجتمع الجزائري خلال القرون 17م 18م 19م خصوصا بعد أن شهدت هذه التنظيمات انقسامات وتفرعات تحت ضغط الظروف الموضوعية ونتيجة اجتهاد الأتباع فالحركات القادرية والرحمانية والسوسية مثلاً كانوا فاصلاً تاريخياً هاماً ربط حلقات المجتمع الإسلامي الجزائري السابقة الأصلية باللاحقة الداعية إلى الأصالة أو برجال مصلحين سابقين بآخرين تلوها في مراحل تاريخية متعاقبة.. حيث أدى الانخراط الروحي المتزايد خلال هذه الفترة في شتى الحركات الثورية والدينية، بكثير من فئات المجتمع إلى الارتباط من جديد رغم بساطة الفكرة وراдикаلية التغيير بوجودان الأمة وبماضيها الجمعي.

يذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة أن شيوخ الطرق الصوفية هم الذين أمروا جميع المواطنين الجزائريين بالتعبئة العامة والدفاع عن مدينة الجزائر العاصمة بعد تخلي الأتراك عن هذه المهمة وكشف الضابط دي نوفو في كتابه الإخوان الصادر سنة 1845 عن الدور الرئيس الذي أدته الطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال<sup>1</sup> وتحديث النقيب ريتشارد عن ثورة الظهرة التي قامت سنة 1845 مُبرزا الدور المهم الذي قامت به الطرق الصوفية في هذه الثورة ومن تقرير للمفتشية العامة حُرر بالجزائر سنة 1864 يعترف بالدور الخطير الذي تقوم به الطريقة الدرقاوية: «الدرقاوية كانوا معادين لنا كل العدا لأن غايتهم كانت سياسية بوجه خاص، أرادوا أن يشيّدوا من جديد صرح إمبراطورية إسلامية ويطردوننا، إن هذه الطريقة منتشرة جدا في الجنوب ومن الصعب جدا مراقبتهم، لقد كانت ندوات الإخوان سرية وكانت أغلبية رؤسائهم معروفة .. إن مشائخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة خصوصا من القرآن معادية لنا، مما يُحطّم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألدّ أعدائنا والتي يجب أن نخشاها وتخطط لها سياستنا، وكانت القبائل الأشدّ عدا لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي»<sup>2</sup>، وجاء في تقرير القائد الأعلى "دي توربيل" بتاريخ 4 أوت 1859، بعد الاضطرابات

<sup>1</sup> - سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات، 1977م. أنظر أيضا: الإبراهيمي

(عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، بيروت: م.د.و.ع. 1996م، ص 55

<sup>2</sup> - أنظر: - بوعزيز (جحي)، ثورة 1871م ودور عائلي المقراني والحداد، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م. - بوعزيز (جحي)، ثورات

في القرنين (19-20م)، الجزائر: دار البعث، 1980م.

التي رافقت المعارك التي خاضوها ضد الجزائريين ما يلي: « إن مبعوثين وفدوا من مختلف أنحاء الشرق وينتمون إلى مجموعة سيدي عبد الرحمن بوقبرين الدينية الرحمانية، التي يسكن مقدمها الأكبر سي المختار بواحة أولاد جلال (بسكرة) ليسوا غرباء عما يجري، وقد كانت أشغال لجان التجمعات التي شرع فيها من نواح عدة في نفس الوقت موضوعا لخطبهم ومواعظهم». لقد كانت السرية التامة هي الميزة التي تحيط بالزوايا، وما يجري داخلها، من نشاط شيوخها والتي لم يستطع الاستعمار بما لديه من إمكانيات ووسائل الإطلاع عليها، يقول ماك ماهون سنة 1851: « يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها وما يقال فيها» ويقول المؤرخ الفرنسي مارسيل إيميري: " إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أُعدت ونُظمت ونُفذت بوحى من الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدت دورا أساسيا في هذه الثورات: الرحمانية والسنوسية والدرقاوية والطيبية<sup>1</sup>، ويؤكد السيد أوكتاف ديبون المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر. ومن مؤلفي كتاب الطرق الدينية في الجزائر 1897 في تقرير بعث به إلى لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش والتي كان يرأسها "كليمانصو": « إننا سلفا نجد يدا مرابطة وراء كل هذه الثورات التي يقوم بها الأهالي ضدنا»، الشيخ محي الدين حمل راية الجهاد ويحملها بعده ابنه الأمير عبد القادر، وكان من أبرز المجاهدين في جيش الأمير عبد القادر سيدي محمد بن علال بن الولي الصالح سيدي مبارك دفين القليعة وشيخ زاويتها، الذي تولى قيادة الجيوش وخاض كبريات المعارك في نواحي وهران إلى أن سقط شهيدا في معركة وقطعت رأسه ووضعت في حراب من جلد وأرسلت إلى مريديه وأتباعه في شهر جانفي من عام 1845، كما شهدت منطقة الظهرة معركة هامة أطلق عليها الفرنسيون "انتفاضة الطرق الصوفية" وذلك لمشاركة العديد من الطرق فيها ك: الرحمانية والقادرية والطيبية، وانتقم المحتل من عرش أولاد رياح الساكن

<sup>1</sup> - حرب (أديب)، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م، ص 02. راجع أيضا: - الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)، بيروت: دار العلم للملايين، 1958م، ص 17. يراجع أيضاً:

- Kaddache (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien question Nationale et Politique Algérienne (919-1951), T1, Alger: S.N.E.D.1980. P30

جنوب مدينة تنس والذي كان له شرف المشاركة في هذه الثورة<sup>1</sup> ولا ننسى هنا ثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف بـ "بو معزة" في منطقتي الشلف والونشريس (1846 . 1847): من أتباع الطريقة الطيبية، الذي استنفر القبائل والأعراش بمنطقة الظهرة والشلف والونشريس واتسعت لتشمل التيطري والحصنة وجبال ديرة وسور الغزلان، ثم امتدت إلى نواحي أولاد جلال، حيث وجدت الزاوية المختارية وشيخها الجليل الشيخ المختار بن عبد الرحمن مقدم الطريقة الرحمانية كامل الدعم والمساعدة يضاف إلى ذلك ثورة البطل الشيخ بوعمامة، التي انتشرت عبر مناطق عين الصفراء وثيارت وفرندة وسعيدة وعين صالح وتوات، وكرزاز وتوفي سنة 1908 بعد ثلاثة عقود من الكفاح، وكانت ثورته امتداد لثورة سبقتها بقيادة أولاد سيدي الشيخ جنوب وهران، استمرت من سنة 1864 إلى 1880، وامتدت إلى جبل عمور التيطري متليي ورقلة وأدرار وسعيدة وغليزان وسور الغزلان<sup>2</sup>... كما عاضدتها ثورة بن ناصر بن شهرة من الطريقة القادرية، الذي قال عنه الضابط الفرنسي "لويس رين": «كان ابن ناصر بن شهرة الملاح الحقيقي للصحراء»، كما وجد المساعدة في الزاوية الرحمانية بنفطة لشيخها مصطفى بن عزوز التي كانت قبلة الثوار والمجاهدين، واستمر بن شهرة في كفاحه ضد الاستعمار إلى سنة 1875 حين أرغمه باي تونس على مغادرة بلاده، فيختار التوجه بحرا إلى بيروت ثم دمشق التي توفي بها سنة 1882.

ويسجل التاريخ لكثير من الطرق الصوفية مواقف لا تتقصها الشجاعة إزاء مواجهة العدو أو الظالم ورد الظلم والدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة المستضعفة، وذلك في عزة مدهشة قل أن توجد في هذا العصر، ولا يخفى علينا دور الطريقة القادرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ودور السنوسية في ليبيا غير خاف على أحد ونجد الدور نفسه قامت به الطريقة الشاذلية في مصر تجاه المحتل. والطريقة الشيخية من ضمن هذه الطرق الصوفية التي أدت دورا هاما في المجتمع الجزائري وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر المعاصرة، فمن أي زاوية تناولناها وجدنا الكثير من

<sup>1</sup> - عن هذه الثورات راجع: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين (19-20)،

<sup>2</sup> - Agéron (Ch.R), *L'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle*, Paris: Sinbad, 1980, PP ( 39-61 )

الفوائد والفرائد التي تساعدنا على فهم الكثير من الحقائق في الناحية الدينية والناحية السياسية والناحية الاجتماعية، وكان للانتفاضات والثورات الشعبية التي قامت بها الطريقة الرحمانية خلال القرن التاسع عشر أسس دينية، وهي الجهاد ضد النصارى المعادين للإسلام وبناء على ذلك أدت زوايا الطريقة دورا كبيرا ورائعا في معظم تلك الانتفاضات وأثرت بشكل جلي على مسارها واستمرارها<sup>1</sup>.

### 3-2 الدور الثوري للطريقة الشيخية 1832-1908:

إن تاريخ أي أمة من الأمم هو كنزها الذي لا يضيع ورصيدا الذي لا يفنى، فكما وقعت واقعة أو حدثت حادثة إلا وزادت قيمتها وعظمت مكانتها، وذهل العقل عند معرفة هذا التاريخ الغابر فمدينة الأبيض سيدي الشيخ صنعت كغيرها من البلدان عبر القطر الجزائري أحداثا تاريخية يشهد لها الزمان والأقوام، فمنذ اندلاع مقاومة أولاد سيدي الشيخ سنة 1861 . 1881 وانتفاضة الشيخ بوعمامة والمعارك التي قيدت في مطلع فجر أول نوفمبر وبعده كمثل معركة جبل الوتير بجانب تامدة وكذا معركة جبل تامدة، جبل سباع، أم القراف أرصاف الصابون، الواد الطويل، إلا والتاريخ يسجل روائع ضرب الأعداء وزعزعة صفوفهم وإحباط مخططاتهم بجميع أشكالها. ونحن هنا لا ندرس دورهم السياسي المحض، لأن ذلك مكانه تاريخ الحركة الوطنية، ولكن نشير إلى الجانب الروحي عندهم وعلاقته بأحداث البلاد.

#### أ / انتفاضة ( ثورة) أولاد سيدي الشيخ:

ولكي نستطيع فهم أسباب الثورة أغلب الشيوخ الدينيين ضد الاستعمار الفرنسي فإنه من الضروري أن نرجع إلى معاهدة 1845 التي

<sup>1</sup> - للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ط4، ج2 بيروت: دار الغرب الإسلامي 1992م، ص 102. - راجع أيضاً: - قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص 157. - الخرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م - عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، القاهرة: دار المعارف، 1985م - هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر: بلا نشر، 1988م. - جلال (يحيى)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م، ص 83 وما بعدها. - غليسي (جوان)، الجزائر الثائرة، تر. خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م، ص 34. - سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 104 وما بعدها - جفلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، تر: فيصل عباس، بيروت: دار الحدائث، 1983م. - جوليان (ش.أ)، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1، ج2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1969م. - جوليان (ش.أ)، أفريقيا الشمالية تسيير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.

- Ageron (CH.R ), Histoire de l'Algérie contemporaine ( que -sais -je ?) Paris, P.U.F.1977, P8 -

Mahsas (A), Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie., Paris: Ed, L'Harmattan, 1979, P26- -

Bontens(Claude), Manuel des institutions Algériennes, T2, Paris: Ed.Lucas, 1976

منحت العدو مراقبة جهات كانت تابعة لقبائل وزاوية أولاد سيدي الشيخ وكان الاستعمار يسعى من هذه المعاهدة إلى تفكيك القبائل وإلى خلق الفتن داخل مجموعة قبائل أولاد سيدي الشيخ التي توحدت لمقاومة الاستعمار . وحسب شهادات أهالي المنطقة فإن الأمير عبد القادر أتى في 1845 إلى مدينة الأبيض سيدي الشيخ ليلتقي بشيوخ القبائل ويناقش معهم السبل والوسائل التي من شأنها أن تدعم الكفاح ضد العدو وليس بحوزتنا حتى الآن أية معلومات دقيقة فيما يخص زيارة الأمير إلى الجنوب الوهراني غير أن البعض يؤكد أن بعض المتطوعين التحقوا بصفوف الأمير مباشرة بعد صلاة الجمعة وانضموا إلى الكفاح ولم يرض المحتل بهذا الاتفاق بين القبائل وذهب إلى تنصيب سلطة عسكرية تتمتع بكل الصلاحيات في الجهة الجنوبية الغربية من البلاد وفي نفس الوقت أنشأ المحتلون ما أسموه بالمكاتب العربية<sup>1</sup> .

ومن المعلوم أن هذه المكاتب كان هدفها هو جلب معلومات أكثر لقمع أي انتفاضة تهددها، فتعددت اعتداءات ضباط المكاتب حتى انتشر الغضب لدى قادة القبائل وكان نفي سي حمزة بوبكر سببا آخر في ارتفاع درجة التوتر وقد أدى الإعلان عن وفاته في العاصمة سنة 1861 إلى انتفاضة كل القبائل وإلى حد الآن مازالت أسباب موت سي حمزة محل نقاش وعلى كل حال فإن ابنه الثاني سي سليمان هو الذي خلف أباه على رأس مجموعة القبائل وقد كان لتولي سي سليمان الزعامة صدى عميقا، حيث أنه كان يطمح أن يلعب في المناطق الجنوبية نفس الدور الذي لعبه الأمير عبد القادر .

وفي فيفري 1864 غادر سي سليمان بن حمزة البيض (( جريفيل)) معلناً أنه لا يعترف بسلطة الفرنسيين على الجنوب الوهراني ومن الأبيض سيدي الشيخ وجه نداءه للجهاد ضد المحتل، وقد لبت نداءه القبائل. فكانت معركة عوينات بوبكر 1864 (على بعد 30 كلم من البيض)، وتروي الشهادات أن سي سليمان بن حمزة استطاع أن يطوق كل القوات الفرنسية وذلك باحتلال كل التلال المحيطة بقرية ستينتين وخلال المعركة تمكن الشيخ سليمان من التوغل في صفوف العسكر الفرنسيين إلى أن دخل مركز القيادة

<sup>1</sup> - محمود الواعي، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها. مجلة الجيش، العدد 404 الصادر بشهر مارس 1997

وقتل بيده العقيد بوبيتر المعروف بالسفاح حيث قضى على القبائل بأسرها وحسب المواطنين الذين رووا لنا بطولات أولاد سيدي الشيخ فإن سي سليمان استشهد خلال هذه المعركة. وبعد وفاته رفع عمه سي لعلا (زعيم ديني بورقلة) راية الثورة على رأس الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ ليتصدى لقوات الجنرال دي لينيبي فشن هجوما خالدا في 04 فبراير 1865 ضد طابور من الجيش الفرنسي بقيادة العقيد كولان وتحت إشراف الجنرال دي لينيبي وكان هذا الطابور معززا بالمشاة والفرسان من العساكر وجرت المعركة في غارة سيدي الشيخ وسط كثبان من الرمال ففي هذا الموقع القاسي لقي العدو هزيمة شنعاء اضطر إلى التقهقر الفوضوي والفرار. وأستشهد أثناء هذه المعركة الحامية الوسيط سي محمد بن حمزة.

وتزعزع الحكم الفرنسي أمام تطور الانتفاضة وأعطيت للعقيد نقيري "البطاقة البيضاء" لتدمير مدينة الأبيض سيدي الشيخ على آخرها، وكان ذلك يوم 15 أوت 1881م من طرف الجنرال نيقيري لنيثار لهزيمة إينوسانتي Inocenti وأعيد بناء قبة سيدي الشيخ من طرف مهندس مغربي من فجيج سنة 1887م، وتبع تدمير مدينة الأبيض سيدي الشيخ جرائم أخرى من سياسة الأرض المحروقة التي تمثلت في حرق أكثر من ثلاثة آلاف من ثروة النخيل وتحطيم القصور وتدنيس الزاوية حيث كان موجود ضريح سيدي الشيخ، وحاول من خلال ذلك الاستعمار الفرنسي أن يقضي على موارد المعيشة للقبائل لردعها وعدم إتباع الحركة الانتفاضية لكن أخطأت الإستراتيجية العسكرية في حساباتها وهكذا فقد كان تدنيس ضريح سيدي الشيخ عارا لا تحتمله كرامة الجزائريين وكان هذا الحدث حافزا لاستمرار المقاومة والكفاح المسلح الذي دام عشرون سنة<sup>1</sup>.

### ب/ ثورة الشيخ بوعمامة:

كان الشيخ بوعمامة من الرافضين لمعاهدة بريزينة التي أبرمها سي الدين بن حمزة الأخ الأصغر لثوار أولاد سيدي الشيخ مع الفرنسيين سنة 1880م. حيث نادى للجهاد في سبيل الله مواصلاً للنهج الثوري لأولاد سيدي الشيخ فانضوى تحت لوائه الكثير من القبائل والأنصار<sup>2</sup>. وواصل الشيخ

<sup>1</sup> - Djillali Sari: 'Insurrection de 1881-1882-SNED-1980-p24

<sup>2</sup> - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881 - 1908، الجزائر، ش.و.ن.ت. 1981.

بوعمامة الجهاد في كامل أرجاء الجنوب الغربي وخاصة بتوات وقورارة وتديكلت، والشاهد على ذلك المقام الذي كان يؤوي الشيخ في ناحية قورارة وبالتدقيق بدلول إلى أن وافته المنية بالمكان المسمى عيون سيدي ملوك بعمالة وجدة بالمغرب الأقصى سنة 1908م<sup>1</sup>، إن الشيخ كرس حياته كلها من أجل الوطن الكبير «الجزائر» فكان كل عمره بطولات وانتصارات لإعلان الحق والدين ولتحرير الوطن من المستعمر الفرنسي حتى فارق الحياة رحمه الله، ومن نتائج مقاومة الشيخ بوعمامة<sup>2</sup>:

1- كانت تحديًا كبيرًا لسياسة الجمهورية الثالثة، والتي كانت ترمي إلى إتمام عمليات الاحتلال الشامل للجزائر واستطاعت أن تعطل وتعرقل المشاريع الفرنسية في الجنوب الغربي.

2- تمثل المرحلة النهائية من إستراتيجية الزعامات الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي عن طريق المقاومات الشعبية التي تعتمد أساسًا على العامل الديني في تعبئة الجزائريين لمقاومة الاحتلال.

3- تعتبر من أعنف المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر بعد مقاومة الأمير عبد القادر.

4- كشفت ثورة بوعمامة ضعف الفرنسيين في مواجهة المقاومة مما جعلها تبحث عن الحلول السياسية لإخماد نار الثورة خصوصًا مع المرحلة الثانية 1883-1892 حين ظهرت قضية الأمان الذي كانت تبحث عنه السلطات الفرنسية من بوعمامة الذي رفضه من خلال المراسلات والمفاوضات التي كانت تسعى إليها فرنسا.

5- كانت الخسائر البشرية والمادية هي الأخرى من أبرز النتائج التي تمخضت عن هذه الثورة.

<sup>1</sup> - عمارة بن خليفة: المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة- الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين 9 و10/04/2001 - النعامة-2001 -ص06 -للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، ط4، ج2 - بوعزيز (يحي)، نماذج من مقاومات سكان الواحات، الأصالة، الجزائر: جانفي 1977م ص.ص(117-134) <sup>2</sup> - للتوسع يراجع - عمارة بن خليفة: المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة- الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين 9 و10/04/2001 - النعامة-2001 - يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين-ج1-ط2-منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر-1996-



6- عجلت الثورة بإتمام مشاريع السكك الحديدية في المنطقة وربط الشمال بالجنوب.

7- إن مقاومة الشيخ بوعمامة حتى وإن لم تحقق أهدافها في طرد الاستعمار من المنطقة بسبب العقبات التي اعترضتها ومنها على وجه التحديد عدم التمكن من توحيد فرعي أولاد سيدي الشيخ وكذلك ضغوط السلطان المغربي عبد العزيز على الثورة وحصرها في الحدود، إلا أنها أثبتت قدرتها على المقاومة وطول النفس وعرقلة التوسع في المنطقة .

لقد أشرف الشيخ بوعمامة على الطريقة الشيخية، فهدبها ورتب ما يرتب فيها وجعل منبعه فيما أبدعه منها وسماها : (الطريقة الإيمانية ) لكي لا يحس أبناء عمومته بأنه مغتصب لحقهم في إرث جدهم الأول، ثم إن ما أراده من الطريقة قد تحقق بإتقان ومهارة وعبقرية، لأن المنهج السفلي في الذكر جعله معاصرا وصنع من المريدين وال دراويش جيشا عرمرما يقف غصة في حلق الجيوش النظامية فيهزمها ويرسم انتصارات باهرة.

وقاد انتفاضة لم تتوقف إلا بوفاته، وعمل كل ما في وسعه لتوحيد القبائل، وجعل من أولاد سيدي الشيخ والجادبة وحميان والعمور، والشعانية، قوة عظيمة يحسب لها ألف حساب بعد أن كانوا في غالبيتهم متطاحنين على أماكن الكأ والماء، بل أنه أدخلهم التاريخ من الباب الواسع، قال عنه أحد القادة الفرنسيين (( إن انتفاضة بوعمامة هي قضية شعب بأكملها)). قال عن نفسه: (( بأنني خلقت من أجل رفاهية أبناء هذا البلد الأوفياء لأوامر القرآن)). كما كان يقول: « إن جيشي الحقيقي هو الإيمان »<sup>1</sup>.

إن الشيخ بوعمامة جعل العدو بقواته الرهيبة يجعل ألف حساب للمقاومات، مهما كان شكلها ومهما كان أنصارها. إن انتفاضة الشيخ بوعمامة انطلقت من صلب الطريقة الصوفية، ثائرة على الأوضاع المزرية التي كان يعيشها المواطن الجزائري متفهمة لحقائق العصر ونابضة بدفق هواجس المستقبل، وبذلك تكون مكملة للحلقة التي فتحها الأمير عبد القادر، وعمقها أولاد سيدي الشيخ والثوار التواتيين في انغر والدغامشة، ومنطقة جرارة لتجدها أجيال أول نوفمبر 1954م مرتكزا تستند عليه لمواصلة المسيرة.

<sup>1</sup> - يحي بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 48

**الخاتمة:** وعلى ضوء ما سبق عرضه نخلص إلى تأكيد النتائج

الآتية :

. إن الجزائر كغيرها من شعوب العالم الإسلامي عايشة بتفاعل ظاهرة التصوف، واسهم علمائها في نشر مبادئها وأفكارها وممارساتها التي خلفت آثاراً إيجابية على لحمة وتماسك المجتمع، وبفضل جهودهم انتشرت مختلف الطرق الصوفية عبر ربوع الوطن.

. لقد أكدت الطرق الصوفية في حضورها الفعال في مختلف مجالات الحياة، ونهضت بكثير الأعباء الاجتماعية والدينية، ومنها التعليم والتثقيف، ونشر الأخلاق الفاضلة وتوحيد كلمة المسلمين، ونشر الإسلام ومواجهة الأخطار الأجنبية المحدقة ببلاد المسلمين كالغزو والتنصير والتبشير... الخ .

. إن الطريقة الشيخية الصوفية رفعت راية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ووحدت كلمتها على مواجهته بمختلف السبل الممكنة ونجحت في تحقيق نتائج باهرة في هذا المجال، الأمر الذي دفع بالإدارة الفرنسية إلى عدم الاستهانة بقوة هذه المؤسسة الدينية فعملت على تدجينها وتشويه صورتها، وإن كانت حققت بعض النجاح لدى قاصري العقول إلا أن الطريقة الشيخية على اختلاف مواقفها كان لها دور بارز في المقاومة الثقافية ومحاربة الإدماج والمحافظة على قيم المجتمع وشخصيته المسلمة، وذلك عن طريق التعليم والتضامن الاجتماعي والسياسي.

ونحن هنا لا نعني تقديس الطريقة الشيخية وإبعاد كل خطأ عنها، بل هي طريقة صوفية تشارك بقية أخواتها من الطرق الأخرى في كثير من أمور الدنيا والآخرة سلباً وإيجاباً، ولكننا نعني قيامها بدور فعال في القرن التاسع عشر عندما تعرضت البلاد لأبشع احتلال في العصر الحاضر وبخاصة في عهد الشيخ بوعمامة الذي كرس حياته كلها لخدمة البلاد والعباد، ولهذا وجب التذكير بذلك والتنبؤ به، أي أن دور الأفراد هام في كل فترة من فترات التاريخ.

## التوزيع الجغرافي لأتباع الطريقة الشيخية في نهاية القرن التاسع

عشر<sup>1</sup>

عدد الأخوان	عدد المقدمين	الزاوية	المنطقة
1476	3	//	الجزائر: دائرة غرداية
20	1	//	وهران: المقاطعة والضواحي
40	2	//	عين تموشنت وضواحيها
10	1	//	سيدي بلعباس وضواحيها
32	1	//	معسكر وضواحيها
20	1	//	تلمسان وضواحيها
20	1	//	أولاد ميمون وضواحيها
09	1	//	سبدو (بلدية مختلطة)
197	6	//	عين الصفراء
70	1	//	الضاية
120	6	05	البيض (جيريغيل)
148	1	//	لالة مغنية
11	1	//	سعيدة
917	13	//	سبدو
2780	39	05	المجموع

### قائمة المراجع المعتمدة

#### الوثائق الأرشيفية:

- Archives Nationales ( Tunis ), Série D, C178, Dossier 1, NP ( 1-2-3-4-5 ).
- Archives Nationales ( Tunis ), Série D, C178, Dossier 2, NP26.
- Archives Nationales(Tunis), Serie D, C156, Dossier 13, C163, Dossier 2, C167, Dossier1, C168, Dossier1, C172, Dossier 1,C178, Dossier1.
- Archives Nationales ( Tunis ), Série D, C550, Dossier 30/15,F 886.
- Archives Nationales ( Tunis ), Série D, C178, Dossier 02,F ( 2-3-4 ).
- De lamartinère et Lacroix, Document pour servir à l'histoire du nord africain, Gouvernement général de :\_X l'Algérie, tome/2. Alger 1897.

<sup>1</sup> - Rinne (LOUIS ), Marabouts et Khouans. Etude sur l'islam en Algérie, Alger, Librairie éditeur ,1884. P368

## المصادر:

## 1- باللغة العربية

- ابن أبي ضياف (أحمد)، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تع أحمد الطويلي، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1979م.
- الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، الجزائر: مطبعة بيبير فونتانة، 1907م
- المدني (أحمد)، كتاب الجزائر (ط1- 1931)، الجزائر: دار الكتاب 1963
- العدوان محمد بن محمد بن عمر، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.

## 2- باللغة الفرنسية

- Cour(A),"Recherche Sur l'état des Confrères Religieux Musulmans in Revue Africaine, 1862
- Rinne (LOUIS ), Histoire de l'insurrection en Algérie de 1871, Alger : 1891.
- Rinne (LOUIS ), Marabouts et Khouans. Etude sur l islam en Algérie, Alger, Librairie éditeur ,1884.

## المراجع:

## 1- باللغة العربية

- الإبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، بيروت: م.د.و.ع. 1996م.
- أحمد بن عثمان حاكمي، الطريقة الشيعية في ميزان السنة، مطبعة مكاتب القدس، وجدة، 1996 .
- بوعزيز (يحي)، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1978م.
- بوعزيز (يحي)، ثورات في القرنين (19-20)م، الجزائر: دار البعث، 1980م.
- بوعزيز (يحي): ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين - ج1- ط2- منشورات المتحف الوطني للمجاهد- الجزائر- 1996-.
- جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، تر: فيصل عباس، بيروت: دار الحداثة، 1983م.

- جلال (يحي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م.
- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965.
- جوليان (ش،أ)، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1، ج2، تونس: الدار التونسية لنشر، 1969م.
- جوليان (ش،أ)، أفريقيا الشمالية تسير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.
- حرب (أديب)، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.
- الخرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م.
- الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)، بيروت: دار العلم للملايين، 1958م.
- خليفي عبد القادر، الطريقة الشيخية، الجزائر: دار الأديب، 2006
- سبنسر برمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر. عبد القادر البحراوي، بيروت: دار العربية للنهضة، 1997م.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، الجزائر: دار البصائر، 2007.
- سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامعة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.
- سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات، 1977م.
- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ط4، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م.
- شكري (محمد فؤاد)، السنوسية دين ودولة، دمشق: دار الفكر، 1948م.

- العربي (إسماعيل)، حاضر الدولة الإسلامية في القارة الإفريقية،  
الجزائر: م.و.ك، 1984م.
- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881 - 1908، الجزائر،  
ش.و.ن.ت . 1981.
- عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي  
وحركات المقاومة، القاهرة: دار المعارف، 1985م.
- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر  
النهضة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983.
- عميرايوي (أحميدة)، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، الجزائر:  
دار الهدى، 2003م.
- عميرايوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر  
العهد العثماني، قسنطينة، دار البعث 2002.
- غليسي (جوان)، الجزائر الثائرة، تر. خيربي حماد، بيروت: دار  
الطليعة، 1961م.
- قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث  
والمعاصر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.
- فيلاي مختار، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في  
الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة: دار الفن
- لوثروب (ستودراد)، حاضر العالم الإسلامي، ج2، تر، تع:  
شكيب (أرسلان)، سوريا: الفكر العربي، 1351هـ.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر: ش.و.ن.ت،  
1978.
- هشام شرابي، المتفقون العرب والغرب، بيروت: دار الفكر  
1998م.
- هشام شرابي، ندوات الفكر المعاصر، التغيير مفهومه وطرائقه؛  
بيروت: دار الفكر، 1998م.
- هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة  
(1830 - 1962)، الجزائر: دم.ج، 1984.

- هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر: بلا نشر، 1988م.

## 2- باللغة الفرنسية

- Agéron (Ch.R), L'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle, Paris: Sinbad, 1980.

- Ageron (CH.R ), Histoire de l'Algérie contemporaine ( que –sais –je ?) Paris, P.U.F.1977.

- André .p. j. contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, Editions la maison des livres, Alger, 1956.

- Berque. J., les Oulemas Fondateurs, insuges du Maghreb, Sindibad, Paris,1981.

-Bontens(Claude), Manuel des institutions Algériennes, T2, Paris: Ed.Lucas, 1976.

- Bousquet,G.H , Introduction a L'étude générale de l'islam, 4è édition, Alger, 1954.

- Djillali Sari:l'Insurrection de1881-1882-SNED-1980.

- Djillali Sari , Documents pour servir à l'histoire de hamayn-BSGO -1915-1916

- Houari Touati: Entre Dieu et Les Hommes, lettres, Saints et Sorciers au Maghreb au 17s, Paris.

- Kaddache (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien question Nationale et Politique Algérienne (919-1951), T1, Alger: S.N.E.D.1980.

- Mahsas (A), Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie., Paris: Ed, L'Harmattan, 1979.

- Rey (G.Z ), Le Royaume Arabe, Alger: S.N.E.D.1977.

## المقالات:

### 1- باللغة العربية:

- بوعزيز (يحي)، "تماذج من مقاومات سكان الواحات"،

الأصالة، الجزائر: جانفي 1977م .

- خليفي عبد القادر ، الشيخية والقادرية بين الجنوب الغربي

الجزائري وشرقي المغرب، الملتقى الدولي الحادي عشر : التصوف في

الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار،

2008م.

- عمارة بن خليفة: المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة -  
الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين 9 و 10/04/2001  
- النعامة-2001 .
- محمد الأمين بلغيث، "السلطة في الجزائر وتونس في القرن 17م  
من خلال تاريخ العدواني" الندوة الفكرية الخامسة للشيخ العدواني، الوادي  
(2000/10 /1.2.3).
- محمود الواعي، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها.  
مجلة الجيش، العدد 404 الصادر بشهر مارس 1997.
- 2- باللغة الفرنسية:**
- Berque (A)"Un mystique moderniste, Revue  
Africaine 79/1936, n°761-776.
- Ahmed ben naoum, Uled-sidi-esh-sheykh, thèse  
de doctorat d'état, université de Provence, centre AIX,  
département de sociologie, 1993, TOME/ 01.
- Si Hamza Boubakeur, Un soufi Algérien Sidi  
Cheikh : sa vie, son oeuvre, son rôle historique, ses  
descendants (Ouled sidi-cheikh), éd. Maisonneuve et  
larose, Paris 1990.



مشكلة الحضارة، في فكر مالك بن نبي  
The Civilization problematic  
in the light of the view of Malek Bennabi

أ. زوهير عبد السلام

جامعة باتنة

ملخص:

كلنا يدين بشكل مباشر أو غير مباشر لفكر شخصية ما ولعل جيلا كبيرا من النخبة الجزائرية يدين في توجهه المعرفي للمفكر الجزائري مالك بن نبي، ووفاء لهذا الرجل الذي وضع مشروعا حضاريا ينقل الأمة من مراحل التراوح المزمّن، والغنائية الحضارية، نساهم بموضوع يعتبر بالنسبة لبن نبي رأس الحربة في المأزق الحضاري للأمة ألا وهو موضوع: الحضارة؛ ولمعالجة الموضوع نضع التساؤلات الآتية:

كيف حدد بن نبي مفهوم الحضارة؟ وما عناصرها بحسبه؟ وهل حالة الغرب اليوم يُطلق عليها مُسمى الحضارة؟ ما هي مقومات أي حضارة؟ موقف المسلم اليوم مع حضارة العصر؟.

كل هذه التساؤلات سوف نقدم لها بعض الإجابات جازمين أن مثل هذه المواضيع، لم يعد صوابا أن تُتناول من قبل أقلام مفردة؛ وسوف نسهم في هذا العمل معتمدين كلية على "الرؤية البنابية"، وذلك من خلال مؤلفاته وبعض آثاره.

**Abstract:**

We are all directly or indirectly indebted to a person for our thinking, perhaps a great part of the Algerian elite owe their genius to the Algerian thinker Malek Bennabi, who brought to the world a civilizational project to overwhelm the vacuum that labelled the nation ,in order to deal with this subject; we raise the following questions and previously answer them.

How was civilization determined by Bennabi? And what are its elements according to him? Is the actual status of the occident regarded as a civilization? And what are the essentials of a civilization? And what is the attitude of the Muslims today towards the modern civilization.

We will provide answers to all these questions, asserting the fact that such topics can no longer be dealt

with by individual writings. We shall proceed with this work entirely drawing upon "the Bennabian view" through his books.

### مقدمة:

هناك إشكاليات معرفية وفلسفية تتم الإجابة عنها وتصنف في جملة المفاهيم المفصول فيها بين قطاع كبير من المفكرين والباحثين، بيد أن هناك مفهومات كلما قيل عنها أنه قد تمت مقارنتها بشكل يكاد يكون نهائيا إلا وألحت بالعودة إلى حيز الجدل المعرفي والبحث الفلسفي؛ لأنها مرتبطة بجدل الحياة والإنسان.

وهناك قلة من الفلاسفة والمفكرين المسلمين الذين قاربوا بشكل كبير أحد هذه المفهومات؛ أعني مفهوم: "الحضارة" وهو المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يعد عند قطاع واسع من الباحثين فيلسوف الحضارة الإسلامية بعد ابن خلدون.

ولقد كان لهذا المفكر دور كبير في صقل وتحديد وجهة فكر جيل كبير من النخبة الجزائرية بشكل خاص، والنخبة العربية بشكل عام على امتداد رقعة العالم العربي والإسلامي، ولعل كثيرا من هؤلاء يدين في نبوغه أو توجهه المعرفي والفكري لمالك بن نبي، هذا الرجل العملاق الذي يمكن وصفه أنه منجم من الأفكار والمشاريع لم يكتشف بعد، أو على حد تعبير الدكتور عبد الفتاح المغربي: "بلدية أفكار"<sup>(1)</sup>.

ووفاء لهذا الرجل الذي كرس جهوده الفكرية والثقافية من أجل وضع مشروع حضاري سنني ينقل الأمة من مراحل التراوح المزمن، والغنائية الحضارية، نسهم بهذا الموضوع محاولة منا لتبسيط فكر الرجل حول موضوع يعتبر بالنسبة لمالك بن نبي رأس الحرية في المأزق الحضاري للأمة ألا وهو موضوع: "مشكلة الحضارة"؛ ولمعالجة الموضوع نضع التساؤلات التالية، لنجيب عنها بحسب ما فهمناه من فكر الرجل، وخبرناه من خلال الاحتكاك بثلة من تلامذته المباشرين.

<sup>1</sup> - محاضرات في علم الكلام، الدكتور عبد الفتاح المغربي، محاضرات أقيمت على طلبة السنة الثالثة، بالمعهد الوطني للتعليم العالي جامعة باتنة، السنة الجامعية 1992/1993م.

فما مفهوم الحضارة عموماً؟ وكيف حدده مالك بن نبي؟ وما عناصرها بحسبه؟ وهل حالة الغرب اليوم يُطلق عليها مُسمى الحضارة؟ ما هي مقومات أي حضارة؟ وما موقف المسلم اليوم مع حضارة العصر؟. كل هذه التساؤلات سوف نقدم لها بعض الإجابات مع ملاحظة أن مثل هذه المواضيع، لم يعد صواباً أن تُتناول من قبل أقلام مفردة؛ أعني ضرورة تحرير القول في مثل هذه المواضيع من قبل مجموعات بحث أو مراكز بحث، أو ما شابه هذا من عمل جماعي مشترك. وسوف نسهم في هذا العمل معتمدين كلية على ما قدمه مالك بن نبي من رؤية شاملة في تحليلاته، وذلك من خلال مؤلفاته وبعض آثاره، وربما استأنسنا ببعض ما كتبه غيره لندعم فكرة أو نوضح معنى أرادَه مالك نفسه.

### أولاً: مفهوم الحضارة

#### 1- الحضارة في اللغة: تدور أغلب المعاجم اللغوية الأصلية<sup>(1)</sup> على

المعاني الآتية:

- أ- الحضور نقيض المغيب والغيبية، حضر يحضر حضوراً حضارة، وكلمه بمحضر فلان وبحضرته، أي بمشهد<sup>(2)</sup> منه.
- ب- بمعنى عنده: كنا بحضرة ماء، ورجل حاضر.
- ج- قرب الشيء: الحضرة: وتقول كنت بحضرة الدار.
- د- جاء أو أتى: حضرت الصلاة، أو حضر القاضي.
- هـ- الحضر خلاف البدو: والحضارة الإقامة في الحضر.
- و- الحاضرة: الحي العظيم.
- ز- الحاضر ضد المسافر.

هذه جملة ما أورده أهل اللغة من مرادفات لفظية مرتبة بهذا الترتيب في معاجمهم، وأنه لبديهي أن ترتب معاني هذه الكلمة بهذا السياق فليس الأمر مجرد ترتيب كيفما اتفق، لكن هو ترتيب حسب دلالتها الحقيقية في اللسان العربي.

<sup>1</sup>-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م. مادة: حضر.

والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1416هـ- 1996م. نفس المادة.

<sup>2</sup>-الجرجاني الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الندي، مصر، ط: 2004، ص: 138.

ولقد لاحظ أحد الباحثين أن استعمال كلمة الحضارة بمعنى الإقامة في الحضر دون باقي الاستخدامات الأخرى "يمثل رغبة في البحث عن مقابل عربي للدلالات الراسخة في أذهانهم؛ أي أن رجوعهم كان رجوعاً تسويغياً استظهارياً، ليس رجوعاً للبحث عن حقيقة المفهوم باستتطاق اللغة العربية والاستماع إليها بكل دلالات مفاهيمها" (1).

ففي لسان العرب جاء ترتيب كلمة "الحضر كخلاف للبدو" (2) في الرتبة الخامسة، "وبالنظر إلى هذه الدلالات يلاحظ أن أولها وأعمّها وأكثرها تكراراً يشير إلى استخدام حضر بمعنى: شهد؛ أي الحضور كنفويض للمغيب، والحضارة بمعنى الشهادة" (3).

**2- الحضارة من حيث المضامين: إن أول معنى يذكر في جميع معاجم اللغة، هو حضر بمعنى شهد، وهو بهذا يعدُّ الأصل؛ فهو قرين لفظ حضر، ولكن أغلب من يكتب في هذا الموضوع ينطلق من مقابلة لفظ حضارة بمعنى سكنى الحضر أو عكس البداوة، ولا يمكن فهم ميل هؤلاء إلى هذا المعنى إلا بسببين هما:**

أ- الاعتماد على ابن خلدون في استعماله لهذا المصطلح، والذي يتوافق عنده مع جذور المفهوم الأوروبي (Civilisation) فإنه لا يخفى علينا أن جذر هذا المفهوم مشتق من مفهوم Civitas بمعنى مدنية، ومن ثمَّ فإن المشتق يحمل كثيراً من دلالات المشتق منه، "فالمقصود بهذا المفهوم في جوهره يدور حول نمط حياة المدنية بما يعكسه من قيم وسلوكيات ونظم..." (4)، ولمفهوم المدنية أيضاً في الفكر الأوروبي دلالات متنوعة؛ ذلك بسبب التطور في الاستعمال (5) الذي صاحب هذا المدلول.

<sup>1</sup>-ناصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المنشور ضمن كتاب: بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، لمجموعة من الباحثين، (سلسلة المفاهيم والمصطلحات:4)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1998م، (1/284).

<sup>2</sup>-ابن منظور، لسان العرب، مادة: حضر، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي نفس المادة.

<sup>3</sup>-ناصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، 1/285.

<sup>4</sup>-ناصر محمد عارف، المرجع نفسه، 1/267.

<sup>5</sup>- يقسم لامبارد تطور المدنية في أوروبا إلى مراحل ثلاث:

أ-مرحلة المدنية ما قبل الصناعية: مدن أساسها المحكمة أو الكاتدرائية أو الحصن أو السوق أو الميناء أو هذه الظواهر مجتمعة.

ب-مرحلة المدن الصناعية: وهي التي صاحبت الثورة الصناعية حيث تطورت معها علاقاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ج-مرحلة المتروبوليتان: وهي مدنية تتميز بالامتداد الصناعي وازدياد الغنى فيها وانتشار نفوذها خارج نطاقها.

نعود إلى تأثير ابن خلدون في الكتاب المعاصرين في استعمالاتهم؛ لنقول أنه لا يمكن بحال تخطئة ابن خلدون في استعمال مصطلح حضارة؛ ذلك أنه استعمل هذا المفهوم بما يتسق وفكره الذي خطّه لنفسه في مقدمته؛ ولأنه لما تحدث عن الحضارة لم يعطها المفهوم الشامل والكلي لها؛ نعني المفهوم الذي يؤطر الحركة البشرية ويلقي عليها بصفات قيمية معينة، بل إن حديثه يعني به تطور الدولة ومراحلها، و"هنا يلاحظ أيضا أن ابن خلدون لم يكن يقصد الدولة بمعناها المعاصر (شعبا وإقليمًا وحكومة)، وإنما كان يقصد ما يمكن أن يسمى العهود السياسية أو النظم السياسية أو عملية توارث السلطة أو توالي الأسر الحاكمة لذلك كان استخدامه لمفهوم الحضارة مقصورا فقط على إحدى دلالات هذا المفهوم وهي تلك المشتقة من الإقامة في الحضر بخلاف البادية" (1).

فالحضارة [عند ابن خلدون؛ أي سكنى الحضر والمدن] هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير (2)؛ ويعني غاية التطور وآخر أعمار الدولة وبداية السقوط، إذ لكل دورة حضارية بداية وقمة وانحدار، وهي قمة الشر والبعد عن طبائع الخير والفضيلة، وإن ابن خلدون "عندما تحدث عن الحضارة وكان يقصد بها مرحلة التحضر أو ظهور المدن وهي مرحلة من مراحل عمر الدولة التي تحدث عنها، ومن ثم لم يكن ابن خلدون يقصد فيما كتب مفهوم الحضارة بمعناها المعاصر المترجم عن لفظة *Civilisation*، ولم يقصد مفهوم الحضارة بمعناها اللغوي والقرآني الشامل، وإنما قصد فقط مجرد الاشتقاق من (حضر)؛ أي الصفة التي تطلق على النمط المعيشي لأهل المدن والحضر..." (3).

<sup>1</sup> - نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية ، 283/1.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط7، 1409هـ، 1989م، ص:123، الفصل الرابع: في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر.

<sup>3</sup> - نصر محمد عارف، المرجع السابق ، 282/1.

وإن وجه "التلبيس هنا ليس تابعا من استخدام ابن خلدون بل تابعا من أن الباحثين العرب استتبوا الدلالات المشتقة والمعاني من مفهوم (Civilisation)، بحيث مثلت هذه الدلالات أرضية أساسية لديهم وصورة ذهنية ذات ظلال معينة ماثلة في عقولهم، ومن ثم كان رجوعهم لابن خلدون أو للقواميس العربية القديمة والتركيز فقط على استخدام الحضارة بمعنى الإقامة في الحضر دون باقي الاستخدامات الأخرى، يمثل رغبة في البحث عن مقابل عربي للدلالات الراسخة في أذهانهم؛ أي أن رجوعهم كان تسويغيا استظهاريا، ليس رجوعا للبحث عن حقيقة المفهوم باستنطاق اللغة العربية والاستماع إليها بكل دلالات مفاهيمها" (1).

### ب- اصطحاب الدلالة الراسخة في الأذهان للفظ Civilisation في

الاستعمال الغربي، والبحث لها عن مقابلات في القاموس اللغوي العربي، والملاحظ الدقيق يلاحظ تلك الترجمة المزدوجة للفظ اللاتيني، فهناك من ترجم اللفظ إلى "مدنية" ومنهم من ترجمها إلى "حضارة"، فمن ترجم Civilisation إلى حضارة، لاحظ الظلال المسيحية للحضارة الرومانية، يقول مالك بن نبي: "إن شبابنا لينظرون إلى [الحضارة] (2) الغربية في يومها الراهن ويضربون صفحا عن أمسها الغابر، حين نبتت أولى بذورها وتلونت في تطورها ونموها ألوانا مختلفة، وما فتئت تتلون عبر السنين حتى استوت على لونها الحاضر فحسبناها نباتا جديدا... [و]... إن أكبر مصادر خطئنا في تقدير [الحضارة] الغربية أننا ننظر إلى منتجاتها وكأنها نتيجة علوم وفنون وصناعات، وننسى أن هذه العلوم والفنون والصناعات ما كان لها أن توجد لولا صلات اجتماعية خاصة... وهل هذه العلاقات الخاصة في أصلها سوى الرابطة المسيحية التي أنتجت الحضارة الغربية... ولسوف نصل في النهاية - إلى الروابط الدينية الأولى التي بعثت الحضارة، وهذه حقيقة كل عصر وكل حضارة" (3)؛ ومن هنا يعدُّ المفكر الجزائري الأستاذ مالك أن الحالة الغربية اليوم هي حضارة، بالنظر إلى القيم الروحية التي تحملها.

<sup>1</sup>-نصر محمد عارف، المرجع السابق، 284/1.

<sup>2</sup>- لقد ترجم الأستاذ عبد الصبور شاهين المصطلح عن مالك بن نبي بـ: "المدنية"، وهو خطأ يبيِّن بحيث أن المطلع على فكر مالك بن نبي يدرك بسهولة أن ابن نبي يضبط المصطلح بشكل ملفت للانتباه، ومن الملفت للانتباه أنه في نفس الفقرة المترجمة نلاحظ أنه فقد ترجم نفس المصطلح مرتين بالمدنية ومرة بالحضارة، ونحن نميل إلى أن بن نبي قصد الحضارة وليس المدنية.

<sup>3</sup>- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، عبد الصبور شاهين، (سلسلة مشكلات الحضارة)، دار الفكر، دمشق، ط4، 1404هـ، 1984م، ص: 80-81.

وهذا بخلاف سيد قطب الذي يعدها "مدنية" (1) وكذا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فهما قد جعلتا الحضارة تساوي الإسلام، ولما لم يلتفتا إلى المخزون المسيحي في أشياء الحضارة الغربية، ونظرا إليها كماديات عارية عن القيم الروحية المسيحية، اعتبرا حالة الغرب "مدنية" وربما نعتوها بالجاهلية وأحيانا بالضلالة والكافة، لا بالنظر إلى عقيدتها ولكن بالنظر إلى ما آلت إليه.

فما هي مضامين مفهوم الحضارة كما يدلُّ عليه الاصطلاح العربي؟

لقد سبق وأن أكدنا أن أول مصطلح يرادف "حضر" في المعاجم هو "شهد"، فالحضارة هي الشهود، ولكي نسند قولنا علينا أن نصدر القول من إله قوي ومتين، وليس ذلك إلا القرآن، فيا ترى كيف جاء الاستعمال القرآني للفظ "حضر"؟.

لقد ورد هذا اللفظ في القرآن في عدّة مواضع منها:

- قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 180].

- وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى﴾ [سورة النساء، الآية: 08].

- وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 185].

وجميع هذه الدلالات تعطينا مفهوما واحدا هو الشهادة والحضور. وللشهادة في الاستعمال القرآني "دلالات أربع متكاملة فيما بينها تتحد لتؤدي معنى الحضارة أو الشهادة في الفهم الإسلامي، هذه المعاني أو الدلالات لا يمكن تجزئتها وإلا فقدت مضمونها ومعناها، فأى واحدة من هذه المعاني الأربعة تمثل جزءاً من بناء مفهوم الحضارة، ومن ثم لا يمكن القول إن أياً منها يعبر عن مفهوم الحضارة، بل لا بد من توافرها جميعا منظومة أو في نسق واحد حتى تعطي المفهوم كامل معانيه، وهذه الدلالات هي:

<sup>1</sup> - كما هو مدون في جل كتبه خاصة منها: "معالم في الطريق" و"المستقبل لهذا الدين" و"تحو مجتمع إسلامي"، هذا الأخير دار حوله بين سيد قطب ومالك حوار هادئ وعميق إذ قد عنونه قطب في البداية "تحو مجتمع إسلامي متمدن" ثم عدل عن ذلك.

-الشهادة بمعنى التوحيد و الإقرار بالعبودية لله، والاعتراف بتفرده سبحانه بالألوهية والربوبية، وهي محور العقيدة الإسلامية، وعليها يتحدد التزام الإنسان بمنهج الله أو الخروج عنه.

-الشهادة بمعنى قول الحق وسلوك طريق العدل، أو الإظهار و التبيين، أو الإخبار المقرون بالعلم، أو الملاحظة والمراقبة، وتعد مدخلا من مداخل العلم ووسيلة من وسائل تحصيل المعرفة.

-الشهادة بمعنى التضحية و الفداء وتقديم النفس في سبيل الله حفاظا على العقيدة ودفاعا عن تحرير الإنسان من عبادة العباد و إخراجة إلى عبادة الله وحده.

-الشهادة وظيفه لهذه الأمة: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (1).

3:الحضارة اصطلاحا: بناء على العناصر الأربعة السابقة يمكن أن نقول أن أحسن تعريف لـ "الحضارة" هو ما قاله الأستاذ مالك بن نبي أنها: "مجموعة الشروط المعنوية و المادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر جميع الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه" (2) ، وهي: "نتاج فكرة جوهرية تطبع على المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ" (3) ، وعلى هذا فهو يحدد جانبين للحضارة، يقول: "وبناء على تحديد مصطلح الحضارة نفصل جانبين:

أ-الجانب المعنوي: "الشروط المعنوي".

ب- الجانب المادي: "الشروط المادية"، [ثم قال: ] نجمع هذه الشروط المعنوية...في كلمة نسميها: الإرادة الحضارية: (Le Vouloir)، ونجمع الشروط المادية في كلمة نسميها: (Le Pouvoir)، وإذا تحقق أحد هذين الأمرين فقط في مجتمع فإن هذا المجتمع لا يستطيع أن يحقق الضمانات الاجتماعية لكل أفرادة فلا بد من توفر الشرطين [معا] (4) .

<sup>1</sup> نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية ، 285/1-286.

<sup>2</sup> مالك بن نبي،المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، الجزائر، ط1992م، ص:61.

<sup>3</sup>مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، الجزائر، ط1992م،ص:41.

<sup>4</sup> عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1404هـ،1984م، ص:135، (من وصية مالك بن نبي).



وهناك تعريف آخر لـ"الحضارة" يعتبر أكثر دقة ووضوحاً يقول فيه صاحبه: "الحضارة: هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي ينتج عنها نموذج إنساني، يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي يتعلق بوجدانية خالق هذا الكون وواضع نواميسه، وسننه والمتحكم في تسييره"<sup>(1)</sup>؛ هذا ويبقى تعريف ابن نبي الأكثر شمولاً والأكثر استيعاباً لكل الحضارات البشرية، أما تعريف الدكتور نصر محمد عارف فهو مقصور على الحضارة الإسلامية.

### ثانياً: صناعة الحضارة

يمكن أن نتساءل كيف تصنع الحضارات، وهل بالإمكان فعل ذلك؟.

لقد تناول الأستاذ ابن نبي هذا الأمر بشكل دقيق وعميق، حيث اعتبر أن التاريخ ليس عبارة عن أحداث متراكمة؛ بل هو بصمات المجتمعات الحية على صفحة الزمن؛ لذا فإن صناعة التاريخ بدل روايته فحسب هي مهمة الرجال الرساليين، وأن التاريخ ليس دقائقاً وثواني مهملات، بل إن التاريخ هو الصورة الحقيقية للمجتمعات، يقول ابن نبي: "إن الزمن نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل، فهو يمر خلال المدن، يغذي نشاطها بطاقته الأبدية، أو يذلل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباءً، وهو يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد، بفيض من الساعات اليومية التي لا تفيض، ولكنه في مجال ما يصير (ثروة)، وفي مجال آخر يتحول عدماً، فهو يمر خلال الحياة، ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال"<sup>(2)</sup>.

وقد قرر رحمه الله أن صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير طوائف أو عوالم اجتماعية أربعة:

تأثير عالم الأشخاص، تأثير عالم الأفكار، تأثير عالم الأشياء، تأثير عالم شبكة العلاقات الاجتماعية<sup>(3)</sup>، "التي تعطي للجهد الإنساني

<sup>1</sup> - نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، 286/1.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين و عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط: 1979م، ص: 139.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع-شبكة العلاقات الاجتماعية-تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط: 1974م، ص: 23.

فعاليتها النموذجية القصوى“ (1) ، وعلى هذا أكد أن كل حقيقة لا تؤثر في هذه العوالم هي حقيقة ميتة لا تغني شيئاً (2)، وعلى هذا فإن كل “...شعب يجب أن يصنع تاريخه بوسائله الخاصة، وبأيديه ذاتها، والتاريخ في أي مستوى من الحضارة يتم إنجازه، إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء، والأشخاص والأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات؛ أي في نفس الأوان الذي يواكب عملية إنجازه“ (3) .

فالحضارة تصنع بأيدي وسواعد وقوى الرجال الرساليين: المعرفية والروحية والسلوكية والعملية، وليس باستيراد أشياء الحضارة وتكديسها يقول ابن نبي: “إن علينا أن ندرك بأن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة...فالحضارة هي التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون حضارة، إذ من البديهي، أن الأسباب هي التي تكوّن النتائج وليس العكس؛ فالغلط منطقي ثم هو تاريخي لأننا لو حاولنا هذه المحاولة، فإننا سنبقى ألف سنة ونحن نكدّس ثم لا نخرج بشيء“ (4) .

والأمر لا يقف عند هذا الحد فإنه حتى أشياء الحضارة ليست حيادية فهي تحمل روح الحضارة التي خرجت من رحمها، ذلك أن الحضارة “لا تشتري من الخارج بعملة أجنبية غير موجودة في خزينتنا، فهناك قيم أخلاقية اجتماعية ثقافية لا تستورد وعلى المجتمع الذي يحتاجها أن يلدّها“ (5) ، مثل الفعالية، والإحساس بقيمة الزمن، وتكريم الإنسان، والشعور بالأناقة.

فالحضارة “هي نتيجة الجهد الذي يبذله كل يوم الشعب الذي يريد التحضر“ (6) ، ولعل الهزيمة النفسية التي نعيشها اليوم هي نتيجة انبهارنا بأشياء ومنتجات الحضارة، وظننا أننا لن نلحق بالركب حتى تكون لدينا كل منتجات أو أشياء الحضارة، ولكن الحقيقة أن “...أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل، وإنما في الأفكار، وطالما لم يدرك هذا

<sup>1</sup> - الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية، من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر، ط1413هـ، 1993م، (سلسلة لبنات في المسار الحضاري: 01)، ص: 11.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص: 93.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي، آفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ت)، ص: 161.

<sup>4</sup> - مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط: 1978م، ص: 167.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، دمشق، ط: 1978م، ص: 172.

<sup>6</sup> - مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، ط: 1981م، ص: 120.

العالم تلك الحقيقة إدراكا واضحا، فسيظل داء الشبيبة العربية الإسلامية عضالا، بسبب تخلفها عن ركب العالم المتقدم<sup>(1)</sup>، فصناعة الحضارة هي صناعة التاريخ، وخلصته هو أن يعلم المربون والدعاة والمصلحون، ثم الشعوب عموما والشباب خصوصا كيف تستطيع أن تكتشف طريقا تنصدر فيه موكب الإنسانية، لا أن يعلموها كيف تواكب الروس، أو الأمريكان في طرائقهم، أو كيف تتبعهم<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: عناصر الحضارة

قبل أن نحدد عناصر الحضارة الأساسية، لابد من التأكيد على أن الإنسان هو محور كل تغيير وهو الصانع للتاريخ، يقول ابن نبي "إن الحل الوحيد [لحل مشكلة الحضارة] منوط بتكوين الفرد الحامل لرسالته في التاريخ..."<sup>(3)</sup>، وهي سنة الله في خلقه، وهي القانون الإلهي الوارد في قوله تعالى: [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] [سورة: الرعد، جزء من الآية: 11]، وبإلها من كلمة طيبة نادى بها الأستاذ مالك بن نبي حين قال: "إنها لشرعة السماء: غير نفسك تغيير التاريخ..."<sup>(4)</sup>.

إن الملاحظ الدقيق لحركة التاريخ ولسير الحضارات فإنه يرى أنها تتوافق في قواعد كليه أساسية، صاغها مالك بن نبي على شكل معادلة اجتماعية بصيغة رياضية على النحو الآتي: إنسان + تراب + وقت (زمن) = حضارة<sup>(5)</sup>.

يقول رحمه الله في هذا الصدد: "إن مشكلة الحضارة تتحل إلى ثلاث مشكلات أولية:

مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب، ومشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - مشكلة الثقافة، ص: 115.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 116.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 86.

<sup>4</sup> - شروط النهضة، ص: 32.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص: 44.

<sup>6</sup> - مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص: 45.

وقد أوضح كيف يكون المدخل المفتاحي لحل المشكلات الثلاث السابقة فقال<sup>(1)</sup>: "مشكلة الحضارة لا تحلُّ باستيراد منتوجات حضارية موجودة لكنها تتوجب حلّ ثلاث مشكلات جزئية:

-مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسحابه مع سير التاريخ،

-مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية،

-مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد".

وهنا يطرح السؤال هل تعمل هذه العناصر الثلاثة هكذا وحدها

وبتلقائية؟.

إن الجواب الأكيد هو: لا؛ بل "لابد من أن يركبها العامل الأخلاقي؛

أعني يحتم تماسكها، وبدون هذا العامل يوشك أن تتمخض العملية عن

((كومة)) لا شكل لها، متقلبة عاجزة عن أن تأخذ اتجاهها أو تحتفظ به، أو

تكون لها وجهة بدلا من أن تكون ((كلاً)) محددا في مبناه، وفيما يهدف إليه"

<sup>(2)</sup>. فعناصر الحضارة هي: الإنسان، التراب، الوقت، الفكرة (والتي عادة ما

تكون دينية).

**1-مشكلة الإنسان:** إن الاتفاق واقع بين جميع المدارس التغييرية

المعاصرة الإسلامية وغير الإسلامية، على أن الإنسان هو محور كل فعل

حضاري أو تاريخي، وأن أي محاولة تغييرية لا تجعل من الإنسان محورا لها

هي قفزة في الفراغ، وأن حركة الوجود كلها ناجمة عن: "علاقة بين الله إليها

وريا وخالقا، وبين الإنسان خليفة، والكون مسخراً وميدان لفعل العمران،

والشهود الحضاري الإنساني... [فهي] علاقة مطلقة بين الإله الأزلي الخالق

جل شأنه، وبين مطلقين: الإنسان في إنسانيته المتجددة، والكون في استمراره

حتى يرث الأرض ومن عليها"<sup>(3)</sup>.

فالعلاقة إذن ثلاثية؛ إله خالق، وإنسان مستخلف، وكون مسخر،

فدور الإنسان إذن محوري، فهو مخلوق ليحقق أمر الله في هذا الكون من

<sup>1</sup>-مالك بن نبي، تأملات، ص:199.

<sup>2</sup>-مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط:1405هـ، 1985م، ص:134.

<sup>3</sup>- أحمد العمري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، (نقلا من: تصدير الكتاب بقلم طه جابر فياض العلواني، ط1، 1417هـ، 1997م، ص: ك)

خلال مهمته الوجودية، وهي الاستخلاف في الأرض<sup>(1)</sup> عبر محاور ثلاثة، عبادة الله، وسيادة في هذا الوجود المحكم بسنن الله، وشهادة على الإنسان بمضمون إلهي عدل، هو ميراث النبوات: الإسلام بوحيه المعصوم؛ القرآن والصحيح من السنة المطهرة<sup>(2)</sup>، وإذا تتبعنا آيات القرآن الدالة على قيمة الإنسان ودوره في صناعة الحضارة أو تحقيق الاستخلاف ومنها قوله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾، وقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾، نجدها تصب كلها في اتجاه واحد، هو بيان كون الخلافة بمضمونها الحضاري الشامل هي الوظيفة الوجودية للإنسان في الأرض، فهي خلافة ربانية<sup>(3)</sup> حقة "تحفظ التوازن الكوني، وتضمن استقرار الحياة، وتهيئ الاستمتاع بما فيها من متع مادية ومعنوية لا حدود لها، لكل من انضبط بقوانين الاستخلاف، والتزم بشروطه في فهمه وسلوكه وعمله ومواقفه، وحركته في الحياة"<sup>(4)</sup>.

## 2- مشكلة التراب: ليس المقصود بالتراب هنا التراب على حقيقته

المادية البحتة كما فهمها خطأ الكثير من قراء مالك بن نبي -رحمه الله-، بل وحتى عند بعض الكتاب المعاصرين، وإنما كان رحمه الله يقصد بها الشروط المادية أو ما أطلق عليه هو: "الإمكان الحضاري"، وهي المقدرات المادية في شكلها البسيط والتي حبى بها الله هذه الأمة، حيث يجب أن تتوفر الفعالية في الاستفادة منها، لكي لا يقع لها الإهدار.

ولعل هذا الإمكان ليس من قبيل ما يفهم أن يكون في حجم أشياء الحضارة الغربية اليوم، بل هو ما كان على بساطته وأوليته؛ لكن لا بد أن تتدخل الفعالية في التعامل مع إمكاناتنا الحضارية وهي التي تبدو في الحياة اليومية لدى كل فرد منا سواء في نظام استفادة أسرته من المقدرات المادية

<sup>1</sup>-الطيب برغوث، منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1416هـ، 1996م، ص:59.

<sup>2</sup>-الطيب برغوث، منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- حماية الدعوة، ص:81.

<sup>3</sup>- محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دار المنتظر، (د.ت)، ص:10.

<sup>4</sup>-الطيب برغوث، المرجع السابق، ص:89.

المتاحة لها، أو في الحذاء الذي يفتنيه أو في قطعة الأرض التي يستثمرها أو في طريقة استعمال منحه أو أجرته وهكذا... يقول ابن نبي: "إن في استطاعة العالم العربي أن يعيد للتراب وظيفته الاقتصادية وذلك منذ اليوم، وبوسائله الموجودة بيده منذ الآن حتى في الميدان الفني..."<sup>(1)</sup>، فقيمة التراب بقيمة الإنسان الذي يستثمره ويتعامل معه، فتتمير "موارد الكون... يكون بحفظها وصيانتها، وتعهدا بالرعاية أن يصيبها التلف أو التشويه، أو يطالها العبث فتهدر في غير منفعة. إن موارد الكون هي ملك الله على وجه الحقيقة ﴿والله ملك السماوات والأرض﴾"<sup>(2)</sup>.

وقد ظن الأستاذ غازي التوبة<sup>(3)</sup> أن مالكا بن نبي جانب الصواب في إعطاء هذا العنصر أكثر من قيمته وجعله عنصرا من عناصر الحياة؛ لأنه كان يحل ليس وفق محددات مالك التي أبانها في كتبه ولكن وفقا للمحددات العقلية لمدرسة هذا الكاتب.

ويعقب الأستاذ زكي الميلاد: "إن نقد غازي التوبة؛ فإنه نسي عنصرا أساسيا في نظرية ابن نبي وهو عنصر (المركب الحضاري) الذي ينظم العناصر الأخرى وينسقها، وهذا المركب الحضاري هو (الفكرة الحضارية) أو العقيدة، والتي تعني الإسلام، وهنا يرتفع إشكال الأستاذ غازي التوبة، وحول معادلة إنسان متوازن = حضارة، والمتوازن هو المسلم، إذن المسلم = الحضارة، هذا رأي مبسط جدا لا يستند على منهج ونظام كما تتطلب الحضارة"<sup>(4)</sup>، ولقد حاول الأستاذ جودت سعيد أن يعالج هذه القضية بشيء من الشمول والدقة في كتابه القيم "الإنسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا"<sup>(5)</sup>.

### 3- مشكلة الزمن (الوقت): لقد عبر مالك بن نبي عن قيمة الزمن

في حياة الفرد والشعوب بشكل جد مفيد قال: "...إن الزمن نهر قديم يعبر العالم، ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي تعيش فيها كل الشعوب،

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط: 1979م، ص: 107.

<sup>2</sup> - عبد المجيد النجار، موسوعة فقه الحضرة، دار الغرب، بيروت، ط1، 1999م، 1/155.

<sup>3</sup> - غازي التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقييم، دار العلم، بيروت، ط: 1977م.

<sup>4</sup> - زكي أحمد الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة - دراسة تحليلية نقدية -، دار الصفا، لبنان، ط1، 1413هـ، 1992م، ص: 85.

<sup>5</sup> - جودت سعيد، الإنسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، ط1، 1990.

والحقل الذي يعمل به، ولكن هذه الساعات التي تصبح تاريخا هنا وهناك، قد تصير عدما إذا مرت فوق رؤوس لا تسمع خريرها<sup>(1)</sup>.

لهذا فهم يجعلون حياتهم تتحرك على محور الواجبات لا الحقوق فقط، يقول جودت سعيد: "...أسلوب البدء بالواجبات، وهو طريق الأنبياء ومن على منهجهم وأسلوب البدء بالمطالبة بالحقوق، وهو طريق الذين يرون حظهم في الدنيا فقط، ومن الفروق بين الطريقتين أن الإسلام يتوجه إلى تعليم الناس أن يؤديوا واجباتهم لا أن يطالبوا بحقوقهم، ولكي يكون الحق حقا ينبغي أن يبدأ الإنسان بأداء الواجب لا بالمطالبة بالحقوق، لذلك قال صلى الله عليه وسلم «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»<sup>(2)</sup>، فعلى صاحب العمل أن يؤدي واجبه نحو العامل، ويعطيه أجره ولا يترك له فرصة للمطالبة بحقه... [وإن الحق لا يصل إليك إلا إذا أدى الآخر واجبه، فإذا بدأنا بطريق أداء الواجبات فستحقق حقوقنا، أما إذا لم نؤد واجباتنا، وانتظرنا حقوقنا، فإنها ستبتعد عنا كثيرا. ومن جهة أخرى فإن طريق المطالبة بالحقوق يؤدي إلى التنازع، أما طريق أداء الواجبات فإنه يؤدي إلى التقارب، فيؤثر بعضهم بعضا ويتسابقون في فعل الخيرات»<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: "نحن حينما نؤدي واجباتنا فإن حقوقنا ستأتي إلينا، إن لم تكن في الأرض فستنزل من السماء"، و يقول جودت سعيد: "إذا لم يتعلم الناس أداء واجباتهم، فمن أين سيحصل الآخرون على حقوقهم؟ من الذي سيؤدي الحقوق؟".

إن الذي يريد أن يرفع من شأن مفهوم الحياة عنده، ويسعى للأخرة سعيها عليه أن يدرك قيمة الزمن في الحياة وفي حركة التاريخ، فالزمن هو الحضارة، و إنَّ الدقيقة التي تهدر في العالم الإسلامي على جميع المحاور وفي جميع المستويات أفرادا وجماعات ومجتمعات، هي في الطرف الآخر، تاريخ وحضارة، إنَّ الشعار الذي ترفعه حضارة الغرب هو: (الزمن هو الحياة)، فإن الشيء الذي يرفعه الإنسان المسلم هو (أرواح نعقبوا الوقت)، (وعندنا

<sup>1</sup> - الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية، ص: 03، (مقدمة: محمد السعيد مولاي).

<sup>2</sup> - أصل الحديث عند البخاري، والحديث بهذا اللفظ لابن ماجه، من حديث ابن عمر، كتاب: الرهون، باب: أجر الأجر، حديث: 2443، قال البويصري عقبه: الإسناد ضعيف.

<sup>3</sup> - جودت سعيد، لا إكراه في الدين، دراسات وأبحاث في الفكر الإسلامي، طبع ب: مركز العلم والسلام للدراسات والنشر، سورية، ط1، 1418هـ، 1997م، ص: 144.

(الوقت)، (وواش زربك)، (وما زال الحال)، (وعندنا اللاطا-le temp-  
(...وهكذا....

رغم أن فلسفة الإسلام تمتد بقيمة الزمن إلى الآخرة، فالإنسان يحاسب على كل لحظة في حياته، فالحياة كدٌّ و جدٌّ، والنفس إن لم تشغلها بالأعمال شغلتنك باللّهوات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ [سورة الإنشاق، الآية: 06]، والكدح هو التعب والجد دون فتور وتقاعس؛ بل إن الإنسان يحاسب عن فترة عطاء حياته (1) في الآخرة، ولذا أمرنا الله أن نُقيد من كل لحظة فقال: ﴿وَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، الآية 49].

إن فلسفة الزمن قد غابت كقيمة في حياة المسلمين، وأصبحت كما مهملاً، لذا حرض ابن نبي الشعوب المسلمة على إدراك قيمة هذا العنصر حين قال: "إن وطننا متخلفاً لا بد له أن يستثمر سائر ما فيه من طاقات يستثمر كافة عقوله وسواعده ودقاته، وكل شبر من ترابه، فتلك هي العجلة الضخمة، التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية واستمرار تلك الحركة" (2).

#### رابعاً: مقومات الحضارة

إن نشوء الحضارات يخضع لنفس القانون-أي كيف تنشأ الحضارات وكيف تسود ثم تتسحب وتتحرر تاركة المجال لغيرها- وينفس العناصر، بيد أن جوهر الاختلاف يكمن في الدافع الحضاري أو الفكرة التي تجعل ذلك القانون ينتج حضارة ذات صبغة واتجاه معينين، و"بعيدا عن إضفاء أي قيمة حسنة على مفهوم الحضارة فقد تكون الحضارة بهذا المعنى سيئة أو مدمرة، أو غير مناسبة للحياة البشرية، وإنما هذا لا يمنع من إطلاق لفظ الحضارة عليها طالما تحققت الأبعاد التالية:

1- وجود نسق عقيدي يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم

الإله سلباً أو إيجاباً.

<sup>1</sup> - إشارة إلى الحديث: "والله لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع:.....".

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، ص: 172..



- 2- وجود بناء فكري سلوكي في المجتمع يشكل نمط القيم السائدة والأخلاقيات العامة والأعراف.
- 3- وجود نمط مادي يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والنظم والعمارة والفنون، وجميع الأبعاد المادية في الحياة.
- 4- تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخراته وعالم أشيائه وقواعد التعامل مع هذه المسخرات وقيمها.
- 5- تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أي المجتمعات الإنسانية الأخرى وأسس التعامل معها وقواعده، وأسلوب إقناعها بهذا النموذج والهدف مع ذلك الإقناع.<sup>(1)</sup> ، وأن تطبيق هذه الأبعاد على جهد أي أمة من الأمم، يجعلنا نخلع عليها صفة الحضارة.

#### خامسا: موقف المسلم المعاصر من حضارة الغرب!

إن أول سؤال يطرح هنا هو: هل حالة الغرب اليوم تسمى حضارة؟

لقد بحث الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي في رسالتين هذا الموضوع بالمقابلة بين مسألتين: فكان الأول بعنوان: "نحن و الغرب"<sup>(2)</sup> ، والثاني بعنوان: "جوهر الحضارة الإسلامية"<sup>(3)</sup>.

وقد استفاد من المفكر الجزائري مالك بن نبي إذ قوم حضارة الغرب من خلال تعاملها مع الغيب، والإنسان، والكون، وطبق عليها ضمنا الأبعاد السابقة في الفقرة أعلاه، ثم عرض جوهر حضارة الإسلام من خلال نفس عناصر الثلاثية: الله، الإنسان، الكون.

ونفس هذا السؤال أجاب عنه أحد الباحثين، حين قال: "الحضارة الأوروبية المعاصرة مثلا لها موقف محدد من هذه الأبعاد، فلها موقف من عالم الغيب والإله، ولها بناء فكري وقيم وسلوكيات معينة من التعامل مع المجتمعات البشرية الأخرى"<sup>(4)</sup>.

وقبل هؤلاء أجاب ابن نبي-رحمة الله عليه- عن هذا السؤال، بل وصنف كتبه كلها تحت عنوان: "مشكلات الحضارة" وتعمق في فهم حضارة أوروبا، ودرسها دراسة نقدية جوهرية، فهو جاء من وسط ثقافي آخر فلم يكن

<sup>1</sup>-نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية ، 287/1.

<sup>2</sup>-إسماعيل راجي الفاروقي، نحن والغرب، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر، (د.ت).

<sup>3</sup>- إسماعيل راجي الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر، (د.ت).

<sup>4</sup>-نصر محمد عارف، المرجع السابق ، 286/1..

مقلدا ولا منبها ولا مستلبا، وإنما كان دارسا ناقدا، منصفا في حكمه، لذا قال: "إن هناك أنواعا من الجهل لا يمكن الإغضاء عنها في القرن العشرين، وهناك إضافات لهذا القرن وقيم خاصة به لا تستطيع طبقة مثقفة مسلمة أن تجهلها دون أن تشع بنفسها، فليس من الممكن أن نعيش بنفسية المنعزل الذي يجهل قيم الآخرين" بيد أن هذه الحضارة انتهت إلى نهايات إنسانية جد مأساوية، ولعله كما قال ابن نبي: "أما مشكلاتنا فهي نتائج لظروف وليست جوهرية جدا، لكن مشكلاتهم [الغرب] أساسية وجوهرية جدا"<sup>(1)</sup>.

فيبقى أمامنا الجواب عن السؤال التالي: ما هو دور المسلم اتجاه هذه الحضارة؟.

يجيبنا الأستاذ مالك بن نبي، بقوله: "إذا أراد المسلم أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة المنتظرة للمسوغات الجديدة... فيجب أولا أن يرفع من مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود، إلى ريادة الوجود، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله. والمسلم إذا أتى بهذا لا بلسانه ولا بشطحاته الصوفية، وإنما بوصفه إنسانا معاصرا للناس شاهدا عليهم بالتقى والورع بنزاهة الشاهد الصادق، الصادق الخبير، الواعي لقيمة شهادته... إذا أتى المسلم هكذا في صورة المتحضر الذي اكتملت حضارته بالبعد الذي يضيفه الإسلام إلى الحضارة ((وهو بعد السماء)) عندئذ ترتفع الحضارة كلها إلى مستوى القداسة؛ أي إن الوجود الذي فقد القداسة في القرنين الأخيرين خصوصا في هذا القرن، تعود إليه قداسته؛ لأن القداسة من الله ومن الله وحده ولا شيء يعطي القداسة لهذا الوجود غير الله"<sup>(2)</sup>.

لقد رسم لنا الأستاذ مالك بن نبي صورة رمزية رائعة، لموقع المسلم من حضارة العصر، ليخلص إلى إرشاد المسلم إلى الدور الذي يجب عليه أن يقوم به إنقاذاً لنفسه وللإنسانية جمعاء، قال: "هل ترون إلى أرض عطشى تنتظر الري من الماء؟ هل نستطيع ريبها بماء يجري تحت مستواها؟ إن الإجابة ستكون بالطبع: لا باستثناء المجنون أو صاحب الشطحات الصوفية إذ يعتقد أن الماء سوف يطلع إليها، وإنما بالانحدار وذلك بحكم السنن الإلهية

<sup>1</sup>- عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، وصية مالك بن نبي المطبوعة بآخر الكتاب، ص: 137.

<sup>2</sup>- مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، سورية، ط1، 1412هـ، 1991م..

عن طريق الجاذبية، سنة الله تقتضي أن ينحدر إلى هذه الأرض إذا كان مستواها يخوله ذلك.

إذن إذا أراد المسلم أن يقوم بدور الري بالنسبة للشعوب المتحضرة والمجتمع المتحضر، وأراد -بعبارة أوضح- أن يقدم المسوغات الجديدة التي تنتظرها تلك الأرواح، التي تتألم لفراغها وحيرتها وتيهها، إذا أراد المسلم ذلك فليرفع مستواه رفعا يستطيع معه فعلا القيام بهذا الدور، إذ بمقدار ما يرتفع إلى مستوى الحضارة بمقدار ما يصبح قادرا على تعميم ذلك الفصل الذي أعطاه الله له ؛ أعني دينه... إذ عندها فقط يصبح قادرا أيضا على بلوغ قمم الحقيقة الإسلامية، واكتشاف قيم الفضيلة الإسلامية، ومن ثمة ينزل إلى هضاب الحضارة المتعطشة، فيرويها بالحقيقة الإسلامية وبالهدى، وبذلك يضيف إليها بعدا جديدا؛ لأن الحضارة العلمانية، حضارة الصاروخ، حضارة الإلكترونيات اكتسبت هذه الأشياء، وضيعت بعدا آخر تشعر بفقدانه وهو بعد السماء.

إن أوربة حققت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم... ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يروح عليها ويرفه عنها ويسندها في وقت المحن؛ لأنه يربطها بوجود الله<sup>(1)</sup>.

#### خاتمة:

إن جوهر مفهوم الحضارة في الإسلام هو: الحضور والشاهدة، فالحضارة إذن هي: حضور الإسلام معرفيا وروحيا وسلوكيا وعمرانيا في الكون. فهي إذن مطلق الحضور والشهود، فالحضارة في تحليلات مالك بن نبي هي أن يضع الإنسان المسلم رجله فوق رقعة الأرض التي يقف عليها، في لحظة زمنه الخاص بأمتة لينظر هناك بعيدا من خلال السماء إلى مستقبل الإنسان الذي يمضي هناك بعيدا بين يدي ربه جل جلاله، فالحضارة عنده سعادة الإنسانية في الحياة ونجاة في الآخرة من ضيق هذه الدنيا ونيل رضوان الله الأكبر.

ومن ثمة فإن الحضور مرحلة متقدمة في تجربة أي مجتمع، إذ أن كثيرا من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون الحضور<sup>(2)</sup>،

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته، ص: 39.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص: 21.

ومن هنا لا يمكن أن نطلق على أمة مهما كان نتاجها الذهني والمادي معنى حضارة طالما وقفت عند مجرد الوجود.

كما تبين لنا أنه وبعيدا عن إضفاء أي قيمة على مفهوم الحضارة فقد تكون هي حتما إما "حضارة تقوى" أو "حضارة فجور"<sup>(1)</sup>، أو حتى غير مناسبة للحياة البشرية عموما، وإنما هذا لا يمنع من إطلاق لفظ الحضارة عليها، طالما تحققت الأبعاد الخمسة التي أوردناها تفصيلا في ثنايا الموضوع، أو بشكل أكثر اختصارا: حضارة = إنسان + تراب + وقت + (الفكرة = الدفعة الحضارية).

وأن كل حقيقة لا تؤثر في عناصر التاريخ حقيقة ميتة وفاشلة

نعني:

عالم الأفكار، وعالم الأشخاص، وعالم الأشياء، وشبكة العلاقات الاجتماعية، لهذا وجدنا مالك بن نبي يؤكد بإلحاح عالم الاجتماع، وبيبصيرة المؤمن الرسالي الواعي بدوره كمفكر استطاع أن يضع مشروع نهضة أمة أن يقول بصدق واسمرار أن: "كل تفكير في مشكلة الإنسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة"<sup>(2)</sup>.

ورحمة الله على الأستاذ المفكر الجزائري مالك بن نبي، ورحمة الله على من قال فيه: "أنا لا أقول فيه أنه ابن نبي ولكنه ينهل من نفحات النبوة وينابيع الإسلام الخالدة"، فرحمة الله عليه في الخالدين.

### مراجع المقال:

#### كتب مالك بن نبي

1. مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط: 1979م.
2. مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط: 1978م.
3. مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، ط: 1981م.

<sup>1</sup> - إشارة إلى الآية: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، فكرة الأفرورآسيوية، ص: 77.

4. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، الجزائر، ط1992، م1.
5. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، (سلسلة مشكلات الحضارة)، دار الفكر، دمشق، ط1404، هـ، م1984.
6. مالك بن نبي، آفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ت.).
7. مالك بن نبي، بين الرشاد والنتية، دار الفكر، دمشق، ط1978، م1.
8. مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين و عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط:1979م.
9. مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط:1405هـ، م1985.
10. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع-شبكة العلاقات الاجتماعية- تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط:1974م

#### المراجع الأخرى:

1. ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط7، 1409هـ، م1989.
2. أحمد العماري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1417هـ، م1997.
3. إسماعيل راجي الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر، (د.ت.).
4. إسماعيل راجي الفاروقي، نحن والغرب، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر، (د.ت.).
5. الجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات، دار الندى، مصر، ط /2004، 2004م.
6. جودت سعيد، الإنسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، ط1، 1990.

7. جودت سعيد، لا إكراه في الدين، دراسات و أبحاث في الفكر الإسلامي، طبع ب: مركز العلم والسلام للدراسات والنشر، سورية، ط1، 1418هـ، 1997م.
8. زكي أحمد الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة-دراسة تحليلية نقدية-، دار الصفاة، لبنان، ط1، 1413هـ، 1992م.
9. الطيب برغوث، منهج النبي صلى الله عليه وسلم حماية الدعوة والمحافظه على منجزاتها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1416هـ، 1996م.
10. الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الينايع للنشر والإعلام، الجزائر، ط1، 1413هـ، 1993م، (سلسلة لبنات في المسار الحضاري:01).
11. عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1404هـ، 1984م.
12. عبد المجيد النجار، موسوعة فقه التحضر، دار الغرب، بيروت، ط1، 1999م.
13. غازي التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم، دار العلم، بيروت، ط:1977م.
14. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1416هـ - 1996م.
15. محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دار المنتظر، (د.ت).
16. ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م.
17. ناصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المنشور ضمن كتاب: بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، لمجموعة من الباحثين، (سلسلة المفاهيم والمصطلحات:4)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1998م.



## تعدد المصطلحات الاجتماعية- مقارنة سوسيو لغوية

أ.سميرة لغويل

جامعة تبسة

## ملخص:

تعتبر المصطلحات مفاتيح للمعرفة الإنسانية في شتى فروعها، والأداة التي يجسد بها العلماء حصيلة أبحاثهم؛ ويلاحظ القارئ أن الكتابات الاجتماعية العربية تعاني ما نسميه بتعدد المصطلحات التي تأتي في عدة صور نذكر منها:

- الاستعمال الخاطئ لبعض المصطلحات خاصة عند الترجمة.
- التعدد في نقل المصطلحات العلمية أو التعبير عنها، حيث يتم التعبير عن المفهوم الواحد بألفاظ مختلفة.
- اللجوء إلى الشرح باستخدام مصطلحات متعددة ومتنوعة والدليل اللغوي يؤكد ذلك.

وتأسيسا على ذلك يمكن الوقوف على حقيقة المشاكل التي يعاني منها المصطلح الاجتماعي، وإيجاد أهم الاستراتيجيات التي تحمل في طياتها البعد الاجتماعي واللغوي للتعامل مع المصطلحات.

## Résumé :

Les termes sont considérés comme la clé du savoir dans les différentes branches. Ils sont considérés comme le moyen utilisé par les scientifiques pour rendre compte de leurs recherches. Le lecteur observe néanmoins que la multitude des termes apparaît dans l'écriture sociale arabe et ce par différentes formes dont:

- L'utilisation erronée des termes surtout dans la traduction.
- La multitude des termes scientifiques dont nombreux utilisent différents termes pour rendre compte d'un seul mot.
- L'utilisation de l'explication en utilisant les termes et le guide linguistique le prouve bien en conclusion. Sur cette base, nous remarquons qu'il existe un grand problème concernant les termes sociaux et qu'il faut de ce fait trouver une stratégie qui comprenne le côté sociolinguistique des termes.



**Abstract:**

The terms are considered as the key to human knowledge in its various branches and the Scientifics use it in their researches.

the reader can notice that the Arabic social writing suffer from what we call the diversity of terms, this can take many forms such as:

the wrong use of some terms especially in translation the diversity in transforming scientific terms or expressing one concept with different word sinto have recourse to the explanation using several and various terms and the linguistic guide prove thaton the basis we notice that there are problems from which the social term suffer and we have to find an appropriate strategy that include the sociolinguistic with terms.

**مقدمة:**

إن محاولة أي باحث لتقديم عمل بحثي علمي ملم بجميع حيثيات الظاهرة موضوع الدراسة متوقف أساسا على وضع إطار منهجي يتسم بالترتيب المنطقي والموضوعي في الطرح والتسلسل التدريجي المتناسق، بحيث يحتل كل عنصر مكانه في العملية المنهجية. وإن المصطلحات تعاني في العصر الحديث من عقبات وصعوبات جمة، ومن الأمور التي يعاني منها المصطلح الاجتماعي مسألة الاستقرار، إذ أن كثيرا من المصطلحات التي لا تبنى لا يكتب لها الاستقرار مما يسبب خلل وظيفي يعاني منه الباحث الاجتماعي في كتاباته، وقد تختفي بعض المصطلحات بصورة تحتاج إلى بحث ومتابعة. فيلجا الباحثون حينذاك إلى استبدال مصطلح أو أكثر بمصطلحات أخرى، وهذا يوقع مسألة التعدد التي يعاني منها المصطلح الاجتماعي.

**1- تعريف المصطلح:**

والمصطلح في أدق تعريفه هو "اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم

للدلالة على مفهوم علمي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة"<sup>(1)</sup>

إن الوحدة الاصطلاحية كما يؤكد العديد من الباحثين علامة ذات

أبعاد متعددة ثلاثة:

(1) عبد الصابور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، (القاهرة: دار القافلة)، ط2، 1986، ص118

- بعد لساني يتناول قيمتها الدلالية ويعالج خصائصها الصورية داخل المنظومات المعجمية والمصطلحية  
- بعد اجتماعي يدرس وظائف الخطاب ويحدد درجات مقبوليتها وتداولها بين المستعملين وأهل الاختصاص.

- بعد فلسفي منطقي يختص بدراسة المفهوم المجرد الذي تشير إليه، وأنماط العلاقات التي تربط المفهوم بباقي المفاهيم الأخرى وكلمة مصطلح في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلاح) من المادة (صالح)، وحددت المعجمات العربية دلالة هذه المادة بأنها ضد الفساد، ودلت النصوص العربية على أن كلمات هذه المادة تعني أيضا الاتفاق بين المعنيين أي تقارب دلالي، فأصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم. وهناك تعاريف حديثة للمصطلح تربط المفهوم بالمصطلح الذي يدل عليه، منها قولهم "المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة (علمية أو تقنية...)" موروثا أو مقترضا ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليلد على أشياء مادية محددة»<sup>(1)</sup>

والتعريف السابق حيث يجعل المصطلح غير مقصور على الكلمة المفردة، لأن المصطلح قد يكون كلمة أو مجموعة من الكلمات، ويتفق المتخصصون في علم المصطلح في الرأي على أن أفضل تعريف للمصطلح هو «الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو وُحِدَ بوضوح، هو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصص، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري.»<sup>(2)</sup>

وتؤكد تعريفات حديثة للمصطلح في إطار علم المصطلح قضية موقع المصطلح الواحد في إطار المصطلحات الأخرى داخل التخصص منها التعريف الآتي:

(1) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، 1993)، ص. 11.

(2) المرجع السابق، ص. 11-12.

المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس، يكون تسميته حصرية (تسمية لشيء) ويكون منظماً (أي في نسق متكامل) ويطابق دون غموض فكرة أو مفهوماً<sup>1</sup>

انطلاقاً مما سبق يمكن القول إن مفهوم المصطلح يطرح عدة إشكالات، فهو لا يشير إلى دلالات معرفية محددة وهذا ما سيحدث لا محالة إرباكاً داخل الواقعين الثقافي والحضاري الذي ارتبط بهما، وهذا ما يقودنا للبحث أيضاً في موضوع أزمة المصطلح واضطرابه في الدراسات العربية.

## 2- الفرق الدلالي بين المصطلح والمفهوم:

إن عملية تشكل المفهوم مرحلة سابقة عن مرحلة وضع المصطلح الذي يرتبط به من حيث قيام الثاني بوظيفة ترجمة لفظ المفهوم بمصطلح "التصور" تسمية الأول (عمدت هيئة مواصفات والمقاييس السورية إلى عوض المفهوم) بغرض تداوله في المجتمع. ولقد جعل الدارسون تعريف المفاهيم تعريفاً محكماً، والمنطلق الأول في كل معرفة علمية، ويعتمد المصطلحي وسائل عدة لوصف المفاهيم من أهمها:

- تحديد المفهوم في جوهره.  
- تحديد المفهوم من خلال علاقاته بباقي مفاهيم المجال المعرفي. وقد تناول الدارسون طبيعة العلاقة بين المصطلح والمفهوم من نواح مختلفة:

- فقد بحث اللسانيون في العلاقات المعرفية بين شكل المصطلح (بنية الصورية ومقولته الاشتقاقية والنحوية ومضمونه العلمي).  
- واهتم الفلاسفة والمناطقية بجوهر العلاقة بين التسمية والمفهوم، وقام جدال شديد بين الطائفتين تمظهر في بروز ثلاث نظريات فلسفية (النظرية الواقعية، النظرية التصويرية، النظرية الاسمية)<sup>1</sup>

«كما اعتنى علماء المصطلحية الحديثة بالمفهوم لكون عمليات توليد المصطلح وتقيسيه تتطلب جرد المفاهيم وتصنيفها في زمر متعلقة (...). وتتجلى أهمية المفهوم في العمل المصطلحي عند توخي تعريف المصطلح، وهو ليس في الواقع سوى تعريف للمفهوم المدلول عليه بالرمز

(4) خالد البيبودي: آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، (فاس/المغرب: منشورات ما بعد

الحدثة) 2006، ص. 15.

اللغوي، ذلك أن تعريف المصطلح العلمي يتضمن تحديدا لخصائص المفهوم الجوهرية وغير الصورية.<sup>1</sup>

إن الاصطلاح العلمي يشير إلى الوسيلة الرمزية التي يتعين بها الكاتب للتعبير عن المعاني والأفكار المختلفة ولكل اصطلاح مفهوم مرتبط به وتعبر المفاهيم دائما عن الصفات المجردة التي تشترك فيها الأشياء والوقائع والحوادث دون أن تعني واقعة أو حادثة بعينها.

ويلاحظ القارئ في مجال علم الاجتماع وفروعه شيئا من الغموض في كثير من المفاهيم وعدم اتفاق الباحثين على تعريفات موحدة للمصطلح الواحد، الأمر الذي يؤدي إلى عرقلة تطور المعرفة العلمية في هذا المجال.

### 3- مشكلات المصطلح الاجتماعي (مقاربة نظرية):

بما أن المجتمع العربي لم يستقر بعد على اختيار إيديولوجي واضح، حيث يشكل مختبرا فيه كل الإيديولوجيات، فإن هذا المجتمع وبشهادة الكثيرين شهد فشلا وإخفاقا كل الإيديولوجيات القديمة أو الحديثة، بل وأكثر من ذلك فهو لا يزال على استعداد لاستقبال كل الإيديولوجيات الوافدة عبر حدوده الجغرافية. وإن الباحث في علم الاجتماع يصادف كثيرا من المشكلات منها:

#### 1- كثرة المصطلحات للمفهوم الواحد:

كثيرا ما نجد عددا من المصطلحات في اللغة نفسها التي وضع فيها المصطلح ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

#### CLASSE SOCIALE -

حيث يستخدم هذا المصطلح على انه (الفئة، الصنف، الطبقة) الاجتماعية، ومن خلال استقراء الأدبيات الاجتماعية يمكن ملاحظة ذلك في النظريات البنائية الوظيفية فكل التصورات التي جاء بها الأمريكي تالكوت بارسونز وكل رواد هذه النظرية يستخدمون مصطلح الفئة الاجتماعية، وفي كل تخصصات علم الاجتماع (تنظيم وعمل، الاقتصادي، السياسي، العائلي، التربوية...)؛ وعلى النقيض من ذلك يستعمل رواد النظرية الماركسية سواء الكلاسيكيين أو المحدثين مصطلح الطبقة الاجتماعية **STRUCTURE**.

5Marcel Diki : le signifie et le concept dans la dénomination (recherches linguistiques) ; vol-3 n1 1998 .p.10.

يستخدم هذا المصطلح على أنه (البنية،النسق) وهذا ما يعرف بالبنوية في الدراسات الاجتماعية والأدبية أما النظرية البنائية الوظيفية فتستخدم المصطلحين معا.

### EVALUATION

يعني هذا المصطلح في تخصص علم اجتماع التربية أحيانا التقييم وفي حالات أخرى التقويم ،غير أننا نجد فرقا بينهما الناحية اللغوية.

### APPROCHE

نجد هذا المصطلح في علم اجتماع التربية للدلالة على القاعدة التي يقوم عليها إعداد برنامج دراسي وكذا اختيار استراتيجيات التعليم والتقويم،وهناك عدة أنواع من المقاربات:النسقية،الاستنتاجية،الشاملة،بالمشروع...،لكن في بعض الكتابات الاجتماعية نجد الباحثين يستخدمون هذا المصطلح للدلالة على المنهج أو الطريقة،مما يجعل المتصفح لأعمالهم وكأنه في مفترق طرق.

### ORGANISATION

يمتاز هذا المصطلح في الدراسات الاجتماعية ببعدين أولهما البعد الاقتصادي الذي يعنى فيه وظيفة من وظائف تسيير المؤسسة،وثانيهما البعد الاجتماعي للدلالة على الوحدة الاجتماعية(ريد،اتزيوني،بارسونز) أو أي بناء يضم مجموعة من الموارد البشرية والمادية بلغة البنائين الوظيفيين.وهذا المصطلح يمثل نقطة التقاء بين علم النفس والسياسة وعلم الإدارة،الاقتصاد،ومن خلال التريص العلمي في المملكة المغربية وجدت أن هذا المصطلح يدرس على انه المقاول،وأحيانا يستخدم المنشأة وأحيانا المنظمة وفي حالات أخرى الهيئة،وبعودتنا إلى اللغة الأجنبية نجد فرقا واضحا فهذا التعدد لا يخدم الباحث الاجتماعي.

## 2- مشكلات تعريب المصطلح الاجتماعي:

إن مشكلة تعريب المصطلح الاجتماعي اخطر مشكلة، فكثير من المصطلحات التي تكتب بها التصورات الاجتماعية هي نفسها في اللغة الأصلية، إن المصطلح الغربي الذي ينقل إلى العربية قد ينقل بصيغ متعددة ويؤكد اللسانيون انه يصح بعض هذه الصور من التعريب ولكن بعضها قد يكون غير مبني على نظر صحيح لمضمون المصطلح، وحقيقة المفهوم الذي يعبر عنه المصطلح، ومن أمثلة ذلك ما هو مبين في الجدول رقم (1).

## جدول رقم (1) يوضح بعض المصطلحات الاجتماعية

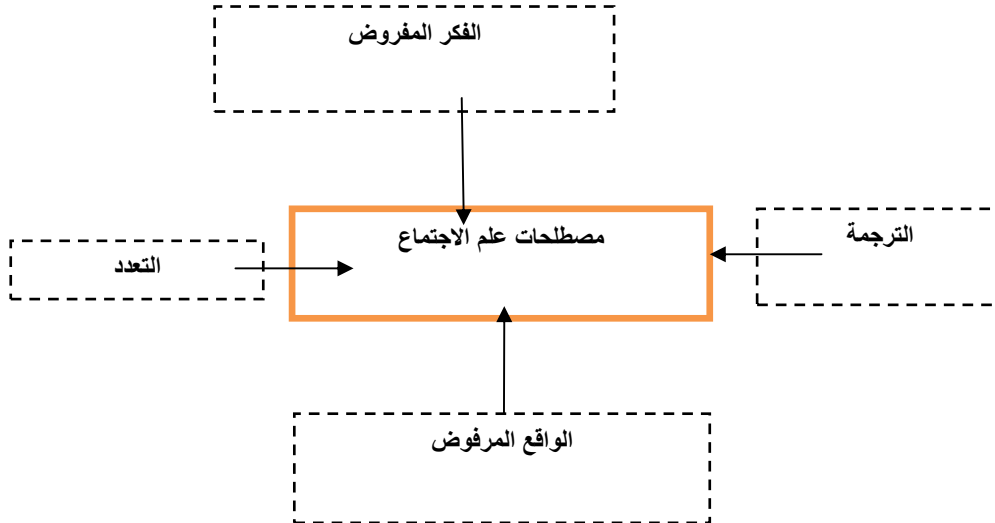
الرقم	المصطلح الأجنبي	الاستخدام في الكتابات الاجتماعية
1	Sociologie	سوسولوجيا
2	Anthropologie	انثروبولوجيا
3	Démographie	ديموغرافيا
4	Ecologie	ايكولوجيا
5	Sociométrie	سوسيومتري
6	Macro sociologie	ماكرو - سوسيولوجي
7	Micro sociologie	ميكرو - سوسيولوجي
8	Phénoménologie	فينومينولوجي
9	Idéologie	إيديولوجي
0	Méthodologie	ميتودولوجي
1	Ethnographie	اثنوغرافي
2	Epistémologie	ابستمولوجي
3	Biographie	بيوغرافي
4	Bibliographie	ببليوغرافي
5	Didactique	ديداكتيك

اثنوموزيكولوجيا	Ethnomusicologie	6
سميولوجي	Sémiologie	7

المصدر: الباحثة

شكل رقم (1) يوضح أهم مؤشرات التي تعبر عن مشكلات

المصطلح الاجتماعي:



المصدر: الباحثة.

## 3- أسباب تعدد المصطلحات:

1- جهل الواضعين: قد يلجا بعض المترجمون إلى وضع مصطلحات جديدة بناء على اجتهاداتهم الشخصية، حيث انه لا يمكن للمترجم أن يكون عالما بحقول علم الاجتماع وذلك لأنه يعرف المصطلح، أو يخترع له مقابلا عربيا بناء على المعنى المعجمي للكلمة، كما قد يخطئ في نقل المعنى الصحيح أو في صياغة المصطلح الجديد، ومن هنا كان تأكيد بعض علماء الترجمة على ضرورة تخصص المترجم العلمي والتقني في المجال الذي يترجم فيه.

2- تعدد الواضعين: هناك مئات من العاكفين على ترجمة النصوص العلمية، حيث يواجه كل منهم عشرات بل مئات من المصطلحات الجديدة في كل نص، وفي غياب المصادر المتجددة والموجودة أو نظرا لقلتها أو لصعوبة توافرها، يلجا كل مترجم إلى وضع مصطلحات من عنده بصورة

عشوائية غير مدرك لما فعله الآخرون،فينشأ عن ذلك التعدد والتباين المصطلحي.

3- غياب وسائل النشر المصطلحي الفعالة: نجد هنا أنه عند توافر بعض المصطلحات الجيدة بل والموحدة كذلك لا تجد هذه طريقها إلى النشر بصورة فعالة،حتى أن بعضها لا يكاد يخرج من الهيئة العلمية الواضحة له مما يعوق معرفة الباحثين بوجودها واستعمالها في مجال تخصصهم.

4- اختلاف الخلفية الثقافية واللغوية للمترجمين: من المعروف أن العالم العربي ينقسم من حيث خلفيته الثقافية الأجنبية إلى قسمين،هما المشرق العربي(على الغالب) الذي يقع تحت تأثير اللغة الانجليزية وثقافتها،والمغرب العربي الذي يقع تحت تأثير اللغة الفرنسية وثقافتها.

5- غياب التنسيق العربي الفعال في مجال المصطلحات: نرى كثيرا من الأمثلة على غياب التنسيق أو ضعفه في المنظمة الواحدة والبلد الواحد.

4- حلول مقترحة لمعالجة المشكلة: يمكن تقسيم هذه الحلول إلى حلول منهجية وعملية كما هو موضح أدناه:  
1-4 حلول منهجية:

#### 1-1-4 توحيد مناهج وأسس وضع المصطلحات العلمية:

نعني بذلك توحيد مناهج وأسس وضع المصطلحات الجديدة بين سائر المؤسسات ذات العلاقة،وكنا قد أشرنا إلى أن من مشكلات المصطلحات العلمية،في العلم العربي،التعدد والتباين المصطلحيان،ويرجع ذلك أحيانا إلى غياب التوحيد في المنهج الذي ينبغي إتباعه عند وضع المصطلح الجديد،والتنسيق في ذلك بين الأطراف المختلفة،علما أن هناك جهودا كبيرة نظرية وعملية بذلت في سبيل ذلك.

#### 2-1-4 التدريب العلمي والعمل على أسس وضع المصطلحات

العلمية ونشرها وتقيسيها:

ويتم ذلك للعاملين في المؤسسات المعنية والدارسين في برامج الترجمة، حيث لا بد من تقديم دورات وبرامج دراسية في علم المصطلح.

#### 2-4 حلول عملية: حيث إن التجربة أثبتت عدم كفاية الحلول

النظرية والمنهجية،حيث لا فائدة ترجى منها ما لم توضع موضع التنفيذ



وتخرج إلى حيز الوجود في صورة تطبيقات عملية، وعليه لا بد لنا أن ننظر في الحلول العملية التي نورد بعضها منها أدناه:

#### 1-2-4 تحسين وسائل النشر والتوزيع للمصطلحات العلمية:

لقد آن الأوان أن تلجا المجامع والاتحادات العلمية في العالم العربي إلى أساليب حديثة لنشر جهودها وإنتاجها على أوسع نطاق، وذلك بالتعاون مثلا مع الناشرين التجاريين والاستفادة من وسائل الاتصال الالكترونية.

وإن الكثير من المؤسسات الحكومية والخاصة في البلدان المتطورة قد لجأت إلى إنشاء بنوك للمعطيات المصطلحية، لما لهذه البنوك من دور فعال في توفير المصطلحات المناسبة والموحدة من جهة وبصور شتى:

1- المبحث والاسترجاع الفوري المباشر

2- توفير المصطلحات المتوافرة للمترجم والباحث في صورة مطبوعة ورقية أو على أقراص حاسوبية.

3- نشر المجامع المطبوعة التي يتم تحديثها بين الفينة والأخرى بصورة دورية.

#### 2-2-4 إنشاء شبكة عربية للمعلومات والمعطيات المصطلحية:

لا شك أن إنشاء بنوك آلية للمصطلحات في كل بلد عربي سيكون له أثر مهم في توحيد المصطلحات وتيسير تداولها داخل كل قطر عربي، غير أن تحقيق التنسيق على مستوى الوطن العربي يتطلب أمرين آخرين .

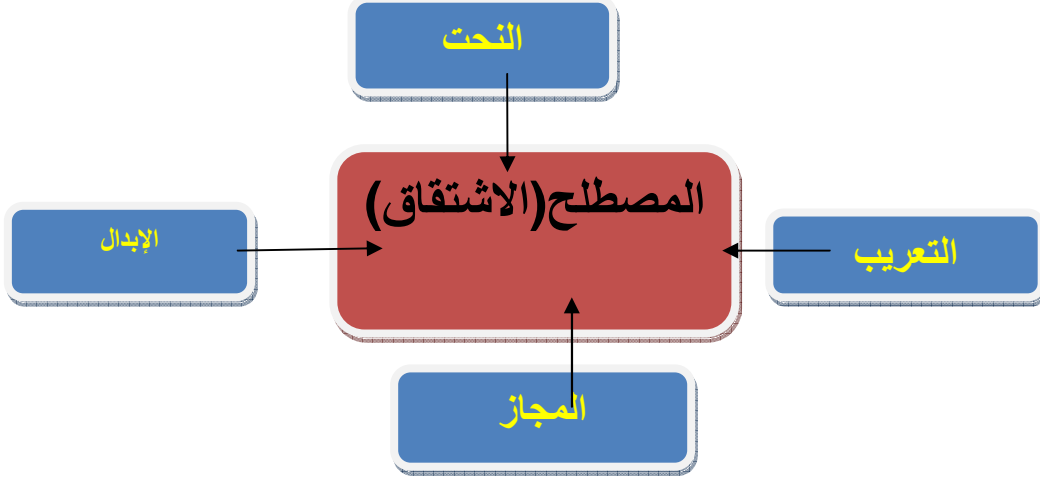
أ- إتاحة خدمات هذه البنوك للمترجمين والباحثين من خارج البلد المعني، على المستوى العربي بل والعالمى كذلك.

ب- إنشاء شبكة تربط بين البنوك المختلفة في البلدان العربية بحيث تكون مهامها توفير كل من المعلومات الخاصة بالمصطلحات. وقد يتطور العمل ليكون هناك تنسيق أكبر بين هذه البنوك المختلفة، بحيث يتخصص كل منها في مجال محدد يركز جهوده عليه، بدلا من تكرار الجهود وبعثرتها.<sup>1</sup>

1 كمحمود إسماعيل صالح: «فوضى المصطلحات في الكتابات العربية الأسباب والحلول المقترحة» مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثالث، فاس، المغرب، 2003، ص-ص 124-125.

## 5- متطلبات وضع المصطلح:

شكل رقم (2) يوضح عمليات وضع المصطلح (البعد اللغوي)



## - الاشتقاق:

هو اخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام يمينا وشمالا. وفي الاصطلاح هو اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل، ويعد الاشتقاق وسيلة مهمة من وسائل نمو اللغة، وتسهل مهمة الهيئات العلمية في استحداث المصطلحات الجديدة وهناك أنواع للاشتقاق:

أ- الاشتقاق الأصغر: ويسميه بعضهم العام أو الصرفي، وهو اخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفا. مثل ل.م.د. (ليسانس-ماستر-دكتوراه)

ب- الاشتقاق الأكبر: وأول من نبه على هذا النوع من الاشتقاق بن جني فيقول إن الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد ويعقد السيوطي في المزهرة بابا في هذا النوع من الاشتقاق؛ يبين فيه الكتب والأبواب التي افردتها العلماء للحديث عن هذا النوع من الاشتقاق وموقفهم منه.

ويمكن أن يستخدم هذا النوع من الاشتقاق في توليد صيغ وأسماء

للمفاهيم المتقاربة، والتي يمكن أن ترجع إلى أصل واحد

ج- الإبدال: هو أن يغير احد حروف الكلمة لإفادة معنى قريب من معنى الكلمة الأولى، ويعدده النحويون نوعا من الاشتقاق؛ فيسميه البعض الاشتقاق الكبير، وعني به لغويو العرب قديما وحديثا. بمعنى توليد كلمة (اسم أو فعل) من نفس الأسرة اللغوية ومثال على ذلك اجتماع، مجتمعية، اجتماعية وهي مصطلحات مستمدة من أصل كلمة جذرها جمع.

وعلى الرغم مما قيل في هذا النوع من الاشتقاق؛ فإنه يمكن استخدامه إذا كانت الكلمة الصالحة لأداء مفهوم ما مشغولة بأداء آخر، فنستخدم لفظة أخرى نأخذها بطريقة الإبدال؛ فنضعها لها ونقصرها عليها.

د- النحت: ويسميه النحويون الاشتقاق الكبار، ومعناه في اللغة: النشر والقشر ومعناه الاصطلاحي - كما ورد عند المحدثين - هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون ثمة تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه. مثال على ذلك سوسيو-إنسانية أو سوسيو اقتصادية.

هـ- المجاز: تقول كتب البيان إن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى السابق، وهذا النقل في الألفاظ ومعانيها الأصلية إلى معان علمية، وسيلة ناجحة خصبة من وسائل تنمية اللغة، وفي جعلها صالحة لاستيعاب العلوم. <sup>1</sup> مثال على ذلك البرق أطلق مجازا للفاكس نظرا للسرعة.

والجوال أطلق مجازا للهاتف النقال لأنه ينتقل في كل مكان. الطبوغرافية أطلقت مجازا لمسح الأرض مسحا، وفي المنهجية يستخدم مصطلح المسح الاجتماعي.

### 5-1- متطلبات تخص وضع المصطلح:

المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية التي تترك الأشياء بأحجامها وأشكالها، وعملية وضع المصطلح ليست بالأمر السهل كما يتصور البعض، ولقد قدم لنا احمد مطلوب عددا من الوسائل التي جربها الأوائل في وضع المصطلحات وهذه الوسائل هي

7مصطفى طاهر الحبادرة: من قضايا المصطلح اللغوي (نظرة في مشكلات تعريب المصطلح اللغوي المعاصر)، (الأردن: عالم الكتب

الحديث للنشر والتوزيع)، 2003، ج 3، ص 163-164

«الأولى: البحث في المعجميات العربية واستخلاص ما وضع من مصطلحات العلوم قديماً، ويكون ذلك بجرد المعجميات المبسطة واستخراج كل كلمة استعملت مصطلحاً للدلالة على علم من العلوم أو جزئية من ذلك العلم.

الثانية: استعمال الألفاظ القديمة للدلالة على المسميات الجديدة وان كان لها معنى لغوي معروف...، الثالثة: العودة إلى الكتب العلمية القديمة والإفادة منها، الرابعة: الاستعانة بوسائل نمو اللغة المتاحة من مجاز والاشتقاق والنحت والتوليد والقياس والافتراض.<sup>1</sup>

ويرتبط إنتاج المصطلح أيضاً ببنية اعم من البنية المعرفية وهي البنية التصويرية أو الإدراكية.

#### 5-2- متطلبات تخص واضع المصطلح:

ينبغي أن يتصف واضع المصطلح بعدة صفات ليقوم بأداء الوظيفة التي ينتظر منه تأديتها، ولا يختص الأمر بوضع المصطلح واختيار اللفظ فحسب، بل لا بد من توفر صفات أخرى في كل من يتصدى لوضع المصطلحات؛ وهذه أهم شروط واضع المصطلح

\* يحتاج واضع المصطلح إلى معرفة تامة بأبعاد المصطلح جميعاً، ويشمل ذلك مفهوم المصطلح وظروف نشأته وارتباطه بغيره من المصطلحات التي تنتمي إلى ذات المجال العلمي الذي ينتمي إليه، وتتاسب اللفظ مع النظام اللغوي الذي ينتمي إليه.

\* إن هذه الأمور جميعاً تستدعي أن يكون واضع المصطلح على قدر كبير من الاطلاع على الجوانب المختلفة المؤثرة في بناء المصطلح، ولا بد أن تتضافر علوم مختلفة في خدمته، ومن هنا لا بد أن يشترك في بناء المصطلحات علماء اللغة، والنفس وعلم الاجتماع إلى جانب المتخصصين.

\* تتمثل وظيفة المتخصص أيضاً في تجلية أبعاد المفهوم المراد اختيار لفظ يناسبه، وتحديد أبرز السمات المميزة لهذا المفهوم، وهذا التحديد الذي يستطيع المتخصص الوصول إليه نتيجة درايته بالأبعاد الحقيقية للمفهوم وأركانها وعناصره، ليس في مكنة غير المتخصص الوصول إليه فالمتخصص

مصطفى ظاهر الحبادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي، (الأردن: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ج1)، 2003، ص. 130<sup>1</sup>

الملم بحقيقة المصطلح والبيئة التي نشأ فيها اقدر من غيره على تحديد مضمون المصطلح، وبالتالي معرفة الأبعاد الحقيقية له وهذا الأمر يتطلب من ناقل المصطلح متابعة نشأة المصطلح الذي يريد اختيار مقابل له في اللغة التي ولد فيها المصطلح بلفظه ومفهومه.

ويقترح بعض الباحثين خطة لرفع كفاءة العاملين في مجال المصطلحات تتمثل فيما يلي:

«- إعادة الثقة في نفوس الدارسين في لغتهم، التي تعد قادرة على استيعاب العلوم على اختلاف أشكالها.

- تعليمهم أسرار اللغة وخصائصها ومرونتها ليكشفوا عن مكانها ويسخروها لخدمة أعمالهم.

- تدريبهم على صوغ المصطلحات والوسائل في ذلك واطلاعهم على جهود الدول في هذا المضمار والخطوات التي اتبعوها لحل القضية.

- تدريسهم نظريات المصطلح وعلومه ومفاهيمه والمصاعب التي تواجه اللغة من خلاله.

- تدريبهم على احدث الوسائل والطرق في التقبيس المصطلحي، وآخر ما استجد في هذا المجال ليتمكنوا من استحداث ما يلزم لغتهم»<sup>1</sup>

وهناك من يؤكد أن وضع المصطلح في أي علم من العلوم يقتضي خبرتين اثنتين:

« أ- خبرة معرفية: تتعلق بالمرجعية النظرية الفلسفية والفكرية لإنتاج المفاهيم والاصطلاحات، وهي خبرة أهل الاختصاص في الميدان العلمي نفسه.

ب- خبرة لسانية: لان المصطلح زيادة على كونه تصورا ذهنيا للمفاهيم العلمية لحقل معرفي معين فهو معطى لساني، من حيث انه يقتضي تفعيل المكونات اللسانية الصوتية والتركيبية والدلالية وتوظيفها وتطويع بعضها تطويعا صارما لضبط آليات التوليد اللساني»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مصطفى طاهر الحيادة: المرجع السابق، ص-ص. 137-138 (الجزء الأول)

<sup>2</sup> 10 أحمد حساني: «المصطلح في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة» أعمال الملتقى اللغة العربية والمصطلح، جامعة

عنابة/الجزائر: منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، 2006، ص. 35

### خاتمة:

تأسيسا على ما سبق يجب التأكيد على ضرورة توجيه العناية لعلم المصطلح تدريسا، والمتخصصين فيه تدريبا لان ذلك يساعد طرفي المعادلة التعليمية من إثراء الرصيد اللغوي والعلمي وجعله مساهرا للتطورات العلمية الحديثة ومتجاوبا معها ومستفيدا منها، وإلا سيكون واقعا مأزوما لا يمكن إيجاد آليات للتعامل معه.

وإننا فعلا أمام ضرورة ملحة للبحث في المصطلح الاجتماعي، انه لا يمكن تطوير اللغة دون تطوير العلم، وكذلك لا يمكن تطوير العلم دون تطوير اللغة (علاقة تكافئية في اتجاهين متماثلين) بمعنى اللغة هنا المصطلحات الموظفة في العلوم وهذا الكلام يمكن سحبه على كل العلوم.

### المراجع المعتمدة:

- 1- الحيادرة مصطفى طاهر: من قضايا المصطلح اللغوي ( نظرة في مشكلات تعريب المصطلح)، (الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع)، ج.3، 2003.
- 2- الحيادرة مصطفى طاهر: من قضايا المصطلح اللغوي العربي)، (الأردن: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع)، ج.1، 2003.
- 3- حجازي محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، 1993).
- 4- حساني احمد: «المصطلح في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة»، أعمال الملتقى اللغة العربية والمصطلح، جامعة عنابة/الجزائر: منشورات أسبغور لغوي للسانيات واللغة العربية، 2006  
تعدد المصطلحات الاجتماعية - مقارنة سوسيو لغوية
- 5- شاهين عبد الصابور: العربية لغة العلوم والتقنية، ( القاهرة،،: دار القافلة) ط2، 1986.
- 6- صالح محمود إسماعيل: «فوضى المصطلحات في الكتابات العربية الأسباب والحلول المقترحة» مجلة دراسات مصطلحية،/العدد الثالث، فاس، المغرب، 2003.
- 7- Marcel Diki : le signifie et le concept dans la dénomination (recherches linguistiques) ;vol-3 n1 1998



محور الإقتصاد



## أثر برامج التنمية الفلاحية على التنمية البشرية بولاية أدرار

د.وناس يحيى

جامعة أدرار

### ملخص:

تحاول هذه الدراسة تحليل بعض المؤشرات الخاصة بالتنمية البشرية؛ والتي تخص على وجه التدقيق المؤشرات المتعلقة بالتغذية والتزود بالماء الصالح للشرب بولاية أدرار.

تم اختيار هذه المؤشرات بغية فتح نقاش حول الفوارق الطبيعية والمناخية التي تؤثر على مستوى التنمية البشرية بين المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية.

إلا أن تدخل مختلف البرامج الوطنية للتنمية الفلاحية والريفية قلصت إلى حد كبير هذه الفوارق.

### Résumé :

Cette étude tente d'analyser quelques indicateurs de développement humain. Ces indicateurs concernent l'alimentation et l'approvisionnement en eau potable dans la wilaya d'Adrar.

Nous introduisons ces indicateurs avec l'intention de stimuler un débat sur les disparités naturels et climatologiques, qui influe sur le développement humain entre les wilayas du nord et les wilayas du sud.

L'intervention des différents programmes nationaux en matière de développement agricole et rural a permis de réduire ces disparités.

### مقدمة:

لقد شكلت العوامل الطبيعية والمناخية بين المناطق الشمالية والجنوبية منذ زمن بعيد عاملا حاسما في خلق تفاوت في التنمية البشرية. وبعد الاستقلال تدخلت الدولة ببرامج مختلفة لتقليص هذه الهوة. ولدراسة الأثر المباشر للعوامل الطبيعية على التنمية البشرية حاولنا دراسة مؤشرات التغذية والتزود بالماء الصالح للشرب بولاية أدرار كنموذج. وبغية دراسة هذا الموضوع انطلقنا من اشكالية مدى نجاح مختلف البرامج الوطنية لتحقيق تنمية الموارد البشرية بولاية أدرار ؟

وبغية معالجة هذه الاشكالية ركزنا على دراسة مؤشر التغذية والتزود بالماء الصالح للشرب، أو ما يصطلح عليه بالأمن لغذائي، حاولنا من خلال هذه الدراسة معالجة الإنتاج الزراعي بولاية أدرار خلال العشرية الماضية.

ويهدف معالجة ها الموضوع سنركز الدراسة على عرض شكل النشاط الزراعي سواء المتمثل في الاقتصاد الريفي العائلي أو الاستثمار الفلاحي، وعرض وصفي للمحصول الزراعي باعتباره مصدر أساسي للتغذية. وبهذه الأهمية يشكل الدخل الناتج عن الأنشطة الفلاحية، المورد الرئيسي للدخل لغالبية سكان المنطقة، ونتيجة لهذه الخاصية الاقتصادية والاجتماعية للنشاط الفلاحي وأثره على التنمية البشرية يعالج هذا البحث أهمية التنمية الفلاحية وأثرها في قياس التنمية البشرية بولاية أدرار. وليبيان أهمية التنمية الفلاحية في التنمية البشرية نستعرض أنماط الاستغلال الزراعي ونوع وحجم الإنتاج الزراعي النباتي والحيواني بولاية أدرار.

يقوم برنامج التنمية الريفية على أسلوبين في دعم التنمية البشرية الأول منها يتعلق بالتدخل المباشر وغير المباشر في ترقية النتاج الزراعي ومن ثم تأمين الغذاء كما ونوعا، ونظرا لحيوية توفير المياه للزراعة والشرب فقد أولى البرنامج الوطني لدعم التنمية الريفية أهمية خاصة لدعم استخراج المياه الجوفية سواء بواسطة الفقارة أو الآبار.

ينبغي الإشارة إلى أن الحصول على البيانات والمعلومات بشكل كامل ومتواصل، ويغطي كل جوانب الدراسة والعناصر المتعلقة بها، يعد أمرا صعبا إن لم نقل مستحيلا.

كما أن العينة المتحصل عليها من التقارير والبيانات من مختلف المصالح يظهر فيها التضارب في بعض الأحيان، وفي الحالات الغالبة لا تعدو أن تكون مجرد إعادة استنساخ لهذه البيانات. وحتى في الحالات التي يتم فيها الحصول على بيانات فتوصف على أنها معلومات شحيحة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - أثار لجنة الفلاحة والري والبيئة للمجلس الشعبي أولاتي لولاية أدرار، أثناء تقديمها تقرير حول تقييم الموسم الفلاحي 2009/2008، وملف الدعم الفلاحي منذ 2004 بمناسبة انعقاد الدورة العادية الرابعة لسنة 2008 في تقريرها إلى ما يلي: كما لاحظنا وبصفة عامة شح المعلومات المقدمة في التقرير حيث تمثل كل ما قدم لا يتجاوز ثلاثون سطرا في ولاية عدد بلدياتها 28 بلدية، 24000 فلاح".

كما أنه من حيث الزمن لا يمكن أن الحصول على الكثير من البيانات بشكل منتظم لتمكن من دراسة التطور، إذ قد تحصل على بيانات خلال سنة واحدة فقط أو ثلاث سنوات دون أن تتمكن من الحصول على معطيات كاملة في بقية السنوات الموالية.

**المبحث الأول: التنمية الفلاحية بولاية أدرار وأثرها على التنمية**

البشرية

يشكل النشاط الزراعي النشاط الاقتصادي الرئيسي، سواء على مستوى الاقتصاد الريفي العائلي أو على مستوى الاستثمار الفلاحي، كما يشكل المحصول الزراعي الناتج عن الأنشطة الزراعية مصدر أساسي للتغذية. وبهذه الأهمية يشكل الدخل الناتج عن الأنشطة الفلاحية، المورد الرئيسي للدخل لغالبية سكان المنطقة، ونتيجة لهذه الخاصية الاقتصادية والاجتماعية للنشاط الفلاحي وأثره على التنمية البشرية يعالج هذا البحث أهمية التنمية الفلاحية وأثرها في قياس التنمية البشرية بولاية أدرار.

ولبيان أهمية التنمية الفلاحية في التنمية البشرية نستعرض أنماط الاستغلال الزراعي (المطلب الأول)، ونوع وحجم الإنتاج الزراعي النباتي والحيواني بولاية أدرار (المطلب الثاني).

**المطلب الأول: أنماط الاستغلال الزراعي**

الفرع الأول: الزراعة المعاشية بالوحدات

تبلغ مساحة ولاية أدرار 427.968 كلم، وبلغت المساحة الفلاحية المعرفة أو الموجهة للاستغلال ب 337.650 هكتار، وقدرت المساحة المستغلة منها ب 31.657 هكتار أي ما يقارب 9.37 %.

يمثل القطاع الفلاحي التقليدي المعتمد على الواحات والري بالفقائير، محورا أساسيا من النشاط الأساسي في المنطقة إذ تقدر المساحة في هذا القطاع 13.973 هكتار، أي ما نسبته 44 % من إجمالي المحيطات الفلاحية المستقلة عبر كامل الولاية. ويعتبر هذا النوع من الزراعة تحت الواحات بالزراعة المعاشية والتي تنحصر أغلب النشاطات الزراعية في تلبية الاحتياجات العائلية من الخضر والحبوب، وبيع ما يفيض عن الاحتياجات العائلية في الأسواق المحلية.

يساهم هذا النشاط الزراعي المعاشي في تأمين وتعزيز الأمن الغذائي للسكان بالمنطقة، والقضاء على الفقر.  
الفرع الثاني: البرامج الفلاحية الحديثة وتشمل الاستصلاح ن طريق الملكية العقارية (أ)، والاستصلاح عن طريق الامتياز (ب).

#### أولاً: الاستصلاح عن طريق الامتياز

إلى جانب الزراعة المعاشية بالواحات، اعتمدت الدولة برامج متنوعة لتعزيز الأنشطة الفلاحية بالمنطقة، نظراً لتوفر المياه الجوفية، والعوامل المناخية والطبيعية الملائمة ببعض الأصناف الزراعية، ووفرة العنصر البشري المؤهل، ثم تجسيد هذه البرامج إلى جانب الفلاحة التقليدية ضمن محور قطاع الاستصلاح.

شمل قطاع الاستصلاح، نظام الاستصلاح عن طريق الملكية العقارية سنة 1980، والاستصلاح عن طريق الامتياز 1995-1998، ونظام المحيطات الجوية 2003. تم تسيير نظام الاستصلاح عن طريق الامتياز منذ 1995 من طرف CDARS، والتي باشرت باستغلال المساحات المستصلحة من خلال محيطات كبيرة ومحيطات صغيرة أو ما يعرف بالمزارع العائلية، وابتداء من سنة 1998 أصبحت تسيير من طرف المديرية العامة للامتيازات الفلاحية.

أحصت مديرية المصالح الفلاحية في تقريرها حول تقييم عملية الحرث والبذر<sup>1</sup> 28.268 مستثمرة فلاحية موزعة على ثلاث قطاعات أساسية.  
- القطاع الواحاتي: 21.134 مستثمرة أي ما نسبته 74% من العدد الإجمالي للمستثمرات الفلاحية بالولاية.

يعتمد القطاع الواحاتي على السقي بالفقارة، ويتكون من مستثمرات عائلية صغيرة أقل من واحد هكتار في أغلب الأحيان، من أهم المزروعات النخيل وزراعات بيئية (بين أشجار النخيل)، كالخضراوات والحبوب، والتبغ والفول السوداني والحنة.

<sup>1</sup> - مديرية المصالح الفلاحية ولاية أدرار، تقييم عملية الحرث والبذر 2009/2008 ديسمبر 2008.

- قطاع الاستصلاح: 6.055 مستثمرة فلاحية، أي ما نسبته 21% من العدد الإجمالي للمستثمرات الفلاحية بالولاية. ويرتكز قطاع الاستصلاح على السقي بالآبار العميقة والعادية ويتكون من مساحات تتراوح ما بين 1 هكتار و500 هكتار، ومن أهم مزروعاتها الحبوب تحت الرش المحوري، الخضراوات، النخيل والزراعات البيئية.

- القطاع الرعوي: 1.202 مربي أي 04% من العدد الإجمالي للمستثمرات الفلاحية بالولاية.

ويستند القطاع الرعوي على تربية الإبل والتي قدر عددها ب 37.800 رأس والأغنام 354000 رأس موزعة بعدة مناطق بالولاية، منها مناطق حدودية أقصى الجنوب الجزائري في برج باجي مختار وتيمياوين، ومناطق داخلية بالولاية مثل عين بلبال تتركوك أوقروت وتسايبت.

وقدرت المساحة الممنوحة من خلال مختلف الأنظمة المعتمدة للاستصلاح ب 60.600 هكتار، ولم يستصلح منها إلا 19.900 هكتار، أي ما نسبته 33 %، ولم يزرع من هذه المساحة المستصلحة إلا 12.00 هكتار أي ما يعادل نسبة 20 %، وبلغ عدد المستفيدين ب 4624 مستفيد.

وقد شهد هذا البرنامج قدوم مستثمرين من خارج وداخل الولاية، وحقق إنتاج وافر من الحبوب والفواكه، وساهم في امتصاص البطالة، إلا أن هذا النجاح لم يدم طويلا إذ شهد هجرة وتراجع كبير.

يعود سبب عدم نجاح هذا البرنامج حسب تقرير مديرية الفلاحة إلى جملة من العوامل، منها عوامل طبيعية وعوامل متعلقة بالتسيير. تظهر العوامل الطبيعية في قصر مدة الدورة الزراعية نتيجة لطول فترة الحرارة، والتي تقلص إمكانية استغلال عدة أصناف زراعية، ويضاف إليها عامل الرياح الساخنة والجو الجاف. مما يؤدي إلى استهلاك كبير للمياه، ونتيجة لفقر التربة وازدياد السقي، ارتفعت نسبة تملح التربة، مما أصبح يؤثر على المردود الزراعي. كما تعاني المساحات الزراعية المفتوحة والمنبسطة من مشكلة الترمل، وانتشار الأعشاب الضارة.

ويضاف إلى العوامل الطبيعية المرتبطة بتسيير المستثمرات الفلاحية، والتي تعاني من تأخر تسليم القروض الموسمية، غلاء وسائل الإنتاج من بذور وأسمدة والطاقة الكهربائية والعتاد أفلحي وقطع الغيار.

### ثانيا: الاستصلاح عن طريق الامتياز

يضم هذا الشكل من الاستصلاح عن طريق الامتياز، نموذج المحيطات الصغرى والمحيطات الكبرى، عرف هذا البرنامج إقبال كبير من قبل المواطنين عبر مختلف بلديات الولاية.

وسجلت لجنة الفلاحة والري في تقييمها لقطاع الفلاحة، بأنه رغم كو هذا البرنامج كان يهدف إلى امتصاص البطالة والمساهمة في تحسين المستوى المعيشي لكثير من العائلات، إلا أنه لم يحقق الأهداف المتعلقة بالتنمية البشرية نتيجة للأسباب التالية:

- عدم توفر الكهرباء في أغلبية هذه المساحات.
- بعد المحيطات المعدة للاستصلاح الزراعي عن التجمعات السكانية.

- ضعف إمكانات استغلال المياه وانعدام المتابعة التقنية. بلغت المساحة الممنوحة ب 288 هـ والمساحة المستغلة 94 هـ أي ما نسبته 32٪، أما بالنسبة للمحيطات الكبرى فقدرت المساحة المجهزة ب 5000 هـ ولم تستغل منها إلا 750 هـ أي ما نسبته 15٪.

### ج- محيطات الاستصلاح الجوارية:

تهدف هذه المشاريع دعم المستوى المعيشي للسكان المتواجدين بالمناطق النائية، وقدرت مديرية المصالح الفلاحية عدد العائلات المستفيدة ب 2295 عائلة.

### المطلب الثاني: نوع الإنتاج الزراعي

يشمل الإنتاج الزراعي المنتجات النباتية (الفرع الأول)، والمنتجات الحيوانية (الفرع الثاني).

#### الفرع الأول: الإنتاج الزراعي النباتي بولاية أدرار

يشمل الإنتاج الزراعي النباتي التمور، والحبوب، والخضروات وبعض المنتجات الثانوية كالتبغ والحنة.

**أولاً: النخيل (التمور)**

نتيجة لطبيعة المناخ الصحراوي القاسي، عد زراعة النخيل النمط الزراعي الغالب، بحيث يشكل التمر المورد الغذائي الأساسي الذي حقق الأمن الغذائي منذ استقرار الإنسان بهذه المنطقة، إلى جانب كون النخيل يشكل المنتج الزراعي الرئيسي، فإن واحات النخيل تشكل الفضاء الطبيعي الملائم لممارسة أنشطة زراعية مكاملة مثل الحبوب وبعض أصناف الخضر، كالجزر والبطاطا والبصل وغيرها.

تقدر المصالح الفلاحية<sup>1</sup> عدد النخيل بولاية أدرار 2.904.149 نخلة، منها 2.071.859 نخلة منتجة بنسبة 71.34٪، ويقدر إنتاجها ب 572.000 قنطار، أي بمعدل 28 كلغم للنخلة الواحدة، وهي مردودية ضعيفة أو يعود ذلك لكبر سن النخلة، وهجر الكثير من المساحات الواحية، وعدم سقيها ومعالجتها، وازدياد ملوحة الأرض وإصابة النخيل بأمراض متفاوتة، وضعف الإرشاد ألفلاحي.

**ثانياً: الحبوب**

تشكل الحبوب مورد استراتيجي في التغذية المحلية، وظلت طيلة السنوات الماضية المورد الأول الذي يعتمد عليه السكان المحليون. أثار تقرير لجنة الفلاحة والري والبيئة<sup>2</sup> للمجلس الشعبي الولائي لتقييم الموسم الفلاحي 2009/2008، فيما يتعلق بإنتاج الحبوب أن الدولة خصصت ولاية أدرار مساحة 5000 هـ للرش المحوري لإنتاج الحبوب، ولكن الاستغلال الحالي للموسم 2009/2008 ظل في حدود 1700 هـ أي بنسبة استغلال 34٪.

يبلغ عدد المرشات المحورية 103 مرش والموزعة عبر مختلف بلديات الولاية، إلا أن العدد المستغل منها ينزل إلى 38 مرشة، وبذلك تقدر نسبة الاستغلال 36٪.

<sup>1</sup>- تقرير المصالح الفلاحية لولاية أدرار لسنة 2002.

<sup>2</sup>- لجنة الفلاحة والري والبيئة، المجلس الشعبي الولائي، ولاية أدرار تقرير حول تقييم الموسم الفلاحي 2009/2008 وملف الدعم

الفلاحي منذ سنة 2004 .

وبينت اللجنة في خرجاتها الميدانية أن "معظم المرشات المحورية مهجورة وكذا الآبار العميقة، والكم الهائل من البيوت البلاستيكية والمحولات الكهربائية التي شكلت مقابر جماعية للمعدات الفلاحية".

قدرت المصالح الفلاحية المساحة المخصصة لزراعة الحبوب ب 4513 هـ وقدر الإنتاج ب 11.0201 قنطار أي بمعدل 24 قنطار/هكتار.

الفرع الثاني: الإنتاج الحيواني بولاية أدرار

### أولا: الثروة الحيوانية

نتيجة للطابع الصحراوي الغالب للأوساط الطبيعية في ولاية أدرار، فإن المساحات الرعوية تكاد تكون شبه منعدمة. وبذلك تنتزع الثروة الحيوانية بمناطق محددة بولاية أدرار، منها تيمياوين، برج باجي مختار، تينركوك وقصر قدور وشروين، طلمين ومقيدن.

تستند أغلب الثروة الحيوانية على ما يتم استيراده من دول جنوب الصحراء من أغنام محلية، وماعز وجما وأبقار. وفيما يخص انتج اللحوم البيضاء، أصبح الكثير من الفلاحين يتجهون إلى تربية الدواجن.

قدر الإنتاج الحيواني ما بين القطاع التقليدي وقطاع الاستصلاح لسنة 2002 و2003 ب 641 من رؤوس الأبقار، 337.505 من رؤوس الأغنام و93.660 من رؤوس الماعز، و36.424 من الإبل.

ونظرا لكون أغلب الثروة الحيوانية الموجهة للاستهلاك هي حيوانات مستوردة من دول الساحل جنوب الصحراء، فقد دعمت المصالح الفلاحية أنشطتها البيطرية على المنافذ الحدودية لجنوب الولاية وفي الأسواق والمذابح. وأدت عملية التفتيش التي تقوم بها المصالح البيطرية، إلى مراقبة الحيوانات الموجهة للاستهلاك، إذ بلغ عدد رؤوس الأبقار الخاضعة للمراقبة في المذابح إلى 49 بقرة سنة 2000، و30 بقرة سنة 2001 ب7.7 طن، و41 بقرة سنة 2002 ب 1374 طن، وبلغ عدد الأغنام 30554 رأس ب 69.561 طن، و233.22 رأس ب 5.0535 طن، و 28.672 رأس ب 62.949 طن، في حين يحتل استهلاك الإبل المرتبة الثانية بعد الأغنام، إذ بلغ عدد رؤوس الإبل 4089 رأس ب 1.019.97 طن سنة 2001. وخلال سنة 2003 بلغ عدد رؤوس الإبل 3560 رأس ب 880.45 طن.



والى جانب اللحوم الحمراء تطور استهلاك اللحوم البيضاء والسماك، ويعود ذلك إلى مختلف برامج الدعم التي أصبحت تشجع وتدعم مربي الدواجن وإدخال نمط تربية الدواجن المعدة لاستهلاك بالمنطقة. قدرت المصالح البيطرية عدد الدواجن التي أخضعت للتفتيش ب 27.257 رأس وما يعادل 54.51 طن، و قدرت سنة 2001 ب 24.394 رأس أي ما يعادل 38.25 طن، وبلغت سنة 2001 ب 180.835 رأس أي ما يعادل 37.67 طن.

وجدير بالتنبيه بأن هذه الكميات من الدواجن الخاضعة للتفتيش لا تعكس الحجم الحقيقي لاستهلاك الدواجن، نظرا لانتشار بيع الدجاج حيا ببعض الأسواق مما يجعلها تخرج عن المراقبة البيطرية. وفيما يتعلق باستهلاك الأسماك، فإن بعد ولاية أدرار عن الساحل حوالي 1400 كلم، جعل نقل الأسماك وتوزيعها مسألة جد صعبة، بحيث لا تسمح المصالح البيطرية بتسويق السمك إلا خارج فترات الحر الشديد والتي غالبا ما تبدأ مع شهر مايو أو جوان وتنتهي أواخر سبتمبر. ونتيجة لهذه العوامل يظل استهلاك الأسماك إلى جانب الدواجن جد منخفض، ذلك أن المصالح البيطرية أحصت سنة 2002 على سبيل المثال 37.67 طن من الأسماك الخاضعة للتفتيش.

### ثانيا: برامج الصحة الحيوانية

وبغية الحفاظ على هذه الثروة الحيوانية أدرجت المصالح البيطرية برامج مختلفة في إطار الصحة الحيوانية، تهدف إلى الوقاية الصحية والقيام بعمليات الحجر الصحي في بعض الحالات، وذلك من أجل صيانة الثروة الحيوانية وحفظ الصحة العامة.

وفي هذا السياق أدرجت المصالح البيطرية المكلفة بالصحة الحيوانية برامج التلقيح والكشف، شملت برامج التلقيح البرامج الصحية للتلقيح ضد الجدري، وبلغ عدد التلقيحات سنة 2002-2003 9217 تلقيح، وبلغ عدد التلقيحات ضد الحمى القلاعية سنة 2000 على سبيل المثال 2019 تلقيح، في حين بلغ عدد التلقيحات ضد داء التسمم المعوي سنة 2002 على سبيل المثال 4150 تلقيح، وبلغت التلقيحات في إطار حملة المعالجة الطفيلية 842 إبل و4600 رأس من الغنم سنة 2002، وبلغت ضد

البرسيلوز سنة 2000 ب 428 تلقيح سنة 2000، وبلغت عدد التلقيحات ضد السل 24 تلقيح سنة 2000.

### ثالثا: الأسباب التي تعيق تطور الإنتاج الزراعي

حددت المصالح الفلاحية جملة من العراقيل التي تواجه تطور الإنتاج الزراعي في ولاية أدرار وهي كما يلي:

#### 1- أسباب بيروقراطية:

- صعوبة وتعقد إجراءات الحصول على البطاقة المهنية.
- نقص برامج التوعية.
- بطء معاينة المشاريع من طرف الهيئات الفلاحية المختصة.
- تعقد تكوين الملف الإداري بالنسبة لفلاحي المناطق النائية، والتي تبعد بعضها بعض أكثر من 600 كلم من مقر الولاية.
- تعطيل عملية التسديد بعد إجراءات المعاينة.
- ضخامة الملفات الإدارية اللازمة لحصول على الدعم الفلاحي.

- تعقد إجراءات الحصول على الدعم الفلاحي.

#### 2- تعقد إجراءات تسوية العقار الفلاحي:

أشارت الإحصائيات الخاصة بالمصالح الفلاحية لعام 2003، بأن من بين 4624 طلب خاص بتسوية الحيازة العقارية الفلاحية لم يحصل سوى 447 منهم على شهادة الحيازة، أي ما يمثل 9.66%. ويضاف إلى هذه البيروقراطية طول مدة تسوية الملفات.

#### 3- صعوبات ذات طابع مؤسسي:

##### أ- ضعف أداء الغرفة الفلاحية:

تتولى الغرفة الفلاحية مهمة نقل واحتضان انشغالات الفلاحين واقتراح الحلول الملائمة لمعالجة المشاكل التي تواجه الفلاحين، بالاتصال مع مختلف الأطراف المتدخلة من إدارة وبنوك وغيرها.

كما تسعى إلى تنشيط الجمعيات الفلاحية، وتنظيم الإرشاد الفلاحي، والتنسيق بين المنتج والمستهلك، وترقية التسويق داخل وخارج الوطن.

بالرغم من هذه الوظائف الحيوية في دعم النشاط الفلاحي، أشار تقرير لجنة الفلاحة والري إلى ضعف أداء غرفة الفلاحة، إذ يشير التقرير إلى أن مجال اتصالها بالفلاح لا يعدو أن يكون مجرد تسجيل الإنخرافات. اقترحت اللجنة تفعيل نشاط الغرفة الفلاحية من خلال عقد ملتقيات لتوعية الفلاحين، وترقية الإرشاد الفلاحي وتطوير التجارب الفلاحية الموسمية، وترقية الصحة النباتية والحيوانية.

## 2- تعقد أنظمة التمويل:

يشير تقرير لجنة الفلاحة بأن الصندوق الوطني الجهوي للتعاون الفلاحي (CRMA) يمول حوالي 83% من العمليات المنجزة في إطار مختلف البرامج، إلا أن الصندوق من الناحية الواقعية عاجز عن توفير السيولة اللازمة لتسديد مستحقات العمليات الموجودة لديه، مما أدى إلى عرقلة إتمام العمليات المتبقية لدى الفلاحين وتعطيلها.

## المبحث الثاني: تدخل برنامج التنمية الريفية لدعم التنمية البشرية

### بولاية أدرار

يقوم برنامج التنمية الريفية على أسلوبين في دعم التنمية البشرية الأول منها يتعلق بالتدخل المباشر وغير المباشر في ترقية الناتج الزراعي ومن ثم تأمين الغذاء كما ونوعا (المطلب الأول)، ونظرا لحيوية توفير المياه للزراعة والشرب فقد أولى البرنامج الوطني لدعم التنمية الريفية أهمية خاصة لدعم استخراج المياه الجوفية سواء بواسطة الفقارة أو الآبار (المطلب الثاني).

## المطلب الأول: التدخل المباشر وغير المباشر لبرنامج التنمية

### الريفية

يقوم تطبيق برنامج التنمية الريفية المعد لترقية التنمية البشرية بولاية أدرار على إطار منهجي يقوم على تحديد المناطق الأكثر فقرا (الفرع الأول)، ثم نتناول بعد ذلك أبعاد التجديد الريفي على التنمية البشرية بالولاية (الفرع الثاني)، ونظرا لخصوصيات المناطق الصحراوية فقد شمل برنامج التنمية الفلاحية عمليات حماية الفضاءات الزراعية والعمرانية من خطر التصحر (الفرع الثالث).

## الفرع الأول: منهجية تطبيق البرنامج الوطني للتنمية الريفية بأدرار

قامت المصالح الفلاحية بسبر تمهيدي من خلال إجراء تحقيق عائلي شمل 26 قصر تابع للبلديات التالية: شروين - طلمين - قصر قدور

- تينركوك - برج باجي مختار - تيمياوين، تصنف هذه البلديات من أفقر بلديات القطر حسب خريطة الفقر في الجزائر.

وبعد الدراسة والتشاور وافقت اللجنة التقنية الولائية لاعتماد مشاريع التجديد الريفي على 10 مشاريع خلال سنة 2004، منها خمسة 05 مشاريع مقترحة من طرف محافظة الغابات والخاصة ب:

- قصر عين حمو وزاوية الدباغ بتنركوك،
- تيمزلان وتيلغمين بقصر قدور،
- تفلزي بشروين،

وأما الخمس مشاريع الأخرى فهي من اقتراح مديرية المصالح الفلاحية والخاصة ب: برج باجي مختار - أفران اللجام بطلمين - أغلاد بأولاد سعيد - مطريون بتيمقطن - انقلوا بقصر قدور.

يتم تمويل هذه المشاريع من عدة موارد مالية متعددة منها:

■ صندوق التنمية الريفية واستصلاح الأراضي عن طريق الامتياز (F.D.R.M.V.T.C).

■ البرنامج القطاعي للتنمية (P.S.D).

■ البرنامج البلدي للتنمية (P.C.D).

■ الصندوق الخاص بالجنوب (F.S.S).

■ محافظة تنمية الفلاحة بالمناطق الصحراوية (C.D.A.R.S).

■ الصندوق الوطني للسكن (F.O.N.A.L.S).

■ سونا طراك.

شملت العمليات المتعلقة بالمشاريع الجوارية بولاية أدرار، غرس النخيل وزراعة الأعلاف وغرس الأشجار المثمرة، وإنشاء وحدات تربية الماعز والغنم، وإنجاز آبار عميقة، تجهيز الآبار الموجودة، إنجاز أحواض المياه، ترميم وتقوية الفقارة وإصلاح ساقية الفقارة، إنجاز شبكة تصريف المياه، تثبيت ميكانيكي للكثبان الرملية، تمديد الكهرباء، إنجاز شبكات المياه الصالحة للشرب، إنجاز الطرق، فتح مسالك فلاحية، بناء وتجهيز المدارس والمطاعم المدرسية، بناء مركز للصناعة الحرفية، بناء وترميم المساكن الريفية.

الفرع الثاني: أبعاد التجديد الريفي وأثره على التنمية البشرية بالولاية إضافة إلى مختلف برامج الدعم الفلاحي القطاعي التي تدخلت لدعم الفلاح، جاء برنامج التنمية الريفية ليتدخل في مختلف مناحي الحياة الريفية وي طرح مقارنة شمولية للرفع من المستوى المعيشي ونوعية الحياة في الريف. فشمّل هذا البرنامج التعليم والصحة والطرق والسكن وترقية مختلف الأنشطة الريفية.

توصف ولاية أدرار من حيث التوزيع الديموغرافي بكونها تقريبا الولاية الصحراوية الوحيدة التي يفوق عدد سكان ريفها عدد سكان المناطق الحضرية، وبذلك فهي تستفيد بشكل كبير من برنامج التنمية الريفية. أشار برنامج التنمية الريفية<sup>1</sup> إلى أن سياسة التجديد الريفي تركز على أربعة مواضيع جامعة وهي:

1. تحسين ظروف معيشة سكان الأرياف (تطوير القرى والقصور).
  2. تنويع النشاطات الاقتصادية في الوسط الريفي لتحسين المداخل.
  3. الحفاظ على الموارد الطبيعية وتثمينها.
  4. حماية وتثمين التراث الريفي المادي وغير المادي.
- تستند سياسة التجديد الريفي على الإستراتيجية الوطنية للتنمية الريفية المستديمة (SNDR) والتي تستند على:
1. تطبيق نظام لامركزية البرامج وحسب الأهداف.
  2. النظام الوطني للمساعدة على اتخاذ القرار من أجل التنمية المستديمة.
  3. مقارنة منهجية لجمع كل المتعاملين والفاعلين والمعارف والخبرات وأنظمة التمويل.
- ومن أدوات تنفيذ سياسة التجديد الريفي، المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المندمجة (PPDRI)، ويعرف هذا المشروع بأنه يشمل إجراءات مرافقة المواطنين والمنشآت في الوسط الريفي والتي تعمل على :

<sup>1</sup> - التنمية الريفية، الوزير المنتدب المكلف بالتنمية الريفية، ديسمبر 2007.

- تحسين ظروف ونوعية معيشة السكان وذلك بإعادة الاعتبار للقرى والقصور وترقية المنشآت والمرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ذات الاستعمال الجماعي.

- زيادة تنويع مداخيل السكان من خلال ترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، المنتجة للمنفعة والخدمات وأيضا المتعددة النشاطات.

- الحث على الاستغلال العقلاني وتثمين أفضل للموارد الطبيعية والتراثية<sup>1</sup>.

أفرزت مشاورات المحلية لمختلف الفاعلين على إعداد مشاريع جوارية للتنمية الريفية بولاية أدرار، ويمكن حصر أهداف هذه المشاريع فيما يلي:

- ضمان الأمن الغذائي.
- توسيع المساحات الفلاحية المستغلة بولاية أدرار.
- تطوير الإنتاجية.
- تثمين التسيير العقلاني للموارد الطبيعية وحمايتها.
- إعادة الاعتبار للمهن المرتبطة بالفلاحة والغابة والرعي وترقية السياحة والصناعات التقليدية وكل الأشغال الاقتصادية المستديمة.
- ترقية الأسس والتجهيزات الاجتماعية والثقافية.
- ترقية السكن الريفي.

**الفرع الثالث: عمليات حماية الفضاءات الزراعية والعمرانية من**

**التصحّر**

يعد غزو الرمال في المناطق الصحراوية عموما بولاية أدرار خصوصا أهم المخاطر والتحديات التي تواجه الاستقرار السكاني، وبقاء أنشطتهم الزراعية والحرفية وبالتالي مصدر رزقهم.

نظرا لهذا التحدي الطبيعي تقوم محافظة الغابات ببرامج مختلفة لمكافحة التصحر والترمل أي غزو الرمال للوحدات والتجمعات العمرانية.

<sup>1</sup> - التنمية الريفية، المرجع السابق.

تتولى محافظة الغابات هذه العمليات من خلال استحداث مصدات ميكانيكية (أفراك)، أو أحزمة خضراء في محيط التجمعات العمرانية والواحات والمستثمرات الفلاحية.

شملت عمليات مكافحة التصحر ضمن الأوساط العمرانية والفلاحية من سنة 2005 إلى 2008 إنجاز 90 كلم من مصدات الرياح، شهدت عملية التثبيت الميكانيكي للكثبان الرملية إنجاز 92 كلم خلال نفس السنوات، وشملت عملية غرس حزام أخضر مسقية مساحة 50 هكتار.

تساهم عمليات حماية الأوساط الطبيعية والعمرانية من الترميل في توفير يد عاملة مباشرة لسكان هذه المناطق. بحيث سمحت بخلق 130 منصب عمل سنة 2005 و 640 منصب عمل سنة 2006، و 245 منصب سنة 2007 و 192 منصب 2008 و 158 منصب سنة 2009.

إضافة إلى التأخير المباشر في امتصاص البطالة. فإن عمليات حماية هذه الأوساط من الترميل تساعد على حماية الموارد الاقتصادية المتأتية من النشاط الفلاحي وتربية المواشي، وبذلك يكون لهذه العملية أثرين أحدهم مباشر والثاني غير مباشر.

### **المطلب الثاني: دعم استخراج المياه الجوفية والمحافظة عليها**

ونظرا لخصوصية أنظمة الري التقليدي -الفقارة- والتي ساهمت على مر العصور الماضية في تحقيق الاحتياجات الضرورية لمياه الشرب والزراعة، ونظرا لدورها الحيوي حتى في الوقت الراهن فقد شمل برنامج التنمية الريفية دعم برامج الفقاقير والآبار (الفرع الأول)، كما تم تطوير شبكة الربط بالمياه الصالحة للشرب وشبكة الصرف الصحي (الفرع الثاني).

### **الفرع الأول: الأهمية الاقتصادية لدعم استخراج المياه الجوفية والفقارة ضمن التجديد الريفي**

تشكل المياه الباطنية بولاية أدرار المورد الأول في مد جميع الاحتياجات المتعلقة بالمياه، سواء الموجهة للشرب أو الري أو القطاع الخدماتي والصناعي. وتشكل الفقارة موردا حيويا وتساهم بقسط كبير في استخراج المياه الجوفية بالطرق التقليدية، الأمر الذي يستوجب التعريف بها (أولا)، ومن ثم بيان مساهمتها في التنمية الزراعية (ثانيا)، ولدعم الاحتياجات المتزايد تم تطوير شبكة من الآبار العادية والآبار العميقة (ثالثا).

**أولاً: التعريف بالفقارة**

يقدر عدد الفقارات ب 907 فقارة حية، ويقصد بفقارة حية فقارة لا زالت تسيل ولا زالت تستخدم في السقي أو حتى الشرب في بعض الحيان حالياً. ويبلغ عدد الفقارات الميتة 493 فقارة<sup>1</sup>. يقدر طول الفقارة ب 2335.706 كلم وبمنسوب يقدر 2870.147 ل/ثا، وتسقى مساحة تقدر ب 13870 هكتار<sup>2</sup>.

يعد استغلال المياه الباطنية من خلال الفقارة لتلبية مختلف الاحتياجات أقدم طرق التزود بالماء، والتي لا زالت لحد اليوم تعد ضروريا في القصور والواحات. غير أن التزود بالمياه من خلال الفقاقير شهد تراجعاً بالنظر إلى قياسات التدفق لمجموع الفقاقير التي تم إحصائها سنة 1961، والتي قدرت ب 909 فارة حية بمنسوب 3.70 م/3ثا، وانخفض عدد الفقاقير سنة 1983 إلى 700 فقارة حية بتدفق إجمالي يقدر ب 2.70 م/3ثا، أي بانخفاض نسبته 30٪.

وبعد مختلف برامج التدخل لإعادة الاعتبار للفقارة، ارتفع عدد الفقارات الحية سنة 2003 إلى 807 فقارة حية بتدفق إجمالي يقدر 2.9 م/3ثا<sup>3</sup>.

وارتفع عدد الفقارات الحية سنة 2007 إلى 864 فقارة بمنسوب 2.76 م/3ثا. وهذا يعكس نجاح عمليا إعادة الاعتبار للفقارة.

**ثانياً: دور الفقارة في تحقيق التنمية**

تعد الفقارة مورداً أساسياً لمياه الشرب بالنسبة لكثير من سكان القصور، بالرغم من كونها ملكية بعض الأشخاص، فإن حقوق الآخرين غير المالكين والحيوان لا تتأثر بهذه الملكية. وبجانب كونها مورداً لمياه الشرب ومختلف الحاجيات اليومية، فهي تعد المقوم الأساسي للري الفلاحي، والتضامن الاجتماعي.

<sup>1</sup> -TAHAR TAHA. Exploitation des ressources eau souterraines parla système de foggaras (cas de la région de Touat et Gourara) colloque international sur les en eau souterraines dans le Sahara- CIRESS, Ouargla 12 et 13 Dèce. 2005, p.34.

<sup>2</sup> - الفقارة في ولاية أدرار : دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية، وحدة البحث. جامعة أدرار-السنة الجامعية 2004/2003 ص 105.

<sup>3</sup> - مديرية الري لولاية أدرار، وزارة الموارد المائية، تقرير قطاع الري -سارس 2004.



تستند الزراعة الصحراوية إلى السقي بشكل رئيسي، ولا توجد أنماط زراعية غير مستقلة نتيجة لخصوصيات المناخ الصحراوي. شكلت الفقرات نظام الري القار لبعث الحياة والتنمية بهذه الولاية. يشكل دعم الفقارة والمحافظة عليها عاملا حاسما في التنمية البشرية بالمنطقة، إذ يسمح بالرفع من نسبة التزود بالماء وتنويع مصادره، والمحافظة على الزراعة التقليدية وإنعاشها، كما تحافظ على الغطاء النباتي المتمثل في الواحات ومختلف الأصناف النباتية والحيوانية التي تعيش بالمنطقة، وبذلك فهي تشكل عصب الحياة للمحافظة على التنوع البيولوجي. كما تساعد الفقاقير على مكافحة التصحر واستقرار السكان، لأن زوال الماء يعني زوال الوسط الملائم لبقاء الإنسان والحيوان، وبالتالي النزوح نحو المدن والقرى، وبذلك تظهر الحاجة الحيوية للمحافظة على الفقارة في مواجهة التحولات المجالية والبشرية المفاجئة والتي قد تؤثر على حياة السكان في إطار مجموعات أو أفراد.

نظرا لكل هذه الأهمية حظيت الفقاقير ببرامج خاصة ما بين 2001 و2005 بحيث استفادت ب 2.5 مليار سنتيم من خلال برنامج الدعم الفلاحي والبرنامج القطاعي، شمل هذا الدعم ما يفوق 466 فقارة عبر كامل تراب الولاية. وتضمن برنامج الدعم مختلف أشغال الصيانة والدعم اللازمة لصيانة الفقاقير والمحافظة عليها.

#### ثالثا: الآبار العادية والعميقة

اعتمدت طريقة الآبار العادية للتزود بالماء في المناطق التي لا تلائم طبيعتها الطبوغرافية إنجاز الفقرات أو المناطق التي جفت فيها الفقاقير أو انخفض منسوبها بالشكل الذي لم يعد يغطي الاحتياجات الضرورية. وتم إحصاء 500 بئر بمنسوب 1.5 م/3 ثان وقبل انطلاق برنامج دعم التنمية الريفية، وبعد انطلاق هذا البرنامج ارتفع عدد الآبار العادية إلى 4.898 بئر بمنسوب إجمالي يقدر ب 9.82 م/3 ثا. وارتفع عددها سنة 2007 إلى 6580 بئر بمنسوب إجمالي مقدر ب 13.6 م/3 ثا. تم اللجوء لتقنية الآبار العميقة ذات المنسوب العالي، بمناسبة انطلاق برنامج استصلاح الأراضي الصحراوية سنة 1986. بلغ عدد الآبار العميقة من سنة 1986 إلى غاية 1999 أنجز 606 بئر عميق، 187 منها

موجهة للشرب، و 411 بر عميق موجهة للفلاحة، و 8 منها موجهة للصناعة.

وشهدت المرحلة الثانية من 1999 إلى 2003 انخفاض كبير في إنجاز للآبار العميقة، إذ انخفض عددها إلى حدود 153 بئر عميق، رصدت منها 13 بئر عميق للشرب و 137 للفلاحة، و 3 آبار للصناعة. ولم يرفع عدد إلى غاية 2008 إلا بحوالي 50 بئر عميق.

**الفرع الثاني: تطوير شبكة المياه الصالحة للشرب والصرف الصحي بولاية أدرار**

انكب قطاع الري على تطوير الربط بشبكة المياه الصالحة للشرب (أولاً)، وحماية للمياه الجوفية والصحة العامة تم تطوير الربط بشبكة الصرف لصحي لتدارك الجز الكبير الذي عرفته الولاية (ثانياً).

أولاً: تطوير الربط بشبكة المياه الصالحة للشرب

يشير تقرير قطاع الري لعام 2004 بأن التغطية بمنشآت المياه الصالحة للشرب تعتبر نسبة شاملة بالنسبة لمنطقتين توات وتيديكلت، إلا أن منطقة قورارة سجلت عجزاً في الربط بشبكة المياه الصالحة للشرب، ويعد ذلك للأسباب التالية:

- تشتت التجمعات العمرانية وبعدها عن بعضها البعض.
  - صعوبة المسالك والمداخل إلى بعض التجمعات السكانية، وانعدامها أحياناً بسبب الكثبان الرملية.
  - التأخر في ربط هذه التجمعات بالطاقة الكهربائية.
- وفي تقديرنا يعد السبب الرئيسي لتأخر ربط هذه التجمعات العمرانية بالماء الصالح للشرب، هو وجود نظام التزود التقليدي عن طريق الفقارة بالماء الصالح للشرب، لذلك لم يشكل عدم ربطها ضغطاً على المصالح الإدارية.

وبإدراج عمليات مختلفة لتدارك النقص الحاصل في الربط بشبكة المياه الصالحة للشرب بمنطقة قورارة، ضمن برامج مختلفة<sup>1</sup>، تم تسجيل تقدم ملحوظ مع مطلع 2001، إذ بلغ مجموع القصور المربوطة بشبكة المياه

<sup>1</sup> - الصندوق الخاص بتنمية الجنوب، وبرنامج الإنعاش الاقتصادي والبرنامج الاقتصادي والبرنامج الإستراتيجي، والبرامج القطاعية، ومخططات التنمية البلدية.

الصالحة للشرب سنة 2004 ب 290 قصر وبمجموع 132 خزان، وبشبكة يقدر طولها ب 1.045.147 م/ط<sup>1</sup>.

وقدرت نسبة الربط الإجمالية بالماء الصالح للشرب على مستوى ولاية أدرار سنة 2004 ب 94٪، وارتفعت سنة 2005 لتصل نسبة تغطية 96٪<sup>2</sup>.

### ثانيا: الربط بشبكة الصرف الصحي بولاية أدرار

يعرف الربط بشبكة الصرف الصحي بولاية أدرار، تأخر كبير، إذ أنه إلى غاية 1999 لم يتم ربط سوى 12 تجمع سكاني لصالح 78.124 ساكن بطول شبكة تقدر ب 230.000 م/ط ونسبة تغطية لا تتجاوز 25٪. وارتفع عدد التجمعات الحضرية التي تم ربطها سنة 2003 ليلعب 18 تجمع عمراني لصالح 143.323 ساكن بشبكة طولها حوالي 329.265 م/ط من القنوات أي ما يعادل نسبة تغطية تقدر ب 41٪<sup>3</sup>.

وارتفعت نسبة الربط بشبكة التطهير سنة 2004 لتعرف إنجاز 18 كلم من شبكة الصرف الصحي عبر مختلف مدن وقرى الولاية، وبذلك بلغت نسبة الربط بشبكة لتطهير على مستوى ولاية أدرار 43٪<sup>4</sup>.

وبفعل المجهودات المبذولة لتدارك العجز ارتفعت سنة 2008 عدد التجمعات العمرانية التي تم ربطها بشبكة الصرف الصحي إلى 37 تجمع سكاني، بشبكة قنوات يقدر طولها ب 601.914 م/ط، وبذلك بلغت نسبة ربط بشبكة الصرف الصحي على مستوى الولاية ب 65٪<sup>5</sup>.

### خاتمة:

تشكل مسألة التنمية البشرية أحد أكبر التحديات التي تواجه السياسة الوطنية لتحقيق مستويات أعلى للتنمية البشرية، وتزداد هذه الصعوبة في بعض المناطق من الجزائر نظرا لخصوصياتها الطبيعية والمناخية، وبعدها عن المناطق الشمالية.

ينطبق هذا الوصف على حالة تنمية الموارد البشرية في أدرار، إذ أنه من خلال ما تقدم من محاولة قياس مؤشر التنمية البشرية من خلال

<sup>1</sup> - تقرير قطاع الري - مديرية الري لولاية أدرار - مارس 2004.

<sup>2</sup> - حصيلة نشاطات الولاية لسنة 2005.

<sup>3</sup> - مديرية الري تقرير قطاع الري 2004.

<sup>4</sup> - حصيلة نشاطات الولاية 2005، الديوان ولاية أدرار.

<sup>5</sup> - بيان السيد الوالي، ولاية أدرار 2008 - ولاية أدرار.

توفير الغذاء والمياه، نجد أن مختلف البرامج الوطنية والمحلية التي تمس مؤشر التغذية والتزود بالماء الصالح للشرب، تجد صعوبة كبيرة في استدراك تراكم التأخر الكبير الحاصل في مختلف المؤشرات ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب.

ترتبط الأسباب الأولى في فارق التنمية البشرية بين المناطق الشمالية وولاية أدرار، في العوامل الطبيعية والمناخية التي لا تسمح بتطوير زراعة على مدار السنة؛ فنظرا للحرارة الشديدة لا يصلح النشاط الزراعي إلا خلال فترة قصيرة من السنة، ويضاف إلى ذلك نوعية التربة الفقيرة من حيث الناحية العضوية، وقلة التساقط، وازدياد ظاهرة التصحر والترمل وغزو الرمال للوحدات والمستثمرات الزراعية والتجمعات العمرانية.

ويضاف إلى العوامل الطبيعية صعوبة وارتفاع تكاليف تسويق المنتجات الناجحة في المنطقة، وارتفاع تكلفة الإنتاج، والمنافسة لشديدة للمنتجات الزراعية القادمة من المناطق الشمالية.

إلا أنه بالرغم من كل هذه الصعوبات إلا أن تدخل مختلف البرامج الوطنية والمحلية لتطوير الإنتاج الزراعي والحيواني وتوفير المياه ساهم بشكل كبير في تقليص الهوة بين معدل التنمية البشرية في المناطق الشمالية وولاية أدرار.

## المراجع:

- ▀ مديرية المصالح الفلاحية ولاية أدرار، تقييم عملية الحرث والبذر 2009/2008 ديسمبر 2008.
- ▀ تقرير المصالح الفلاحية لولاية أدرار لسنة 2002.
- ▀ لجنة الفلاحة والري والبيئة، المجلس الشعبي الولائي، ولاية أدرار تقرير حول تقييم الموسم الفلاحي 2009/2008 وملف الدعم الفلاحي منذ سنة 2004
- ▀ التنمية الريفية، الوزير المنتدب المكلف بالتنمية الريفية، ديسمبر 2007.
- TAHAR TAHA. Exploitation des ressources eau souterraines parla système de foggaras (cas de la région de Touat et Gourara) colloque international sur les en eau souterraines dans le Sahara- ciress , Ouargla 12 et 13 Dèce. 2005, p.34.
- ▀ الفقارة في ولاية أدرار: دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية، وحدة البحث. جامعة أدرار-السنة الجامعية 2004/2003
- ▀ بيان السيد الوالي لنشاطات الولاية-2003.
- ▀ مديرية السكن والتجهيزات العمومية، ولاية أدرار، حصيلة السكن، للسنوات ما بين 1999 إلى 2003- ديسمبر 2003.
- ▀ مديرية الري لولاية أدرار، وزارة الموارد المائية، تقرير قطاع الري -مارس 2004.
- ▀ حصيلة نشاطات الولاية لسنة 2005.
- ▀ بيان السيد الوالي، ولاية أدرار 2008- ولاية أدرار.

**حوكمة البنوك المركزية في الدول العربية: نظرة جديدة للإستقلالية**

بن باحان محمد

باحث بقسم الدكتوراه (السنة الرابعة)

جامعة الجزائر 3

**ملخص:**

يطرح البحث للنقاش موضوع إستقلالية البنوك المركزية بإعتباره من المواضيع الأكثر إثارة للجدل ، لكن هذه المرة حاول الباحث أن ينظر للموضوع نظرة جديدة من خلال الشفافية والفاعلية وذلك بالتأكيد على مفاهيم كل من شفافية السياسة النقدية وفاعليتها أو مصداقيتها ، كما نجد في الموضوع مصطلحات هامة في حاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل على غرار " الحوكمة الجيدة للبنوك المركزية".

وفي الحقيقة يهدف الموضوع إلى محاولة لفت إنتباه الساسة وصانعي القرار للقيام بما يجب القيام به كل في حدود مجال تخصصه لخدمة السلطات النقدية من خلال منحها الإستقلالية التي تمكنها من أداء دورها على أحسن صورة ممكنة خصوصا في ظل الأوضاع المالية والنقدية الحالية، هذه الإستقلالية التي يجب أن لا تكون مطلقة بل وفق معايير وأسس حاول البحث إثارتها.

**Résumé**

Le sujet de recherche qui a pour thème l'autonomie des banques centrales sera discuté et enrichi étant donné parmi les sujets les plus controversés ; mais dans ce contexte le chercheur a voulu débattre le sujet sous une nouvelle vision à travers la transparence et l'efficacité tout en persistant sur les concepts de transparence, d'efficacité et d'authenticité de la politique monétaire ; comme on trouve dans l'exposé des termes importants qui ont besoins plus d'étude et d'analyse à l'égard de « la bonne gouvernance des banques centrales ».

En réalité le sujet de recherche manifeste les sensations des politiciens et les preneurs de décisions dans les pays arabes pour agir dans le cadre de leurs domaines de compétences afin de servir les pouvoirs monétaires dans les pays arabes à travers leurs octroi l'autonomie qui leurs donne les facultés à accomplir leurs missions dans

des bonnes conditions, en particulier dans les situations financières et monétaires contemporaines. Cette autonomie qui ne doit pas être libérale mais suivant des normes et des bases dont est le sujet de recherche.

### مقدمة:

لا يزال صانعو السياسات في الدول العربية مترددين في منح الاستقلالية للبنوك المركزية ، ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى تخوفهم من تحول هذه الأخيرة إلى كيانات لها قانونها الخاص ، نظراً لما لديها من مسؤوليات واسعة النطاق وما تتمتع به من صلاحيات فرض العقوبات على الذين لا يلتزمون بالقواعد التنظيمية.

في المقابل، نجد أن مفهوم استقلالية البنوك المركزية يحظى بقبول واسع النطاق سواء في الأوساط الأكاديمية، أو المصرفية و حتى الحكومية في الدول التي حققت مستوى أكثر تقدماً في المجال المالي والنقدي، خاصة بعد أن أثبتت التجارب الماضية أن التدخل السياسي في السياسة النقدية غالباً ما تترتب عليه تداعيات اقتصادية غير محبذة و حتى أزمات اقتصادية.

وعليه نحاول من خلال هذه الورقة تسليط الضوء على نظرة جديدة لاستقلالية البنوك المركزية في الدول العربية من خلال الشفافية والفاعلية ، لأننا نعتقد أنه من الدروس الهامة التي يجب استخلاصها بعد الأزمة المالية الدولية الأخيرة هو ضرورة استقلال السلطات النقدية.

### أولاً: الإطار النظري لاستقلالية البنوك المركزية

إن موضوع استقلالية البنوك المركزية من أهم وأكثر الموضوعات المطروحة على الساحة الأكاديمية و المصرفية منذ سنوات مضت وحتى الوقت الراهن، ولعل السبب في أهمية هذا الموضوع يرجع إلى التطورات الإقتصادية والنقدية الدولية والمحلية التي شهدتها معظم دول العالم .

#### 1 - مفهوم استقلالية البنوك المركزية

إن مفهوم الاستقلالية يتأرجح بين تبعية السياسة النقدية للنظام السياسي وبين فصلها عنه، ومن وجهة نظر " س.فانكيتارامانا" ( S.Venkitaramana )<sup>1</sup> فإنه لا يوجد بنك مركزي مستقل بالكامل عن الحكومة، وفي هذا الإطار يجب التمييز بين الاستقلالية ( داخل الإطار

<sup>1</sup> - venkitaramanan "Gover of the reserve bank of india ", Central banking, volume 111 , number 1, 1summer 1992 page 20.

الحكومي) والاستقلالية عن الحكومة، و يفضل " س.فانكيتارامانا" التعبير الأول - الذي يقر بتناغم السياسة النقدية وتكاملها مع بقية الوزارات الاقتصادية - عن استقلال السياسة النقدية نفسها.

إن استقلالية البنك المركزي ليست ضرورية أو كافية للتأكيد على القدرة التسليفية للسلطة النقدية فالقدرة التسليفية للسلطة النقدية يمكن أن تكون ممكنة من غير توفر الاستقلالية للبنك المركزي، وفي نفس الوقت فإن استقلالية البنك المركزي ليست ضماناً كافياً في حد ذاتها للقدرة التسليفية للسلطة النقدية و التي تعتمد أخيراً على القدرة التسليفية للنظام الاقتصادي الكلي.

## 2- درجة إستقلالية البنوك المركزية في الأنظمة الاقتصادية

### المختلفة

تتفاوت البنوك المركزية في درجة استقلاليتهما ، حيث يعتبر البوندزبنك والبنك الوطني السويسري أكثر البنوك المركزية إستقلالا ، إذ ليس مطلوباً من البوندز بنك والبنك المركزي السويسري أن يأخذ في الاعتبار سياسة الحكومة إذا كانت غير متوافقة مع دوره القانوني في الحفاظ على استقرار قيمة العملة<sup>1</sup>.

أما البنك المركزي الفرنسي الذي ظل تابعاً للحكومة حتى أوائل السبعينيات - وذلك لخصوصية النظام المالي الفرنسي - فقد شرع منذئذ في إعادة ترتيب أوضاعه لتتماشى مع التوجه الأوروبي لتوحيد الأنظمة المالية والنقدية منتصف السبعينيات، ثم نحو توحيد العملة الأوروبية في عام 1999، الأمر الذي جعل البرلمان الفرنسي يجيز استقلالية البنك المركزي كشرط أساسي في تحقيق توحيد العملة الأوروبية بحلول عام 1999.

كما تتفاوت درجة استقلالية البنوك المركزية باختلاف النظام الاقتصادي والسياسي المنتهج من طرف الدولة، فعلى غرار توجهاتها الإيديولوجية واستناداً إليها، تلجأ الدولة في النظام الاشتراكي إلى مركزة صنع القرار وجعله ينبثق من مصدر واحد هو الحكومة وجعل البنك المركزي أداة في يد الحكومة لتحقيق الأهداف العامة، هذا في حين نجد النظم الرأسمالية

<sup>1</sup> - Alan blinder, "how to run a central bank", The international economies, number 5 , sept - oct 1995 , page 34



تميل إلى منحه - البنك المركزي - استقلالية أكبر لممارسة صلاحياته، ولكل من هذين النظامين حججه التي يستند إليها:

#### أ - البنك المركزي في الدول الاشتراكية: حجج ودواعي التبعية

يعتبر دور البنك المركزي في النظام الاشتراكي ضعيفا، حيث تعتمد الدولة سياسات التخطيط المركزي وتتدخل الحكومة بصورة مباشرة في أمور السياسات النقدية والمصرفية، ومن الملامح الأساسية لهذه السياسات: استخدام الأدوات المباشرة كإحكام السيطرة على أسعار الفائدة. العمل على التأثير على حجم الكتلة النقدية.

الإبقاء على سعر صرف العملة الوطنية في مستوى غير حقيقي مرتفع حيث أن هناك أكثر من سعر صرف واحد في الواقع. فرض السقوف الائتمانية وربما تأميم الجهاز المصرفي، وتلاشي دور البنك المركزي كليا.

ومن الحجج التي يستند إليها واضعو الخطط المركزية للتأكيد على ضرورة تبعية البنك المركزي للجهات الحكومية نذكر:

- ضرورة سيطرة الدولة على مصادر التمويل اللازمة لتمويل مشاريعها وقطاعاتها ذات الأولوية في برامجها الموضوعية.<sup>1</sup>

- ضرورة تحديد أسعار الفائدة على التمويل للتحكم في أسعار المنتجات المحلية وجعلها في مستويات دنيا وفي متناول كافة الأفراد.

بالإضافة إلى واضعي السياسات في الدول الاشتراكية ، نجد عددا

من الخبراء والأكاديميين قد أيدوا موضوع تبعية البنك المركزي للحكومة نظرا  
حوكمة البنوك المركزية في الدول العربية: نظرة جديدة للاستقلالية

ل :

- أن ترك وضع وتنفيذ السياسة النقدية للسلطة النقدية وحدها يعتبر أمراً مخالفاً لمبادئ الديمقراطية.

- أن استقلال السياسة النقدية عن السياسات الأخرى قد يؤدي إلى زيادة التكاليف المحتملة للاختلافات التي قد تحدث بين السياسات النقدية والسياسات الأخرى، خاصة فيما يتعلق بالسياسات الضريبية وسياسات سعر الصرف.

<sup>1</sup> -- سليم أبو الشعر ، "دراسة عن استقلالية البنك المركزي" ، مجلة المصارف العربية ، العدد 171 ، مارس 1995 ، ص 43

- إن استقلالية البنك المركزي قد لا تؤدي إلى تحسين الأداء، وبالذات في مجال التضخم في الأجل الطويل، فما دامت للبنوك المركزية أهدافها الداخلية الخاصة، فإنها قد تتعارض مع انتهاج سياسات نقدية غير تضخيمية.

لقد أدى التدخل الحكومي الكبير في شؤون البنك المركزي في الدول الاشتراكية إلى ظهور اقتصاديات ضعيفة وهشة تفتقر إلى المنافسة وتقل فيها الإنتاجية، مما تتسبب في تحقيق معدلات نمو سالبة لمعظم الدول التي تبنت ذلك النهج، ولا أدل على ذلك من التردّي الاقتصادي الذي تواجهه دول أوروبا الشرقية التي طبقت سياسات التخطيط المركزي منذ أوائل القرن العشرين، مقارنة بمثيلاتها من دول أوروبا الغربية التي حققت تطوراً اقتصادياً هائلاً في كافة المجالات الاقتصادية، بفضل حصول بنوكها المركزية على قدر كبير من الاستقلالية في وضع وتنفيذ السياسات النقدية والمصرفية الملائمة، والتي ساهمت مساهمة فعالة في بلوغ هذا الوضع الاقتصادي المتميز لدول الاتحاد الأوروبي.

## ب - استقلالية البنك المركزي في الدول الرأسمالية ، حجج

## ودواعي الاستقلالية

تمنح الدول الرأسمالية درجة كبيرة من الاستقلالية لبنوكها المركزية فيما يتعلق بمسألة إعداد وتنفيذ السياسة النقدية والتمويلية، ولعل هذا التوجه يعود بالدرجة الأولى إلى الإطار الفكري والمنهجي القائم على:

- حرية تداول الموارد لتحقيق أعلى درجة من الأداء والكفاءة، من خلال المنافسة الحرة فيما بين المؤسسات المالية في مسألة استقطاب الودائع ومنح التسهيلات والتمويل، و يعتمد التمويل على آلية سعر الفائدة كحافز لتوفير عرض كاف من المدخرات لاستقطاب وتمويل عمليات الاستثمار في إطار آلية قوى السوق التي تظهر أسعار فائدة حقيقية لكل من المدخرين ( الدائنين ) والمستثمرين ( المدينين)، ويأتي دور البنك المركزي لتقليص الفجوة بين أسعار الفائدة الدائنة والمدينة، حتى لو استدعى الحال تدخله المباشر عبر آلياته المعروفة.

- تحرير سعر صرف العملة الوطنية وجعله أكثر واقعية واستقراراً على المدى الطويل، تحقيقاً لاستقرار الأسعار الداخلية، وتحسيناً لشروط التبادل التجاري بين الدول المعنية وبقية دول العالم.

- احتفاظ البنك المركزي باحتياطات كافية من النقد الأجنبي تمكنه من تمويل عمليات الاستيراد ودعم سعر صرف العملة الوطنية عند تراجعها.

- التحرير الكامل لعمليات مراقبة العملة الأجنبية ، وذلك بإزالة كافة الإجراءات المقيدة لحرية تدفق رؤوس الأموال اللازمة لإنعاش الاستثمار الداخلي.

- استخدام البنوك المركزية أدوات السياسة النقدية الأخرى المتمثلة في عمليات إعادة خصم الأوراق المالية وتقييد الائتمان العام ، و ذلك بغرض السيطرة على معدلات السيولة المحلية وضمان توفر البيئة الاقتصادية الملائمة و المستقرة.

ومن الحجج التي تؤيد ضرورة استقلالية البنك المركزي في وضع وتنفيذ السياسة النقدية والمصرفية بعيداً عن التدخل الحكومي، يمكن إيراد ما يلي:

- أن مصداقية وقدرة السياسة النقدية في تحقيق استقرار طويل الأجل للأسعار مع الإبقاء على الحد الأدنى من التكاليف الاقتصادية الحقيقية تكونان أكبر إذا وضعت السياسة النقدية من قبل البنك المركزي بعيدا عن الأمور السياسية للدولة.

- أن البنك المركزي بحكم نشاطه اليومي يكون على اتصال دائم بالأسواق المالية والنقدية في الداخل والخارج ولديه التوقعات المدروسة بما قد يطرأ على هذه الأسواق من تغيرات، ولديه دراساته عن مسار الاقتصاد الوطني في الحاضر والمستقبل، وعنده المعرفة الوثيقة بأوضاع الجهاز المصرفي في الدولة كل هذه البيانات المتوفرة تجعل البنك المركزي قادراً على رسم وتنفيذ السياسة النقدية الكفيلة بتحقيق أهداف السياسة الاقتصادية للدولة.

- كذلك، فإنه إذا قدر للسياسيين المنتخبين أن يختاروا بين أهداف تتعلق بالتضخم والعمالة أو الإنتاج فسوف يكون لديهم حافز للسعي على الحصول على مكاسب في مجال الإنتاج على المدى القصير من خلال نقض السياسة النقدية غير التضخيمية التي سبق إعلانها<sup>1</sup>.

- إن توفير قدر من حرية التقدير في مجال السياسة النقدية ضروري، لأنها تؤدي إلى تحسن مصداقية السياسة النقدية وجعلها أكثر شفافية - أي أكثر وضوحاً للرأي العام بحيث يدرك ما تحاول السياسة النقدية انجازه بالتحديد -، إن للسياسة النقدية الأكثر شفافية أهميتها خاصة في ظل صعوبة الرقابة عليها وتقييمها، نظراً لخصوصية العلاقات النقدية الأساسية، فهي تعمل بصورة آلية ويمكن أن تتغير مع مضي الوقت ( كما قد يحدث التغير بشكل حاد )، وتميل إلى أن تتضمن فترات طويلة ومتفاوتة بين تغيرات السياسة و النتائج النهائية، ومن ثم يكون من الصعب التمييز بصورة مستقلة بين المدى الذي تعكس فيه التطورات الفعلية التحولات في الأهداف النهائية لصانعي السياسة و بين تأثيرها بعوامل أخرى.

- إن السياسة النقدية بطبيعتها تحتاج لفترة طويلة، ذلك أن تأثيراتها - السياسة النقدية - على الإنتاج والتضخم تأتي بعد فترات طويلة، لهذا لا يرى متخذو القرارات نتائج أعمالهم في الحال، هذا من جهة، ومن

<sup>1</sup> - نبيل حشاد ، إستقلالية البنوك المركزية بين التأييد والمعارضة، إتحاد المصارف العربية، بيروت، 1994. ص 68

جهة أخرى فإن مكافحة التضخم تعتمد على عملية التكلفة والعائد، فالتكلفة تدفع حالياً أما المنافع فتجنى بالتدرج في المدى الطويل، لذلك، ينبغي على الحكومات ألا تضع السياسة النقدية في أيدي السياسيين المنتخبين.<sup>1</sup>

- حديثاً، من الصعب التمييز بين المؤسسات البنكية والمؤسسات غير البنكية، كما يصعب التمييز بين الأسواق النقدية وأسواق رأس المال التي قد اتجهت للشمولية والتنافس فيما بينها، هذه التطورات صعبت من مهمة البنوك المركزية، ومن وجهة نظر الباحث فقد أدت هذه الظاهرة إلى المطالبة باستقلالية البنوك المركزية.

ومن الناحية العملية هناك عدة دراسات أيدت استقلالية البنك المركزي، حيث توصلت إلى النتائج التالية:

- كلما ازدادت درجة استقلالية البنك المركزي كلما يتحقق انسجام وتنسيق أفضل بين السياسة النقدية والمالية، وهو أمر يبدو متناقضاً للوهلة الأولى قبل التمعن في الأسباب النظرية والعلمية التي تعزز هذه النتيجة.<sup>2</sup>

- إن استقلال البنك المركزي كفيل بأن يؤدي إلى تحسين الأداء في مجال الحد من التضخم على المدى الطويل.<sup>3</sup>

- هناك علاقة عكسية واضحة ووطيدة بين اشتداد الضغوط التضخمية ودرجة استقلال البنوك المركزية لا سيما في الدول الصناعية.<sup>4</sup>

- إن الحجة الرئيسية التي يطرحها صندوق النقد الدولي إزاء موضوع استقلالية البنوك المركزية هي أن مصداقية السياسة النقدية، وبالتالي قدرتها على تحقيق أو الإبقاء على استقرار طويل الأجل للأسعار من حد أدنى من التكاليف الاقتصادية الحقيقية، أمر غير ممكن إلا إذا أسندت مسؤولية السياسة النقدية إلى مسئولين بعيدين عن المؤثرات السياسية يكون في استطاعتهم النظر على المدى البعيد.

- إن العلاقة بين استقلالية البنك المركزي والنتائج المحلي الإجمالي علاقة طردية، إذ أنه كلما زادت درجة استقلالية البنك المركزي درجة واحدة

<sup>1</sup> - Alan blinder, Op- cit, p 35

<sup>2</sup> - جيرالد كوريجان "محاضرات في ندوة سياسات البنوك المركزية"، بنك نيويورك الإحتياطي الفيدرالي 1994/10/16 بالبورج

<sup>3</sup> - ماريتا كاستيلو "استقلال البنك المركزي"، مجلة التمويل و التنمية، مارس 1992

<sup>4</sup> - Alex Cukeirman, Steren Webb, An bilin Neyapti, "The independence of central Bank and its effect on policy outcomes", The world Bank Economic Review, September 1992.

ارتفع معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي لكل عامل في الدول الصناعية بنسبة 0.4 % سنوياً.<sup>1</sup>

- كلما زادت درجة استقلالية البنوك المركزية كلما انخفضت نسبة عجز الموازنة العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي، وذلك على مستوى اثنتي عشر دولة صناعية خلال الفترة (1955 - 1983)<sup>2</sup>، ذلك أن البنوك المركزية ذات الدرجة العالية من الاستقلالية تستطيع مقاومة طلبات الحكومة لتمويل عجز الموازنة بإصدار مزيد من النقد وبيع المزيد من السندات الحكومية و أدوات الخزنة، بينما لا تستطيع البنوك منخفضة درجة الاستقلالية أن تفعل ذلك.

### 3- مؤشرات استقلالية البنك المركزي:<sup>3</sup>

ترتكز عملية الفصل بين السلطة المالية (سلطة الإنفاق أو الجهاز الحكومي) والسلطة النقدية (سلطة إحداث النقود أو البنك المركزي)، و من ثم قياس درجة استقلالية البنك المركزي عن الحكومة على مجموعة من المؤشرات و المعايير الكمية ، مما يبرز مدى الصعوبة التي تعترض الباحث ، إذ أن استخدام المعيار الكمي بشكل دقيق لقياسها لا يكون سهلاً لما يحكمها من عوامل قيمة ونسبية كمية، وعليه، جرى العرف الاقتصادي والتشريعي على قياس استقلالية البنك المركزي عن طريق تقدير استقلاليته من خلال تشريعاته القانونية ، وهو ما يطلق عليه بالاستقلال السياسي أو القانوني، الذي يتم قياسه بالاعتماد على جملة من المؤشرات من أهمها :

#### - الصلاحيات القانونية الممنوحة للبنك المركزي في ما يتعلق

**بتحديد الأهداف النهائية له :** فالبنك المركزي المستقل له الصلاحية لوضع وتحديد السياسة النقدية بمقتضى التفويض الذي منحه له القانون بحرية دون أن يتلقى تعليمات أو توجيهات من الحكومة، ويكون البنك المركزي غير مستقل إذا كان يخضع لتعليمات أو توجيهات من جهات أخرى في إدارة السياسة النقدية، فقصر دور البنك المركزي على تنفيذ تعليمات الحكومة وسيره وفقاً للتوجيهات التي تقرها يجعل منه جهازاً حكومياً ليس إلا ، هذا لا

<sup>1</sup> - دولون و صامي، "دراسة عن العلاقة بين استقلالية البنك المركزي والناتج المحلي الإجمالي " 1990

<sup>2</sup> - ميشال باركين، دراسة عن العلاقة بين استقلالية البنك المركزي وعجز الموازنة العامة 1987،

<sup>3</sup> - دحمان بن عبد الفتاح، "استقلالية السلطة النقدية ، دراسة حالة بنك الجزائر"، مصر المعاصرة القاهرة ،، الجمعية المصرية

للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، العدد 482، أبريل 2006، ص298.

ينفي القول أن البنك المركزي - أياً كانت درجة استقلاليته - مطالب بأن يأخذ في الاعتبار الاتجاه العام للسياسة الاقتصادية التي تقرها الحكومة عند تحديده لأهدافه.

- **المهام الرسمية للبنك المركزي:** إن إسناد عدد كبير من المهام للبنك المركزي يجعله قاصراً عن تحقيقها مما يوحي بضعف استقلاليته، أما تحديد مهمة البنك المركزي في هدف واحد بشكل دقيق مع التركيز والتأكيد على " تحقيق الاستقرار في القيمة الداخلية والخارجية للعملة " كهدف أساسي أو وحيد للبنك المركزي فهذا يدل على أن البنك أكثر استقلالاً، ذلك أن الأداة الواحدة لا يمكن تخصيصها لتحقيق أكثر من هدف في نفس الوقت.<sup>1</sup>

- **الجهة التي تتولى مساءلة المسؤولين عن السياسة النقدية ومحاسبتهم**<sup>2</sup> : تمثل الشفافية شرطاً مسبقاً بالنسبة للمحاسبة الفعالة، الأمر الذي يجعل محاسبة المسؤولين عن السياسة النقدية يأخذ في الاعتبار هذا المبدأ، ولذلك يمكن أن تكون المساءلة أمام الرأي العام عن طريق نشر الأهداف المتعلقة بالإجماليات النقدية والإنجازات المحققة في هذا المجال؛ مما يسهل رقابة الرأي العام مباشرة. كما يمكن من الناحية العملية أن يُلجأ في ذلك للحكومة أو السلطة التشريعية أو كليهما معاً.<sup>3</sup>

- **مدى وجود قيود على تعيين كبار المسؤولين في البنك وإقالتهم** : إن الاستقلالية لا تتعارض مع قيام الحكومات بتعيين محافظ للبنك المركزي، وأعضاء الهيئات العليا فيه، وقد يُحفظ أحياناً بحيث يتم منح سلطة تقديرية فقط للحكومة في هذا المجال دون الانفراد بكل التعيينات.

ومما يساعد على استقلال البنك المركزي عن الحكومة عدم تزامن نهاية فترة القائمين على البنك المركزي مع نهاية عهدة الحكومة، ذلك أن مثل هذا التزامن يتيح المجال للحكومة جديدة لتعيين أعضائه وإقالتهم في مجلس حوكمة البنوك المركزية في الدول العربية: نظرة جديدة للإستقلالية إدارة البنك المركزي.

ولكي يتمكن البنك من المحافظة على استقلاليته، ينبغي أن تكون إجراءات إقالة محافظه وكبار مسئوليّه منصوصاً عليها في القانون، أما إذا

<sup>1</sup> - سهير محمود معتوق، "استقلالية البنك المركزي"، مصر المعاصرة، القاهرة،، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، العدد 453، يناير 1999، ص 07.

<sup>2</sup> - دحمان بن عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 300.

<sup>3</sup> - سهير محمود معتوق، مرجع سابق، ص 12 .

كان الأمر متروكاً لتقدير الحكومة فسوف يكون مجلس إدارة البنك المركزي وهيئاته العليا تابعين لها ومنفذين لتعليماتها.

#### - التمثيل الحكومي في مجلس إدارة البنك المركزي : يمكن

للحكومة أن تستغل تواجدها في مجلس إدارة البنك لتصبح بمثابة قناة رسمية لممارسة تأثيرها بصورة مباشرة على قرارات البنك المركزي، كما أن الحكومة قد تستغل صلاحياتها في تعيين أعضاء مجلس إدارة البنك المركزي بتعيين أعضاء يمارسون تأثيراً إيجابياً لصالح الحكومة، مما يجعل لهذا الجانب تأثيراً على قرارات البنك وسياسته وبالتالي تدني درجة استقلاليته.

#### - الحدود المفروضة على قدرة البنك المركزي في تمويل الحكومة

<sup>1</sup> : نجد في هذا الإطار ما نصت عليه اتفاقية "ماستريخت"، التي منعت بصورة قاطعة تمويل عجز الموازنة في الدول الأعضاء عن طريق اللجوء إلى الاقتراض من البنك المركزي، وقد شرعت الدول الأوربية الموقعة على تلك الاتفاقية في تحديث قوانينها لتتفق ونص الاتفاقية، كما نجد دولاً أخرى حددت سقفاً لتلك التسهيلات اتخذت أحيانا صورة مبالغ محددة لا تستطيع الحكومة تجاوزها في اقتراضها، وأحيانا أخرى اتخذت صورة نسبة مئوية من مطلوبات البنك المركزي أو من حجم الإنفاق الكلي أو من إيرادات الدولة، ويتميز المعيار الأخير بكون الإيرادات تعد بمثابة مقياس لقدرة الحكومة على الوفاء بالتزاماتها.

#### - القيود على استخدام أدوات السياسة النقدية <sup>2</sup> : إن استعمال

البنك المركزي لأدوات السياسة النقدية وتحكمه فيها وفق ما يراه مناسباً دون اشتراط الحصول على موافقة الحكومة يرفع من استقلالية البنك المركزي ومصدقية السياسة النقدية.

ومن أجل التعرف على درجات الاستقلال التشريعي للسلطات

النقدية في الدول العربية، أعد صندوق النقد العربي نمودجا استببانيا شمل المؤشرات التالية <sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - دحمان بن عبد الفتاح، مرجع سابق، ص301.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص302.

<sup>3</sup> - صندوق النقد العربي، السياسات النقدية في الدول العربية، صندوق النقد العربي، أبو ضبي، معهد السياسات الاقتصادية



- تعيين محافظ السلطة النقدية وإنهاء خدماته ومهامه وكذا طول فترة خدمته، إذ اعتبر طول المدة القانونية للمحافظ مؤشراً إيجابياً لاستقلالية البنك المركزي، كما أن تمتع الحكومة بصلاحيه ضئيلة في عملية التعيين يعد مؤشراً إيجابياً للاستقلالية.

- أسلوب حل التعارض بين السلطة التنفيذية والسلطة النقدية في توجهات السياسة النقدية، ومدى مشاركة البنك المركزي في إعداد الموازنة الحكومية، إذ أن تمتع البنك المركزي بصلاحيه واسعة في مجال صياغة السياسة النقدية يعد مؤشراً إيجابياً لاستقلاليته، ومؤشراً كذلك على مقاومته للسلطة التنفيذية عند حدوث التعارض.

- الأهمية النسبية لاستقرار الأسعار ضمن أهداف السلطة النقدية، فكلما كان القانون واضحاً ومؤكداً على أن الهدف الأساسي أو الوحيد للبنك المركزي يتمثل في استقرار الأسعار؛ كلما اعتبر هذا مؤشراً على استقلاليته.

- القيود الواردة على إقراض السلطة النقدية للحكومة من حيث الحجم والاستحقاق وسعر الفائدة وشروط تقديم السلف و التوريق، فكلما كانت القيود على الإقراض للقطاع العام أشد صرامة، كان المصرف أكثر استقلالاً.

وبناءً على نتائج مؤشرات الاستقلال التشريعي الواردة في الاستبيان المذكور، فقد حققت الجزائر درجة استقلال تساوي 0.497 ، و حققت لبنان درجة استقلال قدرها 0.603. و حققت كل من السعودية و مصر درجتى استقلال تعادلان 0.502 و 0.5 على التوالي<sup>1</sup>.

تجدر الإشارة إلى أنه رغم الصعوبات التي تكتنف خطوات عملية تحديد درجة استقلالية البنوك المركزية و بالتالي انخفاض معدل الوثوق في المؤشرات الرقمية للاستقلالية، إلا أن هذا لا ينفي أهمية تلك الإحصائيات والمؤشرات.

**ثانياً: الحوكمة الجيدة للبنوك المركزية: تعزيز الاستقلالية من**

### **خلال الشفافية والفاعلية**

إن نجاح البنوك المركزية في تحقيق الاستقرار النقدي ، إنما تحدده مجموعة من العوامل والشروط الذاتية أو المؤسسية التي تتعلق بهياكل هذه البنوك وتطورها ونوعية مواردها البشرية... إلخ ، كما يتطلب ذلك توافر

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 95 .

مجموعة من الشروط الموضوعية أبرزها درجة استقلالية البنوك المركزية ومصادقية سياساتها وإجراءاتها، وتوفر قدر كبير من الشفافية في عمل هذه البنوك وخضوعها للمساءلة بشأن مدى نجاحها في تحقيق أهدافها المنشودة.

1

### 1- الشروط الموضوعية لحوكمة البنوك المركزية:

كما ذكرنا، تعد استقلالية البنك المركزي و مصادقية سياساته النقدية و شفافتها شروطاً جوهرية لحوكمة البنك و بالتالي تحسين أدائه:

#### أ- استقلالية البنك المركزي<sup>2</sup> : تعتبر الاستقلالية إحدى المسائل

الهامة عند البحث عن الإطار المؤسسي الذي يساعد السياسة النقدية في إبقاء معدلات التضخم عند مستوياتها المتدنية في الأجلين المتوسط والطويل، وتعني الاستقلالية هنا حرية البنك المركزي في رسم وتنفيذ سياسته النقدية دونما خضوع للاعتبارات أو التدخلات السياسية، كما لا تعني - بأي حال من الأحوال-، الانفصال التام بين البنك المركزي والحكومة وانفراد البنك في تحديد الأهداف النهائية للسياسة النقدية، حيث يمكن الاتفاق على هذه الأهداف بين البنك والحكومة، وعلى ذلك، فإن البنك يبحث عن الاستقلالية في تحديد الأهداف الوسيطة وفي انتهاج الأدوات المناسبة لبلوغ تلك الأهداف، مع ضرورة الحفاظ على أكبر قدر ممكن من الانسجام والتناغم بين السياسة النقدية و السياسة المالية، الشيء الذي يعزز من مصادقيته.

#### ب- مصادقية السياسة النقدية<sup>3</sup> : تمثل المصادقية ركيزة أساسية

تساعد في تحقيق السياسة النقدية لأهدافها، وتعني التزام البنك المركزي باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق أهداف السياسة النقدية، ودون تهاون، ولا تثبت المصادقية إلا عبر الزمن، حيث يكرّر البنك اتخاذ الإجراءات نفسها إذا ما واجه ظروفاً معينة مرة أخرى ولا يتراجع عن تلك الإجراءات إلا بتحقيق الهدف.

ومما لا شك فيه، أن اكتساب البنك المركزي للمصادقية يجعل الفعاليات التي تتأثر بقراراته (الجهاز المصرفي مثلاً) تسير في الاتجاه

<sup>1</sup> - أمية طوقان، "دور البنوك المركزية في إرساء السياسة النقدية"، مؤتمر "مستجدات العمل المصرفي في ضوء التجارب

العربية والعالمية"، سورية في: 2-3 تموز 2005، ص 4

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 5

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 6

المطلوب بشكل أسرع، كما أن استقلالية البنك المركزي تعتبر ركيزة هامة لتنفيذ سياسة نقدية أكثر فاعلية وتسرع في تحقيق الأهداف، الأمر الذي يعزز من مصداقيته.

**ج- شفافية السياسة النقدية<sup>1</sup>** : تعني الشفافية اطلاع الجمهور بشكل واضح وفي أوقات منتظمة، على توجهات وإجراءات السياسة النقدية، حيث أن معرفة الجمهور وإدراكهم لأهداف وإجراءات هذه السياسة وأدواتها وتمكينهم من الحصول على المعلومات المطلوبة في هذا الخصوص، سيعمل على زيادة فعاليتها وتمكين الجمهور، في ضوء ذلك، من بناء قرارات سليمة، فضلاً عن خلق مزيد من الالتزام من قبل البنك المركزي للوفاء بهذه الأهداف.

لقد توصلت مجموعة العمل المعنية بالشفافية في مجموعة الاثنين والعشرين- في دراستها حول أسباب الأزمات المالية - إلى أهمية عنصر الشفافية في مجابهة التعرض للأزمات المالية، كما توصلت أيضاً إلى أن الأسواق لا يمكنها العمل إلا في ظل توافر معلومات تتسم بـ :

- الحداثة

- الوضوح التام

- الموثوقية

كما خلصت اللجنة إلى أن الشفافية تؤدي إلى خفض معدل تواتر الأزمات والسماح بسرعة استجابة السياسات، وكذلك خفض حدة الأزمة إلى أدنى مستوياتها والسماح بإيجاد حلول مبكرة لها، إضافة إلى الحد من مخاطر تنقل العدوى وخفض التكاليف المترتبة على وقوع الأزمة، وهي القضايا نفسها التي أكد عليها تقرير وزراء المالية لمجموعة السبعة حول " تقوية البنين المالي الدولي " عام 1999.

إن تحقيق الشفافية في البنوك المركزية يتطلب ما يلي<sup>2</sup> :

- معايير واضحة، ومفهومة بوجه عام، وتتسم بالجودة.

- توحيد المقاييس والتنسيق يصبح واضحاً في السياق

العالمي.

<sup>1</sup> - نفس المرجع ، ص7

<sup>2</sup> - Richard Perry & Patrick Föll, *Central Bank Budgeting and Management Reporting*, AMF, Abu Dhabi, 2008.

- حتمية استخدام المعايير المالية الدولية لإعداد التقارير المالية (IFRS)، خاصة في ظل عدم توحيد المعايير المحاسبية من قبل البنوك المركزية.

يجدر بنا هنا ألا نهمل الدور الهام الذي يلعبه يساهم صندوق النقد الدولي في تحقيق الشفافية من خلال المعيار العام لنشر البيانات والنموذج القياسي لبيانات الاحتياطات الأجنبية، وأيضاً من خلال ميثاق الممارسات السليمة في مجال شفافية المالية العامة الصادر عام 1998، وكذا ميثاق الممارسات السليمة في مجال السياسة النقدية وسياسة المالية العامة والوثيقة المساندة له، بالتنسيق مع بنك التسويات الدولية عام 1999، كما هناك مبادرات أخرى أوسع نطاقاً أطلقها الصندوق تتمثل في كل من تقرير مراعاة المعايير والمواثيق (ROSC)، وبرنامج تقييم استقرار القطاع المالي (FSAP).

و تعد كشوف البنوك المركزية أداة هامة أيضاً في تحقيق الشفافية<sup>1</sup>، حيث تقدم البنوك المركزية معلومات ذات صلة بالنظام ضمن إطار كلي تعتبر من وسائل المساءلة وتزيد من تعزيز الاستقلالية وهي ما يعرف بتقارير الإفصاح، ذلك أن البنوك المركزية جميعها تنتج حسابات، ولها سجلات شاملة لكل نشاطاتها، وتقدم بيان الميزانية العمومية الذي تتضح من خلاله الأرباح والخسائر، مما يضيف مزيداً من المساءلة التي تعزز الشفافية.

إن إعداد الكشوف المالية يتطلب إعلان البنك المركزي عن ميزانيته العمومية المفصلة، المعدة بناء على معايير محاسبية سليمة و موثوقة، مرة واحدة سنوياً على الأقل، كما يجب الإعلان عن المعلومات المتعلقة بالمصرفيات والإيرادات المتعلقة بتشغيل البنك المركزي سنوياً، وأيضاً يجب الإعلان عن طريقة تخصيص أرباح البنك المركزي وكيفية الحفاظ على رأس ماله، إضافة إلى ضرورة الإعلان عن المعطيات المتعلقة بحيازات البلد من الأصول الاحتياطية المحرزة بالنقد الأجنبي، وخصوم والتزامات السلطات النقدية، وكذا الإعلان عن ما يقدمه البنك المركزي للحكومة، وكذلك ودائع الحكومة لدى البنك المركزي، كما يجب الإعلان عن القواعد والإجراءات الخاصة بعلاقات ومعاملات البنك المركزي مع الأطراف

<sup>1</sup> - Ibidem

النظيرة في الأسواق التي يمارس فيها نشاطه، وفي الأخير يجب أن تكون الجهة التي تقوم بإجراء المراجعة المحاسبية على الكشوف المالية جهة مستقلة. كما يجب أن تشكل المعلومات الخاصة بالسياسات المحاسبية وأي ملاحظات خاصة تتعلق بحدود تفسير البيانات، جزءاً لا يتجزأ من الكشوف المالية المنشورة للجمهور.

وفي الوقت الذي اتسعت فيه دائرة الاهتمام بالحوكمة المؤسسية واستقلالية البنك المركزي، فقد حظيت قضية "مساءلة" البنك المركزي بنفس الاهتمام أيضاً، فكلما تمتع البنك بمزيد من الاستقلالية كلما ازدادت الحاجة إلى مساءلته على سياساته والنتائج التي تتمخض عنها، وذلك استناداً إلى مسؤوليته تجاه تحقيق الأهداف التي ينص عليها قانونه، أما الجهات التي يكون فيها البنك مسؤولاً أمامها فهي متعددة منها البرلمان بصفته ممثلاً للشعب، ووسائل الإعلام والأسواق المالية وذلك وفق الآلية أو الأسلوب الذي ينص عليه القانون.

## 2 - الشروط الهيكلية و التسييرية لحوكمة البنوك المركزية:

تتطلب حوكمة تسيير البنك المركزي جملة من الشروط نتطرق إليها من خلال عنصري الرقابة على إعداد ميزانية وتقارير إدارة البنك المركزي ، و المحاسبة على النقد الأجنبي في البنوك المركزية:

أ - الرقابة على إعداد ميزانية وتقارير إدارة البنك المركزي<sup>1</sup>

يتعين على البنوك المركزية أن تمارس الرقابة على النفقات وأن تتأكد من تخصيص الموارد النادرة للمهام الأساسية وأن تتوخى الحرص في التعامل مع الأموال العامة لأن مصداقية البنك المركزي تتطلب الحد من إمكانية التدخل السياسي.

وتعد الميزانية من أهم أدوات الإدارة في مراقبة النفقات لأنها توفر معلومات عن الإدارة وتسمح بالمساءلة والرقابة على الموارد مما يؤدي إلى تحسين الكفاءة كما أنها توفر معلومات خارجية للدلالة على الانضباط والمسؤولية من خلال عقد مقارنة بين الأداء والميزانية.

تتنوع ميزانيات البنوك المركزية كما يلي:

- ميزانيات التشغيل: تعد لتغطية نفقات التشغيل والإيرادات اليومية.

- ميزانية الدخل: تستند إلى افتراضات متفق عليها (مثل أسعار

النقد الأجنبي).

- ميزانية المشروعات: تعد لتغطية المشروعات على مدى سنوات

متعددة.

تشرع البنوك المركزية في إعداد ميزانياتها بعقد جلسة التخطيط الاستراتيجي، وذلك لتحديد الأهداف طويلة الأجل ومن ثم تحديد الأولويات السنوية، ثم تعالج الخطة السنوية لكل إدارة، حيث تقوم كل إدارة بوضع خطة تبين فيها أهداف السنة الحالية وكذلك الأولويات والافتراضات والمخاطر، وبعد ذلك يتم إعداد الميزانية السنوية لكل إدارة بعد أن تقوم كل إدارة بإعداد ميزانيتها بالتنسيق مع إدارة الحسابات، وفي الأخير تسهر لجنة الميزانية على مراجعة الخطط والميزانيات (بما في ذلك ميزانية موحدة للبنك المركزي بأكمله).

الخطوة الموالية هي تنقيح الميزانية ومن ثمة الموافقة على الميزانية

النهائية التي تعني تفويض صلاحية الإنفاق، على أن يتم إعداد تقارير شهرية عن النتائج الفعلية مقارنة بنتائج الميزانية، و إعداد تقارير ربع سنوية عن سير العمل مقارنة بالخطة، كما تراجع الميزانية وتعديل على أساس

<sup>1</sup> Ibidem

نصف سنوي في حين تتم مراجعة الأداء الفعلي سنويا ويقارن بالأداء المحدد في الميزانية وتنتشر المراجعة في الكشوف المالية.

لإعداد ميزانياتها تعتمد البنوك المركزية على الأدوات التالية<sup>1</sup>:

الخطة والجدول الزمني للميزانية : وذلك من خلال وضع جدول زمني يستخدم لتعريف الإدارة بالتوقعات وتحديد العملية بأكملها.

- صلاحيات لجنة مراجعة الميزانية: بغية تقديم صورة واضحة

للجنة وتحديد اختصاصاتها.

-متطلبات الخطة السنوية: وذلك من خلال الإجراءات اللازمة

لتحقيق الأهداف والأولويات، إضافة إلى التغيرات في كمية أو جودة المنتجات والخدمات والتغيرات في الموارد البشرية، كما يجب معرفة ما الذي تخطط الإدارات لعمله من أجل الإدارات الأخرى، كالمشروعات الأساسية والنفقات الرأسمالية المقترحة.

- متطلبات الميزانية السنوية والمبادئ التوجيهية ذات الصلة:

تتطلب الميزانية السنوية تعليمات تتعلق بنظام الميزانية ودليل المستخدم عن كيفية استخدامها، إضافة إلى قاموس المصطلحات المحاسبية ومذكرات توجيهية عن الميزانية تتعلق ب:

-إدراج كل حساب تشغيلي للدخل والنفقات مع المبادئ التوجيهية

فيما يخص البنود التي ينبغي إدراجها في الميزانية.

-توضيح أساس إعداد الميزانية لكل حساب ( التجربة السابقة، أو

تقديرات محددة، أو مبررات كاملة ).

-إلى جانب ذلك فإن الإدارات تقوم بإعداد تقارير مالية دقيقة،

مما يسمح لإدارة الموارد المالية باتخاذ القرارات المناسبة من أجل الرقابة على الموارد المالية وفعالية عمل البنك المركزي، هذه التقارير تكون على

النحو التالي<sup>2</sup>:

- رفع تقارير شهرية إلى مجلس إدارة البنك المركزي .

- رفع تقرير مالية شهرية إلى الإدارة العليا.

- رفع تقارير مالية شهرية إلى الإدارة التشغيلية والفروع

<sup>1</sup> - Ibidem

<sup>2</sup> - Ibidem

ب - المحاسبة عن النقد الأجنبي في البنوك المركزية<sup>1</sup>

يسهر البنك المركزي في مجال النقد الأجنبي للحفاظ على حيازات البنك من الاحتياطيات الرسمية وإدارتها، كما يتدخل في سوق النقد الأجنبي للتأثير على توريد النقد أو سعر الصرف واستثمار أرصدة البنك من العملات الأجنبية (دون مساس بالسيولة أو الأمان)، كما يتولى معاملات السوق لصالح عملائه (مثل الحكوم).

تتطلب صياغة وتنفيذ السياسة النقدية وسياسة النقد الأجنبي معلومات حديثة حول حجم وتركيب أصول وخصوم البنك المركزي، وعليه لا بد من تحديد مجموعة من العناصر الضرورية والمتمثلة في:

- ما هو سعر الصرف المناسب للمعاملات والتوازنات؟

- ما هي الطريقة الصحيحة لتقييم توازنات النقد الأجنبي على

أساس الأسعار؟ - كيف ينبغي للبنك المركزي تسيير الفروق في النقد الأجنبي الناشئة عن تغير أسعار الصرف؟

ولتحديد هذه العناصر، على البنك المركزي توفير السياسات، والإجراءات، والضوابط المحاسبية، وكذا دقة و موثوقية حساباته وتوفير الأدوات المناسبة لإعداد تقارير الإدارة و السياسات المحاسبية .

ومن أجل التسيير الجيد والفعال للنقد الأجنبي، يقوم

البنك المركزي بالخطوات التالية:

\* التسجيل الأولي للمعاملة .

\* تسجيل أرصدة العملات الأجنبية في تواريخ لاحقة للميزانية

العمومية .

\* معالجة الفروق في أسعار الصرف، وإثبات الدخل، وتوزيع

المكاسب غير المحققة.

\* تسجيل التسوية. وينتهج البنك المركزي عددا من الصيغ لتسيير

احتياطيات الصرف:<sup>2</sup>

- صيغة متوسط تكلفة العملة الأجنبية: المعيار المحاسبي الدولي

(2) يسمح بصيغة المتوسط المرجح للتكلفة، أما طريقة " الوارد أولا يخرج

<sup>1</sup> - Friedrich Karrer ,The Role of Financial Reporting ,AMF, Abu Dhabi ,2008.

<sup>2</sup> - Ibid.



أولاً " فنفترض أن بنود المخزون التي تم شراؤها أولاً تباع أولاً، وحيث إن التدفقات النقدية الداخلة والخارجة لا تتبع هذا النمط، يكون من الأنسب استخدام طريقة المتوسط المرجح للتكلفة، وعليه، فإن عملية إعادة حساب متوسط التكلفة بعد كل تدفق نقدي داخل تعتبر طريقة غير عملية (وأحياناً مستحيلة)، ذلك أن إدارة الاحتياطي الأجنبي تُدخل الإستثمارات والمعاملات في أدوات مالية وأسواق مختلفة، كما يتعذر في بعض الحالات إعادة تصور توقيت دخول أو خروج التدفقات النقدية في يوم معين.

### - حساب صافي المتوسط المرجح للتكلفة:

تنتهج بعض البنوك المركزية سياسة الحفاظ على مستوى معين من حيازات النقد الأجنبي؛ أي ربما تتبع تدفقات نقدية داخلية (بسبب مدفوعات قسائم مثلا) في نفس اليوم، وفي هذه الحالة يظل وضع النقد الأجنبي دون تغيي.

إن حساب صافي المتوسط المرجح للتكلفة هو أنسب طريقة، حيث لا يستخدم إلا صافي تدفقات اليوم (أو الفترة) في عملة أجنبية عند إعادة حساب متوسط التكلفة يصبح السعر الفوري في نهاية العام هو متوسط تكلفة العملة الجديد للسنة التالية.

### خاتمة:

بعد دراسة مختلف الأبعاد لمفهوم استقلالية البنك المركزي اتضح أن وجود آراء تؤيد أن استقلالية البنك المركزي تزيد من مصداقيته وبالتالي فعالية سياسته النقدية، لا ينفي وجود آراء ترى أن ربط السلطة النقدية بقاعدة قانونية غير مرنة بإمكانها التأثير على مصداقية البنك المركزي.

وبذلك يتضح أنه لا توجد استقلالية مطلقة عن الحكومة، وإنما هناك حد معين تتجح فيه الحكومة في فرض كلمتها بطريق مباشر أو غير مباشر، ومهما كانت درجة الاستقلالية التي يمنحها القانون للبنك المركزي، كذلك فإن هناك العديد من العوامل الواقعية التي تحد من " مفعول" الاستقلالية القانونية بل وتكاد تلغيها في الواقع، وهذه العوامل غالبا ما تتجمع في الدول العربية.

وبذلك فإن الاهتمام بجانب استقلالية البنوك المركزية وقدرتها على حسن إدارة السياسة النقدية بفاعلية بما يتواءم وعلاقتها بالسياسة الحالية يؤدي حتما إلى تحقيق استقرار اقتصادي وهو ما ندعو إليه.

### - نتائج البحث:

توصلت الدراسة إلى نتائج يتمثل أهمها في:

- أن الدعوة لمنح قدر كافي من الاستقلالية للبنك المركزي اعتمدت على إطار نظري يقوم على العديد من الحجج المؤكدة على ضرورة تحقيق هذه الاستقلالية كعلاج للميل التضخمي للسياسة النقدية.

- يتم قياس درجة استقلالية البنك المركزي اعتمادا على مؤشرات عديدة، فمثلا الاستقلالية الوظيفية يتبين عن طريقها درجة التفاوت بين استقلالية بنك مركزي عن الآخر.

#### - التوصيات

من خلال التعرض لمختلف أجزاء البحث، تبين بوضوح أهمية وفائدة استقلالية البنوك المركزية في تأدية مهامها وتحقيق أهدافها التي تنعكس إيجابيا على السياسة الاقتصادية للبلاد. إلا أن عوائق عديدة تعرفها هذه السلطة النقدية في تأدية مهامها من خلال الحد من استقلاليته، و عليه لا بد من توفر بعض الشروط والتي يمكن أن تدرج ضمن بعض الاقتراحات ومنها:

- يجب تدعيم استقلالية البنك المركزي القانونية باستقلالية فعلية لأن ذلك يعمل على تحقيق الاستقرار النقدي وزيادة فعالية السياسة النقدية بغية اكتمال تحقيق أهداف السياسة الاقتصادية.

- من الضروري مساءلة البنك المركزي مساءلة قانونية عن تحقيق هدف الاستقرار النقدي، مع منحه قدرا من الشفافية.

- يجب توفير إطار قانوني محكم يحدد بدقة طبيعة العلاقات المؤسسة بين البنك المركزي والحكومة، والأهداف المحددة التي يتوجب تحقيقها بالإضافة إلى الحدود التي ينبغي مراعاتها عند تمويل نفقات الحكومة، وذلك لتحقيق الاستقلالية الفعلية للبنك المركزي في الدول العربية.

- إن أهمية الاستقلالية لأي بنك مركزي لا تنفي ضرورة الأخذ بعين الاعتبار متطلبات درجة التطور الاقتصادي والسياسي و الاجتماعي للمجتمع العربي، وأن تتلاءم و تتناسب سياساته مع الاتجاه التنموي المتبع، وألا يكون بمعزل عن هذا المسار، لأن طبيعة تطور مجتمعنا تختلف عن المجتمع المتقدم.

- ضرورة تكريس استقلالية البنوك المركزية في الدول العربية وذلك

في المجالات الآتية:

## - فيما يتعلق بالجانب الإداري:

- توفير قدر من الاستقرار الإداري للبنك المركزي حتى يتمكن من تنفيذ ما يختطه من سياسات في المدى المتوسط والطويل، سواء بالتأكيد على ضرورة تبعية مجالس إدارة البنوك المركزية لرئاسة الجمهورية، أو بتكريس الحماية القانونية للمحافظ وحمايته من كافة أشكال الضغوط وعدم إنهاء مهامه إلا للأسباب المتعلقة بعدم الأهلية.
- ضرورة استقلال البنوك المركزية في وضع شروط عملها وإطاراتها بالصورة التي تمكنها من جذب الكفاءات التي تساعد على أداء دورها بالصورة المطلوبة.
- عدم المساس باستقلالية البنوك المركزية بإصدار قوانين تحد من استقلاليتها.

## - فيما يتعلق بجانب الأداء:

- وضع معايير دقيقة للجهاز المصرفي والعاملين به.
- انتهاج سياسة واضحة لجذب الموارد داخل الجهاز المصرفي والعمل على دفع هوامش ربح مجزية لأصحاب ودائع الاستثمار.
- المشاركة الفعالة للبنوك المركزية في وضع سياسة النقد الأجنبي وميزانية النقد الأجنبي.
- بذل الجهد والسعي لتخفيض معدلات التضخم وذلك من خلال تخفيض حجم المديونية الحكومية و العمل على زيادة حصيلة البلاد من النقد الأجنبي بتشجيع الصادرات وحفز المغتربين على التحويلات وذلك لمعالجة تراجع سعر صرف العملة المحلية.

## قائمة المراجع:

## 1 - الكتب:

- نبيل حشاد، إستقلالية البنوك المركزية بين التأييد والمعارضة، إتحاد المصارف العربية، بيروت، 1994.
- Richard Perry & Patrick Föll, **Central Bank Budgeting and Management Reporting** , AMF, Abu Dhabi ,2008.
- Friedrich Karrer ,**The Role of Financial Reporting** ,AMF, Abu Dhabi ,2008.

## - دوريات:

- سليم أبو الشعر، "دراسة عن استقلالية البنك المركزي"، مجلة المصارف العربية، العدد 171، مارس 1995
- جيرالد كوريغان "محاضرات في ندوة سياسات البنوك المركزية"، بنك نيويورك الإحتياطي الفيدرالي 1994/10/16 بالسبورج
- مارتا كاستيللو "استقلال البنك المركزي"، مجلة التمويل والتنمية، مارس 1992.
- دولون وصامي، "دراسة عن العلاقة بين استقلالية البنك المركزي والنتائج المحلي الإجمالي" 1990.
- ميشال باركين، "دراسة عن العلاقة بين استقلالية البنك المركزي وعجز الموازنة العامة" 1987.
- دحمان بن عبد الفتاح، "استقلالية السلطة النقدية، دراسة حالة بنك الجزائر"، مصر المعاصرة القاهرة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، العدد 482، أبريل 2006.
- سهير محمود معتوق، "استقلالية البنك المركزي"، مصر المعاصرة، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، العدد 453، يناير 1999.
- صندوق النقد العربي، السياسات النقدية في الدول العربية، صندوق النقد العربي، أبو ضبي، معهد السياسات الاقتصادية 1996.
- أمية طوقان، "دور البنوك المركزية في إرساء السياسة النقدية"، مؤتمر "مستجدات العمل المصرفي في ضوء التجارب العربية والعالمية"، سورية في 2-3 تموز 2005
- venkitaramanan "Gover of the reserve bank of india"، **Central banking**, volume 111, number 1, 1summer 1992 .
- Alan blinder, "how to run a central bank", **The international economies**, number 5 , sept – oct 1995.
- Alex Cukeirman, Steren Webb, An bilin Neyapti," The independence of central Bank and its

---

effect on policy outcomes”, **The world Bank Economic Review** , September 1992.

## المديونية الخارجية الجزائرية والتخصص الدولي

أ. عبد العزيز بوكار

جامعة أدرار

## ملخص:

استطاعت الجزائر خفض مديونيتها الخارجية إلى مستويات لم تعد تهدد استقرار الاقتصاد الجزائري حاليا, مستفيدة من ظروف خارجية تمثلت في ارتفاع أسعار النفط و انخفاض أسعار الفائدة العالمية, وذلك بالتزامن مع تحسينات عرفتها السياسات الاقتصادية الكلية كانت نتاج الدخول في إصلاحات اقتصادية في فترات سابقة.

هذا الواقع يفرض تحديات على الجزائر, تتمثل في التأسيس على هذه التحسينات في مؤشرات الدين العام لإحداث تغييرات هيكلية في الاقتصاد, تدعم استدامة النمو واستدامة شروط هذا الاستقرار والتخفيف من تبعية الاقتصاد الجزائري لقطاع النفط. طالما أن هذا الأوضاع لن تستمر... فضلا عن أهمية المحافظة على هذه المستويات من الدين الخارجي مستقبلا. تحاول, هذه الورقة إبراز أهمية وجود إستراتيجية واضحة المعالم في إدارة الدين العام على المدى

الطويل تدعم البنيان الاقتصادي المستند الى تنوع مصادر الدخل انطلاقا من المكتسبات التي حققها الاقتصاد الجزائري وفي مقدمتها ارتفاع احتياطي الصرف إلى مستويات قياسية لم يسبق للجزائر أن حققتها من قبل.

**Résumé:**

L'Algérie a été en mesure de réduire sa dette extérieure à des niveaux qui ne menacent plus la stabilité de l'économie algérienne.

Actuellement, tiers bénéficiaire de circonstances en termes de prix élevé du pétrole et des faibles taux d'intérêt mondiaux, et que certaines améliorations en liaison avec connue politiques macro-économiques ont été le résultat entreprendre des réformes économiques en Périodes précédentes. certains défis sur l'économie Algérienne, on doit s'appuyer sur les améliorations précédentes dans les indicateurs de la dette publiques pour apporter des

changements structurels dans l'économie. Ces changements peuvent soutenir une croissance durable et la durabilité des conditions de la stabilité ainsi que de réduire la dépendance de l'économie algérienne du secteur pétrolier tant que cette situation ne va pas continuer ... en plus l'importance de maintenir ces niveaux de la dette extérieure dans le futur.

Cette intervention essaye de faire sortir l'importance d'une stratégie claire dans la gestion de la dette publique à long terme pour soutenir la structure économique basée sur la diversification des sources de revenu parvenu des gains que l'économie algérienne a réalisé tant que l'augmentation des réserves de change à des niveaux sans précédent pour l'Algérie.

#### مقدمة:

تعود ظاهرة الاقتراض الخارجي تاريخيا إلى فترات بعيدة نسبيا، إذ لم تكن المدىونية آنذاك تتعدى حدود المدين و الدائن، ومع تزايد الاعتماد المتبادل بين الدول أصبحت المدىونية الخارجية احد الروابط الأشد جلاء بين التخصص الدولي واستدامة النمو.

ينجم عن التخصص الدولي السليم تجارة دولية في صالح أطراف التبادل، والمستند بدوره إلى ميزة نسبية (مكتسبة، طبيعية). وقد دأبت الأطر النظرية لتفسير التبادل الدولي وتحديد فوائده على المستوى الدولي من رفع للمستويات المعيشية لكلا البلدين، البلد المستورد والبلد المصدر، في إطار هذا التخصص، حتى إذا كان البلد يفتقر إلى ميزة مطلقة في أي مجال من المجالات، فستكون لديه ميزة نسبية بالضرورة في إنتاج سلع ما وسيربح من التجارة مع باقي الدول...<sup>(1)</sup>

تعاني غالبية الدول النامية من تزايد مستمر في الفجوتين الداخلية والخارجية، مما اضطرها إلى الاستدانة من الخارج، سواء في الحالات التي يتعلق الأمر فيها بتمويل استثماراتها التنموية أو تحت ضغط فاتورة الواردات، وهو ما انعكس على حصيلة الدين الخارجي لديه إذا تقادم بصورة ملحوظة في عقد الثمانينات من القرن الماضي و مما زاد من هذا التقادم هيكل هذا الدين وشروطه<sup>(2)</sup>



وبالمقابل استطاعت الجزائر من تحقيق تخفيض معتبر في مديونيتها الخارجية وتخفيف عبء المديونية على الاقتصاد مستفيدة من زيادة حصيلتها من النقد الأجنبي نتيجة ارتفاع أسعار النفط خلال الفترة (2000-2008)

سنحاول من خلال هذه الورقة الإجابة عن سؤال محوري مفاده: هل استطاعت الجزائر الاستفادة من خفض مستوى عبء مديونيتها الخارجية؟

هذا السؤال يمكن تجزئته إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- ما طبيعة المديونية الخارجية الجزائرية؟

- هل يمكن إيجاد علاقة بين طبيعة المديونية الخارجية وهيكل

الاقتصاد الجزائري؟

- ما مزايا تخفيض المديونية الخارجية الجزائرية على المدى

الطويل؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، فقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور.

#### المحور الأول:

يهدف إلى تحديد مفهوم الدين العام وتبيان تصنيفاته وأسباب

نشوءه، وعلاقته بمفهوم التجارة الزمنية.

#### والمحور الثاني:

سنتعرض فيه إلى هيكل الاقتصاد الجزائري وهيمنة قطاع

المحروقات عليه وعلى مستوى إيرادات ميزانية الدولة، وتركيبه الناتج الداخلي

الخام، وهيكل صادرات الجزائر.

#### والمحور الثالث:

خصص لتوضيح طبيعة المديونية الخارجية الجزائرية ومدى

ارتباطها بتتبع مصادر الدخل الوطني وانعكاسات هذا الوضع على خيارات

التممية في الجزائر مستقبلا.

أولاً: مفهوم الدين العام وعلاقته بالتجارة الزمنية:

### 1 \_ مفهوم الدين العام:

يعرف الدين العام على أنه تلك المبالغ التي اقترضها اقتصاد ما، والتي تزيد مدة القرض فيها عن سنة واحدة، وتكون مستحقة الأداء للجهة المقرضة عن طريق الدفع بالعملات الأجنبية للحكومات الأجنبية أو عن طريق تصدير السلع والخدمات إليها، ويكون الدفع إما عن طريق الحكومات الوطنية أو الهيئات الرسمية المنفردة عنها، أو عن طريق الهيئات العامة الرسمية الضامنة للالتزامات هؤلاء الأفراد والمؤسسات الخاصة<sup>(3)</sup>. كما يمكن تعريف الدين الخارجي على أنه إجمالي الديون الخارجية في تاريخ معين (متغير مخزون) يكون مساوياً إلى مبلغ الالتزامات التعاقدية التي تؤدي إلى تسديد الدين مرفوقاً بالفوائد أو من دونها، أو دفع الفوائد مع أو بدون تسديد مبلغ الأصل.<sup>(4)</sup>

و يتنوع الدين العام إلى نوعين

#### أ - القروض الحكومية (الرسمية):

وهي تلك القروض التي تمنح من طرف حكومات أجنبية إلى حكومات أخرى، وتتضمن:

- القروض المتعددة الأطراف من المنظمات الدولية، والإقليمية وغيرها من الوكالات التي يشارك فيها عدد من الحكومات مثل صندوق النقد العربي.

- القروض الثنائية: يكون مصدرها الحكومات ووكالاتها بما في ذلك البنوك المركزية، ومن الأجهزة الحكومية المستقلة كصناديق التمويل الوطنية، والوكالات الرسمية لائتمان الصادرات.

#### ب - الديون من المصادر الخاصة: وتتضمن

- السندات التي تصدرها جهات خاصة وتباع إلى جهات أجنبية.

- القروض من المصارف والمؤسسات المالية الخاصة،
- الائتمان من المصادر الأخرى وغيرهم من الموردين والائتمان المصرفي المضمون من وكالات ضمان ائتمان الصادرات.

كما يمكن تقسيم الديون حسب الآجال إلى دين عام طويل الأجل الذي يزيد اجل استحقاقه عن عام واحد، والمستحق لغير المقيمين، وواجب السداد بعملة أجنبية، أو سلع وخدمات، والدين قصير الأجل والذي يمتد اجله غالبا إلى سنة واحدة أو اقل.

يرتبط الاقتراض الخارجي بالعجز في الموازنة العامة باعتباره احد أهم الإشكاليات المزمنة لاقتصاد العديد من الدول النامية، وعلاج العجز مرهون بخلق نوع من التفاعل بين السياسة المالية للدولة وباقي السياسات الاقتصادية ومنها السياسة التجارية، طالما أن تقليص العجز يعني على نحو تلقائي انخفاض تدفق رؤوس الأموال نحو الخارج.

يأتي الاقتراض من الخارج باعتباره احد الخيارات لتمويل عجز الميزانية في شكل موارد أجنبية سائلة يتم الحصول عليها من الخارج بهدف توسيع العرض المحلي وزيادة الواردات لتغطية الطلب المحلي، فالمقدار الذي يسهل فيه الاقتراض الخارجي، فاسترداد موارد إضافية من العالم الخارجي يخفض اثر العجز على الطلب الفاض على السلع والخدمات المحلية<sup>(5)</sup>

و تسعى برامج الإصلاح المدعومة من طرف صندوق النقد الدولي في شقها المالي إلى تعزيز مدخرات القطاع العام، من خلال توفيرها لموارد محلية وأخرى أجنبية. وتقضي السياسة الإصلاحية في هذا الخصوص بان يحقق الادخار العام تزايد، وزيادة في حصيلة الضرائب ورفع كفاءة تخصيصها وتحجيم الاستهلاك العمومي غير المبرر من ناحية، فضلا عن إجراء خفض للتمويل المحلي للعجز بشكل متسارع، وخفض الضغوط التضخمية الناتجة عن الاقتراض من البنك المركزي.

وفي ظل هذه الرؤية يصبح القطاع العام\* أمام مسؤولية توفير الموارد اللازمة لخدمة الدين، طالما انه المسؤول عن جزء كبير من هذه الديون. وضرورة الالتزام بحل المشكلة التصحيح الداخلي إلى جانب الاقتراض الخارجي، عن طريق اللجوء إلى الاقتراض من البنك المركزي أو اللجوء إلى سوق رأس المال المحلية، رغم ما ينطوي عليه ذلك من تزايد لمعدلات التضخم وارتفاع معدلات الفائدة الحقيقية، وهو ما يعني التضيق والضغط على نمو الاستثمارات الخاصة الداعمة للنمو حسب رؤية

الصندوق<sup>(6)</sup>. ويبقى لكل خيار تكاليف على المستوى الطلب الكلي والأسعار، وكذا أسعار الفائدة وسعر الصرف والميزان الخارجي.

## 2 - مفهوم التجارة الزمنية:

تشير الأدبيات الاقتصادية إلى عملية الإقراض والاقتراض باعتبارها أحد أقسام التجارة الدولية تحت مسمى التجارة الدولية الزمنية. فعلمية الاقتراض لا تعد كونها عملية استيراد منتجات حاليا على حساب تصدير منتجات في المستقبل، في حين أن الاقتراض تصدير منتجات حاليا مقابل استيراد منتجات في المستقبل. وفي الحالتين يتم اللجوء إلى بعض البنود في ميزان مدفوعات الدولة المعنية في إطار الحركة الدولية للقرض وهذه البنود تتمثل في:

### أ- ديون و حقوق تجارية:

تعبر عن الحقوق والديون التي تظهر نتيجة عمليات تجارية لم تكتمل بعد، ويضم هذا البند المبالغ المستحقة على الصادرات أو الواردات التي لم يتم نقل ملكيتها بعد، إضافة إلى الأوراق التجارية المسحوبة لصالح مقيمين على غير مقيمين أو العكس، و تنشأ عموما عن العمليات السالفة الذكر ديون وحقوق قصيرة الأجل مصدرها حكومات أو مؤسسات خاصة، أو مؤسسات غير حكومية.

### ب- القروض:

تتمثل السلفيات التي منحها مقيمون إلى غير مقيمين، أو التي حصل عليها مقيمون من غير مقيمين مصدرها هيئات خاصة إلى هيئات خاصة أو عامة. وعادة ما تكون هذه القروض طويلة الأجل يفوق تاريخ استحقاقها السنة، أو قصيرة الأجل تقل مدتها عن السنة.

### ج- العملة:

يسجل في هذا البند من ميزان المدفوعات كافة أوراق النقد والنقود الموجودة في التداول لتحقيق المدفوعات، حيث تعتبر العملة المحلية التي في حيازة غير المقيمين، والعملة الأجنبية التي في حيازة المقيمين أصولا.

## د- الودائع:

تتمثل في الأرصدة المملوكة للهيئات رسمية كانت أو خاصة تحت الطلب أو للأجل، ونسجل ودائع المقيمين في الخارج كخصوم، في حين تسجل ودائع غير المقيمين في الداخل أصولاً.

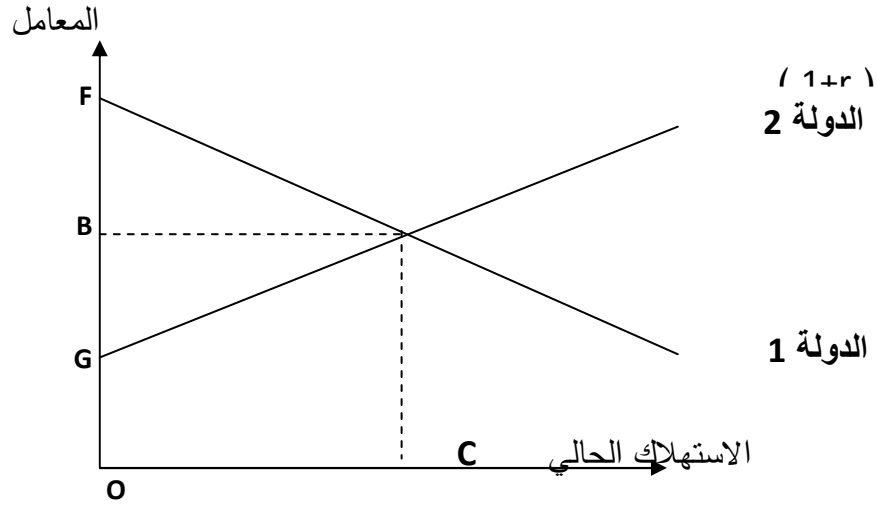
## هـ- خصوم وأرصدة أخرى:

يسجل في هذا البند باقي العمليات التي ترتبط بالخارج والتي لم تسجل في البنود السالفة الذكر، مثل حقوق المساهمة في المشروعات وحقوق الرهن، وملكية العقارات غير الجارية التي تعود ملكيتها للمقيمين في الخارج أو، غير المقيمين في الداخل... الخ.

ولتبسط مفهوم التجارة الدولية الزمنية وربطها بالحركة الدولية

للقروض يمكن الاستعانة بالشكل التالي:

## شكل رقم 01 : الاقتراض الدولي والتجارة الدولي



**المصدر:** قاشي فايزة، الاقتصاد الدولي، وهران، منشورات دار

الأديب، 2007، ص: 159

نفترض في البداية أن هناك دولتين:

الدولة (1) تستهلك أكثر مما تنتج

الدولة (2) تنتج أكثر ما تستهلك

كما نفترض في البداية غياب حركة رأس المال بين الدولتين، فسعر

الفائدة عن الدولة (1) يكون (OF) وفي الدولة (2) هو (OG) و أن منحى

الطلب الحالي للدولة (1) يرتفع كلما انخفض سعر الفائدة في حين أن منحى العرض الحالي للدولة (2) فيرتفع كلما ارتفع سعر الفائدة. وفي حالة افتراض إمكانية انتقال رأس المال بين الدولتين تضطر الدولة (1) إلى الاقتراض من الدولة (2) لتمويل استهلاكها الحالي الكبير نسبياً، طالما أن سعر الفائدة في الدولة (1) أعلى منه في الدولة (2) حيث سيشرع المستثمرون في الدولة (2) إلى تقديم قروض للدولة (1) وهم بذلك يقومون بتبديل استهلاكهم الحالي بالمستقبلي، وهو ما يؤدي إلى هجرة رأس المال من الدولة (2) إلى الدولة (1) وهو ما سيؤثر بدوره على سعر الفائدة الذي سينخفض في الدولة (1) في حين يرتفع سعر الفائدة في الدولة (2) شيئاً فشيئاً عن المستوى (OB) ويتساوى عندها الطلب الحالي والعرض الحالي في النقطة (E)

فان هذا يعني أن الدولة (1) أخذت قرضاً قدره (OC) وهي مطالبة بتسديد ما قيمته  $OC(1+r)$  في المستقبل، أي أن المساحة OBEC هي القيمة التي يتوجب على الدولة (1) دفعها نتيجة تفضيل زيادة الاستهلاك في الوقت الحالي عند سعر فائدة يساوي حالياً OB. فالأمر هنا يتعلق بتأخير الاستهلاك مقابل تقديم موارد في شكل قروض للحصول عليها بعد فترة من الزمن والحصول على عائد لقاء ذلك. وان كان هذا الطرح النظري ينطبق على الدولة المقرضة بصورة جلية فان الدخول في مشكلة الاقتراض أعقد من ذلك من الناحية الواقعية.

تختلف أسباب الاقتراض في الواقع باختلاف الدوافع، فمشكلة المديونية على مستوى الدول النامية ترتبط بطبيعة الاقتصاد وهيكله. فبعد أن كان الاقتراض وسيلة لتمويل حفظ التنمية أصبحت المديونية تمثل حاجز يقف أمام مسيرتها التنموية، في حين أن انخفاضها في فترات معينة لا يعني بالضرورة نجاح سياساتها الإصلاحية في تحقيق مراميها الهادفة إلى إصلاح هذا الخلل الهيكلي.

### ثانياً - هيكل الاقتصاد الجزائري وتبعيته لقطاع النفط:

تعتبر الجزائر من الدول المصدرة للنفط التي استطاعت زيادة حصيلة صادراتها النفطية، مما انعكس على رصيد احتياطي الصرف لديها،

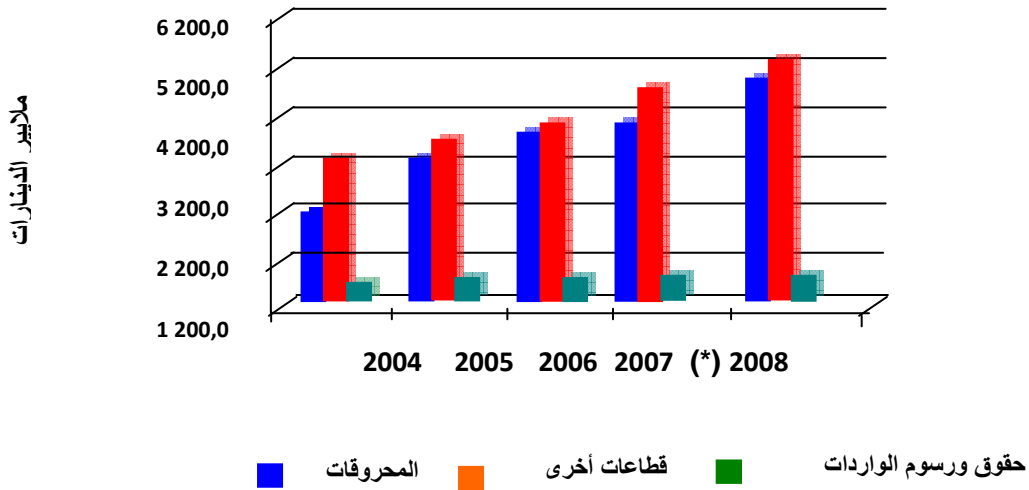
وزيادة الإنفاق العام بشكل ملفت. هذا الوضع أتاح للجزائر إمكانية التسديد المسبق بديونها الخارجية وتخفيف العبء على ميزان المدفوعات. وبالمقابل عرفت واردات الجزائر من العالم الخارجي ارتفاعا قابله ارتفاع في حصيله صادراتها مستفيدة من الطفرة النفطية والرخاء المالي العائد بالأساس إلى ارتفاع أسعار برميل النفط خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين.

### 1 - حالة الاقتصاد الجزائري و الأهمية النسبية لقطاع النفط:

تهيمن صادرات النفط على صادرات الجزائر بنسبة تفوق 94% من اجمالي الصادرات، بعد أن كانت هذه النسبة لا تتجاوز 59% خلال الفترة<sup>(7)</sup> (1959 - 1962) ، هذه الهيمنة امتدت لتشمل الهيكل الإنتاجي بالضرورة (الناتج الداخلي الخام) ، وهيكل إيرادات الدولة. ونظرا للدور الذي تلعبه الجباية البترولية في توازن ميزانية الدولة.

شكل رقم 02: توزيع الناتج الداخلي الخام للجزائر خلال الفترة (

2004 - 2008 ) حسب القطاعات



المصدر: بنك الجزائر، النشرة الإحصائية الثلاثية - ديسمبر

أ. عبد العزيز بوكار

2009, ص: 26

المدىونية الخارجية الجزائرية والتخصص الدولي

ومن الشكل نلاحظ الأهمية النسبية للمحروقات في تركيبة الناتج الداخلي الخام في الجزائر من سنة إلى سنة أخرى خلال الفترة (2004 -

(2008) هذا الواقع اثر على طبيعة الصادرات الجزائرية وزيادة حساسية الاقتصاد للصدمات الخارجية، وعدم ترسيخ اندماج الاقتصاد الجزائري في الاقتصاد العالمي، وتنويع قاعدة الصادرات كمدخل لهذا الاندماج. رغم الاتجاه التصاعدي لاندماج قطاع التجارة الخارجية العربية عموما مع الأسواق العالمية من سنة 2002 مدعوم بالأداء الاقتصادي الجيد لمعظم الدول العربية، نتيجة للارتفاع أسعار النفط والسلع الأساسية غير النفطية، وتزايد تدفق الاستثمارات الأجنبية والتحويلات لهذه الدول. والجدول التالي يوضح لنا حجم صادرات الغاز الطبيعي لبعض الدول الإفريقية خلال الفترة (2007 - 2008)

**جدول رقم 01: صادرات الجزائر، نيجيريا، ليبيا، ومصر من الغاز الطبيعي خلال سنتي 2007 ، 2008**  
( الوحدة : مليار متر مكعب )

البلد	2007	2008	نسبة التغير 2007/2008 (%)
الجزائر	8,70	59,37	1,1
نيجيريا	1,16	20,54	( 2.9 )
ليبيا	,96	10,40	4,4
مصر	5,96	16,92	6,0
إفريقيا	107,20	115,61	7,8

**ملاحظة:** الأرقام مابين قوسين تعني سالبا

**المصدر:** منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوبك)، تقرير

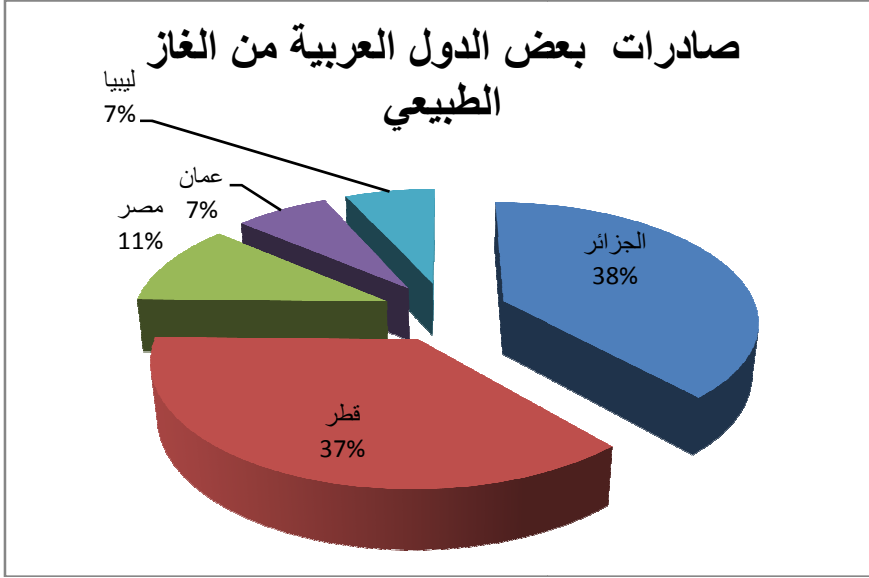
الأمين العام السنوي السادس والثلاثون، 2009 ، ص:217

وحسب معطيات الجدول الجزائر تحتل صدارة الدول الإفريقية في صادرات الغاز الطبيعي، حيث تستحوذ على ما يزيد عن 50% من صادرات إفريقيا من الغاز الطبيعي، وجاءت الجزائر في المرتبة الأولى عربيا سنة 2008 من حيث تصدير الغاز الطبيعي بنسبة 36,7 %، ثم قطر بنسبة 35,1 % ومصر في المرتبة الثالثة بنسبة 10,5 % ، ثم ليبيا بنسبة 6,7 % ثم عمان 6,4 % وهو ما يظهره الشكل التالي.

**شكل رقم 03 : صادرات بعض الدول العربية من الغاز الطبيعي**

**سنة 2008 (مليار متر مكعب)**





**المصدر:** منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، تقرير الأمين

العام السنوي 36، نفس المرجع السابق، ص 192

ورغم الاستقرار النسبي في أسعار الغاز الطبيعي فان أسعار النفط على خلاف ذلك، فقد ارتفعت أسعاره ارتفاعا محسوسا بداية من سنة 2000 ليستمر هذا الارتفاع خلال عشرية كاملة، رغم أثار الأزمة المالية التي ضربت الاقتصاد العالمي في سنة 2008 الا انه يسجل ارتفاعا في اسعار البترول من جديد. ولعل من العلامات البارزة في سوق النفط سنة 2009 هو بدء المنحى التصاعدي للأسعار بداية السنة تحديدا (مارس 2009) بشكل معاكس لأساسيات السوق، إذ لم يعد من غير المألوف تصاعد أسعار النفط بالتزامن مع ارتفاع في المخزون، حيث تزامن انخفاض الطلب مع تراكم في المخزون ليصل إلى مستويات تفوق معدلاتها خلال الخمسة سنوات الأخيرة (8) وهو ما يعني ضرورة اخذ هذا الأمر بعين الاعتبار في استراتيجيات الدول المصدرة للنفط بعيدة الأمد.

يرجع هذا الارتفاع المتجدد، الذي اخذ طابع الاتجاه التصاعدي

لتصل أسعار البترول إلى حالة من الاستقرار حتى نهاية سنة 2009 تقريبا

إلى:

- التصميم الدولي على مجابهة الأزمة، و الذي تجسد في الإجراءات التحفيزية المطبقة في بعض الدول، مما انعكس إيجابا على الطلب على النفط. فضلا عن روح التفاؤل التي سادت حول الخروج من الأزمة التي كانت سببا في ركود اقتصاد لم يعرفه العالم منذ ثلاثينيات القرن الماضي.
- الدور البارز لجهود منظمة أوبك الهادف إلى إعادة التوازن لسوق النفط والعمل على استقرارها بخفض الإنتاج بداية من شهر يناير 2009 واستمرارها في تطبيق التخفيض طيلة السنة، مما ساهم في خفض الفائض من معروض النفط في الأسواق.
- حالة عدم اليقين التي تولدت لدى الدول المنتجة والدول المستهلكة للبترول حول ضرورة استقرار الأسعار عند مستويات أعلى مما كانت عليه بداية السنة والتزامها بضمان تدفق الاستثمارات الضرورية لصناعة النفط، وعدم تأثيرها سلبا على النمو الاقتصادي العالمي في حالة الارتفاع الحاد.
- كما لا يمكن إهمال الدور الذي لعبه ضعف الدولار مقابل العملات الرئيسية الأخرى، وانعكاس ذلك على الأسعار، باعتبار ان الدولار عملة فوترة (علاقة عكسية قوية بين أسعار النفط وسعر الدولار بالأخص في السنوات الأخيرة مع اختلاف في درجة التغير).
- كما لا يمكن إهمال دور المضاربات في سوق النفط، و التي وصلت إلى مستويات يصعب تفسيرها ضمن إطار أساسيات السوق. وبالعودة إلى هذه الأسباب يمكن ملاحظة أن هذه العوامل لا تعود بالضرورة إلى الاقتصاد المحلي فضلا عن الأساسيات النظرية المنظمة للسوق النفط.
- وهذا الارتفاع انعكس جليا على العوائد النفطية للدول المصدرة عموما، والدول العربية المصدرة للنفط خصوصا. والجدول التالي يوضح ارتفاع الصادرات النفطية في الجزائر خلال الفترة. ( 1990 - 2008 )
- جدول رقم 02: الصادرات النفطية الجزائرية خلال الفترة (1999 - 2009) (الوحدة : مليون دولار)**

السنة	الصادرات
1999	7556

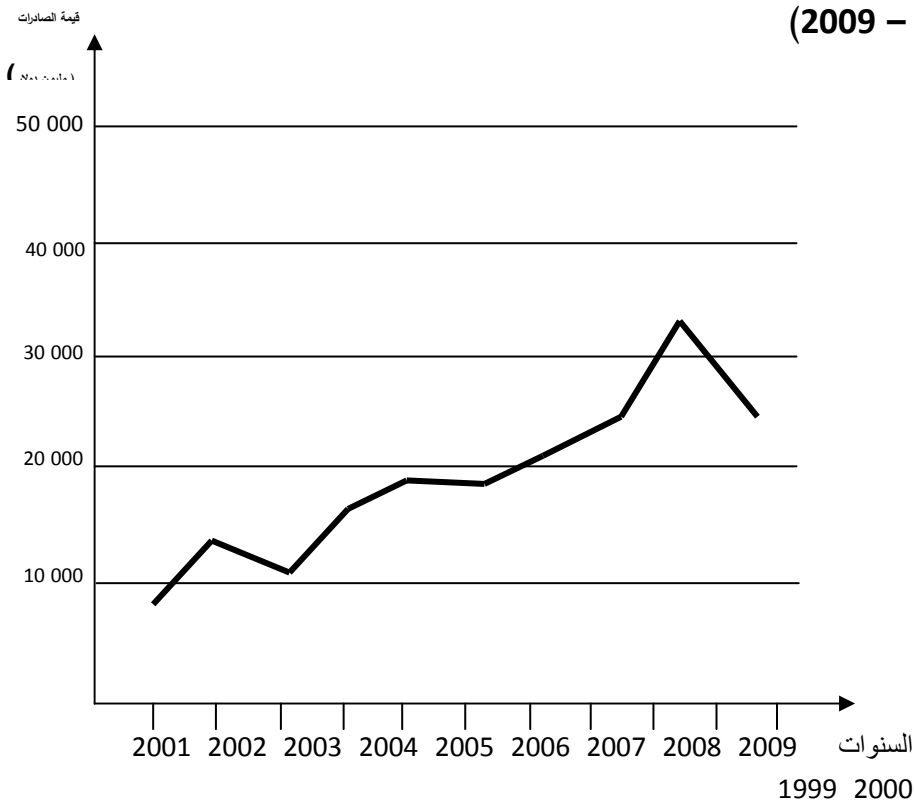
12920	2000
11736	2001
12370	2002
12300	2003
13862	2004
21029	2005
25492	2006
27757	2007
38543	2008
21497	* 2009

\* البيانات تقديرية.

**المصدر:** منظمة الأقطار العربية المصدر للبتروول (أوبك)، تقرير الأمين العام السنوي، السابع والعشرون، الثامن والعشرون، الثالث والثلاثون، السادس والثلاثون.

من نلاحظ الجدول الارتفاع المستمر في صادرات الجزائر النفطية لتبلغ أقصى قدر سنة 2008 لتعود الانخفاض سنة 2009 بسبب الظروف المشار إليها سابقا.

**شكل رقم 04 : قيمة الصادرات الجزائرية خلال الفترة (1999 - 2009)**



المصدر: من أعداد الباحث اعتماد أعلى معطيات الجدول رقم: 02

لقد أدت العودة إلى الاستقرار الاقتصادي الكلي في الجزائر سنة 2000 بعد الصدمة الخارجية 1998 - 1999 جراء الانخفاض الحاد في سعر البترول، إلى إرساء دعائم تعزيز الاستقرار المالي خلال سنة 2001 مدفوعا (9) بعدة عوامل نذكر منها:

- الانتعاش المتزايد لميزان المدفوعات، وملاءمة مؤشرات المديونية الخارجية مع استمرار ثبات سعر الصرف الفعلي الحقيقي.
- تعزيز الوضعية المالية العمومية مع تراكم الادخار المالي من طرف الخزينة، والذي سمح في منتصف 2000 بانطلاق برنامج الإنعاش الاقتصادي على المدى المتوسط (2001 - 2004) من خلال تحفيز النمو.
- التحسن الملحوظ في سيولة البنوك المدعومة بتحسين معتبر في السيولة العمومية.
- تحسين شروط تمويل الاقتصاد، لا سيما الاستثمارات المنتجة في وضع يتسم بتضخم متحكم فيه.

رغم التقلبات المرتبطة بوضعية الاقتصاد العالمي، فلقد واصل ميزان المدفوعات في الجزائر تسجيل فائض عام 2002 بالنسبة للعمليات الخارجية (4,3 مليار دولار) مع تراجع مقارنه مع سنة 2000، 2001 مما ساهم في تعزيز إعادة تكوين الاحتياطات الرسمية للصرف، حيث بلغت 23,1 مليار دولار في نهاية سنة 2002. (10)

تدعم هذا الوضع الخارجي بالتوقعات المتعلقة بالإمدادات من خارج أوبك التي عرفت انخفاضا رغم الارتفاع الذي عرفته أسعار النفط بين سنتي 2001 و2008، حيث كانت استجابة الإمدادات من خارج أوبك ضعيفة، إذا ما استثنينا دول الاتحاد السوفيتي السابق. هذا الانخفاض في الإمدادات من خارج أوبك في السنوات الماضية يعكس في الحقيقة التغيرات الهيكلية الرئيسية، والتي من أهمها انخفاض معدلات الإنتاجية للحقول الحالية بشكل كبير والتغيرات في مصادر نمو المعروض من خارج أوبك، (11) خصوصا في منطقة بحر الشمال والمكسيك.

وسيهيمن النفط (الوقود الاحفوري) على ميزان الطاقة العالمية حتى سنة 2030 وذلك بحصة 32 % من إجمالي استهلاك الطاقة العالمي، في

حين يستحوذ الفحم على نسبة 20% و 22% للغاز الطبيعي. كما أن الطلب العالمي يرتفع ليصل إلى حوالي 117,0 مليون برميل يوميا، تستحوذ الأوبك على مقدار 45,6% من إجمالي الإمدادات سنة 2030 مقارنة ب 38,5% سنة 2006، أي زيادة حصة المنظمة في السنوات العشرين القادمة.

وتستحوذ الدول العربية الأعضاء في أوبك على نحو 74,3% من إجمالي الإمدادات المتوقعة سنة 2030 أي ما يعادل 36,2% من إجمالي الإمدادات،<sup>(12)</sup> بالنظر إلى الإمكانيات الطبيعية للدول العربية، وهو ما يقتضي ضرورة الاستفادة القصوى من هذه المواد وحسن إدارتها واستغلال الميزة التنافسية التي تتمتع بها الدول العربية من تكلفة أقل للاستخراج، وتوفر اليد العاملة المؤهلة وامتلاك بني تحتية وخطوط و أنابيب تربطها بباقي القارات، إضافة إلى القيمة المضافة التي يمكن الحصول عليها من خلال تحويل النفط إلى مشتقات قابلة للتصدير بدل تصديره في شكله الخام.

ورغم أن الأمر ينطوي على مخاطر، لعل أبرزها تعميق تبعية اقتصاديات هذه الدول إلى مورد وحيد لا يمكن الركون إليه في ظل اقتصاد عالمي متقلب، الأمر الذي سيبقي اقتصادياتها تعاني من تشوه عجزت الأطروحات الفكرية في إطار سياسات الإصلاح الاقتصادي الرامية إلى تحسين كفاءة تخصيص الموارد الإنتاجية وإزالة التشوهات الاقتصادية الناتجة عن إستراتيجية إحلال الواردات، وخيارات التوجه إلى الداخل وما نتج عنها من استبعاد للمنافسة الأجنبية وزيادة انغلاق أسواقها المحلية في إيجاد حل واقعي لهذه الاختلالات.

وتستحوذ خمسة دول عربية منها الجزائر على 70% من حجم الاستثمارات الرأسمالية المحتملة في قطاع الطاقة هذه الدول، إضافة إلى الجزائر نجد السعودية، قطر، الإمارات العربية المتحدة و الكويت. والجدول التالي يوضح لنا الاستثمارات التي وجهت إلى قطاع الطاقة في الدول العربية الرئيسية المصدرة للنفط.

## جدول رقم 03: استثمارات الطاقة في الدول العربية

(الوحدة: مليار دولار)

الدول	حجم الاستثمارات المحتملة منقحة	المتطلبات الاستثمارية الفعلية	نسبة المشاريع الملغاة 1%
السعودية	139	110	21
قطر	62	36	42
الإمارات العربية	51	43	16
الجزائر	38	31	18
الكويت	37	13	65
إجمالي الدول العربية الخمس	372	271	27
إجمالي الدول العربية	470	335	29

المصدر: على عيساوي، أفاق الاستثمارات في قطاع الطاقة العربي في منظور متحول، مجلة النفط والتعاون العربي المجلد السادس والثلاثون، العدد 134، صيف 2010، ص:19

وتحتل الجزائر المرتبة الرابعة من حيث عدد المشاريع في قطاع الطاقة، وتمثل المشاريع المؤجلة في الجزائر 18% من حجم الاستثمارات الرأسمالية المحتملة الذي بلغ 38 مليار دولار وهو مبلغ ضخم نسبيا. ولقد تأثرت عائدات الجزائر من المحروقات جراء انخفاض الطلب على النفط تحت تأثير الأزمة الاقتصادية 2008، مما أدى إلى انخفاض في موارد الميزانية العامة للدولة، ورصيد الميزان الجاري، مما يعكس تبعية الاقتصاد الجزائري و مدى حساسيته لتقلبات أسعار النفط في الأسواق العالمية وزيادة انكشافه، إضافة إلى مخاطر انخفاض احتياطي الصرف في هذه الحالة، وهو ما يتطلب ضرورة الاستمرار في الإصلاحات الاقتصادية الداعمة لسياسة مالية كفوءة تحافظ على مستوى معين للإنفاق العام يسمح بمسايرة الدورة الاقتصادية صعودا وهبوطا هدفه الحفاظ على الوضع المالي

القابل للاستدامة دون اللجوء إلى إجراء تعديلات كبيرة في عناصر الإنفاق، كلما انخفضت الإيرادات النفطية إضافة إلى ضرورة إجراء إصلاحات شاملة تصب في دعم القطاع الخاص وتنويع قاعدة الصادرات مدعومة بسياسة تجارية واضحة الملامح، ولاستفادة من رصيد الدين القائم كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي.

ويرتبط النفط في المنطقة العربية بجميع نواحي الحياة. فلاكتشاف النفط الأثر الواضح على تنفيذ سياسات هذه الدول و خيارتها التنموية ، وصلة هذه الدول ببعضها البعض وعلاقتها بالعالم الخارجي. هذه الصلة بدأت باكتشاف النفط في العراق سنة 1927 ثم الكويت، السعودية، فالجزائر وليبيا و الإمارات العربية المتحدة وغيرها من الدول العربية الأخرى، ليرتفع عدد الدول المصدرة لهذه الموارد من خمسة إلى اثني عشر دولة خلال الفترة الممتدة بين (1950 – 1970) <sup>(13)</sup>

إن علاقة النفط و التنمية في الوطن العربي علاقة معقدة ومتعددة الجوانب، فبعد أن كان إنتاجه -حتى مطلع الخمسينات من القرن الماضي- بمعزل عن اقتصادياتها الوطنية في ظل امتيازات كانت تتمتع به الشركات البترولية يخولها مهمة التنقيب وتصدير النفط في شكله الخام إلى الدول الصناعية ، فضلا عن غياب سوق واضح، استطاعت هذه الدول بمرور الوقت التحكم في صناعة النفط وإدارة مواردها النفطية وإخضاعها لمتطلبات المصلحة الوطنية وربطها بعملية تنمية اقتصادياتها الوطنية. بيذا أن هذه السيطرة على الموارد والثروات النفطية بقدر ما تفتح آفاق اقتصادية ... جديدة أمام الدول المصدرة للنفط كذلك، تضع أمامها مسؤوليات وتحديات جديدة تتجاوز عملية الإنتاج ، والقطاع النفطي بأكمله لتمتد لتشمل قطاع المعاملات الخارجية بوجه خاص نظرا للدور المركزي الذي تلعبه عائدات النفط في تكوين الناتج المحلي وفي تغذية الإيرادات العامة، وفي توليد الجانب الأعظم من حصيلة

الصادرات <sup>(14)</sup>، فضلا عن دورها في توطيد العلاقات الاقتصادية

بين هذه الدول في إطار عملية تكاملية للاستفادة من هذه الفوائض المالية.

## 2- أهمية الجباية البترولية:

على صعيد الإيرادات الضريبية، تمثل الجباية البترولية نسبة معتبرة من ميزانية الدول العربية المصدرة للنفط تفوق 70% من إجمالي الإيرادات العامة حالياً، رغم تأثير الأزمة المالية على الإيرادات النفطية ، حيث تراجعت هذه النسبة في الدول العربية المصدرة للنفط إلى 70,3% و في دول مجلس التعاون الخليجي إلى 78,4% ، وتراجعت النسبة إلى 57,5% في الدول العربية المصدرة الأخرى في سنة 2009 ، أما على مستوى باقي الدول فتراجعت هذه النسبة بشكل متفاوت، 90% في الكويت و80% في العراق والسعودية والبحرين وليبيا وبنسبة 70% في عمان والإمارات العربية المتحدة (15) وهو ما توضحه بيانات الجدول رقم 05



جدول رقم 04: الإيرادات العامة العربية من قطاع النفط  
خلال الفترة (2007 - 2009)

نسبة التغير السنوي (%)			القيمة (مليار دولار)			المجموعة
009	008	007	009	008	007	
46.5	0.4	.1	61.8	89.0	04.9	دول مجلس التعاون
40.5	1.9	3.4	20.5	02.6	33.4	الدول النفطية الأخرى
<b>44.7</b>	<b>7.8</b>	<b>0.4</b>	<b>82.3</b>	<b>91.6</b>	<b>38.3</b>	الإجمالي للدول العربية المصدرة .
54.9	8.7	0.8	51.2	48.8	08.8	منها : الدول الرئيسية المصدرة للنفط

المصدر: نبيل دحدح, تداعيات الأزمة المالية على أوضاع المالية

العامة في الدول العربية المصدرة

للنفط و الغاز الطبيعي, دراسة (منشورة), صندوق النقد العربي,

2010, ص: 13

ولقد أثر الانخفاض الحاد في أسعار النفط الخام في الربع الأخير من سنة 2008 جراء الأزمة وتداعياتها على الجباية البترولية، حيث انخفض سعر سلة أوبك بنسبة 53,7% مما انعكس على حصيلة الإيرادات الضريبية بعد أن وصلت حصيلة الدول العربية من الإيرادات النفطية سنة 2008 مستوى قياسي بلغ 691,6 مليار دولار أي زيادة بنسبة 57,8% ليستقر سعر البرميل في حدود 60,9% دولار للبرميل في سنة 2009 مقارنة بمتوسط 94,4 دولار للبرميل سنة 2008<sup>(16)</sup> بعد تخفيض الحصص اعتبارا من بداية 2009 للجم التراجع في الأسعار، حيث نجم عن هذين العاملين مجتمعين هبوط الإيرادات النفطية للدول العربية المصدرة للنفط والغاز بنسبة 44,7% سنة 2009 ، لتبلغ بلغت 382,3 مليار دولار (الجدول رقم: 05)

ثالثا- طبيعة المديونية الخارجية وأهمية إدارة الدين العام:

تبرز أهمية إدارة الدين العام في الجزائر من منظور اقتصادي واسع ليشم السياسة العامة، إلى الأخطار التي يمكن أن تتجر عن عدم وجود إدارة فعالة لتجنب هيكل واستراتيجيات الدين الخطرة كإعسار الأعمال (القطاع

الخاص) والبنوك. وتناقص مصداقية الحكومة وقدراتها على تعبئة المدخرات المحلية والأجنبية على المدى الطويل.

هذه المخاطر قد تتعلق بالسوق، وما يصاحبها من تقلبات في أسعار الفائدة وأسعار الصرف وأسعار السلع (البترول)، أو مخاطر تجديد الدين، أو مخاطر السيولة إذا تعلق الأمر بإدارة أصول سائلة أو استخدام عقود المشتقات ومخاطر الائتمان أو مخاطر التسوية أو مخاطر التشغيلية.

### 1 - مفهوم إدارة الدين العام:

إدارة الدين العام السيادي هي عملية وضع إستراتيجية لإدارة دين الحكومة من أجل توفير مبلغ التمويل المطلوب، و تحقيق أهداف الحكومة المتعلقة بالمخاطر والتكلفة، بالإضافة إلى أية أهداف عامة أخرى تكون الحكومة قد تحددها لإدارة الدين السيادي، مثل إقامة سوق كفاء للأوراق المالية والمحافظة عليها<sup>(17)</sup>

### 2 - طبيعة المديونية الخارجية الجزائرية:

وتتبع أهمية إدارة الدين العام أساسا في الجزائر على المدى الطويل من طبيعة الهيكلة للاقتصاد ذو الطابع الريعي ... بلغت حصة المحروقات من إجمالي ناتجة الداخلي 44,3% سنة 2005 و 45,5% سنة 2008<sup>(18)</sup>، وحساسيته إلى سعر برميل النفط ، رغم إمكانية استبعاد مخاطر توفير مبالغ التمويل والإخطار المتعلقة بالتكلفة على المدى القصير والمتوسط حاليا.

فالرهان يتعلق في الاستفادة من التحسينات التي أقدمت عليها الجزائر فيما يخص ديونها الخارجية لتأسيس للاقتصاد له مصادر دخل متنوعة، والاستفادة من الموارد المتاحة لاستدامة النمو ، فحسن تسيير الدين العام يصب في تفعيل دور السياسة الاقتصادية ( السياسة النقدية والسياسة المالية وسياسة سعر الصرف ) لتحقيق هذا الهدف.

ولذا، يجب أن لا ينظر إلى تخفيض المديونية على أنه غاية في حد ذاته بقدر ما يجب أن ينظر إليه على أنه وسيلة لعدم الاستقرار المالي في الجزائر، لتحقيق تحسينات على مستوى أداء الاقتصاد.

ولقد استطاعت الجزائر تخفيض معتبر في دينها الخارجي، وهو ما تعكسه معطيات لتصل إلى حدود 5 ملايين دولار، ومن الجدول نلاحظ هيمنة الديون طويلة الأجل على تركيبة الدين الخارجي الموجه أساسا لتمويل

التممية، مقارنة بالديون قصيرة الأجل التي عرفت ارتفاع في فترات سابقة لأسباب تعلق بتتمويل التجارة الخارجية (الواردات الأساسية)

جدول رقم 05: وضعية المديونية الخارجية للجزائر خلال الفترة

(2009 - 2000) (الوحدة 10<sup>6</sup> دولار)

المسنوات	000	001	002	003	004	005	006	007	008	009
ليدين طويل الأجل	5,088	2,311	2,540	3,203	1,41	6,484	,062	,889	282	,921
ليدين قصير الأجل	,173	,260	,102	,150	,410	,707	,541	,717	,303	,492
جمالي الديون	5,261	2,571	2,646	3,353	1,821	7,191	,603	,606	,585	,413

المصدر:

- بنك الجزائر، النشرة الإحصائية الثلاثية، رقم 05، ديسمبر 2008

، ص: 16

- بنك الجزائر، النشرة الإحصائية الثلاثية، رقم 09، ديسمبر

2009، ص: 16

- بنك الجزائر، النشرة الإحصائية الثلاثية، رقم 11، ديسمبر

2010، ص: 16

- Rapport annuel de Banque d algerie 2002

بنك الجزائر، تاريخ الاطلاع: 10 مارس 2011، متاح على:

[www.bank-of-algeria.dz](http://www.bank-of-algeria.dz)

وبفضل هذا الارتفاع استطاعت الجزائر الرفع من احتياطياتها من

العملات الصعبة، مما أتاح لها إمكانية الإيفاء بالتزامات مديونيتها الخارجية،

وتخفيف عبء المديونية على الاقتصاد بشكل عام. بسبب الارتفاع

المحسوس في حجم الاحتياطيات الدولية مقارنة بالمديونية الخارجية، بداية

من سنة 2002، بحيث أصبحت الاحتياطيات الدولية تفوق حجم المديونية،

وتعتبر سنة 2010 السنة التي عرفت زيادة محسوسة في احتياطي الصرف وهو ما أدى إلى تحسن نسبة الاحتياطيات إلى خدمة الدين، والتي عرفت ارتفاع وصل إلى بالمئة 264 سنة 2000 لترتفع إلى 408% سنة 2001 وإلى 564 بالمئة سنة 2002 كما هو موضح في الجدول رقم:

**جدول رقم 06: نسبة الاحتياطيات الدولية إلى الديون الخارجية**

**وخدمة الدين في الجزائر خلال الفترة ( 1996 - 2002 )**

السنوات البيان	996	997	998	999	000	001	002
الاحتياطيات الدولية (ملايير الدولارات)	,2	,05	,05	,40	1,90	7,96	3,11
الاحتياطيات / المديونية (%)	2,5	5,8	2,4	5,5	4,2	9,8	02,3
الاحتياطيات/ خدمات المديونية (%)	00	83	37	6	64	08	64

المصدر: زايري بلقاسم, كفاية الاحتياطيات الدولية في الاقتصاد الجزائري, مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا, العدد: السابع, لسداسي الثاني, 2009, ص: 53

والحديث عن الاحتياطيات الدولية يجرنا إلى الحديث عن دور الأرصدة من العملات الأجنبية وكيفية الاستفادة منها محليا وإقليميا في إطار تصور إقليمي يدعم العلاقات التكاملية بين الدول العربية التي استطاعت مراكمة احتياطيات صرف معتبرة.

فضلا عن أهمية تحديد مستوى امثل للاحتياطيات الدولية لأي دولة، ففي غالب الأحيان يتعلق الأمر بمؤشرات تخص الدولة، ورغم ذلك يمكن تقسيم الحجم الملائم للاحتياطيات الدولية الى نوعين:

#### أ- النوع الأول:

يمثل الحد الأدنى، والضروري في نفس الوقت من الاحتياطيات الدولية لمواجهة الاحتياجات الضرورية والمتوقعة، وعادة ما تكون متصلة بالائتمان التجاري المتعلق بالواردات من السلع والخدمات.

#### ب- النوع الثاني:

الأصول التي يتم اللجوء إليها عند الضرورة لمواجهة الصدمات غير المتوقعة في ميزان المدفوعات لانخفاض مفاجئ في سعر البترول مثلا. وعادة ما يكون هذا النوع من الاحتياطات أقل سيولة من سابقه وهو موضوع اهتمامنا.

احتلت الجزائر المرتبة السابعة سنة 2008 من بين الدول التي تمتلك احتياطات معتبرة من النقد الأجنبي بـ 90 مليار دولار.<sup>(19)</sup>

وتستمد إدارة الموارد النفطية أهميتها إقليميا- في الوقت الحاضر- من الدور الذي يمكن أن تلعبه الصناديق السيادية في المنطقة في استدامة النمو من عدة منطلقات نذكر منها:

- تشجيع المبادلات البنينية بين الدول المغاربية وزيادة الروابط بين هذه الدول.

- إمكانية الاستفادة من الفوائض المالية في إطار سياساتها المالية وفقا لضوابط واضحة.

- الاستفادة من التطورات التي عرفتتها اقتصاديات المنطقة، ومنها تطور أسواق رؤوس المال.

وعموما فقد اتبعت الدول العربية في توظيف فوائضها المالية مسارين اثنين، المسار الأول تمثل في استخدام جزء من العوائد النفطية لتطوير البيئة التحتية اللازمة بحسب كل دولة ( خيار التنمية الوطنية)، والمسار الثاني تمثل في ادخار جزء من الإيرادات النفطية الآتية وتنميتها بالاستثمار الداخلي أو الخارجي لتوليد دخل بديل عن النفط في إطار سياستها الرامية إلى توزيع مصادر الدخل والتخفيف من تبعية اقتصادها للنفط.

المسار الأخير ينطوي على تحويل أصل حقيقي وحيد (نفط) إلى أصل مالي، أو تحويل ثروة في باطن الأرض إلى ثروة من خلال إحداث صناديق سيادية تدعم التجارة الزمنية إقليميا على المدى الطويل، وإن كان نجاح هذا المسار مرهون بمدى:<sup>(20)</sup>

- ربط الإيرادات النفطية وغير النفطية بالإنفاق في إطار سياسة مالية قابلة للاستمرار تركز على تحديد العجز غير النفطي الرئيسي،

الذي يأخذ بعين الاعتبار أن الإيرادات ستستبعد الدخل النفطي على أساس  
انه أشبه بالتمويل،

- أن يكون تراكم الأصول بهدف تحمل العجز غير النفطي في  
ميزانية الدولة بعد انخفاض إيرادات النفط.

ولعل اندماج الصناديق السيادية في إطار العملية التكاملية ستحدده  
مقولة مفادها: " أن البلدان التي يكون فيها العجز الزمني لاحتياطي الأصل  
الناضب قصير، ويكون الحافز لديها اكبر للادخار من تلك البلدان التي  
يكون العمر الزمني لاحتياطها أطول " بم يساهم في تفعيل التجارة الزمنية  
إقليميا على المدى الطويل في المنطقة.

**رابعاً - خلاصة واستنتاجات:**

لقد أظهرت الأزمة المالية التي ضربت الاقتصاد العالمي سنة 2008، أن الاقتصاد الجزائري ليس بمناء عن الصدمات الخارجية، رغم تحسن أداء الاقتصاد الجزائري. وهو ما تأكده النتائج المحققة على مستوى التوازنات الاقتصادية الكلية، مما مكن الجزائر من تجاوز تداعيات الأزمة على المدى القصير بفضل الفوائض المالية التي تراكمت قبل الأزمة، كما أظهرت تداعيات الأزمة قضايا جوهرية تتصل بارتباط الاقتصاد بقطاع النفط، وانعكاسات هذا الارتباط على استقرار الاقتصاد الجزائري على المدى الطويل. مما يوضح درجة الانفصام بين السوق العيني والسوق النقدي مصدره إنفاق عمومي كبير كأولوية، على حساب أولوية دعم العرض، مما تسبب في تسرب كبير للدخل لتلبية الواردات. مما يقضي بضرورة:

- تفعيل دور السياسة المالية، بحيث يمكنها أن تساهم في الحفاظ على وضع مالي جيد، يتيح المرونة الكافية لتنفيذ سياسة مالية تنسجم و التغييرات الاقتصادية العالمية و الوطنية.
- توحيد أهداف إدارة الدين العام في الجزائر، وأهداف السياسة المالية والسياسة النقدية، بالنظر إلى الاعتماد المتبادل وإمكانيات التعزيز المشترك بينهما.
- يجب أن تراعى في إدارة الاحتياطات الدولية شروط تدعم مؤشرات الاقتصاد الكلي إقليمياً قبل اعتبارات الربح وتعظيم قيمة هذه الاحتياطات.

**الهوامش:**

- (1) براد ماكدونالد، ما الغرض من التجارة بين البلدان، مجلة التمويل والتنمية، ديسمبر 2009، المجلد 46، العدد 4 ص: 48
- (2) سعد الدين فتح الله، التنمية المستقلة: المتطلبات والاستراتيجيات والنتائج، أطروحة دكتورا (منشورة) مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1999، ص: 220
- (3) رمزي زكي، الديون والتنمية، مصر، دار المستقبل العربي، 1985، ص: 56

DEMBINSKI , M , pawel , l'endettement (4)

international ,OCDE , Paris , 1988 P:20

(5) إكرام عبد العزيز, الإصلاح المالي: بين نهج صندوق الدولي

والخيار البديل، بغداد، بيت الحكمة، 2002 ،

ص : 25

(6) إكرام عبد العزيز, الإصلاح المال, نفس المرجع السابق، ص:

25

\* لقد أصبح الضغط على نفقات الاستثمار العمومي مجالا جديدا

لتوفير نفقات الميزانية العامة، ذلك أن نفقات القطاع العمومي تمتص جزء

هاما من الموارد وخاصة القروض الخارجية في البلدان النامية, عن طريق

تقليص الاستثمار في البنية التحتية الإنتاجية أو الحد من النفقات المتعلقة

بالنفقات الاستثمارية والصيانة على سبيل المثال.

(7) انظر: عبد الله بلوناس، الاقتصاد الجزائري الانتقال من

الخطة إلى السوق ومدة انجاز أهداف السياسة الاقتصادية أطروحة دكتوراه

(غير منشورة), جامعة الجزائر، 2005، ص: 15

\*\* يقاس مؤشر التجارة الخارجية بنسبة التجارة (الصادرات +

الواردات للسلع والخدمات) إلى الناتج الداخلي الخام ورغم أن هذا المؤشر لا

يعطي أهمية لطبيعة الصادرات و الواردات فهو يعكس حجم اندماج دولة أو

مجموعة من الدول في الاقتصاد العالمي . فعلى مستوى الدول العربية عرفت

هذه النسبة نوع من الثبات عند متوسط بلغ نحو 49% خلال الفترة (1995

– 2001)

(8) منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ، تقرير الأمين

العام 36 ، مرجع سبق ذكره، ص: 41

(9) محمد لكصاسي، الوضعية النقدية وسير السياسة النقدية في

الجزائر ، ورقة قدمت إلى: الاجتماع السنوي السابع والعشرون لمجلس

محافظي المصارف المركزية، الدوحة، سبتمبر 2003، صندوق النقد العربي،

ابوظبي 2004، ص: 1

(10) محمد لكصاسي, نفس المرجع السابق، ص: 1



- (11) كريستوف اسوب، بسام فتوح، تطورات أسواق النفط والغاز الطبيعي العالمية وانعكاساتها على البلدان العربية مجلة النفط والتعاون العربي، المجلد السادس والثلاثون، العدد 135، خريف 2010، ص ص: 20، 21 ،
- (12) جميل ظاهر، أفاق التعاون العربي الصيني في مجال النفط والغاز الطبيعي حتى عام فرص وتحديات ،منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ،الصين ،2008، ص: 2
- (13) محمود عبد الفضيل، النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1979، ص: 63
- (14) محمود عبد الفضيل، نفس المرجع السابق، ص: 67
- (15) نبيل جورج دحدح، تداعيات الأزمة العالمية على أوضاع المالية العامة في الدول العربية المصدرة للنفط والغاز الطبيعي، صندوق النقد العربي، الإمارات العربية المتحدة ، 2010 ، ص: 13
- (16) انظر بنك الجزائر، النشرة الإحصائية الثلاثية، رقم 09، ديسمبر 2009، ص: 26
- (17) صندوق النقد الدولي، المبادئ التوجيهية للإدارة، الدين العام ، ورقة تم إعدادها في: 21 مارس 2001، ص: 2
- (18) انظر: الزايري بلقاسم، كفاية الاحتياطات الدولية في الاقتصاد الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص: 58
- (19) ماجد عبد الله المنيف، صناديق الثروة السيادية ودورها في إدارة الفوائض النفطية، مجلة النفط والتعاون العربي المجلد الخامس والثلاثون، العدد 129 ربيع 2009 ، ص ص: 210 - 211
- (20) ستيفن بارينت، رولاندو او سرو سكي، ما الذي يرتفع مجلة التمويل والتنمية، مارس 2003، ص: 37

## التعليم والزيادة السكانية: مقارنة اقتصادية

فيصل بوطيبة

عبد الغني بوطيبة

جامعة أدرار

## الملخص:

يولي الاقتصاديون حديثا اهتماما خاصا بالقضايا الديمغرافية التي أضحت تشكل جانبا مهما من التحديات الاقتصادية المطروحة قطريا ودوليا. فقد بات الانفجار الديمغرافي -على سبيل المثال- في عديد من البلدان النامية والفقيرة مصدر قلق حقيقي لصانعي القرار نظرا لما يترتب عليه من تداعيات اقتصادية واجتماعية خطيرة. وفي هذا السياق، يركز الباحثون في إطار التحليل الاقتصادي للخصوبة بشكل خاص على دور التعليم باعتباره عاملا محوريا في تحديد هذه الظاهرة.

## Abstract:

Economists give recently special importance to the demographic issues which become among the great economic challenges nationally and internationally. Obviously, the demographic explosion -for instance- constitutes today a dilemma for policy-makers in many developing and poor nations regarding to its economic and social repercussions. In this frame, researchers focus in their economic analysis of fertility on education as it a key factor in explaining this phenomenon.

## الكلمات المفتاحية:

الخصوبة، التعليم، التحليل الاقتصادي، البلدان النامية.

## مقدمة:

لم تعد انشغالات الاقتصاديين مقتصرة على القضايا الاقتصادية المحضة، بل تعدت ذلك لتطال القضايا الاجتماعية وغيرها. ومن ضمن القضايا الديمغرافية التي أضحت تفرض نفسها على الصعيد المحلي والدولي قضية الخصوبة (fertility) وذلك بالنظر لارتباطاتها الوثيقة بالجوانب الاقتصادية سواء في البلدان المتقدمة أو النامية. من هذا المنطلق أصبح

التحليل الاقتصادي للخصوبة يشكل ضرورة بالغة قصد فهم وحل المشاكل السكانية المختلفة.

والجدير بالذكر أن انشغال الاقتصاديين بهذا الموضوع يعود إلى البدايات الأولى لعلم الاقتصاد وتحديدًا إلى إسهامات مالتوس الذي اقترن اسمه دوماً بالمسألة السكانية. ولكن خلال العقود الخمس الماضية توسع البحث كثيرًا في هذا الجانب الاجتماعي المهم خاصة بعد ظهور دراسات الأمريكي جاري بيكر -الحائز على جائزة نوبل عام 1992- في نهاية الستينيات.

وفي إطار هذه الدراسات، وفي صدد البحث عن المحددات الرئيسية للخصوبة، خص الباحثون دور التعليم عناية كبيرة حيث تبين من خلال عديد من الدراسات الأميركية أنه يمثل واحداً من العوامل المهمة في تفسير سلوك الخصوبة.

تهدف الورقة البحثية إلى تسليط الضوء بشكل خاص على علاقة التعليم بالخصوبة في إطار التحليل الاقتصادي لظاهرة الخصوبة وذلك من خلال ثلاث محاور حيث يتطرق المحور الأول إلى التحليل الاقتصادي للخصوبة. أما المحور الثاني فيناقش دور التعليم في تفسير الخصوبة بينما يعالج المحور الثالث قنوات تأثير التعليم على الخصوبة.

#### أولاً: التحليل الاقتصادي للخصوبة

إن البحث في المحددات الاقتصادية لظاهرة الخصوبة له جذور تمتد إلى زمن الكتاب الكلاسيك وعلى رأسهم مالتوس الذي عُرف عنه اهتمامه الخاص بالمشكلة السكانية. ومنذ ذلك الحين، توسعت أدبيات الباحثين وزادت تنوعاً وعمقاً خاصة خلال العقود الخمس الماضية.

فقبل قرنين من الزمن، حاول مالتوس (1798) تفسير ظاهرة الخصوبة، وقد خلص في ذلك إلى وضع نظرية عامة حولها. إذ كان يعتبر الخصوبة بمثابة نتاج للعري والأسس الاجتماعية قبل أن تكون خياراً فردياً؛ فالخصوبة في نظره تحكمها جملة من الشروط الاقتصادية التي يضعها المجتمع على كاهل الراغبين في الاقتران، حيث لا يُسمح للعاجز عن توفير ما يلزم من إمكانات مادية - بما فيه الدخل - للإقدام على الزواج لأن ذلك لا يؤهله لإعالة الأولاد. ومعنى ذلك أن الخصوبة ما هي إلا دالة للمعطيات

الاقتصادية التي يحياها المجتمع، وكل خرق لهذا المفهوم العرفي انما هو خرق للنظام الطبيعي.<sup>1</sup>

وقد ظهرت في القرن الماضي دراسات نحت منحى مالتوس مثل دراسة السويدي هكشر سنة 1963 التي أكد من خلالها على صحة نظرية مالتوس، حيث انتهى الى أن ثمة ارتباط ايجابي مابين الزواج (والخصوبة) والأعوام التي شهدت وفرا في المحاصيل، وذلك بناء على السلاسل الزمنية المتاحة بعد سنة 1720 عن معطيات تخص السويد. وبالمقابل فان انخفاض عدد الزيجات- وتبعا للخصوبة- حصل في سنوات عجاف.<sup>2</sup>

لكن بشكل عام، لاقت النظرية انتقادات واسعة من قبل الاقتصاديين. ودليل عدم رجحان ما ذهب اليه مالتوس هو انخفاض الخصوبة بشكل تدريجي في نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا عقب الثورة الصناعية حيث تحسنت الظروف المعيشية وارتفعت دخول الأفراد.

ومما أخذ على مالتوس إهماله "لجودة" السكان population (quality)، أي رأس المال البشري.<sup>3</sup> فقد كانت نظريته ترى في الوظيفة البيولوجية الخالصة للوفيات آلية فعالة في الموازنة ما بين عدد السكان والحاجات المتاحة. بيد أن وقائع النمو الاقتصادي والتحول الديمغرافي أدت الى إعادة صياغة نظرية السكان فيما يتعلق بقرارات الأفراد إزاء كم وجودة الأولاد.

كما قام نوتستين (1945) بوصف الأبعاد الأولية للتحول الديمغرافي وناقش الضغوطات الاقتصادية التي توقع تخفيضها للخصوبة في البلدان متدنية الدخل، وهي أساسا: ارتفاع تكلفة الأولاد في الحضر والترقية الفردية لصحة وتعليم الأطفال. فالنماذج الاقتصادية لخيار الخصوبة في حياة الأزواج تركز على جوانب عدة من عملية الخيار هذه، غير أن العلاقة بين كم الاولاد وجودتهم (quantity versus quality) كالتعليم والصحة أضحت الجانب الرئيس في الدراسات الحديثة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Theodore Schultz, (2007) fertility in developing countries, Economic growth centre, Yale University, p2. [ageconsearch.umn.edu/bitstream/10119/1/dp070953.pdf]

<sup>2</sup> Ibid , p3.

<sup>3</sup> Mincer Jacob, (1981) Human capital and economic growth, National bureau of economic research, working paper N. 803, p20.

<sup>4</sup> Schultz theodore, (2001) The fertility transition: Economic explanations, Economic growth center, Yale university, p6.

وفي هذا الصدد، تعتبر أعمال الأمريكي جاري بيكر من أولى وأبرز الأعمال التي تميزت بالتوسع في استخدام الأساليب الاقتصادية في دراسة الخصوبة، وتحديدًا مسألة الخيار فيها. ويعد بحثه الموسوم بـ "التحليل الاقتصادي للخصوبة" حجر الزاوية للأدبيات الحديثة، وقد خلص الباحث في هذه الدراسة إلى مايلي:<sup>1</sup>

« يُنظر للأطفال كونهم سلعا معمرة (durables goods) تدر دخلا، يكون في بادئ الأمر معنويا (psychic income)، وتتحدد الخصوبة على أساس: الدخل، تكلفة الطفل الواحد، المعرفة، عدم اليقين وكذا الأذواق. فالزيادة في الدخل وانخفاض الثمن (تكلفة الطفل) يؤديان إلى زيادة الطلب على الاطفال، مع الاخذ في الحسبان الفرق بين كم وجودة الأطفال المطلوبين... إن جودة الأطفال ترتبط مباشرة بحجم الانفاق عليهم. كل أسرة معنية "بإنتاج" أطفالها مادام أن الأطفال لا يمكن المتاجرة بهم في الاسواق. لذلك فان عدم اليقين في "إنتاجهم" كنوع الجنس مثلا يخلق عدم يقين مقابل في الاستهلاك. لذلك أيضا فان عدد الأولاد لأسرة ما لا يرتبط فقط بالطلب عليهم ولكن على القدرة على إنجابهم: بعض الأسر لا تستطيع انجاب ما ترغب فيه من أولاد والبعض الآخر ينجب أكثر مما يرغب فيه، وبالتالي من الضروري التمييز بين الخصوبة الحقيقية والخصوبة المرغوبة».

وقد حاول بيكر في هذه الدراسة إبراز العلاقة المباشرة لعدد الأولاد المرغوب فيه ومستوى الدخل الفردي. وخلص إلى وجود علاقة سلبية في ظل عدم ثبات المعرفة بوسائل منع الحمل (Contraceptive knowledge)، ولكن باعتبار ثباتها فان العلاقة تصبح ايجابية.

**الجدول 1: عدد الاولاد لكل 100 زوج في انديانابوليس حسب دخل الزوج**

المخططين لتباعد الولادات وعدد الأولاد (2)	كل الأزواج (1)	مستوى الدخل (دولار)
149	159	أكبر من 3000

<sup>1</sup> Becker gary,(1960) An economic analysis of fertility, National bureau of economic research, working paper N.2387, p231.

182	149	2999-2000
91	163	1999-1600
97	189	1599-1200
68	227	أقل من 1200

Source: Gary Becker, op.cit, p 219.

يوضح العمود الأول العلاقة السلبية بين الخصوبة الفعلية والدخل، أما العمود الثاني فيشير إلى وجود علاقة ايجابية بين الخصوبة المرغوبة والدخل وبمرونة دخل تساوي  $+0.42\%$ .

إن ما انتهى اليه بيكر يلتقي مع ما ذهب اليه مالتوس من ايجابية الارتباط بين الظروف الاقتصادية (الدخل) والخصوبة. إلا أن الاقتصادي جيمس دوزامبوري -من جامعة هارفرد- عقب على هذه النتيجة ووضع من الأدلة مايدحضها وينفيها رأساً، مؤكداً أن الارتباط يظل سلبياً بالمطلق بين التعليم والخصوبة.

ولعل أهم انتقاد يمكن توجيهه لهذه الدراسة هو مضمون المنهج المعتمد في تحليل الخصوبة من منظور اقتصادي، إذ لا يمكن إخضاع هكذا ظاهرة لمعايير اقتصادية بحتة مثل اعتبار الأطفال سلعا معمرة وامكانية الاحلال بين كمها وجودتها. ذلك أن للخصوبة أبعادا شتى ومحددات مختلفة تتباين آثارها من بيئة لأخرى، وهي أساسا جملة الجوانب الاجتماعية، الثقافية، الجغرافية وغيرها.

كذلك من ضمن الدراسات الجادة في هذا المجال دراسة يعقوب مينسر(1981) حيث أشار الى أن تحديد حجم الأسرة من منظور اقتصادي يتم من خلال ثلاث قنوات رئيسية:<sup>1</sup>

### 1. التحضر

بسبب نمو انتاجية القطاع الفلاحي، يتقلص الطلب على عمالة الفلاحين الأمر الذي يدفع بهؤلاء للهجرة اتجاه المدن قصد البحث عن عمل، ومع انخفاض انتاجية الأولاد وارتفاع تكاليفهم في الحياة الحضرية ستكون النتيجة نزوح الأفراد إلى تحديد حجم الأسرة.

### 2. ارتفاع تكلفة الوقت

<sup>1</sup> Mincer Jacob, op.cit, p22.

إن ارتفاع الأجور في سوق العمل يجذب الأفراد من الأنشطة غير السوقية (المنزل) إلى سوق العمل. ومع الأخذ في الحسبان كون رعاية الأولاد تعتبر نشاطا يتطلب وقتا كثيفا فإن ارتفاع الأجور سيؤدي الى ارتفاع الفرصة الضائعة وبالتالي ستكون حوافز المرأة لتقليل حجم الأسرة ودخول سوق العمل أكبر خاصة المرأة الأكثر تعليما.

### 3. التوسع في التعليم

إن ارتفاع الأجور والطلب في القطاع الصناعي على المتعلمين أدى إلى تنامي الطلب الخاص والاجتماعي على التعليم، وهو ما أدى بالأولياء لإحلال جودة الأولاد محل كميتهم.

#### ثانيا: التعليم كمحدد أساسي للخصوبة

اتضح ذلك جليا في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة سنة 1994 حيث جاء فيه: "إن رفع المستوى التعليمي للمرأة والبنات يسهم في تمكين المرأة، إرجاء سن الزواج وتقليل حجم الأسرة."<sup>1</sup> ففي البلدان النامية، نجد أن معظم المجتمعات تشهد ارتباطا سلبيا بين المستوى الدراسي العام ومعدلات الخصوبة. هذا ما توضحه دراسة شملت 69 بلدا من أفريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية من خلال معطيات الجدول التالي:

#### الجدول 2: معدلات الخصوبة حسب المستوى الدراسي في البلدان النامية

المنطقة	عدد البلدان	دون مستوى	ابتدائي	ثانوي أو عالي
افريقيا جنوب الصحراء	30	6.4	5.5	3.7
شمال افريقيا	3	4.7	3.6	2.8
غرب آسيا	10	6.4	4.6	3.5
باقي آسيا	13	4.1	3.5	2.7
امريكا اللاتينية	12	5.8	4.5	2.6

Source : population, éducation et développement, Rapport concis, Nations Unis, p31.

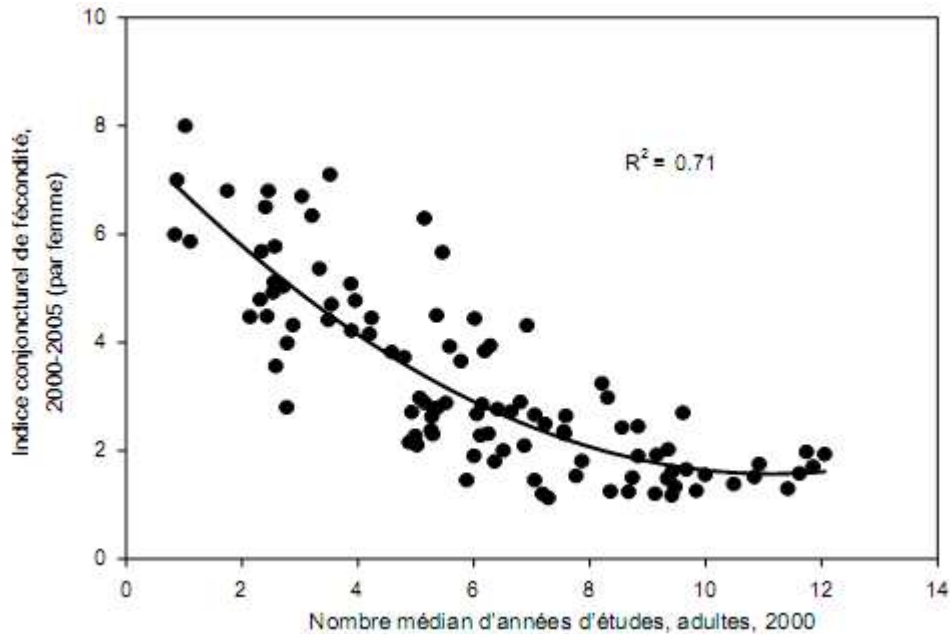
<sup>1</sup> Caroline H.Bledsoe et al, "Critical perspectives on schooling and fertility in the developing world", p2. [www.nap.edu/catalog/6272.html]

يتبين من خلال الجدول أن العلاقة المذكورة آنفا تتسحب على جميع مناطق العالم بشكل اجمالي مع وجود تباين في معدلات الخصوبة وفقا للمستوى الدراسي داخل المنطقة الواحدة؛ فمثلا في شمال افريقيا، الفرق بين الخصوبة لذووي المستوى الثانوي أو العالي ولمن هم دون تعليم هي 1.9، بينما القيمة المقابلة في افريقيا جنوب الصحراء هي 2.7 وهذا داخل قارة واحدة، الأمر الذي يوحي بوجود تباين في انماط تأثير التعليم على تدني الخصوبة.



الشكل 1: علاقة سنوات الدراسة بمعدلات الخصوبة

Source : population, éducation et développement, op.cit, p2.



وفي جانب آخر، توجد أنماط مختلفة تماما من علاقة

التعليم بالخصوبة في بعض البلدان النامية، وهي رغم محدوديتها مقارنة بالحالة الأولى إلا أنها تأكيد صريح على عدم حتمية التأثير المباشر للتعليم على تخفيض الخصوبة.<sup>1</sup> فمثلا توجد حالات ترفع فيها كل من معدلات المستوى التعليمي ومعدلات الخصوبة، ومثال ذلك الأردن الذي تبلغ فيه معدلات معرفة القراءة والكتابة للناث (female literacy) 86% ومعدلات الخصوبة 5.6 طفل.

ومقابل هذه الحالة، يمكن أن تتدنى كل من معدلات المستوى التعليمي ومعدلات الخصوبة كما في البنغلاديش حيث تنخفض معدلات معرفة القراءة والكتابة الى 26% ومعدلات الخصوبة 3.3 طفل. وخلافا لما تقدم وفي الأغلب تنخفض معدلات القراءة والكتابة وترتفع معدلات الخصوبة كما في حالة باكستان؛ 24% بالنسبة للمعدل الأول مقابل 5.6 للمعدل الثاني.

<sup>1</sup> Caroline H. Bledsoe et al, op.cit, p3.

أما في البلدان المتقدمة، فعلى الرغم من وجود نفس الظاهرة بشكل عام إلا أنه يسجل تباين ما بين هذه البلدان والبلدان النامية وذلك على مستويين: أولاً، إن الفارق في الخصوبة بين النساء الأقل تعليماً والأكثر تعليماً ضعيف بالبلدان المتقدمة مقارنة بالبلدان النامية. وثانياً، لا توجد صورة نمطية عن تغيرات معدلات الخصوبة وفقاً للمستوى التعليمي.<sup>1</sup>

وفي هذا الصدد، خلصت دراسة حديثة عن محددات الخصوبة في بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD) سنة 2005 إلى نتيجتين هامتين:<sup>2</sup>

1- للمرأة الأكثر تعليماً عدد أقل من الأطفال مقارنة بمن لها تعليم أقل في كافة البلدان. والتباين الحاصل في معدلات الخصوبة حسب المستوى التعليمي زاد اتساعاً مع الزمن.

2- لا يوجد نمط ثابت ومطرد في جميع البلدان عند اعتبار التغيرات في الانجاب حسب المستوى التعليمي للناث:

أ. للمرأة الأكثر تعليماً عدد أقل من الأطفال في الوقت الحاضر مقارنة بالماضي في كل من كندا، إيطاليا، لوكسمبورغ والنرويج وكذا ألمانيا، فنلندا والسويد ولكن في النصف الثاني من التسعينيات، ويستثنى من ذلك هولندا إلى غاية 1995 والولايات المتحدة وبولندا حيث تستقر خصوبة المرأة الأكثر تعليماً.

ب. بينما توجد للمرأة ذات المستوى التعليمي المتوسط خصوبة مماثلة في الحاضر كما في الماضي في معظم البلدان قيد الدراسة. غير أن المعدل زاد في فنلندا، لوكسمبورغ والولايات المتحدة وانخفض في إيطاليا وهولندا.

ت. أما المرأة الأقل تعليماً فلها عدد أكبر من الأطفال في الحاضر مقارنة بالماضي في كل من بولندا وهولندا، وحينئذ الولايات المتحدة والسويد.

إجمالاً، ومن خلال ما تقدم بخصوص طبيعة العلاقة التي تربط المستوى التعليمي بالخصوبة سواء في البلدان النامية أو المتقدمة، يمكن القول

<sup>1</sup> Population, éducation et développement, Rapport concis, Nations Unis, p32.

<sup>2</sup> Anna Cristina d'addio and Marco Mira d'Ercole, (2005) "Trends and determinants of fertility rates in OECD countries: The role of policies, OECD, PP :28-29.

بأن التعليم لا يؤدي لزاماً إلى تقليص معدلات الخصوبة، وحتى في حالة انخفاضها لا يمكن الجزم بأن التعليم وحده يشكل العامل الوحيد المفسر لذلك، إنما ثمة عديد من العوامل الكامنة التي يتباين أثرها من جهة لأخرى ومن زمن لآخر.

لكن وباعتبار وجود تأثير للمستوى التعليمي على معدلات الخصوبة يدفع بها نحو الانخفاض، يبقى السؤال المطروح: كيف يمكن حصول ذلك؟ وماهي القنوات التي من خلالها يحصل هكذا تأثير؟ هذه الإشكالية كانت ولا تزال محل جدل ونقاش في أوساط الباحثين حيث تتباين الرؤى والدلائل، خاصة وأن البلدان تتفاوت من حيث الخصائص السوسيواقتصادية وانظمة التعليم وفعاليتها الداخلية والخارجية.

### ثالثاً: قنوات تأثير التعليم على الخصوبة

فيما يلي استعراض لأهم ما تحمله الأدبيات بهذا الخصوص، وهي نتائج عن جهات مختلفة من أنحاء العالم تبرز مدى التفاوت في أهمية العوامل التي من خلالها يؤثر التعليم على انخفاض الخصوبة:

## 1. إرجاء فترة الإنجاب

يرتبط التعليم بشكل مباشر ببداية الدخول في الحياة الانجابية، سواء تعلق الأمر بتأخر سن الزواج، بداية العلاقات الجنسية أو أول حمل؛ فكلما طالت مرحلة الدراسة بالنسبة للاناث كان ذلك داعيا لارجاء فكرة الإنجاب بشكل عام سواء تعلق الامر بالافتران الشرعي أو غيره. والسبب في ذلك هو مزاحمة الوقت المفترض تخصيصه لرعاية الأولاد وقت الدراسة، الأمر الذي يجعل تكلفه الفرصة البديلة هذه أكبر وبالتالي العزوف عن الإنجاب المبكر.

إن نتائج الدراسات والمسوحات الديمغرافية المتعلقة بهذا الخصوص تؤكد في مجملها حقيقة هذا السلوك، وقد توصلت دراسة في هذا الشأن شملت 53 بلدا ناميا إلى أن التبكير بالزواج وبدء الحياة الجنسية وكذا أول حمل هي مظاهر شائعة لدى فئة الاناث غير المتعلمات أكثر من غيرهن، وهو ما يبيئه الجدول التالي:

الجدول 3: علاقة التعليم ببداية الانجاب (%)

إنجاب طفل قبل سن العشرين			علاقات جنسية قبل سن العشرين			متزوج قبل سن العشرين			الجنس	الجهة
ثانوي+	ابتدائي	بدون	ثانوي+	ابتدائي	بدون	ثانوي+	ابتدائي	بدون		
27	53	61	64	79	83	30	60	75	اناث	إفريقيا
22	47	50	43	65	62	37	62	69		آسيا
23	53	58	44	71	76	31	63	69		امريكا اللاتينية
-	-	-	73	72	64	9	15	21	ذكور	إفريقيا
-	-	-	85	79	75	15	26	27		امريكا اللاتينية

Source : Population, éducation et développement, op.cit, p27.

تشير معطيات الجدول الى أن للتعليم دورا مهما في تأخير سن الزواج والانجاب، بيد أن دوره في تفادي إقامة علاقات جنسية أقل أهمية

على الرغم من تدني النسبة لمن لهن مستوى التعليم الثانوي أو العالي مقارنة بغيرهن. ففي أفريقيا مثلا يصل الفارق بين الاناث للفئة المذكورة ومن لهن أي مستوى تعليمي الى 45 درجة فيما يخص الزواج قبل سن العشرين ويصل إلى 34 درجة فيما يخص الانجاب قبل هذا السن. في حين لا يزيد الفرق فيما يتعلق باقامة علاقات غير المشروعة على 19 درجة.

أما بالنسبة للذكور، تتماثل طبيعة العلاقة بين المستوى التعليمي والزواج قبل العشرين مع حالة الاناث من حيث التناسب بين أكبر مستوى تعليمي وأدناه مع تدني القيم بالنسبة للذكور وذلك خلافا لحالة إقامة علاقات جنسية قبل سن العشرين؛ فكلما زاد المستوى التعليمي للذكور زادت تلك العلاقات. فالتعليم ها هنا يرتبط بقوة وبايجاب مع هذا السلوك.

إجمالاً يمكن استخلاص من هذه الدراسة عن دور التعليم ببداية

مرحلة الإنجاب التالي:

**أولاً:** يسهم التعليم في تخفيض الخصوبة من خلال تأخير سن الزواج والانجاب بالنظر الى تفضيل خيار تخصيص الوقت للدراسة على حساب الزواج والانجاب. وفي هذه الحالة لاعلاقة لنوعية التعليم ومضمون برامجه بهذا الأثر، إنما يتعلق الأمر أكثر بالخصائص الثقافية للمجتمع من حيث النظرة لتدريس الاناث. فبينما لم تعد مشكلة الجندر (Gender) في التعليم مطروحة بالبلدان المتقدمة إلا أنها لا تزال كذلك في جهات عديدة من البلدان النامية.

**ثانياً:** إن وجود علاقة سلبية ولكن ضعيفة بين تعليم الاناث و الإقدام على علاقات جنسية من جهة، ووجود علاقة ايجابية وقوية بين تعليم الذكور والإقدام على تلك العلاقات إنما هو دليل على ضعف البعد الاخلاقي والتربوي للتعليم بشكل عام. وهنا يُفترض أن يتجلى دور مضمون التعليم، وهو دور في الأخير يرتبط هو الآخر بالخصائص الثقافية للمجتمعات.

## 2. الأثر المعرفي

يُكسب التعليم الأفراد المتعلمين مهارات وخبرات معرفية هامة أيسرها معرفة القراءة والكتابة (Literacy)، ودون شك تساعد هذه المعرفة الأفراد على الوصول للمعلومة والتعامل معها بشكل سليم. وعلى سبيل المثال، توصلت دراسة في جنوب أفريقيا الى وجود علاقة سلبية وقوية بين مهارات معرفة القراءة والكتابة من جهة وحجم الأسرة من جهة اخرى مع إهمال مستوى الدخل. وبينت أن الحصول على المعلومة يلعب دورا رئيسيا في عملية صنع القرار، فالمرأة التي تتمتع بهذه المهارات بإمكانها الوصول للمعلومة والتعامل معها، سواء داخل المدارس او عبر وسائل الاعلام. وفضلا عن ذلك، فالمرأة التي لها معلومات يكون لها عادة طلب أكبر وقدرة عالية على استعمال الخدمات الصحية.<sup>1</sup>

يعتبر استعمال موانع الحمل مثال جيد عن هكذا تأثير حيث تشير الدراسات الحديثة إلى انتشار استعمالها ضمن فئة النساء المتعلّمات مقارنة بمن هن دون تعليم، مع وجود تباين من منطقة لأخرى ومن بلد للآخر. فقد تبين من خلال عديد من الأبحاث أن آثار التعليم من خلال استعمال موانع الحمل أضعف ما تكون في أفريقيا وأقوى ما تكون في أمريكا اللاتينية بينما تكون وسطا في آسيا.<sup>2</sup>

وفي دراسة رصينة عن علاقة التعليم بالخصوبة في أمريكا اللاتينية، توصل الباحثان إلى إبراز أهمية قنوات التأثير بين التعليم والخصوبة ومن ذلك استعمال موانع الحمل، حيث تبين وجود علاقة سلبية وقوية بين المستوى التعليمي واستعمال موانع الحمل كما هو موضح في الجدول التالي:

1 "Is education best contraceptive?", p3.

<http://www.prb.org/Publications/PolicyBriefs/IsEducationtheBestContraceptive.aspx>

2 Susan H.Cochrane, (1982)"The effects of education, health and social security on fertility in developing countries", world bank, working paper 93 p 6.

الجدول 4: نسبة انتشار استعمال موانع الحمل حسب السنوات  
الدراسة

سنوات الدراسة	المتوسط	0	3-1	6-4	9-7	10 ≤
بوليفيا	30	12	23	31	43	53
البرازيل	66	47	59	71	76	73
كولومبيا	65	53	61	65	73	73
المكسيك	53	25	44	58	70	69
البيرو	46	19	33	46	60	67

Source: Teresa casto et al, (1995) "The impact of women's education on fertility in Latin America: searching of explanations'", international family planning perspectives, Vol. 21, N 2, p55.

وفي ذات الدراسة، تؤكد الأرقام صحة الأثر المعرفي الوسيط للتعليم على الخصوبة حيث تشير بيانات الجدول أدناه الى أنه كلما زاد المستوى التعليمي للمرأة زادت معرفتها بما يتعلق بخصوبتها:

الجدول 5: بعض مؤشرات المعرفة المرتبطة بالخصوبة حسب

المستوى التعليمي

سنوات الدراسة	0	3-1	6-4	9-7	10 فاكثر
الاستماع اليومي للمذيع	74	82	88	94	96
معرفة مصدر منع الحمل	44	58	73	80	78
فهم الدورة الشهرية	60	79	90	95	99
فهم الدورة الشهرية	45	75	93	97	100
فهم الدورة الشهرية	7	7	17	33	53
فهم الدورة الشهرية	4	8	21	41	53

Source : Teresa casto et al, op.cit, p 57 .

لكن وبالرغم من أهمية العلاقة بين التعليم وانتشار استعمال موانع الحمل "الحديثة" (modern contraceptives)، هناك من يقلل من هذه الأهمية وذلك بعدما تبين من خلال بعض الأبحاث أن ارتفاع المستوى

التعليمي يسهم كذلك في توسع استعمال موانع الحمل التقليدية، مع التسليم بأن هذه الأخيرة أقل فعالية مقارنة بالأساليب الحديثة. وفي هذا الإطار تشير دراسة خصت 26 بلدا الى وجود علاقة ايجابية بين التعليم واستعمال موانع الحمل التقليدية. وتتجلى الصورة أكثر في زيمبابوي حيث تعتبر فئة النساء الأكثر تعليما (10 سنوات فأكثر) الأوسع استخداما للموانع التقليدية من باقي النساء.<sup>1</sup>

إذا والحال هذه، لا مسوغ للقول بعقلانية سلوك النساء المتعلمات حيث لا فرق بينهن وبين غير المتعلمات! ويجاب عن هذا القول بأنه قد تبين بعد التمحيص في منهجية الدراسة وجود خلط بين الطرق التقليدية لمنح الحمل ( كالعزل والامتناع (abstinence) والطرق الشعبية ( Folkloric methods) كاستعمال أعشاب خاصة وتعويزات تربط على الخصر. إن هذا التفصيل يدل على ارتباط التعليم باستعمال موانع الحمل التقليدية ولو بأقل حدة مقارنة بالموانع الحديثة.

### 3. الأثر الاقتصادي

إلى جانب ما تقدم، يؤدي تعليم المرأة إلى رفع تكلفة فرصة الانجاب ورعاية الأطفال وذلك لجملة من الاعتبارات:<sup>2</sup>  
أولا، ينظر للتعليم كونه أنجع السبل لدخول المرأة سوق العمل، وفي هذه الحالة لن يكون تخصيص الوقت والجهد كليا للإنتاج الأسري (Household production) بل سيكون الإنتاج السوق (Market production) داعيا قويا لإعادة التخصيص. ولأن رعاية الأولاد تعد نشاطا يتطلب وقتا كثيفا فلا مندوحة من إقلال الإنجاب لتقليص الوقت والجهد وتخصيصها للعمل. وهذه الحالة تماثل الى حد كبير حالة ارجاء الزواج بسبب تمديد سنوات الدراسة اذ يشترك كل منهما في عامل الزمن الذي يفسر التضحية بالعمل الأسري جزئيا أو كليا.

ثانيا: إن دخول سوق العمل بمستوى تعليمي عال سيكون سببا لارتفاع العائد من التعليم بالنسبة للمرأة. هذا الأمر يترتب عنه تقليص الخصوية المرغوبة (الكم) مقابل زيادة جودة الأطفال (Children quality)،

<sup>1</sup> Caraline H.Bledsoe et al, op.cit, p10.

<sup>2</sup> Una Okonkwo Osili et al, (2007) "Does female schooling reduce fertility?: evidence from Nigeria", National bureau of economic research, working paper N. 103070, P1.



أي الإنفاق عليهم أكثر فيما يخص تعليمهم، صحتهم وغير ذلك. وبتعبير رياضي، تصبح نوعية الاطفال دالة متزايدة بدلالة الدخل.<sup>1</sup> في الواقع، إن هذا السلوك هو بدوره تضحية، ليس بالوقت فحسب ولكن بكم الأطفال. يستند هذا الطرح أساسا إلى ما يراه بعض الإقتصاديين من لزوم التفرقة بين النظرة الاقتصادية للأطفال كونهم سلعا إستهلاكية (Consumption goods) أو أصولا إنتاجية<sup>2</sup> (productive assets). فارتفاع الدخل بسبب ارتفاع المستوى التعليمي لا يعد دافعا لطلب الأطفال كونهم "أصولا إنتاجية"، أي إنجابهم للحاجة بغرض مساعدتهم المادية في المستقبل، خاصة في مرحلة الشيخوخة، إذ تصدق هذه الحالة على أصحاب الدخل الزهيدة أو المنعدمة. بينما يبرر الطلب عليهم على أساس النظرة الأولى، أي كونهم "سلعا إستهلاكية" تطلب لسد حاجة معنوية للآباء خلافا للحالة الأخرى. من أجل ذلك، سيزيد الإنفاق عليهم كيما تزيد "توعيتهم" المذكورة آنفا.

**ثالثا:** تطمح المرأة الأكثر تعليما بل وتحرص على الاقتران برجل يفوقها أو يكافئها في المستوى التعليمي. وفي حال تكوين أسرة سيكون الدخل المشترك معتبر نتيجة لأثر المضاعف<sup>3</sup> (Multiplier effect). وهذه الوضعية الاقتصادية الجيدة للأسرة تحفز الطرفين على إنجاب عدد أقل من الأطفال مقابل التركيز أكثر على جودتهم، لذات الأسباب المذكورة في الحالة السابقة. وبناءً عليه يتقرر أن يكون الزوجان راشدان عندما يسلكا هذا السلوك. ودون شك هذا التحليل الذي يتفق مع طرح بيكر المذكور آنفا لا يخل من زلل. فقد تقدم أنه لا يصح أخلاقيا اعتبار الأطفال سلعا بأي شكل من الأشكال. ولعل بيئة هؤلاء الكتاب قبل تخصصهم الأكاديمي لها فعلها في هكذا تحليل.

بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، لا يمكن تفسير الطلب على الأطفال على هذا النحو بأسلوب إقتصادي محض، بل ثمة دوافع غير إقتصادية وراء ذلك، ففي ضوء مبادئ الدين الإسلامي لا يمكن تبرير تحديد النسل بحجة

<sup>1</sup> Justin McCrary et al, (2006) The effect of female education on fertility and infant health, National bureau of economic research, working paper N.123229, p7.

<sup>2</sup> Jean Drèze et al, (2000) "Fertility, education and development: further evidence from India", p7. [http://econpapers.repec.org/paper/cdecdwps/76.htm]

<sup>3</sup> Justin McCrary et al, op.cit, , p7.

الإهتمام بجانب "الجودة" حال ارتفاع الدخل، إذ لا يتعلق الأمر هنا بحاجة معنوية (الإستمتاع) ولا حتى مادية، بل ثمة أبعاد عقدية قبل كل ذلك. إلى جانب دور المستوى التعليمي للمرأة في تخفيض الخصوبة، ثمة أيضا دور آخر يلعبه المستوى التعليمي بالنسبة للرجل، وان كان محدودا مقارنة بالدور الأول. هذا ما تؤكدته معظم الأدبيات الحديثة؛ إذ يفسر الأثر الكبير للمستوى التعليمي للمرأة على الخصوبة على أساس المسؤولية الكبرى والمباشرة التي تتحملها الزوجة في إنجاب ورعاية الأطفال.<sup>1</sup>

وفي دراسة حديثة في هذا الشأن، حاولت لوشيا براير وفا وزميلها استقصاء هذه الإشكالية في اندونيسيا:<sup>2</sup> هل يعتبر دور المستوى التعليمي للرجل حقيقة أقل منه بالنسبة للمرأة في تفسير الخصوبة؟ وقد كانت منهجية الباحثان تستهدف الفئات الاجتماعية التي استفادت من سياسة توسيع التعليم في السبعينيات، وتم التوصل في الأخير إلى أن أثر المستوى التعليمي للمرأة أقوى بكثير من أثر المستوى التعليمي للرجل.

وفي دراسة أخرى عن أمريكا اللاتينية، جاءت النتائج مطابقة تماما لما انتهت إليه الدراسة السابقة. فبالرغم من وجود ارتباط سلبي جلي لكل من المستوى التعليمي للمرأة و الرجل إلا أن الارتباط السلبي لمستوى تعليم المرأة كان أقوى مقارنة بنظيره الآخر كما هو وارد في الجدول التالي:

**الجدول 6: مقارنة أثر المستوى التعليمي للزوج والزوجة على الخصوبة في أمريكا اللاتينية**

المستوى التعليمي للرجل				المستوى التعليمي للمرأة				سنوات الدراسة
10 فأكثر	9-7	6-4	3-1	10 فأكثر	9-7	6-4	3-1	
0.61-	0.48-	0.52-	0.23-	1.99-	1.70-	1.35-	0.66-	كولومبيا
0.35-	0.39-	0.22-	0.01	1.074-	1.30-	0.83-	0.15-	الإكوادور
0.08	0.19-	0.31-	0.14-	1.10-	1.06-	0.76-	0.27-	غواتيمالا

Source: Teresa Castro Martin et al, op.cit, p57.

### خلاصة

<sup>1</sup> Jean Drèze et al, op.cit, p6.

<sup>2</sup> Lucia Breierova and Esther Duflo, (2002) "The impact of education on fertility and child mortality: Do fathers really matter less than mothers? NBER 10513., p3.

اتضح من خلال ما تقدم اهتمام الاقتصاديين بظاهرة الخصوبة كونها واحدة من الظواهر الديمغرافية التي باتت تشكل تحديات حقيقية خاصة في البلدان النامية والفقيرة، وذلك بالنظر لتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية السلبية. وتشير الأدبيات الحديثة إلى وجود عديد من المحددات الاقتصادية للخصوبة وهي أساسا دخل الأسرة، التحضر، ارتفاع تكلفة الوقت بالنسبة للمرأة العاملة والتوسع في التعليم خاصة بالنسبة للإناث. وقد تبين من خلال الدراسات الدولية عدم وجود علاقة نمطية تربط التعليم بالخصوبة، إلا أنه في حالة وجود علاقة سلبية بينهما فإن أهم القنوات التي من خلالها يؤثر التعليم على الخصوبة تتمثل فيما يلي: إرجاء فترة الإنجاب بسبب طول مرحلة الدراسة، الأثر المعرفي للتعليم من خلال الاستعمال الجيد لموانع الحمل ثم الأثر الاقتصادي المتمثل في ولوج المرأة المتعلمة لسوق العمل والذي سيكون دون شك على حساب جانب مهم من الأنشطة المنزلية والتي من ضمنها إنجاب ورعاية الأطفال.

### المراجع

Anna Cristina d'addio and Marco Mira d'Ercole. (2005) "*Trends and determinants of fertility rates in OECD countries: The role of policies*", OECD.

Becker Gary. (1960) *An economic analysis of fertility*, National bureau of economic research, working paper N. 2387.

Caroline H.Bledsoe and John B.Casterline, "*Critical perspectives on schooling and fertility in the developing world*" [www.nap.edu/catalog/6272.html]

Jean Drèze and Mamta Murthi (2000) "*Fertility, education and development: further evidence from India*". [http://econpapers.repec.org/paper/cdecdwps/76.htm]

Justin McCrary and Heather Royer. (2006) *The effect of female education on fertility and infant health*, National bureau of economic research, working paper N.123229.

"*Is education best contraceptive?*". (2000)

[<http://www.prb.org/Publications/PolicyBriefs/IsEducationtheBestContraceptive.aspx>]

---

Lucia Breierova and Esther Duflo. (2002) *"The impact of education on fertility and child mortality: Do fathers really matter less than mothers?"* NBER 10513.

Mincer jacob. (1981) *Human capital and economic growth*, National bureau of economic research, working paper N. 803.

Nations Unis. (2003) *Population, éducation et développement*. Rapport Concis.

Schultz theodore. (2007) *Fertility in developing countries*,  
[ageconsearch.umn.edu/bitstream/10119/1/dp070953.pdf]

Schultz theodore. (2001) *The fertility transition: Economic explanations*, Economic growth center, yale university.

Susan H.Cochrane. (1982) *"The effects of education, health and social security on fertility in developing countries"*, world bank, working paper 93.

Teresa Castro Martin and Fatima Juarez,. (1995) *"The impact of women's education on fertility in Latin America: searching of explanations"*, In: international family planing perspectives, Vol. 21, N. 2.

Una Okonkwo Osili and Bridget Terry Long. (2007) *"Does female schooling reduce fertility?: evidence from Nigeria"*, National bureau of economic research, working paper N. 103070.

## معيار صافي القيمة الحالية VAN كمقياس لتقييم المشاريع الاستثمارية مع التطبيق على مشروع ممول من طرف بنك BDL.

أ.بن العارية حسين

جامعة أدرار

### الملخص:

تحظى عملية تقييم المشاريع الاستثمارية بأهمية كبيرة بالنسبة لكافة الدول، كجزء من اهتمامها بأهمية تحقيق الاستخدام والتوزيع الأمثل للموارد المتاحة، وتتطلب هاته المشاريع دراسات تقييمية دقيقة تهدف إلى ترشيد القرارات الاستثمارية من أجل الوصول إلى قرار استثماري سليم يحقق الأهداف المرجوة، ويقلل من المخاطر والعقبات المودية بالمشاريع الاستثمارية إلى الخسارة. ويتم هذا التقييم باستخدام العديد من الطرق والأساليب، من بينها طريقة صافي القيمة الحالية " *La valeur actuelle nette* " التي تهدف اساساً للحكم على مدى سلامة القرارات الاستثمارية التي تتخذ عند القيام بالمشاريع الاستثمارية.

### Abstract:

Enjoy the process of evaluation of investment projects of great importance for all States, as part of their interest in the importance of achieving optimal use and distribution of available resources, The following projects require accurate assessment studies aimed at rationalizing the investment decisions in order to reach a decision a sound investment to achieve the desired goals, And reduce the risks and obstacles to investment projects passages leading to the loss. And this evaluation is done using many methods, Including *Net Present Value Method (NPV)*, which basically aimed to judge the safety of investment decisions to take when doing investment projects.

### المقدمة:

تعتبر المشاريع الاستثمارية عصب المؤسسات الاقتصادية والعامل المحدد لوجودها واستمراريتها، ومن بين الأدوات المساعدة على التنمية خاصة لو تم التخطيط لها بشكل جيد، انطلاقاً من فكرة إطلاق وبداية المشروع مروراً

دراسة جدواها الاقتصادية وانتهاءً بإنجازها في الوقت المحدد، وبالتمويل المسموح به وبالجودة والمواصفات المطلوبة.

تواجه كل المؤسسات تقريبا مشاكل في محيطها الاقتصادي، لعل من أهمها كيفية اختيارها للاستثمار اللازم لإنجازه حسب الإمكانيات المالية المتوفرة، و قرار استثمار كهذا يزداد تعقيدا في المؤسسات الكبيرة لذا فإن متخذي القرارات يلجؤون إلى دراسات على المستوى التقني والاقتصادي لتسهيل اتخاذ القرار.

لكن طرح قضية اختيار الاستثمارات، يستوجب علينا اتخاذ القرار الاستثماري الرشيد الذي يقوم على اختيار البديل الاستثماري الذي يعطي أكبر عائد، و يستند هذا القرار على مجموعة من دراسات الجدوى التي تسبق عملية الاختيار.

ومن ثم فإن قرار الاستثمار يعتبر من أصعب القرارات في المؤسسة، وخاصة الإدارة المكلفة بالمشاريع، ولا بد من معرفة العناصر المؤثرة في هذا القرار، سواء تلك التي يمكن التعبير عنها في شكل كمي أو نوعي، فقد يترتب على هذه العناصر تدفقات نقدية يمكن أن تؤدي إلى اتخاذ قرار خاطيء لذا لا بد من مراعاة جميع جوانب المشروع الاستثماري للوصول إلى اختيار صائب.

وبوجود عدة معايير مختلفة، لتقييم واختيار المشاريع الاستثمارية، نود اقتراح طريقة صافي القيمة الحالية (VAN)<sup>1</sup> *La valeur actuelle nette* باعتبارها من بين أحسن الطرق المستعملة التي تساعد متخذي القرارات على تقييم المشاريع الاستثمارية واختيار أنسبها. فحاولنا تطبيقها على أحد المشاريع الاستثمارية الممولة من بنك التنمية المحلية BDL.

فمن خلال هذا البحث سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية: كيف يتم تطبيق طريقة صافي القيمة الحالية على المشاريع الاستثمارية من أجل تقييمها والحكم على ربحيتها، وذلك في ظل محدودية الموارد المالية وكثرة المشاريع المقترحة؟

<sup>1</sup> *La valeur actuelle nette.*

**المبحث الأول: ماهية عملية تقييم المشاريع الاستثمارية**

سوف يتم التعرض في هذا الجزء إلى معالجة المسائل الأساسية في مجال تقييم المشروعات، سواءاً ما يتعلق منها بتحديد المفهوم والأهمية والأهداف، إضافة إلى تحديد الأسس المبادئ التي تقوم عليها التقييم والمراحل التي تمر بها تلك العملية.

**أولاً: مفهوم عملية تقييم المشروعات Concept du procès d'évaluation de projet**

يمكن أن تعرف عملية تقييم المشروعات بأنها عبارة عن " عملية وضع المعايير اللازمة التي يمكن من خلالها التوصل إلى البديل أو المشروع المناسب من بين عدة بدائل مقترحة، الذي يضمن تحقيق الأهداف المحددة واستناداً إلى أسس عملية"<sup>1</sup>.

حيث يتضح من التعريف أعلاه أن عملية تقييم المشروعات، ماهي إلا وسيلة يمكن من خلالها المفاضلة بين عدة مشروعات مقترحة وصولاً إلى اختيار البديل الأفضل الذي يضمن تحقيق الأهداف المحددة.

وعادةً فإن عملية المفاضلة هنا ليست كأية مفاضلة أخرى وإنما مفاضلة يترتب عليها تبني قرار استثمار أموالاً كبيرة وهذه الأموال لا بد وأن تواجه مستوى معين من الخطر، نظراً لأن تلك تتعامل مع مستقبل مجهول تكتنفه العديد من المتغيرات منها الداخلية، ومنها الخارجية لذا ومن أجل تحقيق مستوى من الأمان للأموال المستثمرة سواءً كانت عامة أو خاصة فإنه لا بد أن تستند عملية تقييم المشروعات على دراسات الجدوى الاقتصادية والفنية التي تكون الأساس في نجاح تلك العملية في تحقيق أهدافها.<sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن جوهر عملية تقييم المشروعات تتمثل في المفاضلة بين المشروعات المقترحة لاختيار البديل الأفضل، تلك المفاضلة التي تتمثل بما يلي:<sup>3</sup>

1. المفاضلة بين توسيع المشروعات القائمة أو إقامة مشروعات

جديدة.

<sup>1</sup> Abdellah Boughaba, *Analyse et Evaluation de Projets*, Berti Edition, Alger 2005 page :15.

<sup>2</sup> Introduction à l'évaluation participative 2006, <www.ddrhonealpesraee.org/dump/EvaluationpresentationRAE\_52.pdf >

<sup>3</sup> عبد الغفار حنفي، الإدارة المالية مدخل اتخاذ القرارات، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2002 ص 244.

- 2.المفاضلة بين إنتاج أنواع معينة من السلع.
- 3.المفاضلة بين أساليب الإنتاج للوصول لاختيار الأسلوب المناسب.
- 4.المفاضلة بين المشروعات استناداً إلى الأهداف المحددة لكل مشروع .
- 5.المفاضلة بين المواقع البديلة للمشروع المقترح.
- 6.المفاضلة بين الأحكام المختلفة للمشاريع المقترحة .
- 7.المفاضلة بين البدائل التكنولوجية.

من ناحية أخرى، يمكن القول أن عملية تقييم المشروعات والتي تعتبر جزءاً من عملية التخطيط سواءً كانت على مستوى المشروع أو على مستوى الاقتصاد الوطني، ماهي إلا مرحلة لاحقة لدراسات الجدوى الاقتصادية والفنية للمشروع ومرحلة سابقة لمرحلة تنفيذ المشروع، تلك المرحلة التي يترتب عليها اتخاذ قرار أما بتنفيذه أو تأجيله إلى فترة أخرى.<sup>1</sup>

### ثانياً: أهمية تقييم المشروعات L'importance de

### l'évaluation des projets

لقد حظي موضوع تقييم المشروعات بأهمية كبيرة في الدول المتقدمة وبخاصة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كجزء من اهتمامها بأهمية تحقيق الاستخدام والتوزيع الأمثل للموارد المتاحة، انطلاقاً من إيمانها المطلق بأن المحافظة على معدلات النمو الاقتصادي أو زيادتها لا يعتمد على مدى وفرة أو ندرة الموارد الاقتصادية فقط - كما كان التركيز عليه سابقاً - بل يعتمد أساساً على مدى الاستخدام والتوزيع الأمثل لتلك الموارد بين الاستخدامات المختلفة.<sup>2</sup>

وتظهر أهمية تقييم المشروعات إذا أخذنا بعين الاعتبار أن جوهر تلك العملية تتمثل في المفاضلة بين عدة مشروعات مقترحة و صولاً إلى اختيار البديل أو المشروع الأفضل والذي يضمن تحقيق الأهداف المحددة، وما يتطلب ذلك من تبني قرار استثمار يضمن تنفيذ ذلك المشروع الذي يتطلب أموالاً كبيرة تصل أحياناً إلى الملايين أو المليارات وما تواجه تلك

<sup>1</sup>Abdellah Boughaba, op cit, page :106.

<sup>2</sup> سمير محمد عبد العزيز، دراسات الجدوى الاقتصادية و تقييم المشروعات، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، الإسكندرية،

مصر، 1997، ص283.



الأموال من مخاطر التي لا بد منها، وإذا كان الموضوع هكذا وقد يقود ذلك القرار إلى خسائر كبيرة. لذا لا بد أن يتصف القرار الاستثمار بمستوى معين من العقلانية الرشيدة والمعرفة، ومن أجل تحقيق ذلك لا بد أن يستند على عملية تقييمية تشمل كافة المشروعات المقترحة ومن كافة الزوايا، سواءً كانت الاقتصادية، الفنية والمالية وكل ذلك من أجل الوصول إلى قرار استثماري يضمن مستوى معين من الأمان للأموال المستثمرة وبأقل مستوى من المخاطرة.

حيث يلاحظ أن المشروعات الفاشلة والخاسرة تكون قليلة في الدول المتقدمة نظراً لأن معظم المشروعات سواءً كانت عامة أو خاصة، صغيرة أو كبيرة يتم إخضاعها لعملية التقييم.

من ناحية أخرى يمكن القول أن أهمية تقييم المشروعات يمكن أن تعود إلى عاملين أساسيين: هما ندرة الموارد الاقتصادية خاصة رأس المال نتيجة لتعدد المجالات والنشاطات التي يمكن أن يستخدم فيها وهذا يعني أن هناك عدة فرص يمكن أن تستثمر فيها الأموال المتاحة، من هنا تأتي أهمية المفاضلة بين تلك الفرص من أجل اختيار الفرصة الاستثمارية المناسبة، كما أن استخدام رأس مال معين في مجال معين يعني التضحية في استخدامه في مجال آخر وهذا ما يطلق عليه بتكلفة الفرصة البديلة. أما العامل الآخر الذي يدعو إلى الاهتمام هو موضوع التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أصبح سمة العصر الحاضر، والذي وفر العديد من البدائل سواءً في مجال وسائل الإنتاج أو بدائل الإنتاج أو طرق الإنتاج، إضافة إلى سرعة تناقل المعلومات من خلال ثورة الاتصالات والمعلومات، بمعنى آخر أن التقدم العلمي وفر العديد من البدائل أمام المنتج و المستثمر وما عليه إلا أن يختار البديل المناسب، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بدائل التكنولوجيا تختلف فيما بينها من حيث الحجم والطاقة الإنتاجية والتكاليف وفي الحاجة إلى مستلزمات الإنتاج والقوى العاملة ومن مختلف الاختصاصات، كما أن ما يتلائم منها لصناعة معينة، قد لا يتلائم مع صناعة أخرى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أنظر: مراد علي نشأت خليل، دراسة الجدوى وتقييم المشروعات الاستثمارية، جامعة الزقازيق، معهد الكفاية الانتاجية، 2007،

وإذا كانت البلدان المتقدمة قد أولت هذا الموضوع اهتماماً أكثر، نظراً لما له من علاقة وثيقة بتحقيق عملية التنمية الاقتصادية إذا أخذنا بعين الاعتبار النقص الحاد الذي تواجهه تلك الدول خاصة في مجال رأس المال، إضافة إلى ذلك النقص، فهناك إسراف وتبذير وهدر كبير في رأس المال المتاح، نتيجة لعدم الوعي بأهمية تقييم المشروعات وما يجعل أغلب المشروعات المقامة في تلك الدول، تكون عادة من نوع المشروعات الفاشلة أو غير المجدية اقتصادياً.<sup>1</sup>

**ثالثاً: أهداف عملية تقييم المشروعات**

### **l'évaluation du projet**

إن الاهتمام الكبير بموضوع تقييم المشروعات، ما هو إلا انعكاس للوظائف أو الأهداف العديدة لذلك الموضوع والتي تتمثل بما يلي:<sup>2</sup>

1- تعتبر بمثابة وسيلة يمكن أن تساعد في تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، حيث كما قلنا سابقاً، أن جوهر هذه العملية يتمثل بمحاولة تبني قرار استثماري يتعلق باختيار مشروع معين من بين عدة مشروعات مقترحة، ولكي يكون ذلك القرار ناجحاً، لا بد أن يستند على دراسة علمية و شاملة، أما القرارات العفوية والفردية، فلا بد أن تقود إلى ظهور مشروعات فاشلة، ذلك الفشل الذي يمثل هدراً للموارد المتاحة والنادرة.

من هنا تظهر طبيعة العلاقة الوثيقة بين عملية تقييم المشروعات وتحقيق الاستخدام والتوزيع الأمثل للموارد المتاحة، تلك العلاقة التي تظهر بصورة واضحة بين المشروعات وأثرها على مسار وحركة الاقتصاد القومية إذا أخذنا بعين الاعتبار أن لكل مشروع هدف أو عدة أهداف، وهذه الأهداف قد تتعارض مع أهداف خطة التنمية الوطنية لذا فعن طريق عملية تقييم المشروعات يمكن تجاوز ذلك التعارض، وهذا يعني أن عملية تقييم المشروعات يمكن أن تساعد على تحقيق الانسجام والتوافق بين أهداف المشروعات وبين أهداف خطة التنمية القومية وبذلك الشكل الذي يضمن

<sup>1</sup> أحمد لطفي عبد العظيم، دليل تقييم المشروعات الصناعية، مركز التنمية الصناعية للدول العربية، القاهرة، 1995، ص 14.

<sup>2</sup> حامد العربي الحضيري، تقييم الاستثمارات، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 62.

تحقيق مصالح جميع الأطراف، سواء كان المستثمرين أو الاقتصاد الوطني

ففي بعض الأحيان يتم تجاوز بعض المشروعات، نظراً لتعارضها مع أهداف خطة التنمية الوطنية، لذا يمكن القول أن عملية تقييم المشروعات لا يمكن فصلها عن محل العملية التخطيطية، بل هي جزء أساسي منها. ومن أجل تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، لا بد أن تتضمن عملية التقييم المشروعات العلاقات الترابطية بين المشروع المقترح والمشروعات القائمة إذ أن فشل بعض المشروعات من تحقيق أهدافها يعود إلى تجاهل مثل تلك العلاقات.

2- كما تعتبر بمثابة وسيلة تساعد في التخفيف من درجة المخاطرة للأموال المستثمرة حيث من خلال عملية تقييم المشروعات يمكن اختيار بديل مناسب من بين عدة بدائل مقترحة البديل الذي يضمن تحقيق الأهداف المحددة، كما يضمن مستوى معين من الأمان من تلك أموال . وكما تظهر أهمية هذه المسألة إذا أخذنا بعين الاعتبار بأن تلك أموال والتي قد تصل إلى الملايين وحتى أحياناً إلى المليارات وخاصة بالنسبة للمشروعات الكبيرة والعملاقة، ذلك الإنفاق الذي لا بد أن يواجه مستوى معين من المخاطرة لكن عن طريق تلك العملية والتي لا بد وأن تستند على دراسة علمية وشاملة وعلى أسس ومبادئ علمية وعلى معايير معينة، تلك الدراسة التي لا بد وأن تأخذ في الاعتبار كافة الاحتمالات سواء في ظل ظروف التأكد أو عدم التأكد، يمكن أن تفضي إلى تجاوز تلك المخاطر أو على أقل تخفيفها، وبذلك الشكل الذي يضمن مستوى معين من الأمان للأموال المستثمرة.

3- كما تساعد عملية تقييم المشروعات إلى توجيه المال المراد استثماره إلى ذلك المجال الذي يضمن تحقيق الأهداف المحددة، فمن خلال المفاضلة بين المشروعات المقترحة، يمكن التوصل إلى اختيار الفرصة الاستثمارية المناسبة، أما في حالة عدم الاعتماد على عملية تقييم المشروعات وما تتطلبه من دراسات حول المشاريع المقترحة، فقد يؤدي ذلك إلى توجيه الأموال المتاحة إلى مشروعات قد تكون فاشلة، أو إلى فرصة استثمارية قد لا تكون هي الفرصة المثلى التي تضمن تحقيق الأهداف

المحددة، وهذا ما يظهر واضحاً في البلدان النامية، ذلك الفشل، الذي ما هو إلا تبذير وهدر للموارد النادرة التي تكون تلك البلدان بأمس الحاجة إليها.

رابعاً: أسس ومبادئ عملية تقييم المشروعات **Les principes**

**et les fondements de l'évaluation des projets**

من الأسس و المبادئ التي تستند عليها عملية تقييم المشروعات

هي ما يلي:<sup>1</sup>

1- لا بد أن تقوم عملية تقييم المشروعات على إيجاد نوع من التوافق بين المعايير التي تتضمنها تلك العملية بين أهداف المشروعات المقترحة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار المعيار الذي يستخدم أو يتناسب لقياس هدف معين قد لا يناسب لقياس هدف آخر لذلك يلاحظ أن المعايير التي تستخدم في المجال المشروعات العامة هي غير المعايير التي تستخدم في مجال المشروعات الخاصة نظراً لاختلاف الأهداف بين المشروعات العامة والخاصة. لذلك لا بد من اختيار المعايير المناسبة للهدف المطلوب.

2- لا بد أن تضمن عملية تقييم المشروعات تحقيق مستوى معين من التوافق بين هدف أي مشروع و أهداف خطة التنمية الوطنية من جهة وبين الهدف المحدد للمشروع المقترح وبين الإمكانيات المادية والبشرية والفنية المتاحة والمدة اللازمة لتنفيذه.

3- لا بد أن تضمن عملية تقييم المشروعات مستوى من التوافق والانسجام بين أهداف المشروعات المتكاملة والمتراطة والتي تعتمد بعضها على البعض الآخر وإزالة التعارض بين أهدافها المختلفة، وهذا يعني أنه لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار في عملية تقييم المشروعات العلاقات الترابطية بين المشروع المقترح والمشاريع القائمة التي يمكن أن يعتمد عليها أو تعتمد عليه.

4- ومن أجل ضمان نجاح عملية تقييم المشروعات في تحقيق أهدافها لا بد من توفر المستلزمات اللازمة لنجاحها خاصة فيما يتعلق منها بتوفر المعلومات والبيانات الدقيقة والشاملة.

<sup>1</sup> كاضم جاسم العيساوي، دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات، دار المناهج للنشر و التوزيع، الأردن 2001، ص 67.

5- كما لا بد من أخذ بعين الاعتبار أن عملية تقييم المشروعات، هي جزء من عملية التخطيط، كما تمثل مرحلة لاحقة لمرحلة دراسات الجدوى ومرحلة سابقة لمرحلة التنفيذ.

6- إن عملية تقييم المشروعات، لا بد وأن تفضي إلى تبني قرار استثماري إما بتنفيذ المشروع المقترح أو التخلي عنه

7- إن عملية تقييم المشروعات تقوم أساساً على المفاضلة بين عدة مشروعات أو بدائل وصولاً إلى البديل المناسب.

### المبحث الثاني: آلية تطبيق معيار صافي القيمة الحالية La

#### *valeur actuelle nette*

يعتمد اتخاذ القرار الاستثماري على تكلفة رأس المال التي يسترشد بها في اختيار المشاريع الاستثمارية، حيث تظهر أهميتها عند تطبيق صافي القيمة الحالية للتدفقات النقدية أو عند استخدامها كمعيار للمقارنة من خلال معدل العائد الداخلي. ومن خلال هذا المبحث سنتناول بالدراسة مايلي:

#### أولاً: مفاهيم أولية لتطبيق معيار صافي القيمة الحالية

المفاهيم والمستويات أو المبادئ المتعارف عليها في التقييم، هي تلك المستويات من الأداء التي يتم اعتمادها والتي من شأنها أن تجعل مستخدمي التقييم يطمئنون إلى النتائج التي يتم التوصل إليها، ونحن بصدد توضيح بعضها فيما يلي<sup>1</sup>:

<sup>1</sup> VOIR : Partice Vizzaavouna, *Gestion Financier*, Berti Edition, Alger 1999 page : 416-417.

### 1- التكلفة الأولية للمشروع الاستثماري

وهو عبارة عن الإنفاق الذي تقوم به المؤسسة في بداية الفترة لتنفيذ الاستثمار، و بطبيعة الحال، يفترض أن هذا المبلغ يدفع بالكامل في بداية الفترة، فإذا افترضنا أن هذا الاستثمار يتمثل في شراء آلة قيمتها الإجمالية 10000ون (بما فيها كل المصاريف المتعلقة بها) فإن التكلفة الأولية للاستثمار في هذه الحالة هي 10000ون.

### 2- عمر المشروع الاستثماري

ويقصد بعمر المشروع المدة التي يبقى أثناءها الاستثمار في الاستعمال في المؤسسة، فإذا كانت الآلة التي تكلمنا عنها تستعمل في المؤسسة لمدة خمس ( 05 ) ، يكون ذلك هو عمر هذه الآلة.

### 3- التدفقات النقدية

خلال سنوات عمر المشروع، تحقق المؤسسة من ورائه عائدات سنوية (متوقعة)، و تتمثل بصفة رئيسية في المبيعات المنتظرة، و تسمى هذه العائدات " التدفقات النقدية الواردة "، كما تقوم المؤسسة بدفع نفقات سنوية لتشغيل هذا الاستثمار أو المشروع، وتتمثل بصفة أساسية في اليد العاملة والمواد الأولية، وتسمى هذه المصاريف بالتدفقات النقدية الصادرة أو الخارجة.

أما التدفق النقدي السنوي الصافي، فهو يتمثل في الفرق بين التدفقات النقدية الواردة السنوية، وحصاة اهتلاك هذا الاستثمار إلى جانب ما تم دفعه من ضرائب و فوائد.

### ثانياً: القيمة الزمنية للنقود وفكرة الاستحداث

إن وحدة النقد في الزمن، تتأثر بمعدل التضخم، و هي من وراء ذلك تؤثر على كل المقبوضات الموجودة بحوزة الأفراد، كما يوجد عامل آخر ( من وجهة نظر المستثمر ) يؤثر على ما لديه من نقود، وهو معدل الفائدة الذي يمثل تكلفة الفرصة البديلة للاستثمار الذي يود المستثمر القيام به.<sup>1</sup>  
وعليه فانه بالنسبة للمستثمر، تكون وحدة النقد الآن أحسن من وحدة النقد التي يحصل عليها بعد شهر أو بعد سنة وهكذا "لأن وحدة النقد التي يوظفها نظير فائدة، ويحصل من وراء ذلك بعد سنة على أكثر من

<sup>1</sup> Partice Vizzaavouna, op cit, page : 417.

وحدة نقد واحدة. وهو يحصل في الحقيقة على وحدة النقد الأصلية مضافاً إليها جزء يقابل معدل الفائدة".

ويفرض هذا الأمر إداً عند المقارنة بين تدفقات نقدية لسنوات مختلفة، أن يتم الأخذ بعين الاعتبار مثل هذه الاختلافات، يجب أن تقيم كل التدفقات النقدية بوحدة نقدية ذات قيمة متماثلة في مختلف الأوقات، و بما أن المدفوعات التي قامت بها المؤسسة كانت في بداية المشروع، و ذلك عندما قامت بالاستثمار الأولي، يجب إذا أن تحسب كل التدفقات التالية لها بقيمة وحدة النقد التي تم بها الدفع في بداية المشروع، وتسمى هذه العملية بعملية الاستحداث.<sup>1</sup>

وتبقى المشكلة في معرفة المعدل الذي تتم به هذه العملية، وهو ينظر إليه من وجهتين، فمعدل الاستحداث بالنسبة للمؤسسة ( يسمى أيضا بتكلفة رأس المال)، هو مجموع التكلفة المتعلقة بالقروض بعد طرح الضرائب، أما من وجهة نظر البنك فيمكن الاكتفاء بمعدل الفائدة كمعدل استحداث.<sup>2</sup>

### ثالثاً: صافي القيمة الحالية

تعرف صافي القيمة الحالية بأنها "الفرق بين القيمة الحالية للتدفقات النقدية الداخلة المتوقعة (العوائد) والتدفقات النقدية الخارجة (التكاليف) طيلة سنوات المشروع".<sup>3</sup>

ووفقاً لهذا المعيار يكون المشروع الاستثماري مقبولاً إذا حقق صافي قيمة حالية موجبة وفي حالة المقارنة بين مجموعة من المشاريع الإستثمارية نختار المشروع الذي يحقق أكبر قيمة حالية صافية ويُعطى قانون صافي القيمة الحالية بالعلاقة التالية:<sup>4</sup>

$$-1 \text{ - في حالة تدفقات نقدية غير متساوية (غير منتظمة):}$$

<sup>1</sup>Valeur actuelle, 2008 < [www.maths.ac-aix-marseille.fr/program/stg/fichiers-acc/ActualisationCapital.pdf](http://www.maths.ac-aix-marseille.fr/program/stg/fichiers-acc/ActualisationCapital.pdf) >

<sup>2</sup>La valeur de L'argent Dans Le Temps Et L'actualisation Des Cash  
<[https://intranet.esceurope.eu/~bmt/resumes/chap\\_4r.pdf](https://intranet.esceurope.eu/~bmt/resumes/chap_4r.pdf)>

<sup>3</sup> سليمان الوزني، يوحنّا عبد الآدم، دراسة الجدوى الاقتصادية و تقييم كفاءة أداء المنظمات، كلية التجارة جامعة طنطا الطبعة الثالثة 2000، ص 154.

<sup>4</sup>Calcul De La Valeur Actuelle nette, 2008, <[www.encapafrika.org/SME/French materials/exercices handouts/SME-CPHandout-CalcNPV\\_fr.pdf](http://www.encapafrika.org/SME/French materials/exercices handouts/SME-CPHandout-CalcNPV_fr.pdf)>

$$VAN = -I_0 + \sum_{t=0}^n CF_t (1 + K)^{-T}$$

حيث أن:

$I_0$ : التكلفة الأولية للإستثمار.

VAN: القيمة الحالية الصافية.

CFT: التدفق النقدي للفترة T.

T: مدة حياة الإستثمار.

2- وفي حالة تساوي التدفقات النقدية تكون العلاقة

كالتالي :

$$VAN = -I_0 + CF_t \frac{[1 - (1 + K)^{-T}]}{K}$$

K : تمثل تكلفة رأس المال أو معدل الاستحداث.

وعند استخدام معيار VAN نفرق بين ثلاث حالات لقيم صافي

القيمة الحالية:<sup>1</sup>

1-  $VAN > 0$ : يحقق المشروع الاستثماري ربحية اقتصادية، لذا

فهو مقبول.

2-  $VAN < 0$ : يحقق المشروع الاستثماري خسارة، فلا تكون له

ربحية اقتصادية. لذا يتم رفضه.

3-  $VAN = 0$ : وفي هذه الحالة التكلفة الأولية للمشروع مساوية

لمجموع التدفقات النقدية المستحدثة، ويمكن للمؤسسة قبول أو رفض المشروع

الاستثماري.

#### رابعاً: مؤشرات تعديل صافي القيمة الحالية

عند حساب صافي القيمة الحالية للمشاريع الاستثمارية قد نصل

إلى نتائج غير واقعية في عملية اتخاذ القرار الاستثماري، ويرجع ذلك إلى

اختلاف التكلفة الأولية للاستثمار أو اختلاف مدة حياة الاستثمار أو

اختلافهما معاً.

<sup>1</sup> حنفي زكي مسعود، دراسة محاسبية لجدوى المشروعات، كلية التجارة، جامعة القاهرة، 2000، ص: 191.



**1- حالة اختلاف التكلفة الأولية للاستثمار**

في هذه الحالة لاتتم المفاضلة على أساس صافي القيمة الحالية، وإنما يتطلب الأمر إيجاد مؤشر الربحية IP للمشاريع الاستثمارية والذي يوضح "العلاقة بين صافي القيمة الحالية والتكلفة الأولية للاستثمار" ويحسب وفق العلاقة التالية:<sup>1</sup>

$$IP = \frac{VAN}{I_0}$$

ولا يكون المشروع الاستثماري مقبولاً إلا إذا كان مؤشر الربحية أكبر من الصفر وفي حالة تعدد المشاريع الاستثمارية نختار المشروع الاستثماري الذي له مؤشر ربحية أكبر.

**2- حالة اختلاف مدة حياة الاستثمار**

نلجأ في هاته الحالة إلى طريقة إصطناعية فنقوم بتوحيد مدة حياة المشاريع الاستثمارية عن طريق إيجاد المضاعف المشترك الأصغر، حيث توحد جميع أعمار المشاريع على إفتراض أن المشاريع سوف يتم تكرار الإستثمار بها لعدد من المرات حتى يتم إستنفاد سنوات المضاعف المشترك الأصغر لأعمارها و بعد ذلك تستخرج صافي القيمة الحالية لكل مشروع طيلة مدة المضاعف وتقرن النتائج ثم يتم إختيار المشاريع الاستثمارية التي تحقق أكبر قيمة لصافي القيمة الحالية.<sup>2</sup>

**المبحث الثالث: تقييم مشروع استثماري ممول من طرف بنك**

**BDL<sup>3</sup>**

من بين أساسيات تعامل البنوك مع طلبات التمويل الخاصة بالمشاريع هي الدراسة التحليلية للمشروع، من حيث مردوديته المالية والإقتصادية، والتي تعتبر كضمان لأموال البنك المقترضة.

<sup>1</sup> CALCUL DE LA VALEUR ACTUELLE NETTE (VAN) » Introduction Ce prospectus donne des instructions et des exemples de calculs de la valeur actuelle nette, 2006,

<[http://www.encapafira.org/SME/French%20materials/exercices%20handouts/SME-CPHandout-CalcNPV\\_fr.pdf](http://www.encapafira.org/SME/French%20materials/exercices%20handouts/SME-CPHandout-CalcNPV_fr.pdf)>

<sup>2</sup> Charles Doré, Valeur actualisée nette (VAN) <[www.er.uqam.ca/nobel/k32621/C2-4\\_VAN.pdf](http://www.er.uqam.ca/nobel/k32621/C2-4_VAN.pdf)>

<sup>3</sup> Banque de développement local.

**أولاً: المعلومات المتعلقة بالمشروع**

يتمثل موضوع المشروع في إنشاء مركز تجاري على قطعة أرض وسط مدينة أدرار، وهو مشروع محل الدراسة الاقتصادية وتم طلب تمويله بصيغة القرض الإستثماري من بنك التنمية المحلية لولاية أدرار.

**1- تكلفة المشروع**

تقدر التكلفة الإجمالية للمشروع بـ: 34227342.00 دينار

جزائري.

**2- هيكل التمويل**

ما يلاحظ من خلال تكلفة الاستثمار أن بنك التنمية المحلية لولاية أدرار يمول مانسبته 69%، في حين أن المبلغ المتبقي من قيمة الإستثمار يعتبر أموال خاصة، والجدول التالي يوضح هيكل رأس مال المشروع.

**الجدول 01: يوضح هيكل رأس مال المشروع.**

النسبة %	المبالغ	
31	10573342.00	أموال خاصة
69	2365400.00	ديون
100	34227342.00	المجموع

**المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على معطيات بنك BDL.**

**ثانياً: الدراسة المالية للمشروع**

ترتكز هاته الدراسة على أهم العناصر التي تدخل وتؤثر على مردودية المشروع والتي يجب توفرها ليقبل البنك تمويله.

**1- دراسة جدول حسابات النتائج التقديري**

تتعلق هاته الدراسة بالنتائج المالية التي يحققها المشروع خلال خمس سنوات المقبلة وهذا ما يوضحه جدول حسابات النتائج التقديري لهذا المشروع.

**الجدول 02: يوضح جدول حسابات النتائج التقديري بالدينار الجزائري.**

البيان	1	2	3	4	5
رقم الأعمال	33836000.00	36347600.00	40174208.00	39460250.00	45219500
بضائع مستهلكة	24179715.00	23287068.00	25819027.92	23535048.31	28903774.6
الهامش الإجمالي	9656285.00	13060532.00	14355180.08	15925201.69	16315725.3
مواد ولوازم	338360.00	363476.00	401742.08	394602.50	452195
خدمات	2006282.46	2072494.37	2410609.93	2470947.42	3262527.51
القيمة المضافة	7311642.00	10624561.63	11542828.17	13059651.77	12601002.8
المستخدمين	3205440.00	3686256.00	4183900.56	4727807.63	5332967.01

ضرائب ورسوم	875622140	951684.76	1040786.52	1049076.66	1190485.24
مصاريف مالية	1381059.27	1731746.67	1254032.54	776300.23	298577.01
مصاريف مختلفة	179500.00	197500.00	215400.00	228750.00	232500.00
مخصصات الإهلاكات	1663260.00	1663260.00	1663260.00	1663260.00	1663260.00
نتيجة الإستغلال	11239.13-	2394109.20	3185457.64	4614457.24	3883213.55
الضريبة على أرباح الشركات	0	718232.76	955637.292	1384337.17	1164964.06
النتيجة الصافية	11239.13-	1675876.44	2229820.348	3230120.068	2718249.48

**المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على معطيات بنك BDL.**

تم الحصول على الجدول السابق بالإعتماد على المعلومات والمعطيات المتوفرة بالنسبة للمشروع، كذلك يلاحظ أن رقم الأعمال والقيمة المضافة يشهدان إرتفاع سنوي بمعدل أكبر من الزيادة في المصاريف، وهذا مايمثل جانب إيجابي للمشروع.

**2- تقدير التدفقات النقدية للمشروع**

تعتبر هذه الدراسة أساسية لمعرفة قيمة التدفقات النقدية الحاصلة، وذلك من أجل المقارنة بين المصروفات والإيرادات، ويمكن دراسة التدفقات النقدية للمشروع من خلال الجدول التالي:

**الجدول 03: يوضح التدفقات النقدية للمشروع.**

البيان	1	2	3	4	5
النتيجة الصافية	11239.13-	1675876.44	2229820.348	3230120.068	2718249.48
مخصصات الإهلاك	1663260.00	1663260.00	1663260.00	1663260.00	1663260.00
التدفقات النقدية	1652020.87	3339136.44	3893080.348	4614457.238	4381509.48
التدفقات النقدية المجمعة	1652020.87	4991157.31	8884237.658	13498694.9	17880204.38

**المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على معطيات بنك BDL.**

التدفق النقدي = النتيجة الصافية + الإهلاكات.

التدفقات النقدية المتراكمة للسنة N = التدفق النقدي المتراكم للسنة

(N-1) + التدفق النقدي للسنة N.

من الجدول السابق نلاحظ أن التدفقات النقدية موجبة رغم أن المشروع يحقق نتيجة سلبية في السنة الأولى، فهذا يعني أن البنك سيستفيد من هذه التدفقات، وهذا ما يجعل ربما مبدئياً البنك يقبل بتمويل هذا المشروع. كذلك ما يلاحظ من الجدول أن تكلفة المشروع الأولية والتي تقدر: 34227342 دينار جزائري، وهي أكبر من التدفق النقدي المتجمع للسنة الأخيرة والذي يقدر بـ: 17880204.38 دينار جزائري، وبالتالي فإن فترة استرداد المشروع ستكون أكبر من خمس سنوات.

**ثالثاً: تقدير تكلفة رأس المال والقيمة الحالية الصافية**

بمأن معظم القرارات المالية تتوقف غالباً على الطريقة التي يتم بواسطتها عملية التمويل من هنا تبرز أهمية تحديد التكلفة الفعلية لكل مصدر تمويلي للمشروع، وبالتالي تحديد تكلفة رأس المال، وسيتم في هذا الجزء تقدير تكلفة رأس المال حسب طريقة التكلفة الوسطية المرجحة لرأس المال "CMPC".

### 1- تقدير تكلفة الأموال الخاصة

تعتبر تكلفة الأموال الخاصة معدل المردودية الأدنى لتوظيف مال بأموال خاصة ويتم حساب تكلفة الأموال الخاصة حسب العلاقة التالية:

$$K_E = \frac{B}{E}$$

حيث:

B: تمثل النتيجة الصافية (بعد الضريبة).

E: الأموال الخاصة.

وتكلفة الأموال الخاصة لسنوات المشروع موضحة في الجدول

التالي:

## الجدول 04: يوضح تكلفة الأموال الخاصة لسنوات المشروع.

البيان	1	2	3	4	5
النتيجة الصافية B	11239.13-	1675876.44	2229820.348	3230120.068	2718249.48
الأموال الخاصة E	7572529.70	75611290.57	8953288.68	11358746.32	14246909.37
تكلفة الأموال الخاصة K <sub>E</sub>	-	%22	%24.9	%28	%19

المصدر: من إعداد الباحث.

بعد حساب تكلفة الأموال الخاصة لسنوات المشروع سيتم تقدير  
تكلفة الأموال الخاصة المرجحة وذلك بجمع تكلفة الأموال الخاصة لسنوات  
المشروع وقسمتها على عدد السنوات:  
تكلفة الأموال الخاصة K<sub>E</sub> = 4/(19+28+24.9+22) = 23.5%.

## 2- حساب تكلفة رأس المال لسنوات المشروع

سيتم حساب تكلفة رأس المال حسب طريقة التكلفة الوسطية  
المرجحة لسنوات المشروع وفق العلاقة التالية:

$$K = K_e E / E+D + K_d D / E+D (1-T)$$

بالنسبة لمعدل الفائدة والذي يقدر بـ 7.5% فإنه سوف يتم اعتباره  
تكلفة الديون K<sub>D</sub>، والجدول التالي يوضح كيفية حساب تكلفة رأس المال  
للمشروع.

## الجدول 05: يوضح كيفية حساب تكلفة رأس المال K.

البيان	القيمة
الأموال الخاصة E	10573342.00
الديون D	2365400.00
الضريبة على أرباح الشركات	30%
تكلفة الديون K <sub>D</sub>	7.5%
تكلفة الأموال الخاصة K <sub>E</sub>	23.5%
تكلفة رأس المال K	10.9%

المصدر: من إعداد الباحث.

## رابعاً: تقدير صافي القيمة الحالية VAN

بعد تحديد كلاً من قيم التدفقات النقدية الصافية وتكلفة رأس مال  
المشروع فإنه باستطاعتنا معرفة صافي القيمة الحالية للمشروع والجدول  
التالي يبين كيفية حساب صافي القيمة الحالية للمشروع وفق العلاقة السابقة.

## الجدول 06: يوضح صافي القيمة الحالية للمشروع.

التدفق النقدي المستحدث $CF_T(1+K)^{-t}$	التدفق النقدي $CF_T$	السنة T
	34227342	التكلفة الإبتدائية $I_0$
1489649.116	1652020.87	1
2715007.745	3339136.44	2
2854294.158	3893080.348	3
3050664.45	4614457.238	4
2611957.012	4381509.48	5

المصدر: من إعداد الباحث.

من الجدول فإن:

$$+34227342.00 - = \text{صافي القيمة الحالية} \\ (2611957.012 + \dots + 2715007.745 + 1489649.116)$$

$$= - 21705769.52 \text{ دينار جزائري.}$$

مما سبق عرضه نخلص إلى أن التكاليف الاستثمارية للمشروع تسترد خلال مدة أكبر من خمس سنوات، كما أن المشروع يحقق صافي قيمة حالية سالبة للسنوات الخمس الأولى.

وبالتالي فإن المشروع يعتبر مقبولاً ومفيداً لصاحبه إلا إذا كانت صافي القيمة الحالية موجبة ولذلك لا بد من استمرار المشروع لمدة تفوق خمس سنوات بحيث يمكن للمستثمر استرجاع تكاليف المشروع، وبالتالي تحقيق صافي قيمة حالية موجبة.

## الخاتمة:

لقد حاول هذا البحث تطبيق طريقة صافي القيمة الحالية في مجال تقييم مشروع استثماري ممول من طرف بنك التنمية المحلية لولاية أدرار، قصد مساعدة مسؤولي هذا الأخير على معرفة أولويات إنجاز المشاريع، وذلك باعتبار هذا المعيار من بين أحسن المعايير المستعملة في مجال اختيار وتقييم المشاريع الاستثمارية.

وما يمكن استخلاصه من خلال ما جاء في هذا البحث ما يلي:

- إن الاستثمار هو توظيف رؤوس أموال على أمل الحصول على أرباح في المستقبل، و ينقسم هذا الأخير إلى عدة أنواع حسب العلاقة و الغرض و المدة... كما انه له ثلاثة أبعاد مالية و محاسبية واقتصادية.

-إن عملية التقييم والاختيار بين المشاريع الاستثمارية، يتم على أساس معطيات متوفرة من خلال دراسات للسوق والمحيط، وأصعب مرحلة في هذه العملية لا تكمن في تطبيق المعايير المتوفرة فحسب، وإنما في مدى دقة المعطيات والعناصر المستعملة لتطبيق هذا المعيار خاصة مدة حياة المشروع، وتدفقاته النقدية، و تكلفة رأس المال. ولذلك يعتبر قرار الاستثمار من أهم وأصعب القرارات التي تتخذها إدارة المشروع فهي ذات تأثير على بقاءه واستمراره ونموه.

- ترجع أهمية تقييم قرار الاستثمار، إلى أن الأموال المخصصة للاستثمار في الموازنة الرأسمالية تكون عادة محدودة وذات تكلفة مرتفعة، وبالتالي يجب أن يتم اتخاذ القرارات الاستثمارية بطريقة تجعل العائد المتوقع من المشاريع أكبر من تكلفة الحصول على الموارد المالية، التي تعاني كثير من المؤسسات من ندرتها، لذا يجب مراعاة بعض الشروط في استثمار هذه الموارد، من خلال التخطيط طويل الأجل أو ما يعرف بالموازنة الرأسمالية، التي تهدف إلى الحفاظ على رأس المال.

- يعتبر معيار صافي القيمة الحالية من بين أهم المعايير المالية التي تطبق في عملية اتخاذ القرارات وذلك فيما يخص تقييم المشاريع الاستثمارية من أجل المفاضلة بينها واختيار المشروع الأنسب لعملية الاستثمار.

ويمكن إدراج بعض الاقتراحات والتوصيات انطلاقاً من كل ما سبق

كمايلي:

- ضرورة دراسة كل الجوانب المتعلقة بالقرار الاستثماري، ومحاولة تجنب الأخطاء وذلك بالاستفادة من جميع الأساليب العلمية ، مع جمع المعلومات الملائمة والمفيدة عن طريق نظام معلومات سريع وفعال.

- يجب على المؤسسات أن تولي لعملية اتخاذ القرارات الاستثمارية اهتماماً كبيراً لأنها من أصعب المهام، خاصة القرارات المالية منها، نظراً للتعقيدات المحيطة بها وكثرة التقلبات الاقتصادية، ويجب الاهتمام

أكثر بالجانب الاستثماري لأن أي خطأ في تجسيد مشروع غير فعال يؤدي إلى خسائر كبيرة للمؤسسة، لذا يجب إدخال عنصر عدم التأكد في اختيار الاستثمارات من خلال دراسة عنصر المخاطرة، دون إهمال الجوانب الأخرى.

- ضرورة البحث عن التمويل المناسب للمشاريع الاستثمارية لتجنب التكاليف المرتفعة، ومخاطر التضخم، مع محاولة ترشيد الانفاق الرأسمالي.

- الاهتمام بدراسة الجدوى لمختلف جوانب المشروع الاستثماري، ابتداءً من الدراسات المبدئية التي تعطي نظرة عامة حول قبول أو رفض تنفيذ المشروع، ومن ثم الشروع في دراسات الجدوى التفصيلية، إن كان القرار بالقبول طبعاً، وتشمل هذه الأخيرة مختلف الجوانب التسويقية والمالية والقانونية التي يمكن أن تعيق تنفيذ الاستثمار، وقد أظهر التطبيق العملي في الدول النامية عن حدوث الكثير من المشاكل كنتيجة لعدم إجراء الدراسات الفنية والاقتصادية بالدقة المطلوبة، ومن أهم هذه المشاكل مايلي:

أ- تقادم مشكل السيولة و اختلال هيكل التمويل .

ب- اختلال التوازن بين الطاقات الإنتاجية المتاحة.

ج- عدم وجود التنسيق الفعال في الأنشطة الاقتصادية، وعدم

الاهتمام ببرامج الصيانة.

د- ارتفاع التكاليف الثابتة.

- عدم الاكتفاء بالطرق التقليدية بل يجب تطبيق مجموعة من المعايير الفعالة كالقيمة الحالية الصافية ومعدل العائد الداخلي والتحليل متعدد المعايير، وإشراك كل ماله علاقة بالجوانب التقنية والاقتصادية في المؤسسة.

- عند تطبيق طريقة أو معيار معين، يجب الاستعانة بنظام المساعدة على اتخاذ القرار، الذي يتسم بالسهولة والقدرة على التدخل ليس فقط في مرحلة التحليل ومعالجة وصياغة المعطيات، ولكن أيضاً في مرحلة اتخاذ القرار.

- إن النظام الجيد المساعدة على اتخاذ القرار، يجب أن يكون قادراً

على استيعاب تعقد المشاكل في اختيار وتقييم المشاريع من خلال:

أ- القدرة على معالجة مختلف البدائل.



ب-الأخذ في الاعتبار عدة معايير وأهداف.

ج-السماح لمتخذ القرار بإدماج المعطيات الموضوعية وكذلك الذاتية (المبنية على التجارب).

- إعطاء دور رئيسي للبحث والتطوير، وتكوين إطارات المؤسسة في مختلف المجالات التي يطرأ عليها تغيير على المستوى العالمي، وعدم الاكتفاء بالطرق التقليدية في التقييم بصفة عامة.

### قائمة المراجع

#### أولاً: المراجع العربية

1. أحمد لطفي عبد العظيم، تقييم المشروعات الصناعية، مركز التنمية الصناعية للدول العربية، القاهرة، 1995.
2. حامد العربي الحضيبي، تقييم الاستثمارات، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
3. حنفي زكي مسعود، دراسة محاسبية لجدوى المشروعات، كلية التجارة، جامعة القاهرة، 2000.
4. كاضم جاسم العيساوي، دراسات الجدوى الإقتصادية وتقييم المشروعات، دار المناهج للنشر و التوزيع، الأردن 2001.
5. مراد علي نشأت خليل، دراسة الجدوى وتقييم المشروعات الاستثمارية، جامعة الزقازيق، معهد الكفاية الانتاجية، 2007.
6. عبد الغفار حنفي، الإدارة المالية مدخل اتخاذ القرارات، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2002 .
7. سليمان اللوزي، يوحنا عبد الآدم، دراسة الجدوى الإقتصادية و تقييم كفاءة أداء المنظمات، كلية التجارة جامعة طنطان الطبعة الثالثة، 2000.
8. سمير محمد عبد العزيز، دراسات الجدوى الإقتصادية و تقييم المشروعات، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشرالإسكندرية، مصر، 1997.

### ثانياً المراجع الأجنبية

- 9- Abdellah Boughaba, **Analyse et Evaluation de Projets**, Berti Edition, Alger 2005.  
10- Patrice Vizaaavouna, **Gestion Financier**, Berti Edition, Alger 1999.

### ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- 11- Valeur actuelle, 2008 < [www.maths.ac-aix-marseille.fr/program/stg/fichiers-acc/ActualisationCapital.pdf](http://www.maths.ac-aix-marseille.fr/program/stg/fichiers-acc/ActualisationCapital.pdf) >
- 12- La valeur de L'argent Dans Le Temps Et L'actulasion Des Cash <[https://intranet.escpeurope.eu/~bmt/resumes/chap\\_4r.pdf](https://intranet.escpeurope.eu/~bmt/resumes/chap_4r.pdf)>
- 13- Calcul De La Valeur Actuelle nette, 2008, <[www.encapafrika.org/SME/Frenchmaterials/exerciceshandouts/SME-CPHandout-CalcNPV\\_fr.pdf](http://www.encapafrika.org/SME/Frenchmaterials/exerciceshandouts/SME-CPHandout-CalcNPV_fr.pdf)>
- 14- CALCUL DE LA VALEUR ACTUELLE NETTE (VAN) » Introduction Ce prospectus donne des instructions et des exemples de calculs de la valeur actuelle nette, 2006, <[http://www.encapafrika.org/SME/French%20materials/exercises%20handouts/SME-CPHandout-CalcNPV\\_fr.pdf](http://www.encapafrika.org/SME/French%20materials/exercises%20handouts/SME-CPHandout-CalcNPV_fr.pdf)>
- 15- Charles Doré, Valeur actualisée nette (VAN) <[www.er.uqam.ca/nobel/k32621/C2-4\\_VAN.pdf](http://www.er.uqam.ca/nobel/k32621/C2-4_VAN.pdf)>
- 16- Introduction à l'évaluation participative 2006, <[www.ddrhonealpesraee.org/dump/EvaluationpresentationRAE\\_52.pdf](http://www.ddrhonealpesraee.org/dump/EvaluationpresentationRAE_52.pdf)>

01	Dr .Hind Amel MOSTARI	A Brief Survey of Language Planning in Palestine	1-16
02	Choueïla TALEB	Le silence comme forme d'expression cinématographique La citadelle de M.Chouikh	17-29
03	SEFFAH Meriem	Apprendre les TIC ou les TIC pour apprendre ? cas du public « Université d'Alger »	30-61
04	Mami fouad	The Concept of Deity and Africa's Promise of a Cultural Renaissance in Ayi Kwei Armah's <i>Osiris Rising</i> and <i>KMT in the House of Life</i>	62-81

**A Brief Survey of Language Planning in Palestine**

**Dr Hind Amel MOSTARI**  
**Djillali Liabés University**  
**of Sidi Bel Abbés**

**1. Summary**

As its title indicates, the present paper attempts to investigate the language planning question in Palestine as well as the development of a Palestinian language education policy for foreign language teaching. In fact, after 1948 the Jordanian curriculum was in force in the West Bank, and the Egyptian curriculum in the Gaza Strip, even during Israeli occupation. Only very recently were attempts starting to be made in order to define an independent language policy. Accordingly, this paper will endeavour to shed light on the educational policy meant for foreign languages teaching.

**ملخص:**

كما يشير العنوان، تحاول هذه المقالة دراسة إشكالية التخطيط اللغوي في فلسطين وكذلك وضع سياسة لغوية فلسطينية لتعليم اللغات الأجنبية. فبعد عام 1948 كان المنهاج الأردني معمولاً به في الضفة الغربية، والمنهاج المصري في قطاع غزة، حتى أثناء الاحتلال الإسرائيلي. إلا مؤخراً جداً، بدأت محاولات في تحديد سياسة لغة مستقلة. على هذا الأساس، فإن هذا المقال هو محاولة لتسليط الضوء على السياسة التعليمية المخصصة لتعليم اللغات الأجنبية.

**2. Introduction**

For many centuries, Palestine has been the cradle of many cultures and religions throughout the Islamic as well as Christian crusades. Consequently, its sociolinguistic and cultural heritage has been deeply affected and influenced by many languages, different cultures and beliefs. Accordingly, the present article will endeavour to highlight the basic characteristics of

**A Brief Survey of Language Planning in Palestine**

language planning in Palestine in an attempt to understand the main components which constitute its linguistic map. The aim is to investigate the developments of foreign language education policies in Palestine, at a time when the establishment of a Palestinian state has become a real option, and when, following the Oslo agreements the Palestinians became responsible for Palestinian education.

*2. A Socio-Historical Background of Languages in Palestine*

With the spread of Islam during the first decades of the seventh century CE, Syria, including Palestine, was conquered by the Arabs. Arabic replaced the Syrian Aramaic language. Ever since, Arabic has been the native language of the Palestinian Arabs. During the Crusades, French, German, and English were used. However, the language of daily communication was Arabic. The Franciscan Fathers who came to Palestine after the Crusades introduced the teaching of Italian among Christians in Bethlehem and Jerusalem.

In 1517 Palestine was conquered by the Ottoman Turks who ruled the country till 1917. Ayish et al (1983) indicate that during Ottoman rule, Turkish was the official language of the government. During the Ottoman rule, the Arabic language was weakened. However, the nineteenth century witnessed a cultural renaissance due to Napoleon's campaign in Egypt and Syria in 1799. This renaissance developed during the Egyptian rule of Mohammed Ali and his son Ibrahim. Arabic gained additional strength as a result of the opening of Western missionary schools in Syria, Lebanon, and Palestine<sup>1</sup>. In this connection, Maoz (1975) reports that there was an unending competition among the various Christian churches. Each church taught its own language: French or Italian (Catholics), English (Presbyterians, Anglicans, and Quakers), German

---

Hassassian (1987).

(Lutheran), and Russian (Orthodox). Spolsky and Cooper (1991) give a lucid account of Palestinian multilingualism in Jerusalem where the following languages were used in the late nineteenth century: Spoken Arabic, Classical Arabic, Turkish, Greek, Latin, French, Armenian, English and German. Towards the end of Ottoman rule in the Arab countries (including Palestine), Turkish was made the official language and Arabic was discouraged as an educational language.<sup>2</sup>

During the British Mandatory period in Palestine, English became the main language of the government. However, in spite of the fact that the communities, Arabic and Jewish, operated their own separate school systems, there exists a language contact, generally with the Jews learning Arabic.

In 1948 Israel was established on most of Mandatory Palestine with the exception of the central hilly part, known as the West Bank of Jordan (which was annexed to Jordan), and a small enclave to the South adjoining Egypt, known as the Gaza Strip, which was administered by Egypt. Arabic is the official language of Jordan and Egypt<sup>3</sup>. English was and is the only foreign language taught at Palestinian government schools<sup>4</sup>. In private schools, French, German, and Spanish are taught in addition to English. Similarly in the Gaza Strip, English is the only foreign language taught at government schools. The Jordanian and Egyptian curricula were in effect in the West Bank and Gaza respectively during the Israeli occupation of these areas from 1967 till 1994. It is important to note that during the Israeli occupation of the West Bank and Gaza, English served as a *lingua franca* between Palestinians who did not know Hebrew and

---

<sup>2</sup> Ayish et al (1983).

<sup>3</sup> By Arabic, we mean the modern version of Classical Arabic.

<sup>4</sup> Tushyeh (1990).

Israelis who did not know Arabic. English is therefore viewed as a neutral language<sup>5</sup>.

With the establishment of the Palestinian National Authority in Gaza and Jericho in 1994, and in 1995 and 1996 in major West Bank cities, the multilingual situation remained essentially unchanged. However, some changes in relation to teaching English, Hebrew and other European languages were observed<sup>6</sup>. In brief, the existence of so many diverse languages in the Palestinian linguistic repertoire is due to several factors such as political developments, studying abroad, immigration and resettlement, trade, tourism, travel, and the founding of several religious missionaries and institutions.

Let us first examine the linguistic situation of major languages notably Palestinian Arabic, English and Hebrew, then review the status of modern European languages such as French, Spanish, German, Italian, and Russian, and finally look briefly at minority languages such as Assyrian, Armenian, Greek, Coptic, and Latin.

### *2.1 English*

English is by far the most widely known and used foreign language among Palestinians in the West Bank and Gaza. The spread of English began with the British Mandate in Palestine after World War I. English was the main language of government<sup>7</sup>. English became the first official language of Palestine: English, Arabic, and Hebrew were mentioned in that order as the languages of official documents. Its legal status was defined in 1922 in the King's Orders in Council<sup>8</sup>. During the past three decades there has been a huge increase in the use and diffusion of English. What Abu-Lughod (1997) describes applies to Palestine: "The ever-increasing demand for individuals who are adequately proficient in English

<sup>5</sup> Al-Masri (1988).

<sup>6</sup> Abu-Lughod (1997).

<sup>7</sup> Dweik (1986).

<sup>8</sup> Fishman et al (1977)

makes the issue more acutely felt". The importance of English in the lives of individuals, groups, and institutions in our region hardly needs to be underscored.

Today English is the main language for international communication and for overcoming barriers to the flow of information, goods, and people across national boundaries, and the language for which there is the strongest local demand. By the early 1970s, the effects of the process of globalization were obvious. The demand for English has continued to grow: it serves as a language for access to business, science, education and travel.

During Israeli rule of the West Bank 1967-1995 and Gaza 1967-1994, the Jordanian and Egyptian systems of education were kept intact. This applies also to the English language curriculum used in these two Palestinian areas. English is taught at the Palestinian universities for several reasons. English is a required subject for all first-year university students. English is also a Faculty of Arts requirement at these universities when students take courses in English language and literature. Furthermore, English is the medium of instruction in the sciences and mathematics at all universities and in some disciplines, such as nursing, business, political science and cultural studies, at some Palestinian universities

The relationship between high school students' achievement in English and their motivation to learn English was investigated by Bakir (1996). Her findings emphasized the importance of motivation in accounting for success or failure in learning English. Instrumental motivation was a factor since students sought the social advantages of learning English.

The relationship between students' attitudes towards English and their achievement scores at the secondary stage in Nablus, in the West Bank, was investigated by Shakhshir (1996). In this study



achievement scores of students who had positive attitudes towards learning English, towards the English language teaching situation at their schools, and towards the culture of English-speaking peoples were better than those who had negative attitudes towards these three factors.

The implications of the importance of English for the Palestinians are that there is a socioeconomic value of English, that the culture of the language should be taught, and since English is the universal language of the modern world, it should be taught from the first grade and this means that there will be more for English and more jobs for English language teachers in Palestine.

The first *Palestinian Curriculum for General Education* (1996) emphasized the fact that English has occupied a prominent place in school curricula in Palestine for many years. English has been chosen as the required second language of Palestinian students since it is the dominant international language. The proposed Palestinian curriculum criticizes the existing English curriculum in the West Bank, which is based on that of Jordan and the English curriculum in Gaza, which follows the Egyptian system. It calls for a Palestinian English language curriculum, which emphasizes the Palestinian situation and experience. The curriculum recommends the teaching of English in view of the heavy involvement of the Palestinians with the modern world. As such, it proposes enabling Palestinians to “read, write, speak and appreciate English as a world language by teaching it throughout all twelve years of education.” The new curriculum is different from the ones prevalent in the West Bank and Gaza Strip for more than three decades in three important ways:

- English is perceived as the language of modernity. In order for Palestinians to achieve modernity, English is an important vehicle.
- English is a world language. Since the Palestinians are in a transition state, and at a stage of State

## A Brief Survey of Language Planning in Palestine

formation, Palestinians perceive English as a window on the world.

- The proposal to teach English from the first grade in all Palestinian schools, government as well as private, is completely different from the current situation, and very courageous in comparison with other Arab countries.

### 2.2 Hebrew

Some older Palestinians learned Hebrew during the British Mandate through contacts with the Jews. This use of Hebrew by Palestinians in the West Bank and Gaza came to an end after the 1948 war, with the establishment of the State of Israel, and the attachment of the West Bank to Jordan and the Gaza Strip to Egypt.

With the occupation of the West Bank and Gaza in 1967 by Israel, contact between Palestinians in these two areas and Israelis was re-established. Many Palestinians learned Hebrew informally, as it became the main language of business and trade between Israelis and Palestinians. In addition, thousands of Palestinian workers flocked to the Israeli labour market where they acquired knowledge of spoken, but not written, Hebrew.

While the Palestinians were, at least until the first Intifada, closely integrated into the Israeli labour market, it was for the most part only in agriculture or construction, where the degree of Hebrew knowledge required was limited<sup>9</sup>. At the same time, the Intifada did have an important influence on the spread of Hebrew among Palestinians in the West Bank and Gaza, as Hebrew was taught in prisons by fellow-prisoners.

The spread of Hebrew among Palestinians has been mainly instrumentally motivated<sup>10</sup>. They explain that knowledge of Hebrew in Jerusalem was inversely correlated with education, for it was those who were

<sup>9</sup> Spolsky (1997)

<sup>10</sup> Spolsky and Cooper (1991)

## A Brief Survey of Language Planning in Palestine

willing to work in hotels and restaurants, in the building industry, and in the market place who learned Hebrew. Educated Arabs who worked inside their own community in professional roles were able to continue to function effectively without Hebrew. In the West Bank and Gaza, then, the primary function of Hebrew has been instrumental and work-related.

Hebrew is also taught at schools such as the Terra Sancta School in Bethlehem as well as in all Palestinian universities, where it is attached to the Arabic department and offered as either a required course or an elective. The introduction of Hebrew was dictated by the current situation in the West Bank and Gaza and by the peace process. Hebrew was also introduced on instructions from the Palestinian National Authority. The rationale for teaching Hebrew is that it is used in business and politics with the Israelis as well as for coexistence between Arabs and Jews.

The effectiveness of teaching Hebrew at the university level was criticized by Hamed (1995). He claimed that the students learned the basics of Hebrew but they could not speak it well. The Palestinian worker who experienced life in Israeli society can speak Hebrew much better than the student who learns Hebrew at the University.

In sum, though Hebrew is an important language in the Palestinian linguistic repertoire, the language is mainly learned informally through a direct contact with Israeli Jews, mainly at work, in commercial transactions, and in prisons. Its formal learning is extremely limited, and confined to basic courses at Palestinian universities and other institutions.

The drastic change in the proposed Palestinian curriculum is in teaching a third language. In the Palestinian public schools, two languages are taught:

Arabic and English. It is proposed to provide a third language competence: a world language such as French, or Hebrew as a functional language of the region. Considering Hebrew as a possibility for teaching as a third language is extremely interesting, given that Hebrew is the language of the Israeli occupation in Palestine. However, the fact that Palestinians are ready to consider teaching Hebrew seriously is a sign of the significance and high linguistic value of this language for Palestinians.

Unlike English, teaching Hebrew is suggested in what is called 'the take-off stage' in the last three years of schooling. It is clear that in the new policy English enjoys a unique status among foreign languages.

In sum, though Hebrew is an important language in the Palestinian linguistic repertoire, the language is mainly learned informally in direct contact with Israeli Jews, mainly at work, in commercial transactions, and in prisons. Its formal learning is extremely limited, and confined to basic courses at Palestinian universities and other institutions.

### **2.3 European Languages**

The existence of modern European languages in the linguistic repertoire of Palestine is attributable to several factors, namely, immigration, tourism, travel, study abroad, European missionaries, and European cultural centers such as the British Council, the French Cultural Centers, and the Palestinian-Greek Friendship Society.

Noting that in the second half of the nineteenth century there was a proliferation of primary, secondary, and vocational schools established by Italian, French, German, and American missionaries. The first mission school in Palestine in the nineteenth century came with the establishment of the Latin Patriarchate in Jerusalem in 1847.

## A Brief Survey of Language Planning in Palestine

The Russians<sup>11</sup> came to Palestine and established Al-Maskobiyyah in Jerusalem in 1856. They also opened a teachers' seminary in Nazareth in 1886. Maoz (1975) points out that the German Templars established schools in Haifa, Jaffa, Jerusalem and Bethlehem. The Protestant Mission under Bishop Gobat built two schools in Jerusalem.

In addition to language instruction in Arabic and English, required for all students at all Palestinian institutions of higher education, various foreign languages such as French, German, Spanish, and Italian are also taught, but in general these languages are not mandatory. Thus at Bethlehem University French is offered as a general elective as well as a minor for English majors. However in the Tourist Guides' Program at Bethlehem University, French, German, and Spanish, in addition to English and Hebrew, are required courses. At the center for languages and translation in Bir Zeit University, French, German, and Spanish are taught.

The objectives of teaching the various European languages such as French, German, Spanish, and Italian include the use of these languages in the future careers of the students, especially in hotel management and tourism. Furthermore, these languages are useful for students who intend to study in European countries, use academic and scientific texts and become acquainted with European culture.

In addition to private schools and the Palestinian universities, which promote Palestinian multilingualism, there are also other instructional sources. The various monasteries teach languages other than those taught at schools and universities. Thus the Franciscan Fathers teach Latin and Italian for monks and the Greek Orthodox teach Greek and Russian in their monasteries.

---

<sup>11</sup> Spolsky & Cooper (1991)

## 2.4 Ancient languages

In addition to Latin and Greek discussed above there are other languages that are used by small-sized Christian denominations in Jerusalem and Bethlehem. These languages are Armenian, Assyrian, Coptic and Abyssinian.

There has been an Armenian minority group in Palestine since the fourth century CE<sup>12</sup>. Many Armenians immigrated to Syria, Lebanon, and Palestine after the Ottoman massacres of the Armenians and the Assyrians in Turkey in 1908.

Today most of the Armenians live in the Armenian monasteries in Jerusalem and Bethlehem<sup>13</sup>. They have many religious, social, and cultural institutions, all of which are located within the Armenian compound in the Old City of Jerusalem. Ironically, Armenians make up a good proportion of the speakers of Turkish in the Old City.

The Assyrians have a long history in Palestine. Their language resembles the Aramaic spoken in Palestine at the time of Christ. Like the Armenians, many Assyrians settled in Jerusalem and Bethlehem after the massacres by the Ottoman Turks in 1908. The Assyrians and the Armenians conduct their religious services in Aramaic and Armenian respectively. Assyrian is taught only at Assyrian religious institutions. Dweik (1986) points out that Armenian and Assyrian are mostly used at home, at school, in social clubs, in the church, in personal letters, and in informal conversation.

The Abyssinians were converted to Christianity in the fourth century CE and they came to Jerusalem after that date and established many churches and monasteries in Jerusalem. However, as Al-Arif (1961) noted, they lost most of these institutions. The Abyssinians are the

---

<sup>12</sup> Al-Arif (1961)

<sup>13</sup> Bannourah (1982)

## A Brief Survey of Language Planning in Palestine

Christians of Ethiopia. They speak the Amharic language. Today there are tiny Abyssinian communities in Jerusalem and Bethlehem. They conduct their religious services in Geez.

The first Coptic groups came to Jerusalem in the middle of the fourth century CE<sup>14</sup>. Today, the Copts are mainly concentrated in Bethlehem and Jerusalem as tiny minorities. They conduct their church services in the Coptic language, which was used in Egypt before the Muslim Arab conquest of Egypt in the seventh century CE.

Unfortunately, though the proposed Palestinian curriculum is relatively progressive, it has ignored totally the Palestinian heritage languages. The inclusion of these languages in the Palestinian curriculum as heritage languages worth developing and teaching to native speakers and Palestinians interested in them would make the new Palestinian curriculum different, in many important ways, from what exists in the majority of the Arab countries.

### 3. The Status of Palestinian Arabic in Israel

We therefore see a variety of conflicting facts about the intensity of contact between Arabic and Hebrew, and these facts intertwine with the already complex state of affairs regarding Arabic dialects in general and the local varieties in Israel and Palestine as a subset of the Arabic-speaking world. A fundamental difference is observed between the varieties of Palestinian Arabic (here after PA) which is spoken in the West Bank and those spoken in Israel. The former are more like the dialects in other Arab countries, while the latter is a minority language. In some countries minority Arabic is one of two or more official languages (only in Chad, Israel and Somalia<sup>15</sup>. Spolsky & Shohamy (1999:117) compare Arabic's secondary role in Israel to "that of Swedish in Finland or of French in Canada.

<sup>14</sup> Al-Arif (1961).

<sup>15</sup> According to Spolsky & Shohamy (1999).

#### 4. Conclusion

Palestine is a fertile ground for the study of Palestinian multilingualism, which hitherto has not received attention from sociolinguists. In addition to Arabic (including Modern Standard Arabic and Palestinian Arabic) and English, the Palestinian linguistic repertoire includes Hebrew and various European languages such as French, Spanish, German, and Italian. The domains of these languages are educational institutions, places of work, immigration, tourism and travel.

Various factors contributed to the making of this colourful linguistic mosaic in Palestine. These factors include the rich ethnic and cultural heritage of Palestine, educational institutions mostly private, contact with tourists and visitors, immigration and travel. The Palestinian National Authority has recently shown an interest in promoting Palestinian multilingualism with its intention to teach French in addition to English in public schools in the West Bank and Gaza.

It is obvious that education plays a role in the development of the identities of the people in Palestine more generally and that it will also play a role as an instrument in the development of a new Palestinian identity that is emerging with independence. That new identity will have many faces. As the New Curriculum shows, an international orientation is clearly part of it, and accordingly the learning and teaching of languages are a primary concern in that process. Knowledge of other foreign languages will be needed to maintain contacts with other parts of the world. This probably would largely contribute in the construction of the new Palestinian identity; the fantastic outcome of such various contacts with both the west as well as the middle east .

#### Author's Address :

I welcome your comments at :  
[Hmostari@yahoo.com](mailto:Hmostari@yahoo.com)



References

Abu-El-Haj, Dina. 1996. Evaluation of the English curricula in the West Bank and Gaza Strip: Private, government and UNRWA sectors. In PCDC 1996: 175-240.

Abu-Lughod, Ibrahim. 1997. Plenary lecture, Third Annual Symposium of PATEFL, Bethlehem university, 17 April 1997.

Al-Masri, Nathmi. 1988. *Teaching Culture in the Foreign language Classroom with Particular Reference to the Gaza Strip*. Unpublished M.A. Thesis, University of Salford, England.

Amara, Muhammad., B. Spolsky, H. Tushyeh, and K. de Bot. 1998. *Languages in Bethlehem: The Sociolinguistic Transformation of a Palestinian Town*. Final Scientific Report of Project No. 94-11-1 sponsored by the Netherlands-Israel Development Research Program (NIRP). Language Policy Research Center, Bar-Ilan University.

Ayish, H., W. Al-Jabri, and Y. Jum'a. 1983. *Modern and Contemporary Arab History* (in Arabic). n.p.

Bakir, 'Aida. 1996. *The Relationship between Motivation and Performance of the Second Secondary Students at Governmental Schools in Nablus*. Unpublished M. A. Thesis. Nablus: An-Najah National University.

Bannourah, Touma. 1982. *The History of Bethlehem, Beit Jala, and Beit Sahour: Ephrata* (in Arabic). Al-Ma'arif Press, Jerusalem.

Baraqwi, Fatima. 1995. *Achievement in English among Students in Three Types of Schools in Jerusalem and Nablus*. Unpublished MA thesis. Nablus: An-Najah National University.

## A Brief Survey of Language Planning in Palestine

Cooper, Robert. 1989. *Language Planning and Social Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

Dweik, Bader. 1986. *Research Papers in Applied Linguistics*. Hebron: Hebron University.

Ferguson, Charles. 1959. Diglossia. *Word* 15: 325-40.

Fishman, Joshua, R. Cooper, and A. Conrad. 1977. *The Spread of English*. Rowley, Mass.: Newbury House.

Giacaman, Hanna. 1990. *Educational Institutions in Bethlehem: A Historical Glimpse* (in Arabic). *Antonian Charitable Society Magazine* (Bethlehem): 38-45.

Hamed, Ahmed 1995. The teaching plans of the faculties of Arts at the West Bank universities between theory and practice. *Al-Quds* (Arabic daily). 16 October: 16.

Ibrahim, M. 1983. The role of English departments in Arab universities. Paper presented at the First Conference on the Problems of Teaching English at Arab Universities, University of Jordan, Amman, May.

Jawad, T. 1983. Some reconsiderations of the role played by English departments. Paper presented at the First Conference on the Problems of Teaching English at Arab Universities, University of Jordan, Amman, May.

Jordanian Ministry of Education. 1984. *The English Curriculum for the Compulsory Stage*. Amman: Ministry of Education.

Khalil, Aziz, and Shukri Sanbee. 1987. A study of the relationship between the attitudes and orientations of Arab freshman students and their proficiency in English. *Bethlehem University Journal* 6: 74-99.

## A Brief Survey of Language Planning in Palestine

Maoz, Moshe (ed.). 1975. *Studies on Palestine during the Ottoman Period*. Jerusalem: Magnes Press.

PCDC (Palestinian Curriculum Development Center). 1996. *The First Palestinian Curriculum for General Education* (in Arabic). Ramallah: PCDC.

Shakhshir, Ruba. 1996. *The Relationship between Students' Attitudes toward English and their Scores at the Secondary Stage in Nablus District*. Unpublished MA thesis. Nablus: An-Najah National University.

Spolsky, Bernard 1996. English in Israel after independence. In Joshua A. Fishman, Alma Rubal-Lopez and Andrew W. Conrad (eds.), *Post-Imperial English*. Berlin & New York: Mouton De Gruyter, 533-556.

Spolsky, Bernard. 1997. Multilingualism in Israel. *Annual Review of Applied Linguistics* 17: 138-150.

Spolsky, Bernard, and Cooper, Robert L. 1991. *The Languages of Jerusalem*. Oxford: Clarendon Press.

Tushyeh, Hanna Y. 1986. *The Attitudes of Arab University Students toward Learning English*. Nablus: An-Najah National University.

Tushyeh, Hanna Y. 1990a. Some linguistic features of the Bethlehem dialect (in Arabic). *Antonian Charitable Society Magazine* (Bethlehem): 28-32.

Tushyeh, Hanna Y. 1990b. *The English Language Teaching Situation in the West Bank*. Jerusalem: AMIDEAST.

**Le silence comme forme d'expression  
cinématographique La citadelle de M.Chouikh**

Choueïla TALEB

Université d'Adrar

**Résumé :**

La citadelle, qui est très riche et très fort au niveau de l'histoire et des images, contient peu de dialogue. Ce que l'on pourrait considérer comme une pauvreté peut être perçu comme une richesse. Un des bienfaits du parlant est d'avoir permis le silence. Un moment de silence prend alors tout son poids, toute sa signification. Les moments de silence sont longs et fréquents, ce sont eux qui "parlent" au spectateur. Lire le film en terme de parole et de silence, explorer l'écriture filmique des plans fuyants en voyant ce monde sonorisé, ponctué par des moments de silence ne serait-ce pas une manière d'éclairer le texte filmique par une lumière venue d'ailleurs ?

**ملخص:**

القلعة فيلم جيد وعالي المستوى من حيث القصة والتصوير. كما يحتوي على قليل من الحوار.

مما يدفعنا إلى اعتباره فقرا بيد انه يخفي ثراء فمن محاسنه وجود الكلام وكذلك القدرة على توظيف الصمت. إذ أن لحظة الصمت فيه تلقي بكل ثقلها وكل إحياءاتها. أوقات الصمت طويلة ومتقطعة وطالما حادثت المتفرج

قراءة الفيلم من حيث الكلام والصمت يعتبر استغلالا للكتابة السينمائية لخطط بعيدة المنال ترى العالم جهوري ناطق ، موقوف بلحظات صمت لا تسيء للنص بقدر ما تعتبر التفاتة إلى إضاءته بأضواء خارجة عنه.

**Introduction:**

Le silence constitue un fait de sens : non inscrit mais signifiant. Il se donne à écrire et à lire, à voir et à

entendre comme tel. Comment représenter le silence et comment peut-on en rendre compte ? L'objet de cet article à pour visée de voir si le silence fait appel à un type particulier de transmission de sens.

Le son et le silence constituent dans le récit filmique un couple, où le son s'avère l'élément fondamental. Si nous définissons le son comme une présence le silence sera une sorte d'absence ne pouvant être spécifié que par rapport à ce « quelque chose qui n'est pas là ».

L'absence de communication entre les deux sexes revêt une valeur normative. Cette incommunicabilité commence dès l'enfance; réserve, évitement, chemin séparé, voile, voire enfermement des femmes.

L'incommunicabilité entre les femmes et les hommes est notamment saillante au niveau de l'utilisation de la parole. La parole féminine et la parole masculine sont enfermées dans des mondes disjoints régis par des règles sociales hiérarchisantes dans lesquelles la parole des femmes et celle des hommes se croisent mais ne se rencontrent quasiment jamais, pour faire appel à un silence parlant.

### **I-le sens issu du silence :**

La parole est faite de non-dit ou plutôt le dit cache ce qu'il y a à dire parfois, et parfois révèle le non-dit. La parole n'est jamais de l'ordre de l'évidence. Elle est sans cesse un jeu du voilement et du dévoilement<sup>1</sup>.

Il est relativement facile d'admettre que le silence peut être un choix dans l'étendue des paroles à prononcer, que certaines d'entre elles agissent comme des sortes de caches pour l'esprit ou qu'elles peuvent être représentatives d'une aversion en regard de la charge d'ambiguïté qu'impose le silence. Au plan de la

---

1 J. Ellul, La parole humiliée, Paris, Seuil, 1981, p.21.

communication, celui-ci peut se poser entre le parleur et l'écouter dans l'attente du dire et de l'écoute de même que dans l'interstice compris entre la pensée et la parole se faisant discours. Il est enfin facile d'admettre que le silence peut être la trace ou, l'indice d'une accalmie satisfaite de la parole ou, plus simplement, la marque de la clôture de la parole.

Il appert pourtant, qu'au plan de la signification ou de la connaissance, le silence peut être l'empreinte d'une nostalgie, d'une alerte, d'un refus, d'une quête, d'une enquête ou d'une entente muette. En tant que halo émotif, qui instrument d'une sorte de lenteur énonciative, en tant qu'envers de la voix, le silence suffit parfois à exprimer la complexité de certaines pensées, les hauts cris de certaines émotions, leur ambiguïté et, parfois, leur charge vertigineuse. Le silence fait donc partie du discours en s'élevant ainsi de façon paradoxale en indice de l'indicible :

*Le silence peut se substituer aux mots et tenir lieu d'objet de représentation pour la pensée, malgré le fait qu'il donne nécessairement à lire un signifiant mis en rapport ou en opposition avec d'autres signifiants, visuels ou linguistiques, en affirmant ainsi sa différence et sa volonté énonciative, c'est à dire le quasi-absence ou l'immatérialité de son signifiant et, finalement, ses possibles significations<sup>17</sup>*

Certains silences sont en eux-mêmes représentatifs de la parole à exprimer. Le silence intervient d'une certaine façon constamment dans l'ordre de l'énoncé en interrogeant les signes qui le constituent, en imposant l'examen de la présence-absence, du voilement-dévoilement de la parole. Le silence au cinéma, il n'y en a pratiquement pas. Il incite à reconnaître l'apport d'une intentionnalité, invite, lorsqu'il est marqué, à des variations de l'imagination, à l'emprunt, autrement dit, d'une pensée de l'énonçable et du mémorable.

La citadelle est un film sur le silence, pas seulement celui des espaces infinis et rugueux dont Chouikh est enchanté. Un silence dans lequel la caméra capte les gestes de la vie quotidienne dans un lieu où

<sup>17</sup>L.Roye, Le silence au cinéma ou les structures de l'inexistant, thèse de maîtrise, Québec : Université Laval, 1984

l'homme doit se plier aux exigences de la société pour survivre. Comme tous les bons musiciens pour qui le silence fait partie intégrante du son M. Chouikh joue sa partition en utilisant le moins possible la parole des protagonistes, filmant sans détours leurs intimités avec cette vie cruelle qui les fascine, les excite et qui leur échappe. La mise en scène privilégie le faire sur le dire, les gestes sur la parole.

Il appert, en effet,

*qu'au cinéma comme ailleurs, le silence agit comme une sorte de présence entre les mots, les images ou dans les images même; entre les plans et les séquences, entre les images et les voix. Le silence fait partie du champ scriptural du cinéma dans la mesure où il se fait discours<sup>18</sup>.*

La première séquence du film, s'ouvre sur une rencontre avec des sons, des images, des mots comme la musique lancinante d'un tambourin, la vue du ciel, d'un village qu'un regard survole, la vision d'un cortège sur les hauteurs. L'image obscure de la chambre nuptiale. Dans la rue, il y a des hommes. Des femmes derrière une porte observent le cortège. Une multitude de voix se font entendre dont on ne distingue pas les paroles. Une vieille femme passe devant l'écran. Le son d'un tambourin : le regard des invités suit les mariés se dirigeant vers leurs chambres. L'histoire du film raconte à travers des silences troublants l'incertitude des hommes.

Dans ce film, la bande sonore est hantée par des silences. Les voix sémantisent les images ou au contraire se font murmures. Les mots sont souvent assujettis au pouvoir de l'image. La Citadelle ne fonctionne pas comme un lieu fictionnel habituel. Ici, les personnages n'agissent pas comme des porteurs d'idées et d'actions pris dans un conflit qu'ils auraient eu à résoudre. Le film tend plutôt à rendre compte d'un esprit témoin des pensées quotidiennes des personnages qui, tels des passants diégétiques ou des figurants de la diégèse, livrent leurs inquiétudes et leurs quêtes.

Le circuit filmique conjugue des espaces fragmentés par l'irradiation des voix, celles des

---

<sup>18</sup> M.Blanchot, Le dernier à parler, Paris, Fatamorgan, 1984, p.22

personnages et par le constant passage d'un temps à un autre, d'un réseau scripturale à un autre. Les silences s'insinuent entre les paroles, entre les voix et les musiques, et entre les plans et les séquences. Ils agissent comme des pauses narratives, comme des écarts qui soulignent sans cesse le concept discursif employé.

Le film de Chouikh plonge au cœur de la souffrance féminine, d'autant plus pathétique qu'elle est silencieuse. La parole féminine se dit grâce au mutisme, d'où cette affiche du film qui montre la partie supérieure du corps : le visage voilé, les yeux qui traduisent le regard, les joues, la bouche, quand à elle, n'a pas de forme ; elle est passive parce qu'elle n'a pas cette faculté qu'est la parole. Les femmes sont des victimes à divers titres, elles n'ont pas le droit de dire leur souffrance : elles se contentent de souffrir en silence, ou s'expriment dans un cri, ou par une syncope (c'est à dire en retournant la souffrance contre elles). Nous sommes plongés dans un monde, celui du silence, de tabous, de l'injustice et de la pénurie affective.

Il y a d'un côté Nedjma, et de l'autre la masse des femmes humiliées et taciturnes. Nedjma éprouve le besoin de parler, de briser le silence des soumises. Néanmoins, les femmes n'en sont pas les seules victimes. La narration se fait essentiellement du point de vue du personnage principal, Kaddour, celui-ci a une attitude double : il fait partie du monde des hommes, et son introduction reste facile dans les lieux réservés aux femmes. Il est aussi étranger à ce monde ne serait-ce que parce qu'il le regarde et le juge. Simple d'esprit, il est le lien de ces deux mondes de la frustration, voire l'œil de l'intrus qu'il fait rentrer avec lui, dans cet univers, tel un témoin.

La voix silencieuse des femmes étouffées est transmise de génération en génération : c'est cette parole qu'il faut donner à lire via l'image-son. Celle-ci restitue le contenu des mots et les inflexions des voix, mais aussi les mimiques et les gestes qui montrent ce que les mots gardent dans les non-dits. En fait le silence est dû aussi un contexte difficile, principalement parce que l'environnement dans lequel sont plongés les personnages ne favorise pas la parole.



### I-1 Le silence dû à un contexte difficile :

Le thème de l'exclusion est très présent dans La citadelle, celle-ci semble être au centre des personnages. Dès le départ, le film place Youssef comme un personnage exclu. Cet homme seul, un peu anarchiste qui vit solitaire, se désespère des progrès de la civilisation et de l'invasion des barrières de toutes sortes qui, peu à peu, restreignent sa liberté et son besoin d'indépendance. Le caractère monolithique de Youssef, c'est le thème de l'homme seul à la recherche des autres, et (ou) de lui-même.

Cependant, si Youssef est seul, ce n'est pas en vertu d'une mission plus au moins divine de protection de la société, bien au contraire, il exprime de tout son être à la détruire. Dès les toutes premières images du film, on le voit assis dans un lieu isolé. On peut dire de lui qu'il est blasé par rapport à la société. Et quelques plans plus tard, il se trouve brusquement évoqué par l'image de cette fenêtre derrière laquelle il est enfermé.

Le conflit se trouve donc ainsi posé : un homme seul, exclu face à une société puissante, anonyme et aveugle. Un homme véritable ne peut pas vivre parmi des morts en sursis. L'environnement de la société est, de plus si pernicieux, qu'il finit par corrompre les plus purs. L'exclusion est due à l'incompréhension de ses paroles et donc à l'impossibilité de cet intellectuel de communiquer avec eux. En étant en marge de la société, il est en marge du langage puisque le langage est un fait social. C'est exactement ce qu'écrit T.Hall :

*L'exclusion apparaît comme un espace de désintégration, parce qu'elle crée de la différence par rapport aux inclus et fabrique de la distance entre exclus et inclus. L'exclusion annihile ainsi toute possibilité d'identification, parce qu'elle assigne les individus désignés comme tels à une position d'extériorité par rapport au système social. Alors les exclus appartiennent à des lieux sans voix, investis par le langage des autres. Ne faisant pas partie de la société, ils n'ont pas droit à la parole ».*<sup>19</sup>

---

<sup>19</sup> E.T.Hall, Bateson, Goffman, La nouvelle communication, textes recueillis par Yves Winhin, Paris, Seuil, 1984, p. 86.

## I-2 Des activités silencieuses :

Quelle que soit l'activité que font les personnages, elle n'accepte pas un acte de communication verbale. « *Nous parlons avec notre orgasme vocal, mais nous conversons avec notre corps* »<sup>20</sup> En effet, l'activité qui semble propre au personnage féminin est son métier à tisser. Le métier à tisser est un exutoire à sa souffrance et aussi une manière de se procurer de la force. C'est le cas de toutes ces femmes d'El-Kalâa, qui initient même les petites filles à cette activité. *Photogramme n°196*



Chaque femme s'investit dans son travail pour échapper à la solitude. L'activité principale des personnages féminins ne favorise pas la communication, même si elle permet parfois des discussions. Elle permet de réunir les personnages devant le même métier à tisser, donnant ainsi l'illusion d'une certaine communication, mais en réalité, elle laisse chacun d'entre eux dans sa solitude.

On peut remarquer que les hommes ont aussi des activités qui leur sont propres comme le jeu de dames. Cependant, cette action-là ne facilite pas non plus les échanges verbaux. Dès le début du jeu entre le cordonnier et son ami, la conversation devient difficile et entrecoupée de nombreux silences. De même, au moment où les hommes désirent discuter à l'intérieur du café, c'est tout en même temps et personne ne prend la peine d'écouter l'autre. Cela laisse penser que leurs activités ne sont pas la cause de leur difficulté de communication mais plutôt la conséquence. Cette difficulté à communiquer se retrouve dans le fait que Youssef ait choisi comme compagnon ses livres. En effet, avec eux, il n'a pas besoin de parler. Il lui

---

<sup>20</sup> Ibid, p.92

suffit de lire, tout en restant dans un silence quasi religieux.

Youssef est seul devant ses livres, comme lui les autres sont seuls devant leur jeu, devant leur métier à tisser, ce qui empêche toute communication. Mais, même lorsqu'ils peuvent ou veulent communiquer, les personnages ne sont jamais en phase. En effet, lorsque Nedjma prend la parole, Sidi ne lui répond pas, quand l'épouse engage la parole, Hadj Aïssa la fait taire, quand Kaddour désire parler Nedjma s'en va, etc.

Conscients, les personnages de Chouikh le sont certainement, mais ne serait-ce pas l'absurdité de l'aventure humaine qui se donne à lire dans l'image ? Il ne s'agit plus ici de croire en soi, mais simplement de se poser, soi comme simple existant à l'intérieur d'un univers hostile et dénué de sens. Les personnages révèlent ainsi leur difficulté à communiquer qui est la caractéristique de leur vie à chacun et point commun à leurs vies à tous. On peut se demander si ces personnages d'El-Kalâa ne cherchent pas le silence et la solitude, tout en donnant l'impression de vivre au milieu des autres.

### **11-Lorsque l'image se fait voix :**

Par tradition la quasi absence de définition du silence avait imposé la prémisse initiale généralement acceptée qui voulait que celui-ci corresponde à une sorte d'étendue de la parole comme telle inqualifiée et dénuée de sens. Nous pouvons admettre que le silence peut être considéré comme une fonction structurelle en vertu de la mise en présence des objets contenus dans l'image. Plus encore, les silences au cinéma peuvent être compris comme des écarts posés entre les voix et les images en créant une sorte de tension dans la narration. En tant que lieu de non-parole plutôt que de non-langage, en interrompant la course de l'énonciation de la parole contenue dans le film, le silence interroge parfois ce mouvement associé à un autre mouvement : l'attente d'un regard porté sur la parole ou sur le récit.

Tout au long du film, l'accent est mis sur l'inadéquation foncière de Kaddour à la société, sur le hiatus énorme qui s'était instauré entre elle et lui. Ce jeune homme est la figure principale de l'absence, il est le personnage que l'on évite que l'on recherche sans cesse,

présent par son absence et absent même lorsqu'il est censé être présent, il est au cœur du non-dit, des ellipses verbales qui creusent l'histoire et lamentent l'intimité des personnages condamnés à vivre avec les brèches des tabous trop difficile à assumer. Pourquoi refuser de parler ? Ce qui semble être le fil conducteur d'une œuvre singulière en ce sens.

En réalité, la Citadelle est un film construit sur ce refus de parler, l'interdit est donc fructueux. Dans ce film, la voix de Kaddour n'est quasiment pas audible, Chouikh s'interdit cette voix, sa sonorité. Cherchant sa route dans un univers âpre, le héros Chouikhien se révèle sans fard et sans apprêts. Kaddour est un personnage modeste, voire atypique, parfois un peu frustré.

En fait tout se joue dans cette séquence finale, à la suite d'une très méchante plaisanterie, Kaddour, le jour de son mariage se trouve face à un mannequin. Statufié dans son désespoir avec un visage de granit, le jeune homme acquiert un instant d'immobilité des symboles. Harassé et ému, il arrive à sortir de la chambre qui le sépare de l'assemblée, pour traverser la dernière ligne droite. Un vent de folie semble alors passer sur l'écran, et pendant que les chœurs s'élèvent, l'univers du village éclate, tout à coup en mille morceaux.

Et, une récupération des personnages semble se dessiner en filigrane. L'approfondissement du réel d'El-Kalâa devient mise en évidence de sa complexité, tout au niveau des structures brutes du vécu que dans la caractérisation psycho-sociologique des personnages. Ces derniers nous sont livrés dans toute leur évidence première, crevant l'écran comme le silex écorche la peau. Qu'ils soient hommes ou femmes, ils acquièrent la rugosité morale de l'univers qui fut le leur.

Désabusé, il restera à Kaddour d'assumer son personnage jusqu'au bout, symboliquement et absurdement. Il est désormais trop tard pour espérer encore quoi que ce soit dans ce monde qui a atteint l'âge adulte. C'est pourquoi il lui faudra partir comme Youssef, sans savoir où d'ailleurs. Son mannequin sur les bras, il traverse le village pour aller la recherche du vide.

On retrouve ici le thème de la mort se combinant avec celui de la recherche de soi, de ses mots, de sa liberté.

La mort étant, par excellence, le moment où l'essence se fait acte comme le montrera, dans cette optique, la fin de Kaddour. Et, c'est ainsi que se révèle l'inadéquation au monde. Confronté à ses angoisses, il provoque l'irréparable sans sourciller, poussant les situations jusqu'à la limite du soutenable avec un masochisme furieux et évident. En Kaddour se cache en fait le désir profond d'en finir, de consacrer la rupture avec le monde de la seule manière vraiment irrémédiable, la mort. Car, à bien y réfléchir, tout le film de Chouikh nous montre le jeune orphelin, dans une quête effrénée de la mort, quête motivé par un profond sentiment d'incomplétude ; d'inadéquation à l'ordre social et moral existant et renforcée par la peur panique de la solitude.

Les signes sont là, dans le silence, dans son visage triste qui frôle effectivement l'immobilité totale de la mélancolie, montrent que la course de Kaddour approche de sa fin. *Photogrammes n°398*,

De ce fatal engrenage, il est la pièce maîtresse. Et la victime. Le désir d'autodestruction et la peur du monde dans l'hégémonie des adultes devaient finalement triompher, le forçant à tout briser y compris lui-même.

Ainsi traité par Chouikh, la saga de Kaddour acquiert des résonances. « *Fin de partie* » dirait Beckett. Tout n'est plus, en effet, qu'absurdité pour ce personnage qui en est venu à devoir se tuer.



En fait, Kaddour est mort dans l'obscurité et



presque par un pas indécis. Peu importe en fait de connaître les circonstances ponctuelles de sa mort, l'important se situant au niveau du cheminement de ce corps, des implications socio-psychologiques qui en découlaient. Dans ce point de vue, la mort de Khaled Barkat, à la fin du film devient véritablement plus vraie que nature. *Photogramme n° 420*

Enlacés, pendant que la terre accueille ces deux corps, la caméra, en un plan extraordinairement émouvant, s'immobilise sur une petite fille qui est restée au milieu de l'armada d'hommes. Elle pleure la chute de l'archange, et, dans ce maelström de passions exacerbées, l'imagerie de La citadelle devient fulgurante expression du jeu de la mort et du silence. Jusqu'à ce que le mot « FIN » apparaisse sur l'écran, les pleurs de la petite s'accroissent encore et encore. Comme prises d'un soudain respect de cette fille, comme si jusqu'au bout, la liberté se révélait plus forte que ce qui la tue.

Il est vrai mais le mérite de Chouikh n'est pas mince, justement, que d'avoir réalisé ce subtil amalgame et d'être arrivé finalement à détruire ce silence. Ce silence est un cri, mais à la différence d'un cri le silence est muet. Le but du film n'est pas de produire du sens via la parole mais le donner à voir et le faire ressentir par l'image et le son.

Le thème du silence est omniprésent dans toute l'histoire et règle le mode de vie des femmes et des hommes d'El-Kalâa. Les cycles répétitifs parole / silence produisent une temporalité circulaire du déroulement événementiel. Le silence sert de prétexte à la dilatation du temps et de l'action, et la rotation et le déroulement du cycle parole/silence contribuent à la formation d'un temps qui couvre l'histoire racontée. Ce temps se fonde sur la

répétition des silences et sur l'absence d'ancrage temporel. Il déborde la causalité chronologique et se loge dans les interstices de l'histoire. Le temps chronologique se fond dans les actions des personnages et se confond avec les diverses occurrences du silence. Ce dernier a deux implications sur le récit, la première a trait à la description de la communauté féminine, d'une part, à la forme prise par la succession inexorable des différents cycles parole/silence, et, d'autre part, à leur contenu. La seconde implication concerne les attributions des personnages principaux. Leurs attributions se cristallisent au fil des cycles répétitifs du silence qui convergent vers le centre de l'histoire pour contaminer et qualifier les événements et les personnages. La fonction dénotative du silence éclate et fait jaillir un faisceau de significations qui inclut les figures diégétiques dans la grande tradition maghrébine du silence des femmes.

Parce que, prendre la parole publiquement est une transgression à la loi islamique qui considère que la voix féminine est une *fitna*, c'est-à-dire une menace à l'édifice des valeurs de l'Islam. Déployer sa voix publiquement signifie la transgression d'une loi ancestrale. La voix de la femme a été étouffée, usurpée par l'homme. La tradition patriarcale bloquant les femmes dans leur élan a été déterminante dans la fabrication du culte de la vertu féminine du silence et de la réserve. Les femmes d'El-Kalâa sont réduites au silence pour qu'on ne les entende pas. Inexistantes, les femmes se limitent aux rôles autorisés, esclaves et courtisanes. A croire que leur parole peut être périlleuse, perturbatrice de l'ordre social. La parole se construit à partir de la valorisation de la parole masculine et du dénigrement de la parole féminine. Elle est un outil qui permet à la voix féminine de traverser l'espace clos et de transpercer les espaces interdits. Car, la parole est toujours, ou presque reliée à la représentation de l'espace.

Conclusion:

En effet, le film est construit sur le mode des tensions entre la parole et le silence, entre l'immatérialité de la pensée et la relative matérialité de l'espace, entre la mobilité et la fixité, entre la véracité des personnages, leur éphémérité ou leur absence au sein du circuit filmique.

L'intervention du silence dans la parole cherche à s'assurer de la manifestation de l'invisible. En clair, la dyade parole/silence incite à penser la différence comme sens.

**Références bibliographiques :**

M.Blanchot, Le dernier à parler, Paris, Fatamorgan, 1984

E.MORIN, Le cinéma ou l'homme imaginaire, Essai d'anthropologie, Paris, Minuit, 1978.

E.T.HALL. BATESON. GOFFMAN, La nouvelle communication, textes recueillis par Yves Winhin, Paris, Seuil, 1984.

L.ROYE, Le silence au cinéma ou les structures de l'inexistant, thèse de maîtrise, Québec : Université Laval, 1984.



## Apprendre les TIC ou les TIC pour apprendre ? cas du public « Université d'Alger »

SEFFAH Meriem  
Université d'Alger

### Résumé :

A l'ère de la mondialisation, de l'éclatement des frontières et du développement des moyens de communication, les Technologies de l'Information et de la Communication (TIC) intègrent de plus en plus l'Université algérienne en raison de la réforme universitaire par l'introduction du système LMD<sup>21</sup> afin de rendre efficace l'enseignement- apprentissage. L'axe principal que nous souhaitons interroger dans cet article est celui de la perception, besoins et pratiques des NTIC dans l'enseignement supérieur de notre pays et ce par le biais de la présentation des résultats d'une enquête menée auprès du public universitaire.

### ملخص:

في عصر العولمة، وانفجار الحدود وتطوير وسائل الاتصالات وتقنية المعلومات والاتصالات (تكنولوجيا المعلومات والاتصالات) تدمج على نحو متزايد في جامعة الجزائر لإصلاح الجامعة من خلال إدخال LMD. في هذا المقال نريد أن نعرف ما هي احتياجات وممارسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم العالي في بلدنا، وذلك من خلال عرض لنتائج دراسة استقصائية للاحتياجات، وتصورات وممارسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم العالي في بلدنا، وذلك من خلال عرض نتائج دراسة استقصائية لأساتذة الجامعات والطلاب.

---

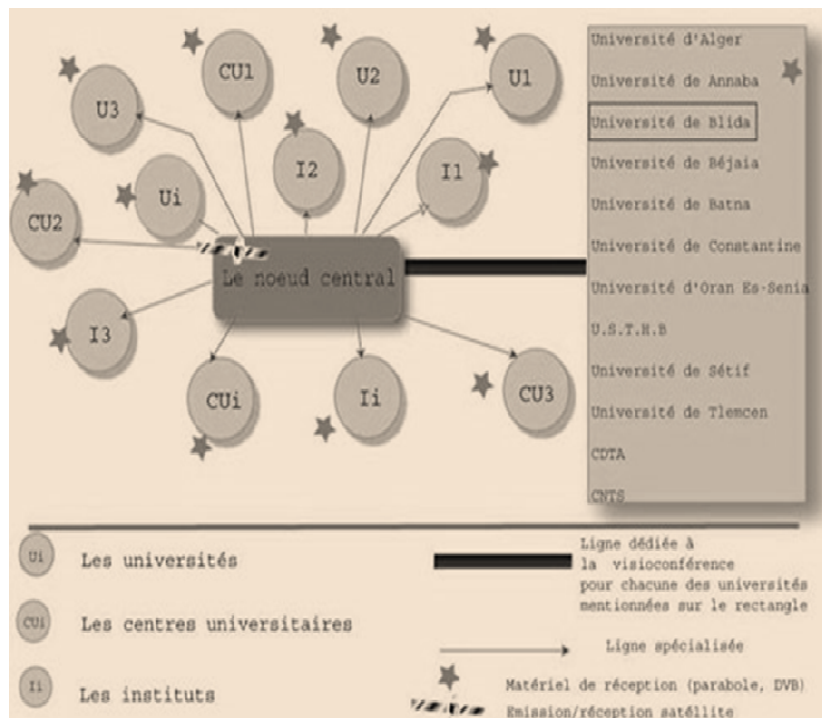
<sup>21</sup> La réforme des enseignements du supérieur (qui est en fait la réforme LMD) adopté par le conseil des ministres du 30 avril 2002 (en application du plan des recommandations de la CNRSE). La réforme LMD Licence/Mastère/Doctorat) est entrée en vigueur à partir de la rentrée universitaire 2004-2005 en Algérie, et elle a touché dans un premier temps 10 établissements de l'enseignement supérieur sur les 58 existants.

### **Introduction:**

Les nouvelles technologies de l'information et de la communication, dont on parle aujourd'hui de plus en plus, ont envahi tous les secteurs de l'activité humaine, y compris celui de l'éducation. Les TIC ont fait l'objet d'un intérêt grandissant, tant de la part des autorités politiques que des spécialistes. L'Algérie a connu, au cours des dix dernières années, une évolution remarquable dans le domaine des TIC. L'utilisation des Technologies de l'Information et de la Communication (TIC) est devenue incontournable et fait partie du quotidien des universitaires algériens.

**Le Ministère Algérien de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique et dans le cadre d'un programme de soutien au développement des TIC, a initié en 2010 un projet ambitieux de télé-enseignement. Le projet de téléenseignement vise à mettre en réseau les différents établissements universitaires algériens.** Une cellule de télé-enseignement est installée dans chaque établissement membre du projet. 59 établissements universitaires (université, centre universitaire, institut) sont divisés en deux groupes selon le type de matériel de visioconférence dont ils sont dotés. Le CERIST constitue le point focal; Le premier groupe appelé pôle émetteur/récepteur est constitué de 13 sites (CERIST, CDTA, USTHB, U.Alger, U.Blida, U.Béjaia, U.Setif, U.Batna, U.Constantine, U. Annaba, U.Tlemcen, ES SENIA, U.Ouargla); et le second pôle récepteur est de 46 sites. La Figure suivante présente l'architecture et le fonctionnement du système préconisé.

Au niveau de l'enseignement supérieur, une infrastructure semble néanmoins jouer la carte de l'intégration. Bien que les TIC semblent définitivement entrés dans les usages de la communauté universitaire algérienne, on peut toujours s'interroger sur leur impact sur les activités des universitaires (enseignement, études). Afin de cerner les profils et les comportements des usagers des TIC, il a paru intéressant d'étudier leurs usages des TIC: qui sont-ils en réalité? que font-ils des TIC?



Comment les utilisent-ils? Quelles difficultés rencontrent-ils? Quelle est leur appréciation des TIC? Quelle place occupent les TIC dans l'activité professionnelle des enseignants et enseignants chercheurs de l'université algérienne?

Que représentent les TIC chez les étudiants et enseignants? Quels sont les effets des usages des TIC sur le travail d'enseignement, sur les études? Nombreux sont ceux qui collectent les ressources sur le web. Qu'est ce qu'ils en font? Comment ils les utilisent?

### Méthodologie :

Il s'agira donc d'appréhender les usages des TIC et les représentations qui les sous-tendent au niveau des étudiants et enseignants de l'Université d'Alger par le biais de deux enquêtes.

Les objectifs des enquêtes sont les suivants:

1. Appréhender la manière dont les étudiants, enseignants et chercheurs utilisent les TIC;

2. Récouter des données sur les représentations que développent les étudiants, enseignants et chercheurs vis à vis des TIC;

3. Décrire les modes et contextes d'utilisation des TIC;

### **Hypothèses:**

Nous formulons les hypothèses suivantes:

1. l'utilisation judicieuse des ressources qu'offrent les TIC peut atténuer la pénurie de documentation récente dans les bibliothèques universitaires;

2. les usages, pratiques et représentation des TIC diffèrent selon les disciplines enseignées à l'université;

3. les étudiants, enseignants et chercheurs n'exploitent pas toutes les possibilités que leur offrent les TIC soit qu'ils les ignorent ou soit qu'ils ne les maîtrisent pas assez;

4. l'encadrement et la formation des étudiants, enseignants et chercheurs à la recherche documentaire et d'information qu'offre les TIC sont susceptibles d'améliorer les pratiques et les comportements.

L'analyse de la littérature et des ressources en ligne, l'enquête exploratoire, les entretiens approfondis réalisés ainsi que l'observation, nous espérons, permettront d'infirmer ou de confirmer les hypothèses ci-dessus formulées.

La population à interroger était composée d'étudiants, d'enseignants et d'enseignants-chercheurs.

Nous avons croisé deux méthodes :

- Un panorama quantitatif des usages, dont l'objectif est d'offrir une vue d'ensemble des types d'usages;

- Une analyse qualitative des usages, réalisée par le biais d'entretiens semi directifs avec des usagers des TIC

Des questionnaires ont été envoyés aux étudiants (2400) et aux enseignants (393) des diverses facultés de l'université d'Alger par mail<sup>22</sup>.

Nous avons jugé nécessaire de diversifier notre échantillon en tenant compte des variables âge, sexe,

---

<sup>22</sup> Nous avons opté pour le courrier électronique pour récupérer le maximum de réponses.

discipline et statut des répondants. Une sélection des sujets en fonction de la cartographie dessinée par ceux qui ont répondu au questionnaire de l'enquête exploratoire a été faite. Ainsi, nous avons établi des classes de profils types à partir de la population qui a répondu au questionnaire. Nous avons porté notre choix sur l'entretien semi-directif laissant ainsi la possibilité aux répondants de s'exprimer largement et librement.

### Définition des concepts

#### 1. Usage

L'usage est l'action, le fait de se servir de quelque chose; utilisation, emploi<sup>23</sup>. L'usage c'est aussi les coutumes, les habitudes communes à un groupe de personnes, un ensemble de pratiques sociales, interactions entre l'homme et son milieu, son environnement de travail. Pour Jacques Perriault, l'usage "*se construit comme une interaction, une négociation entre technologie et utilisateurs*"<sup>24</sup>. Quant à Vedel<sup>25</sup>, l'usage d'une technologie est le résultat d'un processus d'interaction entre une logique d'offre et une logique d'utilisation.

#### 2. La notion d'usage

La notion d'usage revêt plusieurs significations et doit être précisée. Selon Millerand, une lecture rapide de la littérature du domaine suffit à se rendre compte de la confusion entre les termes, le terme usage est utilisé pour celui d'emploi, d'utilisation, de pratique, ou encore d'appropriation<sup>26</sup>. L'ambiguïté dans la notion d'usage, selon Chambat, est le fait qu'elle est utilisée à la fois pour « *repérer, décrire, et analyser des comportements et des représentations relatifs à un ensemble flou* »<sup>27</sup>.

Quant à Jouët, elle fait une première distinction entre les notions d'usage et de pratique : « *l'usage est [...] plus restrictif et renvoie à la simple utilisation tandis que la pratique est une notion plus élaborée qui recouvre non*

<sup>23</sup> Le petit Larousse Gand format, Paris, 2006, p. 1094.

<sup>24</sup> Vitalis, André (sous la direction de) Médias et nouvelles technologies: Pour une socio-politique des usages.-Rennes: Apogée, 1994.- p. 26

<sup>25</sup> Vedel, Thierry Sociologie des innovations technologiques et usagers : introduction à une socio-politique des usages in « Médias et nouvelles technologies : pour une socio-politique des usages »/Vitalis, André (Dir.).- Rennes : Apogée, 1994 .- pp. 13-34

<sup>26</sup> MILLERAND, Florence Usages des NTIC : les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation (1ère partie) 1998 .

<sup>27</sup> Pierre Chambat, in Technologies de l'information et société, vol.6, n°3, 1994.

Apprendre les TIC ou les TIC pour apprendre ?  
cas du public « Université d'Alger »

*seulement l'emploi des techniques (l'usage) mais les comportements, les attitudes et les représentations des individus qui se rapportent directement ou indirectement à l'outil »* (1993). Toutefois, très généralement, usages et pratiques se confondent. En ce qui concerne la présente étude, le terme usage renvoie à l'utilisation effective des TIC à travers les pratiques et les représentations spécifiques propres à la population étudiée.

**3. Représentation:**

La notion de représentation se retrouve principalement dans les trois domaines de la psychologie cognitive (représentations mentales individuelles), de la psychologie sociale (représentations sociales) et de la pédagogie (conceptions des apprenants)<sup>28</sup>. Du point de vue de la psychologie sociale, les représentations sont ainsi définies : *Les représentations sociales constituent une modalité particulière de la connaissance, dite "de sens commun" dont la spécificité réside dans le caractère social des processus qui les produisent. Il s'agit donc de l'ensemble des connaissances, des croyances, des opinions partagées par un groupe à l'égard d'un objet social donné.* (Guimelli, 1994)

**4. Perception:**

Nous allons nous appuyer sur la *psychologie cognitive* et sur *Mediadico* pour définir la perception. Cette science tente depuis le début des années soixante-dix de renouveler la théorie de la perception en proposant des modes d'analyse inspirés par la théorie de l'information et de la communication. Cette tendance de la psychologie expérimentale se fonde essentiellement sur l'idée que la perception est un acte cognitif, en ce sens que le phénomène que l'on désigne de cette façon est le résultat d'un traitement subjectif guidé par un programme, celui-ci orientant les stratégies du comportement. Le terme de « cognition » couvre donc tous les processus par lesquels l'information qui atteint le sujet est transformée, élaborée, mise en mémoire et finalement utilisée (Neisser, 1967). La perception est définie comme *"Action de percevoir l'objet qui fait impression sur les sens, le résultat de cette action"*<sup>29</sup>

---

<sup>28</sup> Raynal 1997 : p. 320

<sup>29</sup> Voir le dictionnaire en ligne: <http://dictionnaire.mediadico.com/traduction/>

### 1<sup>ère</sup> enquête

#### La démarche :

En l'an 2010 (janvier), nous avons mené une enquête auprès d'étudiants de différentes facultés de l'Université d'Alger pour des raisons pratiques vue note qualité d'enseignante au sein de l'une de ces facultés. L'enquête s'est faite par le biais d'un sondage par mail qui visait à mieux connaître l'impact de l'utilisation des TIC sur l'apprentissage des étudiants à l'université. Le sondage portait sur trois principaux aspects :

- a) **Les technologies les plus utilisées par les étudiants ;**
- b) **Les outils préférés pour la réalisation des travaux ;**
- c) **La perception des avantages pédagogiques liés à l'utilisation des TIC à l'université.**

Un questionnaire préparé à l'intention des étudiants comprenait une série de questions à choix multiples visant à mesurer l'impact des TIC ou le degré d'aisance des étudiants par rapport à celles-ci ainsi que deux questions ouvertes sur l'utilisation des TIC la plus susceptible et la moins susceptible de favoriser l'apprentissage.

#### Profil des enquêtés :

Les étudiants qui ont fait l'objet de notre enquête sont au nombre de 2400 moitié filles, moitié garçons. Leurs âges varient entre 20 et 32 ans et étudient dans diverses facultés de l'Université d'Alger à savoir :

- Faculté de Droit
- Faculté des Sciences Économiques et de Gestion
- Faculté de Médecine regroupant trois départements: Médecine, pharmacie et chirurgie dentaire
- Faculté des Sciences Sociales et Humaines
- Faculté des Sciences Politiques et de la Communication
- Faculté des Lettres et Langues
- Faculté des Sciences Islamiques

#### Interprétation et analyse des résultats du questionnaire



### a) Les technologies les plus utilisées par les étudiants

**Q 1 :** Etes-vous à l'aise dans l'utilisation des applications suivantes :

	Traitement De texte	Courrier électronique	Navigation Sur internet	Moteur de recherche	T'chat Et forums	Tableur	Logiciel de présentation	Editeur de page web
Pas du tout	00%	05 %	01 %	00 %	00 %	06 %	10 %	32 %
Peu	01 %	06 %	01 %	03 %	01 %	13 %	08 %	25 %
Moyennement	06 %	14 %	03 %	06 %	03 %	25 %	22 %	21 %
Beaucoup	30%	24 %	18 %	19 %	19 %	26 %	23 %	08 %
Tout à fait	66 %	51 %	77 %	72 %	77 %	30 %	37 %	14 %

En réponse à la question relative à l'aisance d'utilisation de certaines applications, les répondants ont hissé en tête de liste le traitement de texte, le courrier électronique, la navigation sur Internet, l'utilisation des moteurs de recherche ainsi que le t'chat et les forums. L'utilisation du tableur et des logiciels de présentation dénote un degré d'aisance satisfaisant, mais néanmoins plus pondéré. À l'opposé, les principales difficultés des répondants sont liées à l'usage d'éditeurs de page Web.

### b) Les outils les plus appréciés pour la réalisation des travaux

**Q 2 :** Quand vous recherchez de l'information pour vos études, vous utilisez :

	Traitement De texte	Courrier électronique	Navigation Sur internet	Moteur de recherche	T'chat Et forums	Tableur	Logiciel de présentation	Editeur de page web
Pas du tout	00%	05 %	01 %	00 %	00 %	06 %	10 %	32 %
Peu	01 %	06 %	01 %	03 %	01 %	13 %	08 %	25 %
Moyennement	06 %	14 %	03 %	06 %	03 %	25 %	22 %	21 %
Beaucoup	30%	24 %	18 %	19 %	19 %	26 %	23 %	08 %
Tout à fait	66 %	51 %	77 %	72 %	77 %	30 %	37 %	14 %

Bien qu'ils ne soient consultés qu'occasionnellement ou rarement par plus du quart des répondants, les livres et les périodiques figurent toujours parmi les sources d'information très utilisées pour la recherche d'information. Les banques de données en ligne arrivent au deuxième rang en termes de popularité. Enfin, l'utilisation des encyclopédies virtuelles et des cédéroms ainsi que des forums de discussion sur Internet connaît un usage plus limité.

### c) La perception des avantages pédagogiques liés à l'utilisation des TIC à l'université

Q3 :L'utilisation des TIC améliore.....

	La présentation et l'organisation de mes travaux	Ma communication avec les professeurs	Ma collaboration avec les autres étudiants	Ma compréhension des contenus vus en classe	Le feedback des professeurs sur l'évaluation de mes travaux
Pas du tout	03 %	7%	08%	04%	13%
Peu	08 %	9%	6%	11%	18%
Moyennement	16 %	5%	6%	28%	34%
Beaucoup	31 %	7%	7%	35%	23%
Tout à fait	42 %	2%	3%	22%	12%

L'impact bénéfique des TIC le plus souvent rapporté par les répondants concerne l'amélioration de la présentation et de l'organisation de leurs travaux. Une proportion majoritaire de répondants estime également que l'utilisation des TIC améliore beaucoup, ou même davantage, les trois aspects suivants :

- **communication avec les professeurs**
- **La collaboration avec les autres étudiants**
- **La compréhension des contenus vus en classe**

Près du tiers des répondants n'observe toutefois que des résultats faibles ou nuls (réponses *Peu* ou *Pas du tout*) en ce qui a trait à l'impact de l'utilisation des TIC sur

Apprendre les TIC ou les TIC pour apprendre ?

cas du public « Université d'Alger »

le feed-back des professeurs à l'égard de l'évaluation de leurs travaux.

**Q4 : Quel est l'impact sur votre apprentissage ?**

	Avoir accès en ligne aux notes de cours	Avoir accès en ligne aux résultats des examens et des travaux	Avoir accès en ligne au courriel de l'enseignant	Avoir accès en ligne aux travaux des étudiants de sessions antérieures
Pas du tout	03%	06%	02%	10%
Peu	03%	07%	05%	23%
Moyennement	11%	14%	22%	32%
Beaucoup	26%	26%	30%	20%
Tout à fait	57%	47%	41%	15%

Enfin, l'accès en ligne aux notes de cours, aux résultats des examens et des travaux, au courriel du formateur ainsi qu'à des sites Internet en lien avec le contenu du cours engendre un degré de satisfaction élevé chez les répondants, qui sont très enclins à évaluer l'impact de ces ressources sur leur apprentissage de façon positive. L'accès en ligne aux travaux des étudiants de sessions antérieures ainsi que la possibilité de pouvoir communiquer ou débattre en ligne sur des sujets du cours suscitent pour leur part un intérêt moins élevé.

**Q5 : Les cours utilisant les TIC.....**

	Amènent à consacrer plus de temps aux travaux	Accélèrent mon apprentissage	Permettent d'approfondir le contenu développé en classe
Pas du tout	15%	10%	02%
Peu	21%	16%	12%
Moyennement	36%	32%	29%
Beaucoup	16%	24%	34%
Tout à fait	12%	18%	23%

Quant aux deux questions ouvertes portant sur les technologies susceptibles de favoriser - ou non - les apprentissages, les répondants ont signalé cinq principaux usages des TIC susceptibles de favoriser leur apprentissage.

1. La communication avec le professeur : ainsi, par exemple, la possibilité de recevoir une réponse à une question posée par un étudiant avant le cours de la semaine suivante s'avère très appréciée.

2. L'accès en ligne à des informations et des ressources liées au cours : des répondants ont signalé que l'accès au contenu d'un cours sur WebCT devenait, lorsqu'il était enrichi de sites et de ressources pertinents, très favorable à l'apprentissage.

3. La recherche d'information : cette troisième catégorie n'est pas liée à l'usage des TIC par les enseignants, mais porte de façon plus générale sur les bénéfices de l'accès à de l'information en ligne pour faciliter l'apprentissage.

4. L'intérêt pédagogique des TIC : les répondants ont notamment souligné l'intérêt des animations vidéo pour illustrer et représenter plus facilement des processus complexes, par exemple des phénomènes dynamiques.

5. Un net avantage par rapport aux méthodes plus traditionnelles : les répondants ont fait allusion au fait que les TIC favorisaient la concentration, l'écoute active et la prise de notes.

En parallèle, les répondants ont également mis en relief quatre usages des technologies moins susceptibles de favoriser l'apprentissage.

1. Le peu d'utilité des sites de ressources proposés.

2. Le mauvais usage des logiciels de présentation : les répondants signalent des lacunes dans l'utilisation de tels logiciels, notamment Microsoft PowerPoint. La lecture non commentée et contextualisée des transparents par le formateur est jugée d'un très mauvais œil.

3. Le plagiat : les répondants expriment de l'insatisfaction à l'égard du mauvais usage des TIC par leurs pairs en soulignant par exemple que l'accès aux travaux réalisés par des étudiants lors de sessions antérieures ouvre la voie au plagiat.

4. La mauvaise communication : les répondants n'apprécient guère d'être contraints à utiliser certains

cas du pubic « Université d'Alger »

outils électroniques de formation tels les forums lorsqu'ils n'en voient pas l'intérêt sur le plan pédagogique.

En somme, l'enquête réalisée auprès des étudiants a permis d'observer que, dans l'ensemble, les étudiants étaient bien outillés pour utiliser les technologies dans leur formation. Ils sont également très sensibles à la façon dont on emploie ces technologies dans la mesure où ils estiment que la valeur pédagogique des TIC est essentielle à leur intégration. L'important aux yeux des étudiants n'est pas la présence ou non des TIC en pédagogie universitaire, mais bien l'usage qu'on en fait.

## **2<sup>ème</sup> enquête**

### **La démarche :**

Cette seconde enquête menée auprès d'enseignants universitaires, en janvier 2010, apporte des compléments d'information sur la façon dont les enseignants vivent l'intégration des technologies dans leurs pratiques professionnelles.

Le triple objectif qui a donc guidé le questionnaire consiste à :

- mieux comprendre la situation des enseignants du supérieur relative aux technologies dans leur environnement de travail ;
- repérer et analyser les pratiques déclarées par les répondants ;
- faire apparaître leurs besoins en matière d'utilisation et en particulier leur position sur le rôle éventuel et les modalités de formations qu'ils pourraient suivre dans ce domaine.

### **Profil des enquêtés :**

Les enseignants au nombre de 393 à qui nous avons administré un questionnaire par mail se répartissent en quatre groupes (A, B, C, D); Leurs âges varient entre 35 et plus de 55 ans. Ils sont soit maîtres assistants, maîtres de conférences ou professeurs et enseignent dans les mêmes facultés citées auparavant.

### **Les populations constituant les quatre catégories de l'enquête**

#### **Les utilisateurs actuels (catégorie A)**

Sur les 393 personnes qui ont accepté de répondre à l'enquête, 257 utilisent actuellement les TIC dans leurs enseignements, soit 65% des répondants. Certains d'entre

eux font partie des "précurseurs" (7%). D'autres sont des utilisateurs plus récents.

#### **Les utilisateurs passés (catégorie B)**

Cette catégorie de la population interrogée a utilisé les technologies par le passé, mais déclare ne plus s'en servir dans les enseignements. Les répondants sont peu nombreux, seize personnes seulement ont accepté de répondre à l'enquête, soit 4 % des répondants. Ils sont plus jeunes que dans la catégorie précédente : moins de 40 ans (8), entre 40 et 55 ans (6), plus de 55 ans (2). Majoritairement, ce sont des hommes (12), maîtres de conférences (6). Contrairement à ce que l'on aurait pu croire, ce ne sont pas nécessairement des "précurseurs fatigués".

#### **Les utilisateurs à venir (catégorie C)**

Ils sont 14 % à se préparer à utiliser les technologies dans un proche avenir, au plus tard en 2011. Leur profil diffère légèrement des deux catégories précédentes. D'une part, la proportion de professeurs est ici plus importante (32%) et, d'autre part, les plus jeunes (les moins de 40 ans) sont à peine plus présents (43%) que la tranche d'âge moyenne (entre 40 et 55 ans : 38%), alors que l'on aurait pu s'attendre à une représentation bien plus importante. En revanche, la tranche des personnes de plus de 55 ans se situe dans la même proportion que dans les autres catégories.

#### **Les non utilisateurs (catégorie D)**

Dans le panel de l'enquête, 16% des personnes interrogées n'envisagent pas d'utiliser les technologies dans leur enseignement. La répartition des âges s'éloigne de celle de la population générale, avec une sur-représentation des 40-55 ans (56%, contre 47% pour le panel de la population globale), et une sous-représentation des moins de 40 ans (23%, contre 35%).

Il est également intéressant de constater qu'ils utilisent très majoritairement les technologies indépendamment des enseignements, le plus souvent "régulièrement", mais en tout état de cause "aisément". Il semble donc, et cela est confirmé par les réponses, que les raisons de cette non-utilisation ne soit d'ordre ni institutionnel, ni logistique, ni technique, mais bien d'ordre pédagogique. Il est à remarquer que la moitié des

répondants (52%) n'a jamais lu aucun article, ni ouvrage et n'a jamais participé à aucune réunion d'information concernant l'utilisation des technologies dans l'enseignement.

### **Interprétation et analyse des résultats du questionnaire**

Dans le souci d'une plus grande lisibilité des résultats et de façon à dépasser les cadres stricts des interrogations du questionnaire, il a été procédé à des regroupements portant sur :

- les motivations qui poussent les enseignants à utiliser les technologies, décelables dans le cadre de cette enquête.
- les usages déclarés de ces outils à la fois dans le cadre des enseignements et dans le cadre plus larges d'autres utilisations professionnelles et/ou personnelles ;
- les difficultés rencontrées qu'elles soient de type institutionnel, logistique, technique, pédagogique ou autre.
- les demandes explicites en matière de formation et d'aide dans ce domaine ou toute autre demande qui a pu être dégagée notamment des réponses aux questions ouvertes qui ont permis une plus large expression.

#### **1. Les motivations**

Parmi les motivations à utiliser les technologies qui se dégagent des différentes parties du questionnaire, un certain nombre d'entre elles apparaissent comme indiscutables : le fait qu'elles sont aujourd'hui "incontournables", les bénéfices certains qu'en tirent les enseignants et les avantages que peuvent en tirer, pour leur part, les étudiants. Il est intéressant de remarquer que, dans les réponses aux questions ouvertes, chacun de ces points est rarement traité de manière indiscutablement positive ; le plus souvent, les points positifs sont relativisés par les conditions d'accès et d'utilisation des technologies dans le cadre des établissements.

### **Utiliser les technologies, oui... mais pas dans n'importe quelles conditions...**

La plupart des enseignants qui se sont exprimés dans cette enquête affirment la nécessité d'intégrer rapidement les technologies dans les enseignements pour diverses raisons. Parmi les raisons qui ont été formulées:

- les TIC sont "incontournables de nos jours" et que l'on "ne peut plus faire l'impasse" ;

- elles constituent "un enjeu pour les métiers qui ont à s'occuper de formation et de communication" ;

- elles permettent aux étudiants d'être "en phase avec le monde industriel" et d'être capables de "s'adapter aux différentes technologies" qu'ils trouveront une fois engagés dans la vie active ;

- elles sont susceptibles de "faire évoluer la pédagogie dans le supérieur". Parallèlement à l'expression de cette forte motivation, nombre d'enseignants dénoncent la difficulté d'accéder aux outils qui leur permettraient de travailler avec leurs étudiants :

- manque de matériels les plus divers,

- délais trop longs d'obtention des matériels adéquats ou conditions impossibles à remplir, accessibilité compliquée, pas d'assistance technique, etc.

Par ailleurs, l'intérêt affirmé pour les technologies est nuancée par l'expression de préoccupations qui montrent que cet intérêt n'est pas inconditionnel, mais très réfléchi et nourri par le souci de l'intérêt général et notamment sociétal :

- ne pas "sacraliser les outils technologiques au détriment de l'humain;

- "sauvegarder la dimension humaine" des tâches liées à l'enseignement et à la formation des jeunes ;

- trouver des solutions pour ne pas "surcharger de travail les enseignants" qui de ce fait, paradoxalement, ne sont plus disponibles pour leurs étudiants ;

- ne pas oublier les problèmes d'insertion des jeunes dans le monde du travail au sortir des formations universitaires.



### **Les bénéfiques de l'utilisation des technologies pour les enseignants : entre enthousiasme et conscience des limites**

Lorsque les conditions d'utilisation apparaissent viables, les réactions sont enthousiastes car les répondants affirment que les TIC permettent :

- Un gain informationnel
- Un gain qualitatif dans la préparation et la présentation des cours
- Une actualisation aisée des supports et des cours
- Une facilitation des tâches liées à l'enseignement
- Une influence sur la réflexion et l'action pédagogique
- Un gain qualitatif dans les autres activités professionnelles de l'enseignant-chercheur

#### **2. Les usages déclarés par les enseignants**

Bien que l'analyse de l'usage ne puisse être que très limitée dans le cadre d'une enquête quantitative, les réponses aux questions ouvertes ont permis néanmoins de dégager un certain nombre d'informations concernant l'utilisation professionnelle que les enseignants font des technologies, qu'il s'agisse de situations pédagogiques ou non.

Selon cette enquête, l'utilisation pédagogique des technologies n'apparaît pas comme étant liée à leur utilisation en dehors des situations d'enseignement. En effet, on aurait pu croire a priori que les enseignants qui savent utiliser un certain nombre d'outils performants, en transfèrent l'utilisation dans leur vie professionnelle avec leurs étudiants. Or, les résultats de cette enquête semblent invalider cette hypothèse.

Que les enseignants utilisent (A), aient utilisé (B), envisagent d'utiliser (C) ou ne souhaitent pas utiliser (D) les technologies dans leurs enseignements, ils en sont tous des usagers confirmés. La différenciation entre ces quatre catégories d'utilisateurs ne s'est donc pas avérée pertinente dans le cadre de l'utilisation des technologies en dehors des situations d'enseignement. Compte tenu des résultats obtenus, il est possible d'affirmer que le traitement de texte et la messagerie électronique font partie des outils usuels de l'enseignant du supérieur. En effet, quelle que soit leur attitude à l'égard de l'utilisation pédagogique des

technologies : 95% des enseignants en moyenne utilisent régulièrement un traitement de texte et 79% déclarent l'utiliser aisément; 95% utilisent la messagerie électronique bien que seulement 31% disent le faire aisément.

La présentation de documents numériques (de type PowerPoint) commence également à faire partie des outils courants, puisque 52% l'utilisent régulièrement et 90% aisément. Cette utilisation en dehors du cadre pédagogique est essentiellement celle des interventions dans des réunions, des séminaires, colloques ou autres manifestations. Les résultats concernant la création de pages web, ainsi que ceux qui se rapportent aux outils de création de supports numériques interactifs sont à ce point déconcertants qu'ils soulèvent quelques interrogations. Si 17% seulement des répondants affirment utiliser régulièrement des outils de création de logiciels interactifs et 40% des créateurs de pages web, 59% déclarent utiliser aisément les premiers et 56% les seconds, alors qu'il s'agit d'outils extrêmement spécialisés. Peut-on y voir une certaine confusion avec les navigateurs ?

De plus il est intéressant de constater qu'aux côtés de ces outils numériques a priori compliqués, le magnétoscope ne semble pas (encore) avoir été totalement adopté, puisque si 40% des répondants l'utilisent régulièrement, seulement 9% déclarent l'utiliser aisément. S'ils sont majoritaires à utiliser les technologies en dehors des situations d'enseignement, l'utilisation pédagogique s'avère bien plus limitée. Il est remarquable de constater que le pourcentage d'enseignants qui utilisent "aisément" les logiciels usuels en dehors de leurs enseignements est systématiquement supérieur au pourcentage d'utilisation dans le contexte pédagogique (sauf pour le courrier électronique). Ce qui est encore renforcé par le fait que 95% d'entre eux disent que ce sont bien eux qui utilisent ces logiciels dans le cadre de leurs enseignements.

Il est intéressant d'observer également que le pourcentage de non-réponses est largement supérieur dans la question relative aux utilisations dans le contexte pédagogique, atteignant presque l'équivalent du tiers des personnes interrogées. Comme cela a déjà été remarqué précédemment, le savoir-faire technique n'impliquerait

donc pas nécessairement un réinvestissement dans le savoir-faire pédagogique. Cependant, s'il est possible de constater que les technologies numériques sont intégrées en premier lieu pour améliorer des pratiques usuelles dans l'enseignement supérieur (pratiques magistrales), il est possible de relever dans les réponses aux questions ouvertes, le recours à des pratiques individualisées de travail pédagogique qui peut laisser supposer des échanges entre enseignants et étudiants prenant davantage en compte les besoins, ainsi que les caractéristiques personnelles de ces derniers.

Parmi les utilisateurs actuels (A) et à venir (C), la plus forte proportion d'utilisation va aux cours magistraux en salle ou en amphi (56%) ou encore aux TD et TP (67%). Ces résultats sont à mettre en relation avec l'utilisation de logiciels de présentation de documents numériques (type PowerPoint) dans le contexte des enseignements (50% pour ces deux types d'utilisateurs). Il semblerait donc que l'outil numérique, loin de remettre en cause les pratiques des enseignants, puisse contribuer à les renforcer. Pourtant, il est intéressant de constater que des logiciels de traitement de texte, des tableurs, ainsi que des logiciels de communication par courrier électronique, sont également très employés, alors qu'ils nécessitent une manipulation quasi-individualisée de la part des étudiants. La manipulation de tels logiciels requiert une autre organisation de l'espace de travail pédagogique que celle nécessaire à un cours magistral, puisqu'elle nécessite un accès individualisé ou quasi-individualisé (travail en binômes ou en très petits groupes possible). L'occupation des espaces est, à ce titre, tout aussi significative, puisque 71% des utilisateurs actuels (A) ou à venir (C) déclarent disposer de salles informatiques équipées d'ordinateurs connectés à Internet.

Il est intéressant alors de savoir :

- si cette manipulation est pilotée par l'enseignant ou par l'étudiant,
- si elle répond à des besoins d'information ou de formation identifiés pas l'enseignant ou par l'étudiant,
- dans un parcours de formation prescrit par l'instance de formation (cursus, enseignant) ou conscientisé et construit par l'étudiant.

Ces deux pôles extrêmes (élaboration du parcours d'apprentissage par l'instance de formation ou par l'étudiant lui-même), comportant quelques figures intermédiaires, renvoient à des modalités de formation distinctes (à dominante hétéroformative ou autoformative). Dans cette enquête, il est possible de repérer que près de 95% de répondants (catégorie A) utilisent les logiciels eux-mêmes. Ce qui tendrait à laisser penser que, même dans des situations de travaux dirigés (TD) ou de travaux pratiques (TP), la modalité pédagogique dominante est la forme expositive. Parmi les pourcentages restants, les étudiants sont très peu cités, mais avec, dans certains cas, un ton admiratif. Par ailleurs, l'analyse des réponses ouvertes montre que les activités d'enseignement traditionnellement réparties en cours, TD et TP ne se différencient pas nettement dans l'enquête. Ce qu'il est possible de discriminer, ce sont les activités plus expositives qui s'adressent au groupe-classe et celles qui sont plus individualisantes, davantage centrées sur l'apprenant, même si le pilotage des activités<sup>30</sup> et du parcours de formation est majoritairement assuré par l'enseignant.

### 3 .LES DIFFICULTES EVOQUEES

Une partie des questions posées ont porté sur les difficultés rencontrées. Dans le questionnaire, celles-ci ont été déclinées en quatre types : institutionnel, logistique, technique et pédagogique. Pour la catégorie D, des personnes qui n'utilisent pas les technologies, la question était formulée de la manière suivante : "Pour quelles raisons ne souhaitez-vous pas utiliser de manière pédagogique les TIC dans vos enseignements ?" ; ces raisons étant ensuite précisées ; pédagogiques, institutionnelles :

- pour les utilisateurs actuels (A) ou futurs (C), les principales difficultés sont fortement techniques et moyennement logistiques (resp. 51% et 32%) ; les difficultés pédagogiques sont en 3<sup>ème</sup> rang (27%) tandis

---

<sup>30</sup> Des activités pilotées par l'enseignant selon ses propres objectifs  
Des enseignements essentiellement attachés aux disciplines  
Quelques enseignements guidés par des objectifs liés à des savoir-faire

que les institutionnelles ne semblent concerner qu'un enseignant sur cinq ;

- pour ceux qui ont abandonné (B), les difficultés institutionnelles sont encore plus faiblement perçues (12%) ; les plus grandes difficultés venant avec à peu près la même intensité de la technique et de la logistique (resp. 50% et 44%);

- pour ceux qui ne souhaitent pas s'investir dans ces pratiques (D), il est à noter que les raisons pédagogiques sont très souvent mises en avant (63%) (cela avait déjà été remarqué précédemment), les raisons techniques et logistiques jouant un faible rôle (resp. 16% et 9%) et les raisons institutionnelles étant quasiment négligeables (5%).

### **L'influence de trois variables dans la catégorie des enseignants qui utilisent les technologies (catégorie A)**

Afin de mieux comprendre la diversité des situations rencontrées par les enseignants actuellement impliqués dans l'utilisation des technologies dans leur pratique professionnelle, certaines variables ont été croisées dont les plus significatives sont l'âge, le sexe et la catégorie professionnelle.

#### **1. Les liens entre les difficultés rencontrées et la variable "âge"**

Ce sont les plus de 55 ans qui éprouvent le moins de difficultés d'ordre pédagogique et les 40-55 ans qui en éprouvent le plus. Curieusement, la distribution est analogue avec les difficultés d'ordre technique.

#### **2. Les liens entre les difficultés rencontrées et la variable "sexe"**

Les hommes et les femmes ne seraient égaux que face aux difficultés institutionnelles, d'ailleurs faibles (resp. 21% et 18%). En effet, les femmes déclarent sensiblement moins de difficultés pédagogiques et logistiques que les hommes ; ceux-ci déclarant être plus à l'aise face aux difficultés techniques.

#### **3. Les liens entre les difficultés rencontrées et la variable "catégorie professionnelle"**

En dehors des difficultés logistiques, les situations varient en fonction des catégories professionnelles des enseignants interrogés. Les professeurs et les maîtres de

conférences présentent peu d'écarts importants, mais toujours au détriment des seconds (excepté pour les questions logistiques). Les 46 chargés de cours qui ont répondu à l'enquête ont des réponses atypiques par rapport aux deux catégories précédentes. Ils déclarent en effet rencontrer très peu de difficultés pédagogiques et institutionnelles, mais de grandes difficultés techniques.

### **Un manque de moyens et des pénuries diverses**

Les carences budgétaires sont très fortement exprimées par nombre de répondants, témoignant ainsi de la prégnance de cette difficulté ("les difficultés sont plus d'ordre financier qu'autre chose"). Elles apparaissent en effet dans les trois séries d'items consacrées aux difficultés institutionnelles, logistiques et techniques, comme si nombre de personnes interrogées ressentait ce manque à ces différents niveaux de leur activité professionnelle. Ces carences budgétaires sont très diversement exprimées en termes généraux de manque ("d'argent", "de moyens financiers", "des fonds nécessaires") ou d'insuffisance ("pas assez de crédits", "trop petit" ou " pas assez de budget", "peu de crédit à disposition", "on fait avec nos moyens qui ne sont pas suffisants") ; en termes de difficulté ou de problème ("financiers"), de déficit d'aide institutionnelle ("inertie dans les soutiens financiers").

Elles sont également exprimées en lien avec un besoin précisé qu'il s'agisse : de locaux ("difficultés financières liée à l'état des lieux"), de matériels divers ("financement du matériel", de "l'équipement"), de logiciels ou autres ("licences", "création d'un site Internet").

Au manque de financements, s'ajoutent des pénuries concomitantes que l'on retrouve largement exprimées :

- le manque ou l'insuffisance de matériels qui conduit, quand il y en a, à devoir "partage(r) du matériel peu disponible" ou à utiliser son matériel personnel ;
- le manque d'espaces de travail ("salles équipées" notamment) qui, de par leur rareté, sont très convoités et laissent nombre d'insatisfaits qui se découragent ou abandonnent (témoignages des parties B et D) ;
- le manque de personnels et de postes en général, mais plus particulièrement dans ce domaine des personnels

spécialisés ("techniciens" notamment) et compétents (le manque d'efficacité est fustigé à plusieurs reprises) ; "une seule personne pour tout" s'épuise rapidement (parties B et D).

#### **4. Les demandes en matière de formation**

Les demandes de formation exprimées par les enseignants ne les concernent pas eux seulement, mais aussi les "personnels" divers de la compétence desquels ils dépendent. Ces demandes s'expriment en termes de contenus ou de grands domaines qui couvrent un large éventail de possibilités, du plus général au plus précis et du plus usuel au plus spécialisé, rendant compte ainsi de la diversité des situations vécues dans les établissements. Des enseignants qui réclament une formation à la "totalité des TIC", à ceux qui souhaitent mieux connaître les "langages auteurs" ou le traitement des "problèmes juridiques liés à l'utilisation des TIC", ou encore l'"administration de réseau", la demande de formation est extrêmement diffuse, dispersée, et constitue à elle seule un champ d'investigation pour les services institutionnels qui s'intéresseraient à cette question.

#### **Les demandes en matière d'aide**

Les demandes d'aide sont corrélées aux difficultés exprimées. Il s'agit de demandes portant sur :

- les budgets consacrés aux technologies ("aide financière"), en sachant que certains matériels sont onéreux mais indispensables à un enseignement de qualité ("ne pas lésiner sur le caractère onéreux du matériel adapté à nos TD") ;

- les matériels ("plus d'aides matérielles"), car si pour certains enseignants, il s'agit d'avoir simplement "accès à la technologie", pour d'autres, c'est la qualité du matériel qui est en cause ("accroître la quantité du matériel scientifique de qualité", "matériel adapté aux cours de médecine").

- les espaces de travail ("plus de locaux car il y a de moins en moins de classes") ; les ressources humaines disponibles rapidement ("plus de personnel", "aide de techniciens", "spécialistes en cas de panne") et compétentes ("personnel compétent rémunéré", "techniciens compétents à nos côtés") ;

- les contenus de ces aides également liées aux problématiques pédagogiques ("aide matérielle et pédagogique à la fois", "cerner les méthodes qui permettent le changement de méthodes pédagogiques traditionnelles").

### **L'expression d'un malaise concernant la conception du métier d'enseignant-chercheur**

Les divers questionnements dans cette partie de l'enquête ont conduit les enseignants à s'exprimer sur ce qu'ils considèrent être important pour eux dans leur conception de leur métier et sur ce qui, aujourd'hui, pose problème, ou en tout cas, renvoie à toute une série d'interrogations et de questions de fond concernant la mission de l'enseignement supérieur et, plus directement, la mission des enseignants-chercheurs. Il est difficile de comprendre pourquoi cette question a suscité de vives réactions d'incompréhension, car les réponses, dans ce cas, ont été peu développées. Néanmoins, dans la majorité des cas, les personnes qui ont répondu à l'enquête souhaitent voir essentiellement conservé leur rôle d'enseignant dans le cadre usuel de la salle de cours. Il est intéressant cependant de repérer combien pour ces personnes le rôle d'enseignant est riche et multiple. Il combine en effet de nombreuses tâches qui requièrent des compétences extrêmement diversifiés et si c'est précisément cette diversité qui fait le charme du métier pour les uns ; pour les autres, cela peut constituer, à terme, un handicap sur lequel il faudra réfléchir si le seuil exigé/exigible de professionnalisme augmente dans chacune de ces tâches au point de requérir une "spécialisation". Si pour les uns cette diversité est intrinsèque au métier d'enseignant, pour les autres elle est, en partie, portée par les technologies. Ce qui est commun aux divers avis rapportés, c'est bien que toutes ces tâches sont afférentes au métier d'enseignant et se combinent entre elles.

Une partie du travail lié à l'enseignement reste largement non visible au profane. Cela ne change guère avec l'introduction des technologies, quoique le changement de nature de ces activités mette en valeur toute leur importance. Il est possible d'extraire des témoignages trois temps forts dans les activités de préparation et de mise en place de l'action de formation.



En effet, si la phase de préparation du "cours" en termes de contenu, d'"explications", d'"illustrations", d'"exercices" et de "corrections" est le dénominateur commun à tout enseignement, le fait que cela s'organise à partir de supports numériques conduit à trois autres moments forts : le tri de l'information, la préparation des supports et la phase d'ingénierie et d'orchestration des divers supports choisis.

Les enseignants pour qui le web est une ressource travaillent en amont au "tri dans les bases de données", de manière à sélectionner "le meilleur" dans l'abondance de l'existant pour être à même de "proposer aux étudiants (...) des documents clairs et complets", ainsi que des "articles pertinents". L'enseignant se perçoit alors comme un "trieur de données" dans ce "rôle de documentation et d'information" ou encore un "testeur" lorsqu'il s'agit de sélectionner des sites ou des produits de formation. Il s'agit alors seulement, pour certains, de continuer à exercer leur métier d'enseignant en "restant en contact avec les matériels et les questions des étudiants" et en "rendant les cours plus attrayants" en raison de l'actualisation des matériels et la modernité des supports. La "conception de cours multimédia", avec la phase de "création", de préparation et de "présentation de supports" qu'elle nécessite, qu'ils soient ou non mis en ligne, conduit à s'interroger peu ou prou sur l'orchestration des différents types de supports. D'une certaine manière cela conduit à s'interroger sur la place qu'ils occupent les uns par rapports aux autres selon les objectifs fixés à la formation et selon les critères d'évaluation d'une formation qui le plus souvent dans l'enseignement supérieur débouche sur une validation académique. Il est alors question de "construire la pédagogie de cette formation", d'innover aussi sur le plan pédagogique et de penser l'ingénierie de la formation" proposée. Cette phase d'ingénierie tend, avec les technologies, à s'organiser comme une spécialisation possible des métiers liés à l'enseignement, puisqu'elle demande aux personnels des compétences élargies par rapport à la seule phase de "préparation des cours".

Pour ce qui est des tâches liées aux situations d'enseignement face aux étudiants, l'intérêt pédagogique prévaut aux questions de type technique. En effet, si le

"rôle d'initiation", d'accompagnement, de "familiarisation à l'utilisation des outils informatiques" et la part technique que cela implique en terme de "manipulation" par exemple sont présents dans le discours, la place accordée à la dimension pédagogique n'en est pas minorée pour autant. Les enseignants tiennent à ce "rôle de soutien avec des supports pédagogiques", afin de "proposer un enseignement dynamique" où un effort est produit pour "faire le cours plutôt que de le dicter". Il s'agit alors d'être capable d'introduire en matière par des sujets attrayants", de "stimuler" et de "susciter la motivation individuelle et collective", de "transmettre des connaissances", d'expliquer", de "répondre aux questions et proposer des corrections", d'aider les étudiants à comprendre", de les "guider sans donner les résultats". L'enseignant n'est plus alors seulement un "diffuseur de données", mais il est aussi "un facilitateur d'apprentissage". Si un "rôle de contrôle et d'éducation des étudiants", voire de "surveillance" de certains travaux (recherche bibliographique par exemple) est d'autant plus important pour certains enseignants que les technologies numériques peuvent conduire à la "dispersion" et au "zapping permanent", la question de l'autonomie n'en reste pas moins posée comme étant au cœur de l'activité de formation pour les publics de l'enseignement supérieur. Dans ce but, "orienter les étudiants pour aller sur des sites d'enseignement" qui permettent de compléter les acquisitions en dehors des temps de cours, les pousser à conduire des "recherches sur des thèmes sur le net pour trouver des réponses aux questions qu'ils se posent" prend tout son sens.

L'aval de la situation d'enseignement commence pendant le cours, au moment où l'enseignant conseille des ressources (documents, produits de formation, sites) qui permettent à l'étudiant de réviser, consolider, approfondir ou compléter les acquisitions visées dans le cours. Il arrive que, grâce à l'organisation de centres de ressources ou à des espaces de travail réservés sur le web, l'enseignant assure un "suivi pédagogique" en dehors du temps formel de cours. Il est alors en situation d'encadrement" (très nombreuses occurrences) des étudiants et/ou de leurs recherches ou en situation d'aide". Il se vit comme

"accompagnateur" et comme "éducateur" dans une relation qui tend à s'individualiser. Il assure parfois un "rôle de technicien et "aide (ses) collègues à utiliser les TIC".

Un certain nombre d'enseignants (peut-être ceux qui s'impliquent le plus dans l'intégration des technologies) déclarent tenir un certain nombre de rôles à la fois distincts et complémentaires de ceux qui sont plus directement reliés à l'enseignement. Il s'agit de "rôle de concepteur", de "créateur" ou de "développeur" de "produits didactiques", de supports pédagogiques", de "logiciel", ou encore "de systèmes". L'enseignant participe à la "réalisation de CD Rom, de sites Internet ou de forums". Il peut également être conduit à assurer un "rôle d'expérimentateur" ou plus simplement d'utilisateur attentif dans la manipulation des outils", par exemple "dans le cadre d'une recherche en chimie moléculaire", de manière à, éventuellement, être en mesure de "valider et consolider un système". Par ailleurs, le "rôle d'animation" (nombreuses occurrences) et celui de "coordination" sont liés à la constitution d'équipes (d'enseignants et de techniciens) autour de projets précis de développement d'un produit ou de mise en place d'un dispositif. Ils sont également liés à la nécessaire présence de "personnes- ressource" dans les espaces de travail qu'ils soient matérialisés par un centre de ressources ou virtuels sur le web. Ce rôle de "meneur de jeu" conduit à une diversité d'activités : "pilotage", "metteur en scène", "aiguillage", "guidage", "médiation", "coordination du planning", "communicateur et rôle d'expérimentation", "mise en place", etc.

L'expérience des enseignants impliqués les conduit à exercer dans leur entourage un "rôle de conseil " soit auprès "des ingénieurs", soit auprès d'autres enseignants dans "le suivi de l'utilisation pédagogique des TIC" et "l'utilisation des différents outils de la recherche documentaire". Ils jouent alors parfois un "rôle de formateur" auprès de ces différents interlocuteurs.

L'ensemble de ces tâches satisfait les enseignants qui se sont exprimés dans cette partie de l'enquête. Si certains préféreraient conserver leurs activités de suivi pédagogique, d'autres souhaiteraient voir s'accroître leurs responsabilités dans l'animation et le pilotage de projets de développement de produits et de dispositifs. Tous sont

unanimes pour espérer davantage de moyens en termes matériels et humains, tout en gardant le même degré d'autonomie

**Les rôles que les enseignants souhaitent voir modifier : un ensemble d'améliorations souhaitées**

L'analyse des réponses aux questions ouvertes montre que ce n'est pas tant en terme de modification que les enseignants posent le problème, mais plutôt en terme d'amélioration de l'existant.

**1. Améliorer l'accès aux supports technologiques pour tous les utilisateurs :** qu'il s'agisse des enseignants ou des étudiants, l'accès aux technologies reste encore l'une des principales difficultés à lever. En effet, il arrive que : les budgets ne sont pas suffisants pour s'équiper ou actualiser des matériels trop anciens; les systèmes d'aide techniques ne sont pas suffisants; les environnements matériels ne sont pas optimaux et l'accès à distance reste encore limité, même s'il tend à se développer ; néanmoins, selon les lieux, les technologies ne sont pas toujours considérées comme une priorité. Plus qu'une revendication, cette situation est présentée comme un constat. "Avoir plus de matériel performant", avec une plus grande "facilité d'accès", "adapté aux besoins de l'enseignement" augmente les "possibilités d'utilisation de ces techniques" et contribue à une "systématisation" qui pourrait plus sûrement conditionner un sentiment de familiarité.

**2. Améliorer les conditions professionnelles reliées à l'enseignement et à la formation :** il est possible de différencier, dans les réponses apportées aux questions ouvertes, les conditions matérielles proprement dites et celles qui ont trait à la réflexion apportée sur ces conditions et qui contribuent à les définir. Les améliorations qui peuvent être apportées aux conditions matérielles sont relatives notamment au temps consacré aux activités de médiatisation et aux activités de suivi pédagogique des étudiants qui ne sont que peu, voire pas du tout valorisées dans l'emploi du temps des personnels, alors qu'elles demandent aux enseignants impliqués une charge de travail considérablement accrue. De ces témoignages émerge le besoin d'une réflexion collective, d'une concertation, d'un vrai dialogue autour de

l'utilisation pédagogique des TIC". Un peu comme si les enseignants avaient le sentiment d'être emportés dans un mouvement qu'ils ne maîtrisent pas et qu'ils ne comprennent pas toujours. C'est peut-être ce qui les conduit à réitérer le souhait que "ne pas utiliser les TIC comme sujet principal mais plutôt comme un accessoire, un appoint dans l'enseignement", dans la crainte de "devenir les esclaves des outils technologiques". "Privilégier la dimension humaine", redonner sa noblesse au "rapport humain dans l'enseignement", inscrire l'apport des technologies dans une logique de la "complémentarité" et non de la "substitution" est l'une des préoccupations qui s'exprime de manière récurrente dans les discours des enseignants. La demande de réflexion va donc dans le sens de la place accordée aux outils et à celle accordée à une médiation humaine de qualité. Dans une perspective plus pragmatique, la demande de réflexion et de concertation va dans le sens d'une recherche d'efficacité dans l'utilisation d'outils plus ou mieux adaptés", dans le développement raisonné de réseaux et de "sites destinés à l'enseignement et à la formation" avec un souci de mutualisation ("ressources communes"), dans "une utilisation optimale des études techniques actuelles" et des leçons apportées par la diversité des "innovations" existantes sur tout le territoire, leçons que l'on pourrait tirer d'un "meilleur suivi".

**3. Améliorer le dialogue et favoriser l'autonomie :** lorsqu'elles ne sont pas entièrement pilotées par l'enseignant, l'utilisation des technologies nécessitent une "implication plus forte des utilisateurs", une "plus grande initiative de la part des étudiants". Utiliser ce potentiel de mobilisation pour "faire plus et mieux" en "améliorant les rapports enseignants/enseignés" en "développant des activités pédagogiques qui vont dans le sens de l'autonomie des étudiants"

### **Conclusion**

Le paysage des technologies de l'information et de la communication dans l'enseignement supérieur algériens a beaucoup évolué en dix ans. Evolution quantitative tout d'abord avec une évidente augmentation du nombre d'enseignants les utilisant dans leur pratique professionnelle, puis évolution qualitative par une

meilleure connaissance des bénéfices pédagogiques et cognitifs qui leur sont associés. Une évolution des mentalités s'est traduite par une modification des conduites institutionnelles vis-à-vis de ces technologies plus vraiment nouvelles. Pourtant, si les difficultés institutionnelles sont moins vivement ressenties par les acteurs, les problèmes techniques et logistiques perdurent, même si les enseignants qui refusent une telle intégration dans leurs enseignements mettent davantage en avant des raisons d'ordre pédagogique et sont prêts, pour un tiers d'entre eux, à se former dans ce domaine.

En une décennie, des progrès très importants ont été faits, que ce soit au niveau des grands projets transdisciplinaires ou dans l'identification d'une partie consacrée aux technologies dans les contrats quadriennaux des universités. Les établissements s'équipent et offrent de plus en plus de ressources humaines pour un soutien technique et logistique. Les utilisations des technologies s'organisent, s'officialisent, passent du cours d'un pionnier isolé à la formation diplômante "sur mesure" ou à distance. Tout cela est sans doute encore insuffisant, car, malgré ses avancées, la situation des enseignants impliqués dans l'utilisation des technologies dans leurs enseignements est loin d'être une sinécure. En dehors des grands projets fédérateurs de compétences, les enseignants sont encore bien souvent isolés et doivent assumer de très nombreuses tâches matérielles pour mener à bien leur travail et intégrer intelligemment et efficacement les technologies dans leur pratique professionnelle. Notre enquête nous a permis de savoir :

Premièrement, si le savoir-faire technique paraît un préalable à l'utilisation des technologies dans l'enseignement, l'enquête a révélé que cela n'était guère suffisant, puisque nombreux sont les enseignants et étudiants qui utilisent aisément les technologies au quotidien, sans pour autant les utiliser dans un contexte pédagogique. Il semble donc que développer par divers moyens une sensibilisation aux aspects pédagogiques liés au métier d'enseignant-chercheur, ainsi que des systèmes de mise à disposition de ressources pédagogiques et de ce que l'on pourrait appeler des "pôles de soutien

pédagogique" dans les établissements s'avèrent tout aussi indispensables.

Deuxièmement, si formations techniques il y a, elles doivent nécessairement être reliées à une réflexion didactique et pédagogique. Celle-ci doit prendre en compte les spécificités des divers outils utilisés et celles des contenus enseignés. Le travail en présentiel avec un enseignant garde toute son importance et sert de base à de nouvelles pratiques d'enseignement et d'apprentissage qui exploitent plus efficacement l'ensemble des ressources humaines et matérielles dont dispose un établissement, un ensemble d'établissements ou un réseau d'acteurs.

Troisièmement, la co-formation ou formation entre pairs, sans être totalement rejetée, n'apparaît pas comme prioritaire aux répondants de cette enquête. Les enseignants interrogés font confiance à part égale aux ressources de l'établissement et aux ressources externes. A condition toutefois de valoriser et de prendre en compte dans les services des enseignants cet effort de mise à jour, d'échange, voire de production de ressources pédagogiques entre pairs. Enfin, il est important de savoir qu'un tiers des enseignants ne souhaitent pas s'impliquer dans ce type de formation.

Quatrièmement, on peut aussi recommander de former les enseignants-chercheurs en groupe autour d'une production, sur le modèle des actions menées dans les centres ressources disciplinaires, leur permettant ainsi de sortir de leur éventuel isolement et en les intégrant à des réseaux inter universités.

En somme, Les différentes représentations sont fortement liées aux usages, aux besoins de la population étudiée: besoin d'information, de documentation, de communication, d'échange en premier lieu surtout dans les activités universitaires. En général les personnes interrogées ont une vision très positive des TIC.

### **Bibliographie**

- Annoot E., *Les Formateurs face aux nouvelles technologies : le sens du changement*, Paris, Ophrys, 1996.
- Chambat P, in *Technologies de l'information et société*, vol.6, n°3, 1994.
- Demaizière F., *Enseignement assisté par ordinateur*, Paris, Ophrys, 1986.

- Karsenti, T. (dir.), *Intégration pédagogique des TIC : Stratégies d'action et pistes de réflexion*. Ottawa : CRDI, 2009.

- Le petit Larousse Gand format, Paris, 2006.

- Lussier D., *Evaluer les apprentissages dans une approche communicative*, Paris, Coll. F, Hachette, 1992.

- MILLERAND, Florence Usages des NTIC : les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation (1ère partie) 1998.

- NCATE, Task Force on Technology and Teacher Education, *Technology and the New Professional Teacher : Preparing for the 21st Century*, Washington, DC, National Council for Accreditation of Teacher Education, 1997.

- O'Reilly T., *Architecture de l'information pour le Web*, in Morville P. et Rosenfeld L., Edition française, 3e édition, Mars 2007.

- Vedel T., Sociologie des innovations technologiques et usagers : introduction à une socio-politique des usages in « Medias et nouvelles technologies : pour une socio-politique des usages »/Vitalis, André (Dir.)- Rennes : Apogée, 1994 .

- Vitalis A. ? (sous la direction de) *Médias et nouvelles technologies: Pour une socio-politique des usages*.-Rennes: Apogée, 1994.- p. 26

- Wolton D., *Internet et après ? Théorie critique des nouveaux médias*, Paris, Flammarion, 1999.

### Sitographie

- Denis, B. (http). *Quels usages des logiciels mis en œuvre en contexte éducatif?*  
<http://www.agers.cfwb.be/pedag/tice/sugg/Article%20UPTICE1.pdf> (Consulté le 2 novembre 2010).

- Dictionnaire en ligne:  
<http://dictionnaire.mediadico.com/traduction/> (Consulté le 14 janvier 2010).

- Uebersfeld , J.« Analyse de *L'université et les TIC – Chronique d'une innovation annoncée* », *Alsic*, [Vol. 13 | 2010](#) , [En ligne], mis en ligne le 05 décembre 2010.  
URL : <http://alsic.revues.org/index1710.html> (Consulté le 12 décembre 2010).



**The Concept of Deity and Africa's Promise of a  
Cultural Renaissance in Ayi Kwei Armah's *Osiris  
Rising* and *KMT in the House of Life***

**Mami foad  
Université Adrar**

**Abstract**

This article attends to the question of deity as approached by the Ghanaian novelist Ayi Kwei Armah in his last two novels, *Osiris Rising* (1995) and *KMT in the House of Life* (2002). The reason behind most African communities' abject and miserable living conditions, according to the writer, can be traced to the largely inhibitive conceptualization of the meaning of God. Instead of empowering African man towards a presupposition of God that leaves that man in charge of his or her own fate, Armah argues that the present negative stance vis-à-vis God has been the master plan of Africa's enemies. In uncovering the ancient Egyptians' notion of the deity and the cultural implications of that insight, Armah has in mind the revival of African cultures that so far has witnessed unprecedented proportions of proclivities and declines.

**ملخص:**

هذا المقال يحاول التطرق إلى كيفية رصد المجتمعات الإفريقية لمفهوم الألوهية من خلال روايتين للكاتب الغاني اي كواي ارما. مفهوم الالهية في واقع المجتمعات الافريقية الان يجده ارما سلبيا و هداما، من خلال التحليل المكثف نجد ارما يستشرف بناء ثقافة جادة و بناءة من خلال غرس مفهوم "الانسان - الاله"، بمعنى الانسان القادر على استيعاب معنى الحياة بشكل ايجابي، بناء و رفض لكل الغيبيات و القداسة التي تؤسس لاستقالة الانسان من الحياة . مفهوم الاله عند المصريين القدماء كما يبرر ارما في *Osiris Rising* و *KMT* كان فعلا ثقافيا و بناءا حضاريا. هذا المفهوم الايجابي يجده ارما عن طريق تحصيلات تاريخية و مفاعلات ثقافية تصب في قالب السيطرة الاجنبية لهذه المجتمعات الافريقية مما جعلها قابلة

للاستعمار و الهيمنة. اعادة بعث مفهوم الاله كما فهمه المصريون القدماء  
في نظر ارما كفيل باعادة بناء الوعي الثقافي و نشره بشكل عام.

### Introduction

Reading the Ghanaian novelist Ayi Kwei Armah's latest novel *KMT in the House of Life* (2002), one can observe that the writer attaches a particular concern to the concept of deity. By examining the archeological findings about the ancient Egyptians' worldview, it appears that the bulk drama of the novel makes it clear that Armah engages his readers with a challenging vision about the meaning of God/gods. The gist of his claim amounts to the following idea: if the ancient Egyptians could elaborate an egalitarian and humane civilization, it is because they used to enjoy a very healthy and highly constructive notion of deity. But the reverse is no less abiding. In case one agrees that modern-day Africans are performing poorly, as far as human relationships are concerned, this may be due to the fact that they maintain a crippling and reductive understanding of the role of God or gods in their day-to-day life. Put differently, no matter how badly Africa has attempted to get out of its present predicament, it has first to face this metaphysical question and solve it once and for all at the metaphorical as well as the ontological level first. Armah seems to argue that Africa's identity quest involves the need to achieve a clear understanding of its deity. Such an understanding can start a resolute march forward by means of which a cultural renaissance can be attained. Armah's idea about the meaning and role of deity is compared to a state-of-the-art research in Egyptology and other related disciplines.

To begin with, perhaps the first impression one gets from researching egyptological data and checking different sources is that Armah is justified in his choice of subject matter, setting and body of ideas for his last two novelistic experiences; i.e., *Osiris Rising* (1995) and *KMT in the House of Life*. Even if we suppose that Egyptology is not the prime concern of Armah in writing these later novels, the legacy of two centuries of slave trade, a

century or more of a direct colonial occupation and half a century of post-independence misrule provide the motif of these dramatic stories and his search for a new social and philosophical framework for Africa. According to him, if Africa suffers today, it is because of its misconception of God. With this in mind, there should be a healthy understanding and projection of the meaning of God/deity in order to start hoping for a better life. This is done, research will proceed to locate an identity profile that would give full credence to the African ethos and which Armah has always wanted to bring to the fore.

### **1. The Need for a Fresh Definition of the Concept of Deity in Armah's Novelistic Experience**

Perhaps what Armah articulates in *KMT*, particularly in chapter ten, entitled "Origins", is a view stressing the fact that people's varied concepts of God or deity are cultural constructs instead of being simply natural<sup>1</sup> tokens and incontestable inheritances. If Africa lives in an impoverished culture today, then clearly that culture cannot possibly foster a healthy or progressive understanding of deity. In *KMT* the drama is more ambitious than just pointing at illnesses within African cultures. Armah's principal idea seems to assert that if modern-day Africans cannot raise their standards in terms of inter-ethnic tolerance and political stability, as witness the civil wars of Rwanda 1994, the present day Sudan and Somalia, to name but a few, famines, multiple instances of state-collapse, tribalism and political corruption (the list can be extended to include alarming rates of AIDS infections, illegal immigration, child and body parts-trafficking etc...), then it becomes clear that the conception of deity nowadays suffers from a prevalent haziness. In parallel, the breeding or conditioning factors play a major role which frequently go unnoticed and which Armah wants to highlight by outlining some of its

---

<sup>1</sup> This idea of god as a social and cultural construct owes a lot to Louis Hoffman's paper entitled: "Cultural Constructs of the God Image and God Concept: Implications for Culture, Psychology, and Religion"  
<http://www.godimage.com/Papers%20and%20Publications/Cultural%20Constructions%20of%20the%20God%20Image%20and%20God%20Concept.pdf>

disastrous implications. Usually people mistake this man-made factor and process deity as a collection of mandatory ecclesiastical diktats that has little or no implication(s) at all on everyday reality. Unaware of its real importance, ordinary people usually conceive of god as a distant subject-matter that has no direct consequences on their well-being or little affects their approach to life and the way they go through their various experiences. Some even take it as a highly esoteric or simply mind baffling question, to the extent that to venture into a debate about deity is to risk blasphemy which, for them, remains mainly an unrewarding action. Still, some others take it for granted that the topic is crystal clear and therefore it is quite unnecessary to think twice about it. Reading Armah's *KMT*, however, has the value of challenging the reader's preconceived notions; a fact that betrays the extent of one's ignorance and how much still one has to learn before leading a productive life. This novel has the didactic value of revising hackneyed beliefs and of persuading readers to reexamine hastily acquired concepts. This would perhaps lead to a sharper awareness of what one's role should be in today's society.

One of the main reasons why Djiely Hor, in *KMT*, breaks the oath of secrecy, and thus exposes himself to threats of death, is his need to correct people's understanding of the exact place and role the deity should play in their life. In his famous inaugural address before Western and local Africanists, he states that traditionalists were deliberately trained "to reveal no important truth, nothing that would clear the people's mind and help them see that the ruler is no representative of god but just another human being mistaking his way through life, like all of us, except that he does it at the expense of everyone who remains blind." (*KMT*, p.187) What is obvious from Hor's explanation is that knowledge of God has been deliberately kept shrouded in mysteries in order to maintain political, economic and socially undeserved privileges for the same social group. Exact knowledge, however, would have

altered the entire social and political fabric, and those undeserved privileges would have been all gone. Ignorance, in the form of misinforming metaphysics and ontology, is a choice intentionally planned rather just an accident of history and which has long been adopted to preserve an unjust status quo. Again, Djely Hor puts his life on the edge so that people would know that that particular knowledge about the god cheaply sold for the public is a choice made by some people at some time instead of the order and the norm. In the same address he comments on the implications of the oath that griots are obliged to give before their final initiation. Armah opines: Exact knowledge is cheaply covered in just a show of knowledge

[B]ecause it reaches them [the simple populace listening to griots] from a background they are prevented from understanding, it arrives as magic. Whatever touches the mind as magic strengthens the infant urge to believe in wonders, to give up the work of explanation and understanding. Hear what I'm saying: foolishness comes to a people through deliberate training, not through luck and not through nature. Needless to say, we traditionalists are trained never to explain to the people that what we know and do is not magic, just knowledge backed with practice. (*KMT*, p.185)

Nowhere does the politics of knowledge reveal its magnitude better than in this statement. True, earlier in the novel the brilliant Biko loses his life because he, in the eyes of his white teachers/aggressors, has transgressed the limitations already set for him and his likes. As a result, his example has become too threatening and does indeed expose their entire false premises and unjust prerogatives. That is why it was decided to "rusticate him", make of him an example, so that the rest would learn how to keep quiet and be content with their already appointed places. But in this statement by Hor, the malice and plans of subjugation do not come from outsiders, since this is fairly expected from outsiders. Hor here shows that evil-doing comes from the inside, from those depositories and trustees of knowledge. By withholding

exact awareness of the gods (casting it as impractical and useless knowledge), the way they—griots—know it, from the respective communities, they simply wreck these communities' chances of leading an egalitarian and productive life. (hypnotic effects of knowledge prepare ground for a domesticating version of knowledge)

## 2. Reason versus Faith: How was the Constructive Concept of Deity Lost?

Given the position of *KMT* as a *locus classicus* in Armah's ideological approach, readers find that it is not accidental that the first scribe whose text Lindela translates is devoted to this concern over the gods. The title of the tenth chapter, "Origins", can be a good illustration of this concern. However, when presenting his point, we spot the depth of Armah's irony. The irony lies in the fact that his conception of deity is not about origins, as it is commonly understood. For we find him primarily positioning his argument against origins and first matter, i.e., of matters which supposedly come first and leave last. Armah, at least in the way his narrator Lindela explains, processes this very metaphysical point rather differently from the way it is usually explained by philosophers and other thinkers. In other words, just his refusal to accept the word "origins" as his denominator for a debate on deity explains the core of his bold undertaking. So, if the gods are not the origins or the first matters, one needs to know about their actual position. Indeed, it becomes interesting to consider Armah's idea of a god for the African renaissance he outlines. In case the word "believe" should prove problematic, what are his suggestions, alternatives, and perhaps, his proposals for a true cultural revival in Africa?

Indeed, it is this quality of 'disbelief' that distinguishes the griot Djiely Hor from the rest of the traditionalists and that costs him his life in the end. For Hor, embracing the tenets of Judo-Christian or Islamic ethos has the effect of compromising one's identity and, by extension, the egalitarian ethics of his community. In this novel, the indictments of Islam and Christianity sets the tone of his arguments against these two religions,

particularly as they become doctrines working for unjust political agendas; offering underserved privileges for some on the one hand, and spelling terror and wretchedness to the many on the other. The Muslims' Allah and the Christians' God are, the way conceived by Hor, foreign deities that hammer mental intoxication, obscure reason and trap the mind. Thus, belief mixes heart with mind and trades reason with blind faith. Such murkiness is, in Hor's assessment, offensive since it happens to be profitable in every regard to the preachers of both these two foreign doctrines.

We read that Djiely Hor, even before going public about the oath of secrecy, and thus meeting his death in consequence, had hard times to mask his outrage at seeing blind faith. Despite the fact that he lives in a predominantly African Muslim community, he never hesitates to show his dissatisfaction with the inconsistencies he spots in the practice of this faith. During his formative years he was usually satisfied with reading by heart, for he was restlessly inquisitive. This quality obliged his suspicious instructors to send him off from Niani to Yarw, a comparatively smaller village far off from the power games<sup>2</sup>. His inquisitive nature made him a candidate for more trouble as he always probes and disturbs the accepted formula. He can tell more than the agreed upon version and amount of history. In addition, he finds it against his disposition to accept the recipe that women must not lead the prayers. Hor, also, cannot see the point of performing the Tabaski<sup>3</sup> rituals. Similarly, it is hard for him to accept going on a pilgrimage to Mecca and the custom of naming offspring after fathers instead of mothers. He even has reservations regarding some protocols in marriage and burial ceremonies.

---

<sup>2</sup> Yarw, we read is a small village of traditionalists and though the first place founded after ancestors' migration from the Nile valley, has been overshadowed by Niani where this latter has been renowned as the center of political maneuvering and power. Nevertheless, Yarw retains the air of authenticity, since only those traditionalists who were disapproved of, those on whom there are doubts that they might not keep their oath of secrecy and thus endanger the social fabric, were cast off to Yarw.

<sup>3</sup> Tabaski is the Bamabara word for Muslim feast of sacrifice.

To take into consideration only one or two instances, in which Hor questions the point of these communal activities, is to be in a position to assess the way he approaches and experiences god, his god. In his refusal to sacrifice the sheep for Tabaski, Hor's reasons are more provocative than what the Imam is ready to take in one go by way of an excuse. Beside the vegetarian argument, Hor just refuses to slaughter a sheep for more serious reasons. Arguing with the Imam who comes to dissuade him from behaving 'so oddly', Hor lets out his true motivations. "You know that in sacrificing sheep, all we're doing is repeating the gesture of Ibrahim, our ancestor' ", the Imam advances. Hor retorts: "I don't know how Ibrahim came to be our ancestor. But even if he were, why should I imitate an act just because he did it?' ". When the Imam restates that this is just the order of Allah, the griot simply cuts him short by saying: "Why should a merciful Allah issue such a command?" And it is exactly the point at which Hor needs to stop and help the Imam reflect on the reasons behind such religious decrees. The Imam recognizes his inability to offer an explanation, but he arrogantly justifies this logical limitation by pretending that: "The universe is full of mysteries the human mind cannot comprehend. Let us not waste time discussing matters beyond the knowledge of the profane." (*KMT*, pp.165-6) In Hor's mind, there can be no greater offense than to stop short of providing rational explanations. In presenting life as a mystery, people are easily deceived as they are made to embrace what is essentially false and self-effacing.

One reason why Hor should be outraged is that the Imam tries to deter him from his choice not to follow the unthinking masses of the population. The Imam, through his behaviour, has taken liberties in dealing with Hor as a respectable individual (breaking the griot's privacy and dignity). Indeed, the Imam, and this is why Hor cannot remain silent, has become God's spokesman and decidedly has shown off the door of divine mercy before Hor. The Imam might not be aware of the full bearings of the drama he is engaged in, but Hor certainly



is. The effect of the Imam's talk leaves Hor with no choice but to feel guilty, anxious and angry because he is left to feel essentially alienated from the realm of the Imam's God. Interestingly, though, Hor is not ready to experience guilt, anxiety and alienation simply because he wants to make up his mind before taking any steps in life. His main grudges against that Imam's God (clearly illustrated in all the instances where the griot shows his displeasure before some practices) stem from the fact that he is made an object of derision. The Imam's God is initially, and perhaps innately, positioned against him. He condemns him even before he knows him. Hor and everybody thinking like him are cornered and put in the defensive. Making boys preside over elderly women in prayers or in not allowing women to lead prayers are rules that Hor finds hard to accept. In short, that Imam's God's image has become too negative to be cheerfully embraced because the least and simple use of logic and history is, for Hor, outrageously ignored.

This is why Hor is appalled at the Imam's God and why revulsion is the only form of reaction Hor finds. For Hor that Imam's God seems to sit and watch judgementally from a distance and remains totally passive, not even compassionate about his misfortune. Not only does that Imam's God casts Hor off, but He stands there aiding his abusers and instructing them to wreck his community's self-esteem and egalitarian aspirations. For Hor, that same God does not even seem to regret the horrors of slavery both as an institution and a practice. In addition, he destines women to be simple tools for male pleasure. And when these attitudes are challenged or contested, that same God, through the Imam, simply pours in more threats of exclusion and utters additional calls for retribution. Identifying with the Imam's God, according to Hor, has put his self-respect and self-esteem on an edge, and Hor most understandably cannot possibly part with the one property, he thinks, defines him<sup>4</sup>. For even if he comes close to that God,

---

<sup>4</sup> With regard to this idea, Louis Hoffman comes with an interesting insight. He says: "Experientially, this [just the possibility of switching to and embracing the

which is quite an impossibility as the reader can guess from the pitch of the accent and the flow of the narrative, Hor is more likely to experience only the debasing feelings of being tolerated and pitied (not loved and accepted the way he is) by an arrogant and unmoved God. This same God, Hor would keep in mind, does not want to know how he really lives or how he was victimised in the past, a fact that still lingers with him in the present time. If that God is all just, all powerful and all compassionate, then why did he tolerate the slave trade, colonialism, famine, civil wars and the rest of Africa's present impasse? Certainly, inside Hor's mind, there exists a sort of a lethargic lamentation or a lot of historical baggage (unfinished emotional business in connection with slavery) that makes him resentful against that Imam's God, it is next to impossible that Hor would identify or succumb to Him.

This is why Astw, the griot's wife, informs Lindela: "[...] I doubt if a conscious African can believe in the European God. There's just been too much bloodshed and cruelty in Christianity. The sheer injustice. Now do you see why I can't believe in an Arab Allah either. Same reasons: too much bloodshed, too much cruelty, too much injustice." (*KMT*, p.166) For Hor, God's image, in the way it stands now, needs to be re-cast in order to be felicitous, identifiable and not downright oppressive. He is not ready to part with his conviction that God or god should be loving, caring and just. And when he experiences hatred or disrespect or belittlement from whatever source, then it is understood he has no other option except to seek an identifiable profile in his god. If God is ever needful and loving, then, in Hor's logic, that God has to prove his goodness, love and care on this earth and for all his subjects. Armah's idea is very similar

---

others' God] reinforces a God Image in which they [people abused in the name of their abusers' God] perceive God as loving and caring, but also which experiences the self as negative or inferior. While this may emphasize grace, it does so at the cost of self-worth and self-image... God, here, is experienced even from within his own culture [to the sinner] as being different from himself. *Otherness again, is the basis for salvation.*" p. 20

to that of Mercy Amba Oduyoye when she states that "... it is important to see the goodness of God here in the land of the living, for that is what establishes the presence of God among human beings."<sup>5</sup> Therefore, the Imam's unreasoning, uncompromising and defensive attitude—in other words, his cavalier assumption that he is the guardian of God's door for both heaven and hell—has to change radically so that Hor and his thinking companions can locate some mercy and compassion for themselves. But in order for this cultural metamorphosis to take place, the entire present culture regarding God has to be addressed seriously and examined; the point being to see if a new conception based on love and understanding can be envisaged. Conversely, this is what Armah is interested in: an attempt to figure out a deity that is primarily loving, accepting, lovable and loved instead of just feared.

What we understand from this chapter, "Origins", in particular, can confirm that Armah indeed has difficulty in accepting the word "believe". For him, to believe is to find oneself automatically embracing blind faith which is another word for self-erasure and identity loss. To believe, as we are likely to understand from that first translated scrolls, is to surrender one's most valuable part, reason and thinking, to abusers. In Armah's opinion, this is very similar to accepting self-destruction and subjugation. Furthermore, nearly all the atrocities Africa has experienced are, according to Armah, logical consequences of relapsing into blind faith. And the ready made suggestion for a way out, in this regard, is that if Africa is really serious about putting an end to centuries of domination, it has to devise an effective anti-dote against plain belief and blind faith and the idea of deity as it is currently conceived. It has to exchange blind faith for sharp reason, and beliefs for vigilant contemplation; this is how the first scribe warns his reader about how to proceed when trying to approach the concept of the gods or the netchers: "We named each netcher according to its place, its action and its quality. But we have never called

---

<sup>5</sup> Mercy Amba Oduyoye, "The African Experience of God through the Eyes of an Akan Woman", *Cross Currents*, <http://www.aril.org/african>

for belief in any netcher as living substance." Just a few lines below, we find the same warning again "Do not take it in the manner of believers, eyes closed against the honesty of shared perception, heart locked into the prison of superstitious faith." (*KMT*, p. 217)

### 3. The 'Netchers' as Metaphors for Energy & Creativity:

In tracing the authenticating artistic elements in Armah's *The Healers*, Charles Antangana Nama claims that Armah draws from Akan traditional lore in which heroes are usually endowed with supernatural gifts that enable them to miraculously accomplish very risky missions. Nama contends that Densu falls in "a category of exceptional men—"supermen" whose okra (mission) was to salvage the community." He follows: "[T]his self transcendence of the "superman" beyond the acknowledged ethos of the community is precisely one of the spectacular traits which Densu portrays in *The Healers*."<sup>6</sup> Nama cites J. B. Danquah's *The Akan Doctrine of God* (1944) and Okpweho's *The Epic in Africa*. (1975) to support his claim. Below there is a different approach to the same Armah's drama. However effective, this 'supernatural drive' exists as part of Densu and Isanusi's characters. In *The Healers* and *Two Thousand Seasons*, no one belittles these main characters' shaping of the lives and fates of their respective communities. In other words, the hard but humane efforts these characters perform, and with which they incite readers to follow them, should hold a prominent dimension. Densu, the reader finds, beams with fiery energy. He is zealous, intelligent, hard working, passionate, and in short, we meet in him an exceptionally gifted person. Armah, contrary to what Nama advances, stresses the principle of the "god-within-Densu" in a way to empower and transform the reader to the heights of the likes of Densu, Isanusi, Asar and Lindela.

---

<sup>6</sup> Charles Antangana Nama, *Aesthetics and Ideology in African and Afro-American Fiction: Ngugi Wa Thiong'o, Ayi Kwei Armah, Toni Morrison and Richard Wright*. PhD Thesis, State University of New York, (1984), pp. 119-120

Perhaps one of the best qualities with these main characters is their refusal to put reason aside. Such quality, if well applied and put to the test, is in a position to articulate an original approach to man and his role in the world. By drawing the readers' attention to the need to proscribe blind faith and put trust in reason instead, Armah, simply but effectively, aims at dismissing debates about origins as pointless and utterly self-defeating. Contemplation helps invoking the mystery of creation as it is everyday enfolded all before man. The mystery of creation, if it deserves to be called a mystery at all, lies in the constant manifestation of the forces of creation and energy wherever one looks. As it has taken place a long time ago, it is still constantly re-enacted and it will keep doing the same over and over again. It is like an open museum or a free show begging only for reflection in order to win appreciation. The metaphor of land and water can summarize the story of creation ever since its beginnings.

Out of Nwn [brute being] this land was the first to rise into the light of day. Land rose, but risen, stayed nostalgic of its origins in water. Aeons have passed. Time might have assuaged nostalgia for origins. But century after century, land returned to knowledge of origins, tasting again and again the devastating power of uncontrollable flood.

...

Heartened against despair, the lonely soul calls out. Inside the discord of chaos its lonely melody is heard in turn by others thinking themselves alone. This is the first stumbling step toward creativity, the flow of initiative toward intelligence in the teeth of confusion. (*KMT*, p. 218)

Before listing the netchers or the gods and in order not to leave space for possible channels of confusion and misinterpretation, Armah has had to approximate his conception of the deity in the metaphor of land and water. Flood submerges the land and the land becomes scarcely visible as a result. Besieged and trapped

that way, the land only wishes to go back to its former status before it is outflanked by water. The fate of the individual is closely similar to that piece of land as it looks to rise up above water level. The metaphor can be considered a *précis* detailing on man's need to get out of despair, "What it says to intelligence contemplating chaos is what the companions bid me say: you are not alone." As water recedes by time, so man is indirectly instructed not to fall prey to despair, a situation similar to chaos; the state is not as bad as it may appear at first. From Nwn or brute being, one starts on the seven stages of growth from existence to becoming. What needs to be emphasized instead is the understanding that one cannot even embark on this growth process, as well as its possibilities, if he/she is a believer. The miraculous intervention of the divine simply interrupts intelligence and cannot help believers to capture the meaning of the metaphor. One has to reason and think over the difficulties met along the way. And it is here that we observe that, accompanying each single stage, there lies a netcher or a god. This netcher is in fact not a heavenly body (for in this design there is no such body) but only a mental propensity, some parallel or metaphor whose role is only to reflect man's inner worth and good. This metaphor functions only as a mnemonic aid and draws logical parallels to keep one focused while being in deep contemplation. Similarly, it also implies warning against the shackles of blind faith.

This is why near the end of his text, the scribe again reminds the readers of the need to resist the urge to separate constant contemplation from belief. The scribe just writes, "Hold this reader, listener, in your memory: The netchers belong to legend. Remember them and they will help you live by sharpening your judgment. Believe in them, and you will kill your intelligence with the poison of blind faith." So why having these netchers and how they should mentally function, according to Armah, is the subject of the following lines below. "The netchers are spirits of our own creation, inhabited created narratives, made to help shared understanding. The

netchers of intelligence and justice will never demand credulity from as the price of their gift,..." (*KMT*, p. 219)

Armah's concept of deity, and contrary to the way Nama reads it, emphasizes contemplation and reason instead of a blind surrender to faith. Disposition in favour of reason is so because it is thanks to reason that one may fully understand the metaphor of land and water which fairly approximates how the world, since times immemorial, has functioned. What might be termed as a practical concept of god is based on the presumption that there lies a down-to-earth need for a god in humans. As the metaphor aptly illustrates, propulsion out of despair cannot possibly endure unless one confidently understands that in the final analysis it is pointless to lose hope. Come what may, the circling water is bound to subside in the end, ushering in each time a new phase of life, a new possibility. This alternation of hope and despair is what Armah stresses as a basic life principle and the primal motive behind his concept of god. According to Armah, in order to fight the present pathetic lack of collective concern on the part of Africans, and to urge them to look for genuine progress and to revive their self-respect, they have to shake off their beliefs in unloving, domineering and unidentifiable gods. The potential for action, when embracing this attitude, is much wider than frequently imagined. This implies addressing today's problems and taking part in actions aimed at promoting progress and development.

In connection with modern African realities and in order to locate the utility of the concept of divinity as introduced by Armah, one can cite the Ivoirian writer, Ahmadou Kourouma (1927-2003). In his novel, *Allah is Not Obligated* (2006), Kourouma tries to break the pathetic misunderstanding of divinity. He does this by illustrating that there is neither mystery nor mystique in the latter's intervention in humans' daily affairs. Birahima, Kourouma's narrator, explains how he conceives of the notion of the deity from the very title he has chosen for his narrative: "[T]he final and completely complete title of my bullshit story is: Allah is not obliged to be fair about all

the things he does here on earth.”<sup>7</sup> Birahima’s primary reasons from mixing profanities with what is usually considered as sacred, ‘bullshit’ side to side with ‘Allah’, probably aims at the ‘desacrilization’ of culture. This suggests his conscious attempt to free the same culture from the theological paralysis which draws people unconsciously to evaluate every aspect of their lives in the eyes of foreigners. Birahima keeps journeying from one war-trodden zone to the next, barely escaping death and fraud. He never blames God, the Almighty, for his misfortunes, nor does he thank Him when he hits some luck. In the end, he is an intact and experienced boy where many in his case are either dead or useless. In perfect agreement with Armah, Kourouma’s metaphor aims at inciting readers to think that Birahima’s survival and triumph over danger comes principally from his unshaken belief in none but himself; he is himself his own god, consistently combining between his natural dispositions for sharp intelligence and dedicated action. Here is another instance, similar with Armah’s, where a novelist figures ways at drawing a distance from what he or she considers as worn out ideologies.

Further support of the thinking (and anti-belief) qualities which Armah outlines and their relevance in effecting a true and constructive awakening, one can cite Manuel Castells' observations:

In a so-called information society, minds are not only the most important economic asset -- companies with minds make money; companies with money and no minds lose the money -- it's the same thing in everything. The networks are not programmed by technology; technological tools are programmed by minds. So the human consciousness [is the source], because everything now depends on our ability to generate knowledge and process information in every domain and activity. Knowledge and information are cognitive qualities from the human mind. Yes, human minds usually are connected to bodies, which means that you have to take into

---

<sup>7</sup> Ahmadou Kourouma, *Allah is not Obligated*. (2000) Trans. Frank Wynne, Anchor Books, New York (2006), p.1



consideration the overall system of human existence, social services support, etc. But fundamentally, the human mind has always been, but more than ever now, the source of wealth, power, and control over everything. Now, therefore, in a world in which signals, processed by our minds, are constantly shaping and reshaping what we do, the ability to influence, to change the categories through which we think our world (here, what I call the code of our culture) -- this becomes the essential battle. If you win the battle of minds, you win the battle of politics, the battle of the economy, because people will decide what they want to buy or what they don't want to buy, for instance.

So it's a battle, but ideas and talents are, ultimately, the source of productivity and competitiveness. The same thing is true in terms of the overall social organization, how people change their minds determines how they change their behavior. And the change of behavior would, ultimately, translate into changes in the overall social organization<sup>8</sup>.

If the upper hand in the world today goes to people who are gifted only for their minds and the ability to reason, then there is no reason why Africans should step away from what Castells refers to as 'a battle' for ideas and talents. Here Castells implicitly suggests that people with minds and talents are today's inheritors of gods of lore. The rest, people in short of this one quality, are helpless subjects whose aspirations do not translate in social reality. Applying the mind, the way Armah's emphasises and is further proved to be adequate, becomes one condition for bringing about a positive and constructive change in Africa.

The payoff one gets from applying reason is attuning one's energy to the energy of deity. If that happens, Armah contends that man can ascend to the heights of a divinity which is never short in value and estimation from that of a god or goddess. This, one can advance, is the ideal state which the Homo sapiens aspire to. But in the imperfect world, one can usually project that divine image in mind and try to stay consistent with

---

<sup>8</sup> Manuel Castells, *The Power of Identity*. Blackwell Publishers: Malden (Mass.) and Oxford. (1997), p. 12

that image while going about one's daily business. The astral figure of a perfect man or god, when well reasoned, always keeps man trying despite frets and odds to lead a better, more egalitarian and productive life. Armah cleverly shows that the distance between the profane and the sacred can be extensively narrowed provided one applies his/her mind in revealing the throbbing of the heart. The divine is here conceived of in terms of a metaphor and never as an entity.<sup>9</sup> Only in this sense can the reader interpret Armah's presentation of both Ras Jomo Cinque Equiano and Asar in *Osiris Rising*. The former preaches his pacifying ideology, all contained in submission and alienation from the self: "God sends trials, God sends succor. Allah sends pain, Allah sends relief." (*Osiris Rising*, p.141) While the latter, Asar, induces action and the claiming of the self in the claiming of the one's fate. He is constantly shifting: lecturing, reading, training, setting plans and making certain these plans get implemented.

### Conclusion

The above development outlines the implications of Armah's metaphorical conception of the divine. As has been shown, Armah disbelieves in all transcendent gods, those thought to be located in faraway heavenly skies, always distant and indifferent to the Africans' suffering. Like the character of Hor in *KMT*, gods who do not care about the well-being of their creatures and stipulate blind obedience and sacrifice have proved to be very dangerous to Africa's self-definition. Osiris and Isis are earthly gods in as far as ordinary Egyptians used to invoke them for their daily well-being. The drama in *KMT* incites readers to observe that transcendent gods are set with some motivation in the minds of those who preach them,

---

<sup>9</sup> A modern conception of divinity that I find approximating the ancient Egyptians' notion is put by Sydney Poitier, a Hollywood icon. In his autobiography, he articulates his opinion as follows: "He confesses that if pressed, he will admit to a belief in God. But he considers this to be, not an entity, but an immense consciousness that holds every particle of the entire universe in its awareness at every instance. He is uncomfortable with even this much defining and demurs at naming it even with the word 'god' as he sees naming and defining as the beginning of divisiveness." Sydney Poitier, *The Measure of a Man*. San Fransisco Harper. (2000)

instead of existing freely in themselves. In other words, the people who preach faith in such gods (Christians and Muslims) have turned themselves, by extension, to deities, exploiting and conquering. According to Armah, Africa's abusers came first as preachers of a new religion, promising a distant and blissful heaven for their followers. After taking control over the resources of these African communities, these colonizers pacified their subjects' spirit with long sermons about heavenly rewards and retributions. And here it becomes clear that while one concept of deity has been responsible for peace and well-being for many African communities, another one has spelt only disasters and plundering. True, such abusers have done this through mainly war and fragmentations of the African social structure and dynamics. Yet, their first transgression was when they introduced a strange concept of the divine, that can be defined as a 'transcendental' deity, standing in direct opposition to a loving and caring, identifiable and understanding god.

Still one has to note the negative aspects of such an approach. If man can aspire to the position of God, the way Armah puts it, then already Africa has witnessed a number of megalomaniac rulers 'who try to ape God'. In other words, such exaggerated self-esteem can have disagreeable effects on people who prove to be short of moral qualities and are only hungry for power. Wole Soyinka's *A Play of Giants* (1984) and Ngugi Wa Thing'o's *Wizard of the Crow* (2006) draw a sinister picture of African dictators without any sense of duty towards their respective peoples, and determined to rule with an iron hand no matter what the consequences. To answer his psychopathic need, the ruler sleeps on the real developmental schemes, dreams of an unprecedented mythical tower of domination and sets up plans to build it. In reading Soyinka's work, one critic finds that "the setting reveals African leaders' profligacy and

mismanagement of resources, which ensure the continued economic retardation of the continent."<sup>10</sup>

**Cited Works of Fiction:**

Armah, Ayi Kwei. *KMT: In The House of Life*. Per Ankh Publishing Cooperative. (2002)

\_\_\_\_\_. *Osiris Rising*. Per Ankh Publishing Cooperative. (1995)

Kourouma, Ahmadou. *Allah is not Obligated*. (2000) Trans. Frank Wynne, Anchor Books, New York (2006)

Poitier, Sydney. *The Measure of a Man*. San Fransisco Harper. (2000)

Soyinka, Wole. *A Play of Giants* (1984)

Thing'o, Ngugi Wa. *Wizard of the Crow*. Pantheon Books, New York. (2006)

**Bibliography:**

Adekoya, Olusegun. "Psychopaths in Power: The Collapse of the African Dream in *A Play of Giants*" in: Björn Beckman & Gbemisola Adeoti (eds.), *Intellectuals and African Development*. CODESRIA, Dakar (2006)

Castells, Manuel. *The Power of Identity*. Blackwell Publishers: Malden (Mass.) and Oxford. (1997)

Hoffman, Louis. "Cultural Constructs of the God Image and God Concept: Implications for Culture, Psychology, and Religion"  
<http://www.godimage.com/Papers%20and%20Publications/Cultural%20Constructions%20of%20the%20God%20Image%20and%20God%20Concept.pdf>

Nama, Charles Antangana. *Aesthetics and Ideology in African and Afro-American Fiction: Ngugi Wa Thiong'o, Ayi Kwei Armah, Toni Morrison and Richard Wright*. PhD Thesis, State University of New York, (1984)

Oduyoye, Mercy Amba. "The African Experience of God through the Eyes of an Akan Woman", *Cross Currents*, <http://www.aril.org/african>

---

<sup>10</sup> Olusegun Adekoya, "Psychopaths in Power: The Collapse of the African Dream in *A Play of Giants*" in: Björn Beckman & Gbemisola Adeoti (eds.), *Intellectuals and African Development*. CODESRIA, Dakar (2006), p. 12



REVUE  
**EL-HAKIKA**  
UNIVERSITE D'ADRAR

Revue Académique Editée par l'Université d'ADRAR

Numéro : 18

Juillet 2011

Dépôt légal: 363 / 2003

ISSN 1112 - 4210